إتحاف أعلام الناس
بجمال أخبار حاضرة مكناس

تأليف

ابن زيدان: عبد الرحمن بن محمد السجلماسى

(١٢٩٠ - ١٣٦٥هـ)

تحقيق

الدكتور على عمر

بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية

بجامعة المنيا والإمام بالرياض

ومن الباحثين بمركز تحقيق التراث (سابقا)

الجزء الخامس

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨

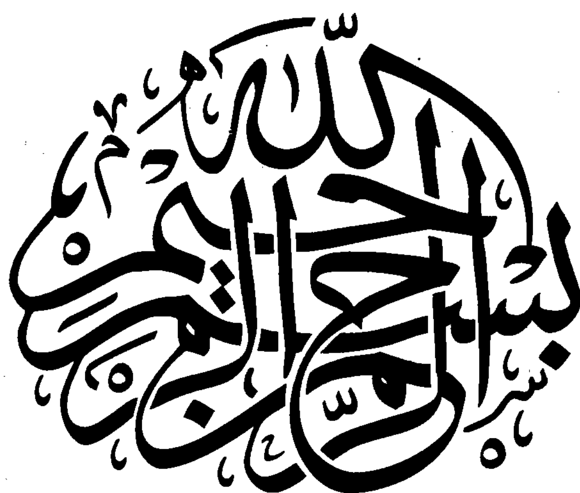
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد ـ القاهرة
٢٥٩٢٢٦٢٠-٢٥٩٣٨٤١١ / فاكس: ٢٥٩٣٦٢٧٧
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

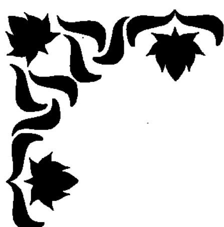
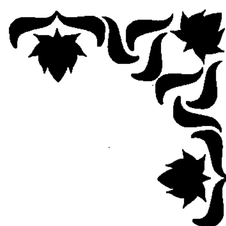
بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس ج٥
تاليف: ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد المكناسى ، تحقيق: على عمر
ـ ط ١ ـ القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٨
٥ مج : ٢٤ سم
تدمك : ٤ ٣٩٣ ٣٤١ ٩٧٧
١- الفقهاء ـ معاجم
أ- عمر ، على (محقق)
ب- العنوان

ديوى : ٩٢٢،٥٨

رقم الايداع : ٢٠٠٨/٧٦٧٠


بسم الله الرحمن الرحيم

إتحاف أعلام الناس
بجمال أخبار حاضرة مكناس

لابن زيدان




بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

***

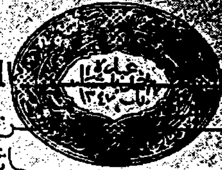
٤١٢- عبد الرحمن بن هشام بن محمد بن عبد الله بن فخر الملوك أبى النصر إسماعيل السلطان ابن السلطان ابن السلطان ابن السلطان ابن السلطان.

ولادته: قال نجله العلامة المولى العباس فيما قرأته بخطه ومنه نقلت ولفظه: ولعل فى هذا العام (يعنى عام ١٢٠٤ أربعة ومائتين وألف) ازداد والدنا رحمه الله سيدى ومولاى عبد الرحمن بن هشام هـ أمه السيدة هنية بربرية.

حاله: وصفه أبو حامد العربى الجامعى فيما كتب به للأمين الحاج محمد الزبيدى معزيا بتاريخ خامس صفر عام ستة وسبعين بقوله: مولانا فخر الملوك، وملجأ الضعفاء والمساكين، وسيف الله على الطغاة المعتدين، الحليم الرءوف الصابر، الجابر المتيقظ المتغافل، العابد الزاهد أُويس وقته هـ.

ووصفه العلامة الناسك المرشد الشيخ المختار بن محمد بن المختار الكنتى فيما كتب به إليه يعظه وينصحه بما لفظه: نخبة الأخيار، وخلاصة خاصة الأحرار، سلسلة السادات الأبرار، وخاتمة القادات ذوى الأقدار، منبع الفضل والجود، وفرع سبب أصل الوجود، من ثبت أصل شجرته وفرعها فى السماء، وطاب ثمرها ودنت قطوفها للاجتناء، فكان أعرقها عرقا، وأرحبها عزقا، الفارع البارع، الورع البر المتواضع، الساعى فى الخيرات المسارع، الجهبذ المجاهد أعداء

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم



[illegible] الاكمل النحرير الافضل الفقيه الاجل السيد عبد الرحمن
[illegible]ن زيدان نقيب العائلة السلطانية العلوية العلية لازالت
[illegible]اته العلمية فى نمو وهلال كماله فى اشراق وعلو . اما بعد
السلام عليكم ورحمة الله فقد اتصلنا بالجزء الرابع الذى تم به لدينا تاليفكم النفيس
المعنون باتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس . وقد اطلعنا على ما حواه
من جليل الاثار . وحميد الاخبار محل عندنا محل قبول واعتبار . مما دل على براعة
فائقة وهمة سابقة غير لاحقة فى حلبة العلوم والفنون . واستخراج الكنز المكنون
فنشكركم على هذا السعى الجميل والسلام من الفقير الى ربه تعالى عبده احمد باشا
باى صاحب المملكة التونسية وفقه الله تعالى فى ١٧ محرم الحرام و١١ ماي سنة ١٣٥٢
١٩٣٣

تقريظ حضرة صاحب السمو الأمير أحمد باشا باى صاحب المملكة التونسية للتاريخ

الدين، حامى بيضة الإسلام من المعتدين، إمام الأمة، القائم بكل الإِمَّة[1] الباقعة السامى يتيمة الخلف، الخليفة المستخلف، الذى أنشد فيه الحال:

أتتـــه الخـــلافـــة منقـــادة إليـــــه تجـــرر أذيالـهـــا
فـلـــم تـك تـصـلــح إلاّ لــه ولـم يك يـصلـح إلاّ لهــــا

الإمـام الحق، الحـاكم بالحق، وظل الله فى أرضـه، أميـر المؤمنين سـيـدنا ومولانا عبد الرحمن ابن أمير المؤمنين سيـدنا ومولانا هشام ابن أمير المؤمنين سيدنا ومولانا محـمد ابن أمير المؤمنين سيـدنا ومولانا عبد الله ابن أميـر المؤمنين سيدنا وملانا إسماعيل بن مولاى على الحسنى.

إلى أن قال: هـذا وقد قدم علينـا من ناحيتكـم الميمونة الفـاضل الأديب، الفائق الأريب، السالك الناسك الصادق الذائق سيـدى بابا أحمد بن عبد الرحمن فى وفده المبـارك غير خـزايا ولا ندامى، فأثنوا عليك بما أنـت أهله، وأنشدوا من فضائلك ما طوى البين، وفصلوا وأذاعـوا من تقريبك العلماء، واحتفالك بالعلم، وصـرفك عنان الهمـة إليه، وإحـيائك السـنة، وإماتتك البـدعة، ولين جـانبك، وخـوفك وتواضعك، وعـفـوك وحلمك وصبـرك، ووقـارك، وتوكلك وزهدك، وورعك وكرمك، مـا هو الغاية القـصوى المنتـقاة، وقرة العـين المبتـغاة، والدليل القاطع على أحقيتك بالإمامـة الحقيقية وأخلقيتك بالخلافة الحقيـة الحقيقية. إلى أن قال: إنه لم ينقل إلينا واش ولا خاص ولا عام قديما وحديثا من سيرتكم من عهد أميـر المؤمنين مولانا سليمـان إلى الآن ما ينقم حاسـد، ولا ينقد بصيـر ناقد، إلا شدة الحجاب إلخ.

(١) فى هامش المطبوع: «الإِمة بالكسر: النعمة، كما فى المصباح».

ووصفه العلامة الخطيب السيد عبد الحفيظ الملقب الكبير الفاسى الفهرى فى «إعراب الترجمان، عن قصة الأَوْدايَة مع مولاى عبد الرحمن» بما لفظه: الإمام الذى حطت لديه السيادة ركابها، وأرخت عليه السعادة أطنابها، وتنظمت عقود مملكته أى انتظام، وانقادت له سوابق الخلافة بغير زمام، وتقلد بسيف النصر والمهاد، وقام على ساق الجد والاجتهاد، وشمر على ساعد السعد لنصرة الدين، مقتفيا آثار الخلفاء الراشدين، الأمير الذى ارتقى ذروة الجلال، وتحلى بأوصاف الكمال، وتفرد بالمحاسن الرائقة الجليلة الحسان، وجمع من الفضائل ما لم يأت على حصره لسان، رفيع القدر والشان، أمير المؤمنين أبو زيد مولانا عبد الرحمن هـ.

وقال أبو محمد العربى بن على المشرفى الراشدى فى مؤلفه «فتح المنان بشرح قصيدة ابن الونان» أو «المواهب السنية، فى شرح الشمقمقية» - وكان شروعه فى هذا الشرح مستهل شوال سنة ١٢٩٤ أو فى العشر الأواخر من رمضان، وانتهاء استخراجه من مبيضته أواخر جمادى الأولى سنة ١٢٩٥ كما قال ذلك عن نفسه - فى حق صاحب الترجمة ما لفظه:

أعز الله به الدين، وخذل الأعداء والبغاة المعتدين، وتمم مكارم الأخلاق لمن كان قبله، ولم يسود للإيمان وجها بل نور نهاره وأقمر ليله، وأرغم أنف الشيطان وأولياءه بوصية المولى سليمان، فكان فى أسوأ الزمان حسنة الليالى والأيام، المضاعف أجرها للمولى الإمام، إذ هو الذى عهد له بالخلافة، وما شان تصرفه طول عمره على وفق الشرع وما رام خلافه.

فهو الذى اختاره الله سلطانه العزيز، ورفعه على منصة التبريز، بل هو الإمام الذى ألقت إليه الإمامة زمامها، وقدمته الأفاضل لما اختص به من الفضائل أمامها، عميد المجد الذى لا يتناهى فخره، ووحيد الحسب الذى تسامى قدره،

فرع الدوحة المحمدية التى عم خيرها الإسلام، وغصنها الناعم الذى فى روض أمنه أنام الأنام، بل هو المستظل بظل حرم نسبه المتصل بسيدنا محمد النفس الزكية، وشجرته الثابتة فى الروضة الفاطمية العلوية، أعز الله به هذه الأمة المحمدية، التى هى خير أمة أخرجت للناس، وأسعد به هذه الأقطار المغربية كما أسعد بطالع سعده حاضرة فاس، وكان يسترعى على رعيته، حفظا لرعايته، ويأخذ فى تسكين هذه الأوطان وتمهيدها، واستئناف العزائم وتجديدها، وإطفاء نار الفتن وإخمادها، وإعلاء أركان الإيالة ورفع عمادها، فكسر للبغاة الشوكة، ودفع بسياسته عن رعاياه الوثنية والشركة، وقد كان وعاظا لرعيته مشفقا عليها رءوفا بها، وإذا ظهر جور عامل وكررت به الشكوى لديه ولم يوافق على عزله فى الحين، فإنما ذلك من سوء الظن بالشاكى، لعموم الفساد على وجه الأرض فى البر والبحر، وفى كل ذلك لم يخل فؤاده من نية عزله وكذلك عند جور وزير أو غيره هـ.

وقد كان رحمه الله صواما قواما، من أتقى ملوك الإسلام وأقومهم طريقة، ذا علم وورع، وديانة وعفاف، وكمال هدى وجد، ونجدة وشجاعة، وصدق لهجة، واقتصاد فى الأمور وتدبر ونظر فى العواقب، ومراقبة وخوف وخشية، وحلم وشفقة، وتأن وتوقف فى الدماء، وصلابة فى الدين، وقوفا مع الحق لا تأخذه فى الله لومة لائم.

مقتصدا فى مأكله ومشربه وملبسه يلبس المرقع والمخصوف، قدم له يوما صاحب طعامه جريدة صائره اليومى فوجد به زيادة غير معتادة، فسأله عنها؟ فقال: هى قيمة بعض الخضروات أول ظهورها، فقال له: لا تعد لمثلها، فإنى لا أحب أن أتناول إلا ما يقدر الضعيف على تناوله، ما لى وللخضرة الجديدة، حتى إذا كثرت آكلها كغيرى.

قال الفضيلى فى الدرر البهية: أخبرنى من أعتمد حديثه من أقاربنا أنه تعذر ذات يوم على أهل مطبخته الوقود، ولما أمسى المساء بات جل أهله بدون عشاء، فلما بلغه ذلك كشف رأسه واعتراه سرور عظيم، ثم رفع يديه وقال: اللهم لك الحمد والثناء حيث سويت بين أهلى وبين ضعفاء المسلمين، وما لام من فعل ذلك ولا عاتبه ولا عنفه ولا أنبه، قال: وهذا دأبه فى سائر الأحوال هـ.

وحسبك فى هذا الباب أنموذجا ما كتب به لنجله المولى سليمان وإليك لفظه بعد افتتاحه:

«ولدنا الأبر مولاى سليمان، أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فاعلم أن التوسع فى المآكل والمشارب بأن يأكل المرء كل ما اشتهى من الخصال البهيمية، والأخلاق الحيوانية، مع أنكم اليوم فى مقابلة جهاد ورباط، ولستم بِصَدَدِ رفاهية ونشاط، ففى الحديث من كانت همته فى بطنه فقيمته ما يخرج منها، وفى الأثر عن سيدنا عمر رضى الله عنه: كفى بالمرء إثما أن يأكل جميع ما اشتهى ونحن من العرب، وشأن العرب أخذ البلغة والاكتفاء بما وجد ولقد قائلهم:

وإنك مهما تعط بطنك سؤله   وفرجك نلت غاية الذم أجمعا

كما كان أسلافنا فى حركاتهم لتمهيد القبائل بناحية الترك يقتصرون عند الحاجة على جمع فضلات علف الخيل، ويقلونه ويدقونه ويقتاتون به، وما أدركوا الذى أدركوه بالرفاهية والسعة، وإنما أدركوه بالصبر وتحمل المشاق من جوع وغيره، فالزم القناعة والإمساك عما فيه غضاضة وشره، وإياك أن تكلف الأمين هنالك أو غيره بشىء خارج عن الضرورى، وتجعل تقول: ايتنى بهذا الشىء، فإنى إن

سمعت عنك شيئا من ذلك لا تبقى تساوى عندى قلامة، وتسقط من العين التى أنت فيها عندى، فأقبل على ما آتاك الله ولا تمدن عينيك إلى ما زاد على ذلك، وإياك أن ترى فرسا عند عامل أو غيره وتوجه له فيه، وارفع همتك عن كل أحد حتى إن عرض عليك أحد شيئا قل له: لا أتوقف على شيء، وأنا الذى أُعطى للناس، وإذا دعتك داعية لشهوة أو غرض فاقمع نفسك، وشم يدك واشبع، ففى المثل: تجوع المرأة ولا تأكل من ثديها، وقال الشافعى:

إذا أظمأتك أكف اللئام ... كفتك القناعة شبعا وريا

فكن رجلا رجله فى الثرى ... وهامة همته فى الثريا

فإن إراقة ماء الحيا ... ة دون إراقة ماء المحيا

واعلم أن تلك المراسى الثلاثة تطوان وطنجة والعرائش من أضعف البلاد وأقلها زرعا، وإنما يجلب لها من القبائل جيرانهم، فلا ينبغى أن يكلفوا أو يشططوا، بل ينبغى للنازل فيهم أن يعيش بعيشهم ويقتصر على قوتهم:

البس لكل حاجة لباسها ... إما نعيمها وإما بؤسها

وهذه وصية خصصناك بها، وتذكرة آثرناك لها لتجرى على مقتضاها، وتسلك السبيل التى نحبها ونرضاها، والله يبقيك والسلام فى ٢٨ رجب الفرد الحرام عام ١٢٦٠ هـ».

وكان قبل هذا قد كتب كتابا شديد اللهجة للقائد بريك الحبشى يحذره من أن يدع ولده المولى سليمان المذكور يتمتع بأنواع الملابس، كما حذره قبل من التنوع فى المآكل والمشارب، ونص ما كتب به بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«وصيفنا الأرشد بريك الحبشى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى، وبعد:

فاعلم أنا إنما بعثنا ولدنا المولى سليمان بقصد قراءته والاشتغال بما يعنيه، ولم نوجهه دلالا يتخير فى الشقق ويتلون فى الملابس، ولم نبعثك معه إلا بقصد حراسته وحفظه من هذا وشبهه ومنعه ما لم نأذن لك فيه، فإن احتاج إلى كسوة أو شيء يطلبه منا ولا يباشر ذلك بنفسه ويوجه... عليه ولم ننقم على أخيه مولاى أحمد إلا هذا وشبهه، مع محافظته على دينه ومروءته، وعليه فإنى أعاهد الله تعالى إن سمعت عليه شيئا بعد هذا أو أطلقت له اليد فى التصرف فى شيء مما دخل عليه من الهدايا شققا ودراهم حتى نخلى داربوك، فإنما وجهناك معه لتمنعه مما لا يناسب، فإذا تركته وما يريد فوجودك وعدمك سواء، فإن ضاع مما دخل عليه قلامة أو تصرف فى شيء ببعث أو إعطاء نعاقبك عليه، واترك ذلك موقوفا حتى أرى فيه رأيى إن شاء الله والسلام فى ٢٣ شعبان المبارك ١٢٥٥».

وله قدس الله سره فى مثال هذا أخبار يضيق عنها المقام.

ولاه عمه أبو الربيع سليمان أمانة ثغر الصويرة وعمالتها، ثم نقله للخلافة عنه بفاس وذلك عام سبعة وثلاثين ومائتين وألف، فأحسن السيرة وقام بمأموريته أحسن قيام.

ووجهه مع أولاده للحرمين الشريفين بقصد أداء فريضة الحج وزيارة قبر جده عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وأعطاه بضاعة ينفقها فى سبيل حجه فحفظها ولم يتصرف فى قيراط منها، ولما آب من حجه ردها إلى عمه وقال له يا سيدى: إننى كنت ادخرت بضاعة جمعتها من كد يدى لأنفقها فى هذا الصدد، وآليت أن لا أضيف إليها غيرها إلا إذا نفدت، وقد حصلت لى بها الكفاية والحمد لله، فعجب عمه من حاله وسر واستبشر وقال له: خذ ذلك بارك الله لك فيه.

بويع له بالخلافة بعد وفاة عمه أبى الربيع المذكور بعهد منه يأتى نصه فى ترجمة عمه سليمان بحول الله وقوته، وكانت بيعته بفاس فى خامس عشر ربيع

بيعة أهل الرباط للمولى عبد الرحمن

النبوى عام ١٢٣٨ ثمانية وثلاثين، وبويع له بالعاصمة المكناسية يوم الأحد الرابع عشر من ربيع الثانى، وسبب تأخر بيعة أهل مكناس ما كان من المخالفة والشقاق بين قاضيها أبى العباس أحمد بن عبد الملك مار الترجمة، وبين عبيد البخارى على ما قرأته بخط أبى العباس الأغزاوى المترجم فيما سلف، قال: حتى هم العبيد بقتل القاضى، وما منعهم من ذلك إلا الشرفاء، قال: وأقام المترجم بفاس بعد البيعة له ستين هـ.

والذى للزيانى فى «عقد الجمان، فى شمائل السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام» وذكر حركاته وغزواته وعماله وقواده وأمنائه وقضاته، أن خبر وفاة المولى سليمان إنما وصل لفاس فى السادس والعشرين من ربيع الأول هـ.

وفى الاستقصاء أن القاضى ابن عبد الملك كان ممن حضر البيعة بفاس هـ يعنى وهو متول خطة القضاء بها إذ ذاك، والذى يظهر أن ما عند الأغزاوى المذكور أصح وأضبط، لأنه ممن حضر وعاين الوقائع وممن كان بصدد تقييد الحوادث مياومة والله أعلم، ثم أعلنت بيعته فى سائر البلاد المغربية.

ونص بيعة أهل الرباط له من إنشاء أبى العباس أحمد الرفاعى الرباطى كاتب الدولتين ومن خطه نقلت:

«نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين. هذه بيعة مظهر العدل والإحسان. أمير المؤمنين مولانا عبد الرحمن. ابن حائز الشرفين. وشريف الطرفين. مولانا هشام بوأه الله فراديس الجنان.

الحمد لله عاقد ألوية النصر بمعاقد العز منشورة الأعلام، وناشر الرحمة العامة بأنوار الخلافة العظمى عناية بأهل الإسلام، ومرسى قواعد الشريعة بالخلفاء أن تميد، وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد،

ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم، أحمده حمداً يوافى متوالى آلائه التى من أجلها الاستظلال فى كنف الخلافة، وأشكره شكراً كفيلا بالمزيد من كرمه الذى نؤمله ولا نعتمد خلافه، وأستعينه على القيام بأمور الدين وأتولاه، وأستنصره جلت قدرته وما النصر إلا من عند الله، إن الله عزيز حكيم، وأستغفره مما يعرض من التقصير فيما طوقناه من الأمور الأكيدة، وأعوذ بوجهه الكريم من شرور أنفسنا التى لولا عدل الخلافة يحجزها لهوت فى هوة المكيدة، وأستهديه إلى الاستضاءة بشمس الخلافة فى فلك السعادة، وأستكفيه فتنة من يعشو عن أنوار الحق فى البدء والإعادة، وأعتصم به اعتصام الذين باعوا من الله أنفسهم فآمنوا وجاهدوا، وأستمسك بسنته استمساك الواثقين به الموفين بعهدهم إذا عاهدوا، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم.

وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له شهادة يزين التدين بطاعة سلطان الله حلاها، وينتظم فى سلك الدين والوفاء علاها، شاهدة لمن وفى بما عاهد عليه الله بالنجاة، كفيلة لمن دان بها بأعالى الدرجات، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم.

وأشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمداً عبده الذى بعثه رحمة لخلقه يزكيهم ويهديهم، وخليفته الأعظم الذى أوحى إليه ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ... ﴿١٠﴾﴾ [الفتح: ١٠]، وأمينه الذى شرع نصب الخلافة عصمة نامن بها سوء العدو ومكره، وحبيبه الذى ألزم خلقه السمع والطاعة فى المنشط والمكره، ووليه الذى نوه بذكره فقال: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤]، اللهم فصل وسلم عليه وعلى آله العترة الزكية، والنسمات الذكية، الذين عقدت لهم لواء المجد فى صدور الأكارم، وحفظت بهم نظام أشتات المكارم، وأغليت

نفائس معاليهم فوق الدر النظيم، صلاة وسلاما يشملان أصحابه الذين قاموا على الواجب بأعباء ما رغب فيه وأمر، وأجمعوا على إنفاذ عهد أبى بكر بالخلافة لعمر، وحافظوا على التمسك بسنته فى الحديث والقديم، وواصل اللهم رضوانك الأكبر، ورحمتك الموجودة فى المورد والمصدر، على ساداتنا العلماء الذين بلغونا عنه حقائق الدين، وأئمتنا الخلفاء المهتدين، الذين لم يزالوا شجى فى لغاديد المعتدين، وسرجا يستضاء بهم فى دياجى ليل الخطب البهيم.

ونضرع لك فى تأييد مولانا الإمام الذى عقدت عليه الخناصر، وقطع به أثر كل باغ متمرد فما له من قوة ولا ناصر، وكففت به أكف أهل العداء وإخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون، ومننت على العباد تيمنا به بعام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون، والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم.

أما بعد: هذه الفاتحة التى تيسر لها من الآمال كل مرتجى، وأطلقت من ألسنة المسألة والابتهال ما كان معقودا مرتجا، ورسخت فى قواعد التأييد والظفر سوقها، ونفقت فى متاجر العز والتمكين سوقها، وسقاها اليمن وابل عهاده، وأحلها الإقبال بحبوحة صدره وفسيح مهاده، وأسرعت نحوها الآمال خاضعة، ولبت دعوتها أعيان الأكابر وأكابر الأعيان مطرقة متواضعة، وابتسمت لها ثغور اليمن ضاحكة بملء فيها، وهش لها من كل قلب منيب يبتغى الديانة ويصطفيها، فإن الله جل جلاله، وعز كماله، دعا خلقه والصحف مطوية والأقلام جافة، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ... ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة: ٢٠٨]. وإن الإمامة العظمى من الدين بمحل الروح من الجسد، والشجاعة من الأسد، ومنصب عظيم الخطر والبال، ومرتبة يعز منالها بتكلف واهتبال، ولكنها موهبة من الله يرشح لها من اختصه بفضله ومبرته، ومظهر قدرة حفته عناية قوله عليه السلام: إذا أراد الله أن يخلق خلقا للخلافة مسح يده على ناصيته، وقد احتضنتها بهذا

المغرب والحمد لله أبوة نبوية، ونسبة هاشمية علوية، فتمت له المآرب بهالات البدور، وانشرحت به الصدور من الصدور، فإنها دولة رفعت منار العدل على العلم المنيف، وأمنت كل مروع من الخطوب فى إقامة الدين الحنيف، وازدهت بالخلافة بيض أيامها وغر لياليها، واتسقت لها المفاخر الجسام من مواليها، ونشرت أعلام الفضل المبذول للأنام على السوية، وحاطتها أيدى الأقدار لحسن السيرة وصفاء الطوية، وصارت أزمانها على التجدد موسما وعيدا، وأمنتها عناية الملك الحق إسعادا وتأييدا، بأمراء ورثوا سر النبوءة كابرا عن كابر، وتأثلوا الفخر التليد المتلو فى المصاحف على رءوس المنابر، حتى أفضت بالتأييد والمبرة العميمة، إلى صدر صدورهم الذى حاز من هذا الفخر صميمه، إمامنا الذى لم يختلف فى عدله وفضله اثنان، وسلطاننا الذى أيد الله به الدين وقلده أمر المسلمين فما بات عن مصالحهم بطرف وسنان، سلطان العلماء وعالم السلاطين أبى الربيع مولانا سليمان، فلم يأل جهدا رضى الله عنه فى نصيحة يدخرها لغده، ومبرة يتعجلها حيثما مرت على خلده، مؤيدا للدين والسنن، موضحا بالقول والفعل كل نهج حسن، رافعا منار الحق وشعاره، جاعلا تقوى الله دثاره وشعاره.

وكانت أيامه الغر شامة فى محيا الدهر، وعوامله المرجوة المخوفة محيية للمهج قاصمة للظهر، فى خفض ودعة، وبركة وسعة، لا جرم قد طلع فى آفاق السعد مطلعا قفى به وفاق سلفه، ويسر له وعلى يديه من الآمال ما أجزل به أجره وأدخله كنفه، وناهيك به من إمام حسنت أياديه فهى لعيون الزمان نواظر، وطابت بعدله أغصان السول فهى زواه نواضر، تزهى فى ثوب العز والقبول، وتميس ببرد قشيب بين الصبا والقبول، وللناس ببركته سرور وازدهاء، والأيام فى طرب من مراد واشتهاء.

وهو لنا أب بر ونحن له بنون، تجرى بأمره الأقدار وعلى حكم خواطره

المنون، حتى اشتاق إلى ربه، وأحس بإجابة الداعى من قلبه، نظر رحمه الله شفقا فى الأمانة، فى عصابة أبقى الله على خلقه ببقائهم أمانه، فاختبر على محك السبر يواقيت الآل، ونفائس اللآل، فتخير أثبتها جنانا، وأقواها نجدة وبيانا، وأوفرها مروءة وديانة، وأكملها عدالة وصيانة، وأجمعها لشرائط الإمامة اتفاقا، وأوعبها لضروب الكمال في سوق المعارف والعوارف نفاقا، وكان هذا البدر الساطع، والسيف القاطع، حسنة الدهر، وشذا خمائل الزهر، المفضال المبرز فى ميدان العلوم بذكائه، والمقدام المجلى فى مضمار السبق بذكائه.

طالع الأمن فى غرة الأزمان، ويتيمة الفخر التى تضاءلت لعلو مقدارها الأرواح والأثمان، أبو زيد مولانا عبد الرحمن ابن أخيه أمير المؤمنين مولانا هشام ابن أمير المؤمنين السلطان الجليل مولانا إسماعيل الشريف الحسنى العلوى.

فعهد إليه بالخلافة بعده، وألزم كل واحد من رعيته السمع والطاعة له جهده، فكان أمره رحمه الله حتما، وعهده حكما، ولما تحول رحمه الله للملك الكبير، وجوار الملك الخبير، وثبت عهده الذى نصح فيه لله ولرسوله وللمسلمين كان أول من قام بتنفيذ أمره العاطر الأنفاس، صدور العلماء وعلماء الصدور بحاضرة فاس، فى جملة من بها من الأئمة والأشراف الذين هم بدور الحنادس المدلهمة، وعامة المسلمين وخاصتهم، والجيش السعيد من الوداية وغيرهم، فقلدوه الإمامة الجسيمة، ورفعوا ببيعتهم منار الإسلام اغتناما لبركته العميمة، فقام بها علما، وأرضاها عدلا وسيفا وقلما، وأفاض سجال الفضل وهو أيسر شمائله، وسار سيرة أخجلت ورود الزهر فى خمائله، فأرتهم محاسنه من ضروب الحسن والإحسان عجائب أحجم المقوال عن إبانة فضلها، وتلت عليهم باليمن والعافية ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ... ﴿١٠٦﴾﴾ [البقرة: ١٠٦].

وإنا معشر أهل رباط الفتح من الخاصة والعامة من ساداتنا الشرفاء والفقهاء،

والعلماء والطلبة والمجاهدين الرؤساء، من الطبجية والبحرية قاطبة، وأهل الحرف قد بلغنا على الحقيقة جميل ما صنعه أهل حارة المغرب قاعدة فاس، العطرة الأنفاس، من تنفيذ عهده، والوفاء بوعده، فأسرعنا مهرولين، وعلى إجابته معولين.

فإنا نشهد الله وملائكته أنا نقر له بالسمع والطاعة، فى المعروف حسب الاستطاعة، وأعطينا أمير المؤمنين مولانا عبد الرحمن هذا أيده الله تأييد جده ببدر، وأحله من القلوب بسويدائها ومن محافل الجلالة بالصدر، صفقة أيدينا، وعقد قلوبنا، وبايعناه بيعة نبتغى بها رضا الله والدخول فى الطاعة، وننتظم بها فى سلك جماعة المسلمين، فيد الله مع الجماعة، وقد التزمنا إمامته، ورضينا بها تاجا للفخر وعمامته، على الوفاء بما ألزمنا الله من طاعة إمام البرية، وما ألزمه الله من حقوقنا فى جملة الرعية.

اللهم اجعلها بيعة مستمدة بكرمك من بيعة الرضوان، وأتح لنا من نعمك بها ما لا يخطر ببال فى كل حين من الأحيان، وبارك لنا فى إمامته بركة تشمل النفس والأهل والأموال والأولاد، وتحفظ بها المهج والسفار والتجار والبلاد، ويسر له آمال الراغبين، وحطه وحط به فإنك ملجأ الطالبين.

اللهم وَالِهِ بولَائِك، وكن له نصيرا غامرا بآلائك، وألهمنا وإياه شكرا يقتضى الآلاء، ويقضى بانقضاء اللأواء، إنك سميع الدعاء، بجاه سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام آمين.

شهد على نفسه وعلى جميع من حضر هذا العقد السعيد بعقده والتزامه، وعرفهم وهم بأتم حال وأكمله فى وقت الضحى والشمس على ارتفاع ٢٨ ثمان وعشرين درجة من يوم الخميس التاسع عشر من ربيع الثانى عام ثمانية وثلاثين

ومائتين وألـف، عبد ربه تعالى، أحمـد بن محمد الرفـاعى الحسنى لطف الله به آمين».

وبعده واحد وعشرون توقيعا وشكلا منـها: محمد بن أبى العباس الرفاعى، ومحمد بن محمد الأوسى الأندلسى، ومحمد بن العربى عاشور، وعبد القادر بن المهدى مرين، وصالح بن أحمد الحكمى، ومحمـد بن محمد البوعزوى، ومحمد بن محمد السلاسى، ومحمد الطيب بسـير، ومحمد بن المكى البنانى، ومحمد بن على الزعيمى، ومحمد بن محمد فرج.

وقد رفع على خط الكاتب المذكور بما نصه:

«الحمد لله، الخط والشكل الأول عقبه بصك بيعة أهل هذه الحضرة الرباطية لأمير المؤمنين أبى زيد مولانا عـبد الرحمن العلوى، روح الله روحه، وأسكنه من الجنان فسيحه، أعـلاه كلاهما للفقيه العلامة الأوحد أبى العبـاس سيدى أحمد بن الفقيه الأسـمى سيدى محمد الرفاعى الحسنى، قـاله عارفهما معرفا بهـما من غير شك يلحقـه فى ذلك فى ثامن عشر مـحرم الحرام عـام اثنين وخمسـين وثلاثمائة وألف، عبيد الله تعالى محمد بن العباس الرفاعى لطف الله به».

ونص الأداء عند قاضى الرباط الحالى:

«الحمـد لله وحده أدى المعـرف أعلاه فقـبل وأعلم به عبد السـلام بن إبراهيم لطف الله به».

هذا ولم تزل البلاد على عهده فى هدوء وراحـة وإقبال، وسعادة وثروة وزيادة نوال، والحدود قائمة، والفتن نائمة، والمظلوم ينتصف من الظالم، والبرىء لا يخشى سطوة الحاكم، رغما عما وجده أمـامه من الأهوال، والفتن البربرية التى أصبحت بها الدولة فى انحلال كاد أن يئول إلى الاضمحلال.

فقابل تلك الخطوب بلا مال ولا معين ولا ناصح، فرد الملك المحمدى إلى عنفوان شبابه، وجدد سياسته على المهيع العتيق الوثيق، ونظم التراتيب الداخلية، على نحو ما أراد، ورتب أمور الرعية وأصلح ما أفسده الزمان منها.

وولى وعزل، ونكل من استحق التنكيل، وأقر من يستحق الإقرار مع التكريم والتبجيل، وأصدر فى هذه السنة الأولى من ولايته الملك ظهيرا شريفا بتوقير واحترام حفدة الأستاذ سيدى عبد الرحمن بن القاضى وإبقائهم على عادتهم.

ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله «عبد الرحمن بن هشام بن محمد» وبدائريته «محمد، أبو بكر، عمر، عثمان، على» ﴿... **وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾** ﴾ [هود:٨٨]:

«جددنا بحول الله وقوته حكم ما بأيدى المرابطين حفدة الفقيه الأستاذ سيدى عبد الرحمن بن القاضى، من ظواهر عمنا المرحوم المتضمنة التوقير والاحترام، والرعى الجميل والإعظام، وما بأيديهم من الظهائر السلطانية والمكاتب الملوكية، لأجل انتسابهم، وأبقيناهم على عادتهم المألوفة فى ضريح الولى سيدى المليلى من الاختصاص بما يوضع فيه من الصدقة والنظر فى مصالحه، بحيث لا ينازعهم فيها أحد، والله يوفقنا وإياهم والسلام فى ١١ جمادى الثانية عام ١٢٣٨».

ولما فرغ من التراتيب الداخلية خرج من فاس لتفقد الأحوال، ومراقبة ما عليه العمال، واستخلف على فاس ابن عمه أبا عبد الله محمد بن الطيب[1] فنزل

---

(١) فى هامش المطبوع: «قد أوصى المترجم على سيدى محمد بن الطيب هذا الشيخ المختار الكنتى فى رسالته المشار لها ونوه به قائلا: «واختر لجيوشك من القواد أكملهم عقيدة وأتمهم ديانة وأقواهم نصيحة وأشدهم على أعداء الدين شكيمة كسيدى محمد بن الطيب ابن سيدى محمد وأشباهه».

بقصر كتامة، وبه اجتمعت عليه الجيوش من أعمال مراكش، فرحل إلى الرباط وبه أقام مناسك عيد الأضحى، ورجع إلى فاس أوائل رجب سنة ١٢٣٩ تسع وثلاثين ومائتين وألف، فأمر بشراء الأملاك التى بين قبة المولى إدريس وسوق البزازين، فهدمت وزادها فى سعة مسجد الشرفاء.

ثم أمر بسنة الختان لأولاد الغرباء والضعفاء والأيتام من الحواضر والبوادى، وكان اختتان من ذكر بضريح الشيخ أبى الحسن على بن أبى غالب، وأمر أمناءه بإعطاء جميع من ختن، قميصا من كتان ودراهم، ثم وصل ضعفاء فاس بمال جزيل وكان توزيعه على يد مقدمى الحومات، فخان أولئك المقدمون، واستبدوا بنحو النصف لأنفسهم. قاله فى عقد الجمان.

وفى هذه الأثناء خرج للعاصمة المكناسية وكانت تعجبه، فرأى من تلاشى الجيش البخارى بها ما أهمه، ولم يزل يعالج أمره حتى أنعشه وأمده بالخيل والسلاح، ورتب له الرواتب الشهرية ثلاثون أوقية للفارس ونصفها للراجل وثلثها للشويردات - أبناء الجيش الذين لم يبلغوا الحلم - وربعها للمسنين الذين تقاعدوا عن الخدمة، وثمنها للصبيان.

وقرر أن يسقط راتب من مات ممن ذكر، فإن وجد من يخلف الهالك يعين فى محله، وإلا فيبقى المرتب بيد ورثة الهالك إلى أن يوجد من يخلفه.

أما إذا مات فرس فيجمع المرتب المعين له إلى أن يجتمع ما يعوض به فيشترى فرس آخر بدله، ولا بد من الإشهاد بالعدول على عين الفرس الذى مات ووصفه وصفا مدققا، ويكتب ذلك فى كناش ليقابل بكناش إحصاء الخيل بأوصافها الخاصة.

ينبئك عن كبير الاعتناء والتدقيق الذى كان جاريا فى أمور الخيل وأنسابها وأسمائها وأوصافها فى دولتنا العلوية، ما كتب به ولد صاحب الترجمة سيدى

محمـد زمن خلافته عن أبيه للقـائد الجيلانى بن بوعزة فى هذا الشـأن ونصه بعد الحمدلة والصلاة:

«وصيف سـيدنا الأرضى القـائد الجيـلانى بن بوعزة، أعانـك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، عن خير مولانا أيده الله ونصره.

وبعد: فقد وجدنا فى نفولة من نفـائل أنساب الجذعان الفطام الذين وجهت جذعـة زرقاء بالدينار بنت الحـيمر فـرس ابن العامـرى، مع أن الحيـمر أصله من الصحراء لا مِنْ بنى حسن، والآن أعلمنا هل الكاتب الذى كـان يقيد أنسابهم أراد أن يجعل الحـميرى فـغلط وجعل الحيـمر، أو كائـن لابن العامرى فـرس يقال له الحيمر لنكون على بصيرة، أصلحك الله والسلام فى ٢٢ ربيع الثانى عام ١٢٦٣».

واتخذ الجـيش من خمس قبائل: الأوَدايَا، والشـراردة سكان آزغار، وأهل سوس سكـان مراكش، وشراكـة وأولاد جامع، وأهل فـاس، وعبـيد البـخارى، ورتب لهذا الجـيش الكسوة فى كل سـتة أشهـر، والصلة شهـرا دون شهر مـقدار المرتب الشهرى المذكور، ويكون توزيع تلك الصلات طبق توزيع الراتب هـ.

وكان له مزيد اعتناء بالجيش المذكور، يتـفقد أموره، وينظر فى إصلاحه يدل لذلك هذا المقال الذى كـتب به للقائد الجـيلانى بن بوعزة يأمـره بوجوب متـابعة قوانين الجيش، والتـمشى على سننها، ويذكر الإنعام الصادر لوفـد عيادة الجيش، ويأمره باستعراضهم ودفع رواتبهم والنظر فى خيل فرسانهم.

ونص أولها بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«وصيـفنا الأرضى القائد الجـيلانى بن بوعـزة، وفقك الله، وسـلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فـقد وصلنا كتابك، وعـرفنا ما فيه، ووصل عـيادة الجيش السعـيد

وفرهم الله مخازنية، وقواد المائة ومقدمين وقائد المسخرين، وقواد الأرحى والعلاف، ووقفنا على زمامهم مبينا فيه عدد الخيل وما معهم من الرماة ٢٥.

وقد حضروا عيد المولد النبوى على مشرفه أفضل الصلاة والسلام، واغتنموا بركته، وقاموا بواجب الخدمة والطاعة أصلحهم الله ورضى عنهم، وقد وجهناهم بعد أن أبقينا الإدالة ومن يعجز عن القيام بفرسه، وأنعمنا عليهم بثلاثين أوقية للفارس ونصفها للراجل وخمسًا وأربعين أوقية للمقدم، وستين أوقية لقائد المائة، وثلاثين مثقالا لقائد الرحى ومن جملتهم المدنى، وخمسة عشر مثقالا للعلاف بناصر، وقدر ما يجب لهم بحسب ما ذكر تسع وعشرون مائة مثقال، وخمسة وعشرون مثقالا.

وزمامهم على التفصيل يرد عليك طى هذا، وبوصول كتابنا هذا إليك اشرع فى تسريد الجيش، وعند كماله ادفع له الراتب الوارد صحبة الطاهر الرغاى، وقدره ثلاثة عشر ألف مثقال وخمسمائة مثقال واثنان وتسعون مثقالا وسبع أواقى ونصف الأوقية، كما ترد عليك عشرون ألف مثقال اجعلها ببيت المال عمره الله من جملة ما سبق، وقد أمرنا المدنى يحضر معكم عند التسراد ليحصى الخيل الضعيفة بقصد أن يتوجه صحبتها للعذير، فإذا أحصيتم عددها وجهوه لحضرتنا الشريفة لنوجه الكتاب الذى يصحب معه المدنى لقائد الغرب، ونوجه الخيل الراكة التى هنا تلحق به أيضا وإذا وصلت الإدالة ادفع لها ما أنعمنا عليه بها المذكور صدره إلا من تخلف عن العلامات فلا تدفع له شيئا والسلام فى ٧ ربيع الثانى عام ١٢٦٧».

ونص ثانيها:

«وصيفنا الأرضى القائد الجيلانى بن بوعزة، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد نقم على ابن العواد مسائل كان يرتكبها ليس للجيش فيها سلف ولا فى ارتكابها خير، منها ما قدمنا لك النهى عنه من التخليف كل شهر، ومنها أنه بلغنا أن المائة تسرد جملة ولا تسرد كل رباعة وحدها كما هو القانون المعروف والجيش البخارى به يقتدى المخزن فى كل الجهات، ومنه يأخذون القوانين حتى إن اختلفوا فى أمر يرجعون إليه، وهذا التسراد الذى تقف فيه المائة كلها لا يعرف زائدها من ناقصها ولا غائبها من حاضرها، والمعروف المعمول به قديما وحديثا هو تسراد كل رباعة وحدها، حتى إن خص لعددها شىء يبينه واحدا واحدا ويذكر وجهته ومحله، وإذا كان المقدم لا يسأل نسى وقائد المائة من باب أولى وأحرى، فقد ضاع الحزم والضبط الذى يقتبس من عبيد سيدى البخارى، فبوصول كتابنا هذا إليك رد القوانين لأصولها.

وتنبه لما لا تحمد عاقبته، واجعل تسراد كل رباعة وحدها كما هو القانون المألوف، لتعرف الزائد من الناقص، وتطلع على ما خفى عنك من التلبيس.

وقد كان الجيش فيما سلف يعادل القبائل كلها قوة ونجدة، ويفوقهم عَددا وعُددا، وانظر إلى القبائل الدائرة بكم اليوم كل قبيلة تعادل الجيش أو تقاربه، فينبغى أن لا يحسب فى الجيش إلا أهل النجدة والحزم والشجاعة، الذين يقاوم واحد منهم العدد الكثير، والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن أمر عنّا، والله يعينك ونسأله سبحانه وتعالى أن يبلغ قصدنا فيكم، حتى ترجعوا لأصلكم الأصيل من العدد الكثير، والمدد الغزير بمنه، والسلام فى ٣ ذى الحجة الحرام عام ١٢٥٨».

ونص ثالثها:

«وصيفنا الأنجد القائد الجيلانى بن بوعزة، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فخيل مسخرى الجيش السعيد الذين كانوا فى الخدمة مع ولدنا سيدى محمد أصلحه الله ووجهم لصلة رحمهم وذكر أن فيهم عزابا، ومن لا اعتناء له بفرسه فاربط منها ما هو للعزاب ومن لا اعتناء له بفرسه بمحل العسكر وفى وقت علفها يحضر قائدهم الطالب إدريس بن المكى، والعلافة الطالب بوعزة الفشار، والطالب أحمد الخضر حتى تعلف الخيل المذكورة على أعينهم مدة مقام أربابها هناك للاستراحة، فإن هؤلاء العزاب بنفس ما يستريحون نوجههم لولد سيدى محمد أصلحه الله يقابلون خدمتهم.

وبوصول كتابنا هذا إليك خلف الهراب منهم والموتى والعاجزين عن الخدمة وعددهم عند قائدهم إدريس بن المكى، وزد على عددهم المذكور من لا شغل له من الجيش إلا الدوران فى الأزقة على حسب ما يشير به إدريس بن المكى، والحاضر بصيرة، والسلام فى ١٤ ربيع الأول عام ١٢٦٩».

وكان له ولوع زائد بعتاق الخيل لا يركب غيرها، لم يحفظ قط أنه ركب بغلة فى حضر ولا سفر، ومن عادته أنه يجلس لملاقاة الناس، وسماع المظالم بكرة وبعد صلاة العصر من كل يوم، وترفع إليه المظالم فى الوقتين المذكورين، وإذا كان بمراكش يركب صباحا لترويح النفس بجنان أجدال، يتطوف أقسامه، يدخل من باب ويخرج من باب آخر، ولا ينزل غالبا عن فرسه إلى أن يرجع لاقتبال الناس وسماع المظالم.

ولم يزل عمله جاريا على ما ذكر منذ جلس على كرسى ملك آبائه الأكرمين إلى أن لقى ربه.

وفى أيامه استكشفت معادن نحاسية فى سواحل طنجة وتطوان ومعدن حديدى بنواحى رباط الفتح، واختبرت كلها فوجدت صالحة، واكتشف بمقربة من فاس معدن الكبريت، ولكنه لم يتم عمله.

وفى أيامه حدث الاتجار فى بيع العلق لأروبا، يصطاده الناس من المروج ويحتفظون على إبقائه حيا، ثم يوسق للخارج بالأثمان ذات البال.

وفيها جرى العمل بالاتجار أيضا فى بيع قشور الدباغ ووسقها للديار الأروبية، كذا قال بعض حذاق كتابه فى مؤلف له تعرض فيه لبعض أخلاق المترجم وعوائده وبعض ما كان فى أيامه من الأحداث والوقائع.

وفى عام ١٢٤٠ أربعين وصل ضعفاء أهل فاس وما أضيف إليها بمال جزيل أيضا، وأسند توزيعه عليهم للفقيهين أبى عبد الله محمد بن الطاهر وأبى زيد عبد الرحمن بن مخلوف، فلم يحرموا أحدا ممن يستحق، وتوليا دفع ذلك لأربابه بأنفسهما يدا بيد.

وفيه أصدر ظهيرا بإبقاء الأشراف الكتانيين على ما عهد لهم به.

ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«يعلم من كتابنا هذا أعلى الله قدره، وأنفذ فى البسيطة أمره، وجعل فى الصالحات طيه ونشره، أننا أبقينا السادات الأشراف الكتانيين على ما عهد لهم من توليتهم ضريح الولى الشهير، الغوث الكبير، سيدى دراس بن إسماعيل دفين خارج باب الفتوح واستبدادهم بجميع ما يهدى للضريح المذكور من غير منازع لهم فى ذلك ولا معارض، ولا مزاحم ولا مداحض، فعلى الواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا العمل بما فيه، ولا يحيد عن كريم مذهبه والسلام فى ١٧ ربيع الأول عام ١٢٤٠».

وفى شوال من العام تحرك لحسم مادة الزيغ والعناد من متمردة الأعراب ذوى منيع، وأولاد نصير، ودخيسة، فمزق جموعهم الشيطانية كل ممزق، وألقى القبض على رءوس الفتنة منهم وقيدهم بالأغلال والسلاسل وأودعهم بطون السجون،

وكانوا نحو المائة، وألزمهم بإعطاء العسكر، ووظف عليهم غرامة مالية فلم يسعهم غير السمع والطاعة وتنجيز الجميع، وأراح الله البلاد والعباد من عيثهم.

وفي عام ١٢٤١ واحد وأربعين أنف بنو زروال من ولاية ابن يشو عليهم لظلمه وتعديه، وفروا وتحصنوا بالجبال، فحشد العامل المذكور جنودا مجندة واقتفى أثرهم، فلم ينل منهم شيئا، فتوجه إليهم المترجم لإرضاخهم للطاعة خوفا من انتشار الفساد واقتداء العامة بهم في خلع ربقة الطاعة من أعناقهم من غير أن يرفعوا أمرهم للسلطان، فيتسع الخرق، ولما نزل بساحتهم وعلموا أن لات حين مناص أتوا خاضعين طائعين، فقوبلوا بالعفو، وولى عليهم الوديني وكان ظلوما غشوما.

وفي عام ١٢٤٢ اثنين وأربعين ومائتين وألف توجه المترجم للصويرة ونواحيها من حاحة وغيرهم، فطاف على تلك القبائل وأصلح خللها، وأقام الحدود ورتب الأمور، ثم رجع لمراكش، ثم نهض لزمور الشلح ونزل بساحتهم وحكم بالسيف فيهم حتى كسر شوكة تمردهم ووجه أسراهم في الأغلال والقيود للسجون.

وفي آخر عام ١٢٤٣ ثلاثة وأربعين، اتصل بالمترجم ما عليه هشتوكة والشياظمة من العيث في الطرقات وأنهم نهبوا الحجاج، وأن زرارة والشبانات خرجوا عن الجادة واتبعوا أهواء حامل راية ضلالهم الضال المدعو المهدي بن محمد ابن العباس الشرادي، فاستعمل الحركة وأخذ في تجهيز عساكره فقومها وجمع آيت يمور، فخرجوا معه من مكناسة الزيتون بحللهم، وسار إلى أن بلغ ثغر تطاوين، فتفقد أحوالها وأصلح أبراجها وركب مدافعها ورتب حاميتها، ثم توجه على طريق آزمور مولاي بوشعيب لهشتوكة والشياظمة النازلين أحواز آزمور، فأوقع بهم شر وقعة انجلت عن تعمير السجون المغربية بهم، حملوا إليها أربعة على جمل،

ووقع الاستيلاء على محصولاتهم، ومن انفلت منهم من السجن بقى عالة يتكفف.

وفى أوائل عام ١٢٤٤ أربعة وأربعين، توجه نحو الزاوية الشرادية على طريق آسفى فى جنود جرارة متلاطمة الأمواج، وأحدق بها من جهاتها الأربع، ودخل الزاوية عنوة بعد معارك عظيمة، واستولى على جميع ذخائرها من مال ومتمول، وفرقت بغاة صناديدهم على سجون المغرب زجرا لأمثالهم، ووجه بعيال الفتان وأولاده لمكناسة الزيتون، فأنزلوا بدار القائد محمد بن الشاهد البخارى، وصير تلك الزاوية بلاقع، وقلع أشجارها، ونقل ما كان بها من الزيتون والفواكه للجنان الكبير الذى اتخذه بمراكش وسماه الزهراء والزاهرة.

قال أبو العلاء إدريس أحد كتبه الديوان الرحمانى فى الابتسام: إن الزاوية بقيت خالية لم تسكن إلى سنة تسع وأربعين، فعمرها المترجم بالأودَايَة حين أجلاهم عن فاس هـ.

والذى للزيانى فى عقد الجمان: أنه أنزل بمحلها آيت يمور الذين كانوا معه. هـ.

ويمكن أنه أنزل بها أولاً آيت يمور، ثم نقلهم بعد وأنزل الوداية. والله أعلم.

أما زعيمهم موقد نيران الفتن الضال المدعو المهدى، فإنه نجا بنفسه للفيافى وسار إلى أن انتهى به المسير إلى آيت باعمران من ولتيتة، وبقى هنالك ثلاثة أعوام، ولما ضاقت عليه الأرض بما رحبت اتخذ الشفعاء والوسائط لصاحب الترجمة فأمنه وجاء تائبا، فوجهه لأولاده بمكناس، ثم ولاه على إخوانه فآذاهم ومكر بهم، فشكوه إلى المترجم فعزله عنهم.

ثم استعطف السلطان في الإذن له في أداء فريضة الحج فأذن له، ولما قضى مناسكه ورجع استأنف له صاحب الترجمة الولاية على إخوانه فلم يقبلوه، ثم سجن ثم سرح، وتقلبت به الأحوال وتأخرت وفاته إلى أوائل شوال من سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف، وقد كان ذا قساوة وشكاسة غليظ الحجاب، طويل النقاب، لا يبالى بما وراء الباب.

وفى وقعة الزاوية الشرادية المشار لها يقول الفقيه الأديب السيد محمد بن الحسن أقصبى:

مبين الفتح بالتيسير لاحا ... وبالنصر العزيز غدا وراحا
وسار فى البلاد كسير شمس ... وفاق المسك نشرا حيث فاحا
فحق لنا الهناء ولا كيوم ... من الشرادى الغرب استراحا
وكيف وفى اسمه الشر ابتداء ... وحيث الشر ينفى لا جناحا
فما المهدى بمهدى لرشد ... ولكن سبه شرعا أباحا
أضل فريقه عن نهج حق ... فراموا من أميرهم الكفاحا
غرورا بالمضل فاحتواهم ... خميس منهم ساءوا صباحا
فحكم فيهم الآلات ضربا ... ورميا والد ما منهم أباحا
وصار منهم أسرى وقتلى ... وأعمل فى رءوسهم الرماحا
وجاد بالجسوم على وحوش ... يعودها بما منه السماحا
وخرب دورهم وهو ارتداع ... لكل مفسد يأبى الصلاحا
فلا جمع الإله لهم شتاتا ... ولا نالوا بفسقهم رباحا
فمن لم يشكر النعماء يجزى ... بمنع غيره نال الفلاحا

فلو أموا الأمير لنالوا عفوا | وأتحفهم نجاة بل نجاحا
همام شأنه حلم وصفح | لأهل الدين قد خفض الجناحا
إضافته إلى الرحمن أومت | بأن له إلى الرحما ارتياحا
مآثره الكريمة ليس تخفى | وليس تقاوم الشمس اتضاحا
فلم تزل الأنام به بخير | لسان ثنائهم بالشكر باحا
فزدت يا أبا زيد سرورا | وبسطا وابتهاجا وانشراحا
وأبقاك الإله لنا بخير | وزاد ملكك الأسمى صلاحا
بجاه من عليه الله صلى | أتى فى ذكره قولا صراحا
عليه ألف ألف صلاة تهدى | مسا ومهبها يهدى صباحا
كذا للآل ما أذنت ببشرى | مبين الفتح بالتبشير لاحا

وفى عام ١٢٤٦ ستة وأربعين ومائتين وألف، عزل الوزير ابن إدريس إرضاء للودايا كما نشرحه بعد.

وفيه كانت ثورة الودايا على صاحب الترجمة، وذلك أنه لما كان ورد على صاحب الترجمة من علماء أهل تلمسان وأعيانهم مبايعين له عمن* خلفوه وراءهم وراغبين فى الدخول تحت طاعته وملحين فى توجيه مدد من قبله وخليفة عنه ينزل ببلادهم ويكون ردءا لهم، والتزموا بإعطاء جميع ما يلزم فى ذلك من مصاريف وعدة وأسعف رغبتهم، فوجه معهم ابن عمه المولى على بن سليمان خليفة عنه، وعددا من فرسان الودايا، وعين القاضى والمحتسب وكان فى معيتهم السيد الحاج العربى بن على الوزانى، وخط لهم الخطة التى يجب تمشيهم عليها، وساروا إلى أن حلوا دار الإمارة بتلمسان وضيعوا الحزم ونبذوا الخطة التى رسمت لهم، وكان

ما كان مما لست أذكره، واتصل تفصيل ذلك بالمترجم فاشتد غضبه، وحقد على الرؤساء المستبدين كالطاهر بن مسعود، ومحمد بن فرحون وغيرهما.

وكان الحاج الطالب ابن جلول الفاسى قائما على ساق فى الشيطنة والوسوسة، يدس الدسائس لإيقاد نيران الفتن بين المترجم والودايا، إذا كانوا ذوى قوة وبأس شديد، فاغتنم هذه الفرصة وجسم الأمر وطير الإعلام للودايا بنوايا المترجم نحوهم، وهول لهم غاية التهويل، فتمكنت منهم شيطنته وصمموا على الخروج عن الطاعة ونقض البيعة، وخرجوا من تلمسان قاصدين فاسا، وساروا إلى أن بلغوا قنطرة سبو، فوجه المترجم على أعيانهم وهو يومئذ بفاس، فوفدوا عليه لمشور الدكاكين من دار الإمارة بعد أن تحالفوا مع إخوانهم على أنهم لا يسلمونهم للسجن، وأنهم يقومون فى وجه الأمير والمأمور لنصرتهم، ولو أدى الحال إلى إتلاف نفوسهم وأموالهم.

ولما مثلوا بين يدى صاحب الترجمة أظهروا غاية الغلظة والجراءة، فأمر بالقبض عليهم وإيداعهم السجن، فلما كانوا بباب المشور قام الصعاليك إخوانهم وانتزعوهم من أعوان المترجم قهرا، وكان الذى تولى كبر ذلك الطاهر ابن مسعود الأودى، وذلك فى تاسع عشر شوال العام، ثم لما بلغ هذا النبأ لصاحب الترجمة خرج لقصبة الشراردة فى خاصته يريد التوجه لمكناس، ولما علم بذلك الودايا ضجوا، وآذنوا بالقتال، وشقوا عصا الطاعة، وأحدقوا بالقصبة، ففر عن السلطان جميع الناس ونفرت منه قلوب العامة، ولم يتجاهر بمؤازرته غير ابن عمه القاضى مولاى عبد الهادى، ووزيره أبى عبد الله محمد بن إدريس العمراوى، ثم اغتنم المترجم فرصة أمكنه فيها الخروج بما خف وعز من الذخائر النفيسة فخرج ناجيا بنفسه يريد مكناسة، فاقتفى أثره الودايا فردوه مسلوبا للقصبة، وجعلوا يعدون عليه

ما نقموا من الأمور وأزالوا جلباب الحياء وتجردوا فى أثواب الوقاحة وهو ساكت لا يجيب.

ولما كان الصباح احتال إلى أن ركب فـرسه ورجع لدار الإمارة بفاس العليا، فاجتمعوا للمشورة فيما يفعلون به، فمن قائل نوجه به لبلده سجلماسة، ومن قائل نقتله لأنه لا يفلتنا إذا تمكن من نـواصينا، ولا نأمن غوائله ما دام حـيا، وتعددت اجتماعاتهم على ما ذكر أياما وهو يبـعث العيون لترقب حركاتهم وسكناتهم حتى لا تغيب عنه من نتائج تلك الاجتماعـات شاذة ولا فاذة، ويستعمل النظر فى وجه يمكنه به الخلاص مـنهم، فأَسَرَّ فى يوم من الأيام لبـعض خاصتـه أنه يريد التنقل لترويح النـفس مع بعض حرمه لجنان أبـى الجنود المكتنف بين فاس الجـديد وفاس القديم، ومراده بذلك الاحتراس على نفسه والأخـذ بالأحوط لها، فركب صبيحة بعض الأيام فرسـه كأنه يريد استنشـاق الهواء وتنسم النسيم على عـادته من قبل، وغلقت الأبواب بينه وبينهم، وأمـر بالعيـال فلحقوا به للجنان المـذكور، ولما علم بذلك بغاة الودايا تعـاقدوا مع أهل فاس على الإعلان بخلع ربقـة الطاعة، وانضم إليهم أهل الفساد من أولاد جامع.

ثم إن صاحب الترجمة لما حل بعياله بالجنان المذكور اطمأنت نفسه وأمن من تسور أولئك البغاة عليه، ووجه للجيش البـخارى الذى بالعاصمة المكناسية يأمرهم بالقدوم عليه لفاس فى ألفى فارس من أهل النجدة والبأس، يرأسهم أبو سلهام بن العريف البـخارى، وبمجرد وصـول الأمر العالى للجـيش المكناسى لحق بالسلطان لفـاس، فاعـترضـهم الودايا على مـقربة من وادى النـجا، وحـميت الحـرب بين الفريقين نحو ساعتين، وساروا إلى أن اقتحموا فاسا عنوة رغم أنف الودايا.

وبعد أيام عزم المتـرجم على التوجه لمكناسة ولكن رأى أنه لا يـمكنه المسير على طريق سـايس لتجول خـيل شياطين الـودايا به مع البربر حلفائـهم، ثم عين

اليوم الذى يسافر فيه وقسم محلته على قسمين الأثقال مع قسم، وهو مع قسم، وقد أخذ كل غير طريق الآخر.

وذلك يوم الاثنين ثالث عشرى حجة الحرام منصرم العام، ولما علم بذلك الودايا اقتفوا أثره وصمموا على قتله وتبديد الجنود البخارية التى معه، ولما وصل لعقبة المساجين من ناحية وادى سبو، لحقوا به وركضت خيولهم على كل ذروة وغارب، واقتحموا الحملة عليه وهو يذودهم ويدافعهم ذات اليمين وذات الشمال، وفر الناس ونهبت الأثقال وتلفت أنفس، ورجعوا العيال لدار الإمارة بفاس الجديد، والمترجم يكرّ ويفر إلى أن انفلت منهم ونجا بنفسه لمكناس على طريق زرهون، وأثناء ما ذكر كتب للقائد بوسلهام ابن يشو يستنجده ويستدعيه لمقابلة البغاة الخارجين، ومنازلتهم، بما نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير بداخله (عبد الرحمن بن هشام الله وليه ١٢٤٣):

«خالنا الأرضى الأنجد القائد بوسلهام بن يشو، أصلحك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه وعلمنا ما أنت عليه من الحزم والتيقظ والسعى فى الصلاح، الله يرضى عنك ويصلحك، وأنتم أقرب الناس إلينا، وأحظاهم لدينا، وأولاهم بنصرتنا وحمايتنا، وأن الله تعالى استرعانا إياكم، وجعل بيعتنا فى أعناقكم، وهو سبحانه سائلكم عنها إن لم تقوموا بحقها.

وهؤلاء الأودَايَة طغوا وتجبروا، وعتوا فى الأرض واستكبروا، وقالوا بزعمهم: مَنْ أشد منا قوة؟ فنقضوا البيعة، وشقوا عصا المسلمين، وفتحوا عليهم بابا من الفتنة عظيما، وقد قال ﷺ: الفتنة نائمة ومن أيقظها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وقال عليه السلام: من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة جاهلية، وقد أوجب الله عليكم قتالهم بالكتاب والسنة، فشمروا عن ساعد الجد

إيمانا واحتسابا، وجاهدوا فى الله حق جهاده فسيأخذهم الله على أيديكم وينفلكم أموالهم ويورثكم أرضهم وديارهم، وهذا أمر شرعى أوجبه الله عليكم وعلى غيركم من المسلمين، فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين.

فانهض إليهم مع الأعراب نهوض أمثالك، ونشطهم واقتف سيرة أخيك، فلو كان موجودا ما فعلوا هذا، ولكان رابطا عليهم بمكس، وهذه أول كلفة كلفناك بها، وفيها تظهر نجدتك وحزمك، والسلام فى ٢١ ذى الحجة عام ١٢٤٦».

وكان حلوله بمكناس عاشر محرم فاتح عام سبعة وأربعين ومائتين وألف، وفى يوم السبت الرابع عشر من الشهر المذكور نهض من مكناس لقمع مردة جروان الذين سعوا فى الأرض الفساد، فأوقع بهم ومزق أحزابهم كل ممزق، ورجع للعاصمة من يومه، ولم يزل ثاويا بها وأهل الأهواء فى طغيانهم يعمهون، والمترجم يكتب لعماله بالمراسى يأمرهم ببعث الأخبية والميرة وما يحتاج إليه، فبعث إليه القائد محمد عشعاش عامل تطاوين كل ما دعت الحاجة إليه من أخبية وكساوى وميرة إلى أن كان العيد النبوى، فأتت لتهنئة جنابه وفود القبائل تَتْرَى، ففرح الناس واستبشروا.

قال فى إعراب الترجمان: ثم فرق - يعنى صاحب الترجمة - بعد العيد تلك الجموع، وانقلب كل واحد لبلده يود الرجوع، لأجل ما شاهد من بشائر التمكين، وعلامات النصر المكين، فعند ذلك قال الذين يريدون العتو فى الأرض والفساد: لو كانت له قدرة ما استقر به الوساد، حيث فرق ما كان بيده، فكيف يعود من وصل إلى بلده.

ثم أعلن المترجم بقتال الفرقة الباغية، وشرذمة الودايا الطاغية، حتى تفىء إلى أمر الله.

وذلك يوم الاثنين الثامن عشر من ربيع النبوى المذكور، فكتب للقبائل الحوزية يستنهضهم فأتوه مسرعين، ووردت عليه القبائل الغربية وقائدهم ابن يشو، وخيم ذلك الجند العرمرم بضواحى مكناس، وعقد لقائد المسخرين القائد بوسلهام المذكور على ذلك الجيش، ونهض به لفاس لقطع جرثومة فساد شرار الودايا ومن شايعهم، ولما وصل لوادى ويسلين وجد نساء الودايا وصبيانهم أمامه بالألواح متشفعين، فرق لحالهم فتقدم إليه بوسلهام المذكور وقال له: يا سيدى نصرك الله، إن الودايا لم يتركوا للصلح محلا وليس العفو عنهم فى هذه الحالة مما ينبغى، ولما كان بسايس أجلب بخيله على عتاة بنى مطير واستولى على ما لديهم من مال ومتمول، ولما اتصل الخبر بالودايا اجتمعوا مع أهل العدوة من فاس وأجمعوا أمرهم على الإصرار على التمرد والعدوان.

وفى رابع عشرى ربيع الثانى من العام، وجه كتابا لأهل فاس ليقرأ على المنابر، قال صاحب إعراب الترجمان. فقرئ وحضر جميع الناس ولا خصوصية للأكابر، فألفى منهلا يروى ويمير، بفصاحة يكل عنها منطق بنى نمير، ولقد نثر الدر فيه من فيه، وازدادت فيه الطائفة الصالحة ما كانت تنويه من التنويه، بألفاظ رائقة، ومعانى فائقة، وأحاديث نبوية، وآيات من محكم القرآن، وهو فى غاية الضبط والإتقان، ولعمرى إنه لباب الأدب وفصه، وعنوان الفصاحة ونصه هـ.

وقد تركت جلب نص ذلك الظهير هنا اختصارا، ومضمنه الإخبار بحال تلك الفرقة الفاسدة، ذات التجارة الكاسدة، وما تسببت فيه للإسلام والمسلمين من الفتن والأهوال، وأنه لما لم ينفع فيها تحذير ولا إنذار، ولم تزد المقابلة بالحلم واللين إلا طغيانا ونفورا، وانهماكا فى هتك الحرم، تعين أن يقابلوا بالحرب والتضييق بعزائم قوية.

وقد أصدر إليهم ذلك الرقيم من المحل المعروف بالسوير حيث كان مخيمه،

وأعلمهم فيه أنه سينهض منه إلى وادى النجا أو العيون الزرق، ومنه إلى وادى فاس، ولما بلغوا وادى النجا أمر المترجم الديارة وابن يشو بالتوجه على باب الجيسة، والجيش البخارى على باب الساكمة، وتحالفوا على أن من لم يدخل من الباب المعين له لا تتزوج له بنت.

وخيم السلطان بجبل تغاة، وضرب به فسطاطه وخيمت الجيوش السلطانية من دار الأضياف إلى أعلى عين قادوس إلى وادى الملاح، وكان عدد تلك الجنود يناهز الخمسين ألفا، واشتعلت نيران الحرب وحمى الوطيس إلى أن صار الكور ينزل أمام المترجم، وذلك ثلاثة أيام قتل فيها بوسلهام المذكور.

ثم وقع الصلح بواسطة السيد الحاج العربى الوزانى، والطالب ابن جلول موقد نيران هذه الفتن بشروط شرطها الودايا، منها: عزل المولى عبد الهادى عن خطة القضاء، ومنها عزل الوزير ابن إدريس عن الوزارة، فلم يكن للمترجم بدل من قبول ذلك فعزل القاضى وولى مكانه السيد العربى الزرهونى، وولى مكان ابن إدريس المختار الجامعى، وتم الصلح وتفرقت أحزاب الضلال.

ثم بعد هذا كله لم يزل عرق فساد الودايا ينبض، فتصدى لهم المترجم ولم يقلع عنهم حتى أذعنوا قهرا، ولم يسعهم ومن شايعهم غير التوبة والإنابة فأقبلوا بصبيانهم وشيوخهم بالمصاحف والألواح متشفعين وبالنصر معلنين، وذلك فى ثامن عشرى ربيع الثانى من العام.

ولم يزل صاحب الترجمة مخيما بجنوده خارج فاس إلى جمادى الثانية، فنهض لمكناسة، وكان حلوله به يوم السبت ثامن عشرى الشهر، وولى على فاس القائد الأحمر، وعزل الزرهونى عن القضاء، وولى مكانه أبا حسن على التسولى، ووجه الطاهر بن فرحون ومحمد بن مسعود والعكادى لسجن جزيرة الصويرة،

وأمر بصلبهم، واستعمل الأحمر العروى على فاس، واستخلف بها ولده أبا عبد الله سيدى محمد.

وقد ألّف الناس فى هذه القضية وذهب الكتاب فى شرحها كل مذهب، ووقع لبعضهم تخليط واشتباه وعلى ما سقناه وأوضحناه تشد يد الضنين.

هذا وفى السنة نفسها سافر صاحب الترجمة لمراكش، وأخذ معه جماعة من أعيان الوّدايا، ولما استقر بها قبض عليهم وثقلهم بالحديد وتركهم بسجن مراكش نحو العامين، ثم قطع رأس اثنين منهم كما قطع أربعة من خلاف شاركوا فى البغى والشقاق، ثم كتب لعامله على فاس بالقبض على رؤساء الفتنة من أهل فاس والتوجه بهم لسجن مراكش ففعل.

وفى عام ١٢٤٨ وفد عليه أبو الربيع سليمان بن محمد الشيبى القرشى المكى أحد سدنة بيت الله الحرام، فبالغ فى إكرامه ورده ردا جميلا، ولما بلغ فى أوبته لطنجة اخترمته المنية بها رحمه الله.

وفى عام ١٢٤٩ تسعة وأربعين، أصدر أوامره بترحيل الوّدايا من فاس وتفريقهم على فرق ثلاث: فرقة عين لنزولها ثغر العرائش، وفرقة أنزلها برباط الفتح، وفرقة بوادى نفيس حول الزاوية الشرادية.

وفى عام خمسين ومائتين وألف، كتب ظهيرا شريفا يحض فيه على الاتحاد وجمع الكلمة أمام الخطر الداهم، والجيش المهاجم، ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله: «عبد الرحمن بن هشام الله وليه» وبدائرته: «ومن تكن برسول الله نصرته، البيت»:

«خديمنا الأرضى القائد مصطفى بن إسماعيل وفقك الله وسددك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى.

ظهير رحمانى إلى مصطفى بن إسماعيل فى الندب للصلح بين الأمير عبد القادر الجزائرى وبين المتشاجرين معه

وبعد: وصلنا كتابك الأول والثانى مخبرا بما شجر بينكم وبين الحاج عبد القادر بن الحاج محيى الدين، فغير خاف على أحد ما يريد العدو الكافر لذلك القطر من تشتيت كلمته، وموت مقاتلته وإهانته، وسبى ذراريه ونسائه، أحال الله بينه وبين ما يريد بما شاء من قدرته، ودافع عن حوزة الإسلام، وأصلح أمر الخاص والعام، بجاه سيدنا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، ومهما ظهر بينكم خلاف وعدم ائتلاف إلا ونشط له عدو الدين، واعتقد أن حيلته ومكره تمكنا من المسلمين.

فعليكم أيها المسلمون بالتمسك بالكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف صالح هذه الأمة من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتحمل الأذى، والصبر على ما آذى، فإن فى طلبكم عدوا ماكرا، لم يزل فكره لأخذكم والحيل التى يتوصل بها لإهانتكم حائرا، فتفطنوا واستيقظوا من سنة الغفلة، واعملوا فيما يدرأ عنكم هذه الثلمة، وتضرعوا لمولانا جلت قدرته فى كشف الرجز عنكم، وأزيلوا حظ النفس الأمارة، واسعوا فيما يجلب لكم الألفة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠] وقال عز من قائل: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ... ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

وأنت فى ذلك القطر من العقلاء، والرؤساء النبلا، فكان من حقك والأنسب لمثلك أن تصلح ما أفسد الحاج عبد القادر، وتسعى فى ألفة المسلمين، وتنظر فى العواقب، وتقصد بذلك وجه الله وحياطة المسلمين.

وعليه فإن أردت رضا الله ثم رضانا، فاجتهد فى صلح بين خدامنا الدوائر والزمالة، والشيخ ابن الغمارى مع الحاج عبد القادر بن محيى الدين، لتجتمع كلمة المسلمين ويكونوا يدا واحدة على من سواهم، ونفسا متحدة على من عاداهم، وقذى فى عين من ناوأهم، والله يتولى هداكم، واقصدوا بذلك وجه

الله والدار الآخرة، قال تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ... ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤] وفضل الجهاد والترغيب فيه وما أعد الله للمجاهدين فى سبيله كتابا وسنة وإجماعا مما يعلمه كل من يعقل بالضرورة، فلا حاجة لنصب البراهين عليه:

وليس يصح فى الأذهان شيء   إذا احتاج النهار إلى دليل

وها نحن وجهنا من خاصتنا وخيار جيش أخوالنا الأوداية، صاحبنا، حامله محمد بن العربى ليحضر الصلح المذكور، فإياك والتراخى، أصلحك الله والسلام فى مهل المحرم الحرام فاتح عام ١٢٥٠».

ومما يدل على أنه - مع تحمله أعباء الخلافة وقيامه بواجباتها قدر المستطاع - لم ينس نصيبه من الدنيا ما كتب به لابن عمه المولى الهاشمى ابن ملوك فيما يتعلق بجنان له ما نصه:

«ولد عمنا الأرضى، مولاى الهاشمى بن ملوك، سلام عليك ورحمة الله تعالى.

وبعد: فقد بلغنا أن سور الجنان كمل فاجعل له أساسا داخل السور حائطا به من كل الجهات عرضه ثمانية أشبار، واشتغل بجمع الحجر والجير ليكونا مهيأين ميسرين، وحين نكون بالغرب نوجه لكم كيفية الفصالة بحول الله، وما بداخل الجنان المذكور من الكدا ومدر الذور يجعل فى الحفر التى به وبالأساس المذكور، والسلام فى ٢٤ من المحرم فاتح عام ١٢٤٩» صح من أصله.

ومما يدل على ما كان من تبادل التجارة مع الخارج فى عهده ما كتب به لأمناء العدوتين، وعامل الرباط، ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله «عبد الرحمن بن هشام الله وليه»:

«خدامنا أمناء العدوتين القائد محمد السويسى، والحاج بناصر غنام، والحاج العربى معنين أعانكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد سرحنا لخديمنا الحاج عبد الكريم الغسال وسق الصوف والزيت من مرسى العدوتين وما أبيح وسقه من مراسينا، وأذناه أن ينوب عنه من شاء ويعزله متى شاء، فاستوصوا به خيرا، وسرحوا له ذلك والكل بالصاكة المتعارفة التى عليها العمل بجميع ثغورنا المحروسة بالله، والسلام وفى ١٨ من جمادى الثانية عام ١٣٤٩».

وبعده بخط من يجب: «استقل قابلها بأصلها فماثلته وأشهده الفقيه الأجل، العالم العلامة الأفضل، المدرس الخطيب الأنبل، قاضى الجماعة بفاس الإدريسية وما والاها وهو (فلان...) أعزه الله تعالى وحرسها باستقلال الرسم أعلاه عنده الاستقلال التام بواجبه، وهو حفظه الله تعالى وأكرمه بحيث يجب ذلك من حيث ذكر، وفى تاسع عشر جمادى الثانية عام تسعة وأربعين ومائتين وألف (فلان...) وعبد ربه (أحمد البكرى.... الله برحمته).

وبعده: الحمد لله أديا فقبلا واعلم به عبد ربه تعالى (فلان....).»

وهذا الرجل المصرح له بوسق ما ذكر كان من الأمناء ذوى المروءة والصدق، حسبما يدل على ذلك ظهيران شريفان نص أولهما بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير:

«يعلم من كتابنا هذا أعلى الله قدره، وأطلع فى سماء المعالى شمسه المنيرة وبدره، بيد حامله المتمسك بالله تعالى ثم به خديمنا الحاج عبد الكريم بن محمد الغسال الطنجاوى، يتعرف منه بحول الله التام، وشامل يمنه العام، أننا أسدلنا عليه أردية العناية منا والتوقير، من ولاة أمرنا وحملناه على كاهل المبرة والإكرام،

والرعى الجميل المستدام، فلا يكلف بتكليف، ولا يوظف عليه وظيف، لما ثبت لدينا من مروءته ودينه وصدقه فعلى الواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا العمل بما فيه ولا يحيد عن كريم مذهبه، صدر به الأمر المعتز بالله فى ٢١ من ذى القعدة عام ١٢٤٣».

ونص ثانيهما بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير:

«كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره، وأطلع فى سماء المعالى شمسه المنيرة وبدره، يعلم منه سدلنا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، على ما سكه خديمنا الأمين الأرضى الحاج عبد الكريم الغسال أردية التوقير والاحترام، وحملناه على كاهل المبرة والإكرام، والرعى الجميل المستدام، لما هو عليه من الدين والمروءة والعفاف إذ ينبغى لمن كان كذلك أن يميز ويوقر ويحترم، فنأمر من يقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يعمل به، ولا يحيد عن كريم مذهبه، وقد أخرجناه من زمرة العوام فلا يسام معهم بتكليف، ولا يوظف عليه وظيف، صدر به أمرنا المعتز بالله فى ٢٣ ذى الحجة الحرام عام ١٢٤٩».

وفى ثانى محرم من سنة ١٢٥٠ المذكورة أصدر ظهيرا للشرفاء العلويين فى شأن توزيع صلتهم عليهم نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره، وأطلع فى سماء المعالى شمسه المنيرة وبدره، أننا جددنا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، لأبناء عمنا الشرفاء العلويين أهل الدار الكبيرة وسكان المدينة حكم ظهير عمنا رحمه الله الذي بأيديهم وأقررناهم على ما جعل لهم فيه، من تفريق ما يوصلون به من بيت المال على الصغير منهم والكبير، وعدم إنفاق الوالد على ولده المطلقة أمه من واجبه فى الصلة، بل من متاع الوالد لوجوب إنفاقه عليه شرعا، وإنفاق واجبه فى الصلة على ولده إن امتنع من الإنفاق عليه، لينكفوا بهذا عن الطلاق، فالواقف عليه

يعمل به ولا يحد عن كريم مذهبه، والسلام فى ثانى المحرم الحرام فاتح عام ١٢٥٠».

وفى جمادى الأولى من العام أذن لقاسم حصار والذمى الياهو الزاكورى بضرب فلوس النحاس بالرباط ونص الإذن بذلك:

«يعلم من كتابنا هذا أعلى الله قدره، وأنفذ فى البسيطة أمره، وجعل فيما يرضى الله طيبه ونشره، أننا أذنا حامليه الحاج قاسم حصار والذمى الياهو ابن إبراهام الزكورى فى ضرب سكة الفلوس برباط الفتح قطع ثمانية عشر موزونات فى الرطل، وأن لا يضيفا للنحاس أكثر مما يستوجبه من خفيف وروح التوتية، وكل ما يضربانه ينظره الأمناء، فما ألفوه على الكيفية الموصوفة أجازوه، ويروج بأيدى الناس، وما لا كسروه ولا يروج بأيدى الناس، وإن أخفيا منه شيئا ووجد يعاقبان، وقصرنا عليهما شراء شظاية النحاس بالعدوتين سَلاَ، ورباط الفتح على أن يؤديا لبيت المال وفره الله سبعمائة مثقال عن كل سنة.

ونأمر خديمنا القائد محمد السويسى أن يشد عضدهما على ذلك ويعينهما فيما احتاجا إليه فيه، ألحق عليهما وأصلح، ونأمر خديمنا القائد والسلام فى ٣ جمادى الأولى عام ١٢٥٠».

وفى رجب منه كتب له عامله القائد العربى السعيدى بما نصه من أصله بعد الحمدلة والصلاة:

«بعد تقبيل حاشية بساط مولانا الشريف، ولثم الثرى تحت قدمه المنيف، سيدنا أمير المؤمنين وناصر الدين، ناشر لواء العدل على جماعة المسلمين، سيدنا ومولانا عبد الرحمن بن مولانا هشام أدام الله نصره، وكبت عدوه وخلد فى الصالحات ذكره، آمين.

الحمد لله وحده

يعلم من كتابنا هذا [illegible] أمره [illegible]
[illegible] الحاج قاسم حصار والذمي
[illegible] الزكوري [illegible] سكة الفلوس [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] والسلام في
جمادى الأولى عام 1250

إذن رحماني للحاج قاسم حصار والذمي الزاكوري بضرب سكة الفلوس بالرباط

أما بعد الإعلام لمولانا أيده الله ونصره: أنه ورد على العبد من عند خديم سيدنا القونص يهودى ابن عليل أقجار قزدير مطبوع عليه، وداخله مكاتب لمولانا ورسوم كنطرادة الصلح مع جنس نابليطان بذكره فها هو يصل حضرة مولانا العالية بالله صحبة فارسين مع إخواننا التباعة خدام سيدنا، كانوا هنا على الخدمة وتوجهوا لخدمتهم مع مولانا، ثم الإعلام به لمولانا أيده الله أنه ورد علينا كتاب نجل مولانا سيدى محمد بارك الله لنا فيه يأمرنا فيه بتوجيه خمسين فارسا ادالة للريف لعند خديم سيدنا القائد محمد بن عبد الصادق بقصد الخدمة والانتفاع معه، ونمكنهم من راتبهم خمسين أوقية لكل فارس منهم، ومقدمين خمسة وسبعين أوقية، وقائد المائة عشرة مثاقيل، وذلك من صائر سيدنا من عند خديم سيدنا الأمين القائد عبد الخالق اشعاش، فامتثلنا أمر سيدنا ومكناهم بما قال ووجهناهم للخدمة فالله يقضى بهم غرض مولانا ويبارك لنا فى عمره آمين.

ثم الإعلام به لسيدنا أن الذمى زنكوط من آل ذمة طنجة الذى هو فى علم سيدنا كان يطلب من مولانا يوسق البقر من طنجة ولم يساعده مولانا لذلك، وكان بمدينة مكناس وهرب منها إلى وهران، ومعه اثنان من اليهود لعنهم الله، فلما خرج عن تلمسان اتصلوا به القطاع وقتلوه هو ومن معه، وكانت عليه بذمته لمولانا من صاكة المرسى نحو أربعة مثقال ومائتين مثقالا وخمسين أوقية، تخلدت بذمته الآن، ولم يكن له ما يوفى ما بذمته سوى دار سكناه إن كان بيعها للمسلمين تساوى ستمائة مثقال إلى سبعمائة، وإن أمر سيدنا ببيعها لليهود تزيد على تلك القيمة والله أعلم.

وهذا دون ما كان بذمته أيضا من صاكة سيدنا كان أعطى فيه ضامنا للأمين، وعليه ديون للمسعودى وغيره ما ينيف عن ألفين مثقالا، بهذا وجب الإعلام لمولانا بارك الله لنا فى عمره وأبقاه لدى الأنام، وهذه النواحى سالمة والحمد لله

ولا ما يخطر فى البال من فضل الله ووجود مولانا، والعبد يطلب مولاه صالح الأدعية لنا ولعقبنا والسلام فى رجب الفرد الحرام عام ١٢٥٠.

خديم المقام العالى بالله العربى بن على السعيدى» صح من أصله بلفظه.

وفى هذا العام ولى ابن عمه وصهره على بنته المصونة المولاة خديجة المولى عبد الهادى خطة القضاء بفاس.

وفى شوال عام ١٢٥١ كتب لخليفته ولده بما نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير:

«ولدنا البار الأرضى، سيدى محمد أصلحك الله ورضى عنك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد بلغنا دخول العدو الكافر دمره الله لتلمسان جبرها الله، وتحققنا أن ذلك من خيانة المسلمين وموالاتهم للنصارى والعياذ بالله، فإنا لله وإنا إليه راجعون على غربة الإسلام وأهله، وقد طلب (...كذا) خديمنا القائد العربى الرحمانى شدة احتياج المسلمين للإعانة والمدد بالبارود والخفيف والعدة، فبوصول كتابنا هذا إليك وجه له ثلاثين قنطارا من البارود وما يكفيها من الخفيف يجعل ذلك تحت يديه احتياطا إن احتاجوا إليه يجدونه موجودا، وانظر إن كان تحت يدك من المكاحل نحو المائة والخمسين اجتمعت بالخزين من دفع أو غيره، وجهها له مع ذلك.

وإن لم تتيسر ففى البارود والخفيف كفاية وهو العمدة التى تدعو إليها الضرورة، وقد كتبنا للشيخ أبى زيان بالانتجاع بحلته والنزول بطرف الإيالة فى الحدود التى حدها الأسلاف قدسهم الله مع الترك ولا يتعداها، وأمرنا أن يستكثر من الخيل، ويأمر بالاستظهار بالعدة والعدد، ويحشد ما قدر عليه من خيل إيالته،

ويقيم هناك بحلته أياما كأنه متبع الكلأ لرعى المواشى على عادتهم فى الانتجاع، حتى يشيع خبره فى الآفاق، ويسمع العدو الكافر دمره الله قوة الإسلام واستعداده، فلابد كاتبه بذلك وأكد عليه وحرضه أتم التحريض، ويوافيك كتاب إليه فوجهه على يدك عزما، والسلام فى ١٥ من شوال عام ١٢٥١» صح من أصله.

وفى عام ١٢٥٣ أصدر ظهير للحاج قاسم حصار السلوى المتقدم الذكر بالتوقير والاحترام، ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الصغير بداخله «عبد الرحمن بن هشام الله وليه».

«كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره، وخلد فى الصالحات طيه ونشره، بيد المتمسك بالله تعالى ثم به خديمنا الأرضى الحاج قاسم حصار السلوى يتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، أنا أسدلنا عليه أردية التوقير والاحترام، وحملناه على كاهل المبرة والإكرام، على ممر الليالى والأيام، لمحبته فى جانبنا العالى بالله تعالى، وحسن خدمته فالواقف عليه يعمل بمقتضاه، ويقف عند حده ولا يتعداه، صدر به أمرنا المعتز بالله فى ثالث ربيع الأول النبوى الأنور عام ثلاثة وخمسين ومائتين وألف».

وفى عام ١٢٥٥ كتب له خديمه محمد عشعاش بما نصه من أصله بعد الحمدلة والصلاة:

«مولانا السلطان الماجد الهمام، الرافل فى حلل الإجلال والإعظام، قرة الأعيان، أمير المؤمنين سيدنا مولانا عبد الرحمن، بارك الله فى عمر سيدى وزاده شرفا وتعظيما، وسلام الله ورحماته وبركاته على الحضرة المحروسة المحفوظة بالله تعالى.

وبعد: لثم حاشية البساط الكريم، وأداء ما يجب للمقام الرفيع من

التعظيم، فقد ورد كتاب سيدى المعظم المبجل فى شأن تفصيل الألفى كسوة من الكارية كما وصف، فبوصوله فصل مما حضر من الكارية عد ١٢٠٠ وبعثت لجبل طارق على ما يكون به الكمال، وأما الملف الموفر من الأعشار فبوصول إذن سيدنا فى بيعه بيع بعشرة فى المائة فائدة، فإن كان لا زال مراد سيدى فى كساوى الملف فليأمر بما يريد منه عددا ووصفا يبعث عليه وتصنع بحزم وعزم، وكساوى الكتان نطلب من سيدى أيده الله الإذن فيما يكون بها، هل توجه بوجدانها أم حتى يأمر سيدى متى شاء؟ وما ذكر سيدى أيده الله على شأن قفاطين النساء يجعل بدل السفيفة كمخة فذلك العمل فيما يوجه من قفاطين النساء، نعم إن كان سيدى يريد ذلك فى قفاطين الرجال فليأمر بذلك، يكون فى التالى للقابل والعمل على ما يأمر به سيدى أدام الله نصره وتأييده وعلى الخدمة والسلام فى يوم الثلاثاء ٤ رمضان المعظم عام ١٢٥٥.

الخديم محمد أشعاش وفقه الله آمين» صح من أصله مباشرة بلفظه.

وفى عام ١٢٥٦ كتب لخليفته بما نصه:

«ولدنا الأبر الأرضى، سيدى محمد، أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد كتبنا لك هذا بعد حلولنا الصخرة وإقامتنا بها الاثنين أول شعبان، ونقيم بها يوما آخر للاستراحة، وننهض إن شاء الله إلى ماز(١) ومنها إلى بين الصاع وعين البل، فبوصول كتابنا هذا إليك عين للنهوض معك جميع خيل الجيش الفاسى ولا يبقى هناك إلا ما لابد منه، وادفع لهم راتبا من عند أمناء فاس خمسين أوقية للمخزنى، وسبعة مثاقيل ونصف للمقدم، وعشرة مثاقيل لقائد

---

(١) فى هامش المطبوع: «محل بين تادلا وزعير والشاوية».

الحمد لله وحده — صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

خديمنا الأرضى الحاج احمد عواد وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى
وبركاته وبعد فقد وصل لحضرتنا العلية بالله كتابك وصحبته [illegible] مال
جزية أهل ذمة سلا حسبما بينت [illegible] على يد خديمنا الطالب محمد السويسي
[illegible] والسلام في 24 محرم الحرام عام 1256

ظهير رحمانى للحاج أحمد عواد بوصول جزية أهل الذمة بسلا

المائة، وانهض على بركة الله لحضرتنا العالية بالله قاصدا لمكناسة على مهل، ويكون مبيتك بوادى النجا، ومنه لمكناسة إن شاء الله.

وقد أمرنا ابن العواد أن يهيئ للتوجه صحبتك ثلاثمائة من خيل عبيد سيدى البخارى، تنتظرك بمكناسة، وقبض الراتب مثل الجيش الفاسى، وأمرنا البهلول الشرادى أن يعين من الشراردة مائتى فارس بالتثنية ويأمرها بملاقاتك حيث تعين لهم، فإذا وصلت مكناسة تقص فى الخبر عن أمر زمور زيادة على ما عندك من خبرهم، فإن تحقق عندك صلاحهم فمر حراك الشراردة يلحقون بك لمكناسة، وادفع لهم ثلاثين أوقية للمخزنى، وأربعين أوقية للمقدم، وخمسين أوقية لقائد المائة.

وانهض على بلاد زمور قاصدا لرباط الفتح، وإن كانوا على غير استقامة تامة فأظهر عذرا موجبا لانحرافك عن بلادهم، واقدم على طريق جروان وقدم لحراك الشراردة الأمر بملاقاتك حيث تعين، ويكون راتبهم معك لتدفعه لهم عند الملاقاة لتوافينا بالرباط إن شاء الله عند حلولنا به، فيتوجه حراك الحوز معك، فإنهم راغبون فى توجيهك صحبتهم.

وما كان من أمور تافيلالت على يد الحاج الطالب مره بالقيام به وقضائه، وما كان على يد السيد علال الشامى كذلك، وأمر وصيفنا فرج بأن يصير إلينا كتب تافيلالت مهما وردت، والسلام فى فاتح شعبان المبارك عام ١٢٥٦» صح من أصله الموجود بالمكتبة الكتانية.

وفيه كتب بما نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«خديمنا الأرضى الحاج أحمد عواد، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصل لحضرتنا العلية بالله كتابك وصحبته ألف مثقال جزية أهل ذمة سَلا، حسبما بينت، وذلك على يد خديمنا الطالب محمد السويسى، وذلك جزية ثلاث سنين مضت عن تاريخه والسلام فى ٢٤ محرم الحرام عام ١٢٥٦».

وبعده: «الحمد لله أعلم بأعمال الكتاب الشريف أعلاه عبد الله تعالى فلان...».

وفيه كتب لقاضى سَلاَ بما يكون عليه العمل فى أمر الأملاك بعد حيازتها عشر سنين بما نصه:

«الفقيه القاضى السيد محمد زنيبر أرشدك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى، وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه وعلمنا أن ما حكم به علماء الرباط فى قضية بوعمرو بن الحسن الشاكى مع الحاج محمد أمغار السلوى موافق لما حكمت به فيها قبلهم، فالحمد لله على موافقة الحق، وعلمنا أن الشاكى لا حق له، وإنما هو ملد ونحن نسمع ممن ورد لبابنا السعيد شاكيا ونرد قضيته لمن يبحث فيها من الحكام تفصيا من العهدة، لأنا لا نعلم المحق من المبطل، وحيث تحقق أن الشاكى ملد فبوصول كتابنا هذا إليك اجلده ثمانين جلدة أدبا له وزجرا لأمثاله، والعمل فى أمر الأملاك على ما فى كتاب عمنا رحمه الله الذى وجهت النسخة منه من أن من ملك ملكا مدة من عشرة أعوام لا ينزع من يده ولا يسمع ممن ادعى فيه بدعوى إن كان حاضرا ساكتا والسلام فى ١٤ ذى الحجة الحرام متم عام ١٢٥٦».

وعلى هذا الظهير ذهب ولده السلطان سيدى محمد، فقد كتب لقاضى تلك المدينة فى عهده بما نصه:

«الفقيه القاضى السيد العربى بن منصور السلاوى، سددك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإن الناس فى هذا الوقت اعتادوا القيـام فى الأملاك المبيعة بل قديما لارتفاع ثمنها ويلتمسون لذلك أسبابا يفتحون بها باب القيام والخصام بعد سكوتهم عنها وهى فى يد مشـتريها وتصرفه المدة الطويلة، وذلك مؤد إلى الـشغب، وكثرة الخصام المطلوب تقليله ما أمكن، ومن جملة ذلك المعلم أحـمد أحسيسو السلاوى الحصار، اشـترى داراً من بعض ورثة عمـر عواد ما يزيد على الثلاث عـشرة سنة صفقة، وأمضى له البـاقون، وأفتى له من يعتبر من الفقهاء بإمضـاء البيع وصحته كما رسمه بيده، وقد كان مولانا المقدس بالله كتب للقاضى السيد محمد زنيبر بأن العمل فى أمر الأملاك على ما فى كتاب عمنا مولانا سليمان رحمهم الله، من أن من ملك ملكا عشـرة أعوام لا ينزع من يده، ولا يسمع ممن ادعى فـيه بدعوى إن كان حاضرا ساكتا، ونحن على أثرهمـا فى ذلك، فنأمرك أن تنتهج نهجه، وحيث أفتى من يعتـبر من الفقهاء بصـحة شراء أحسيسـو المذكور، وطال أمره زيادة على المدة المذكورة، فـلا تسمع للقـائم عليه فيـه كلاما والسـلام فى ٢٠ شوال الأبرك ١٢٨٢».

وبعده بخط من يجب حفظه الله استقل، وبعده:

انتهت قـوبلت بأصلها فـماثلته ووافـقته وأشـهده الفـقيه الأجل، العـلامة الأفضل، قاضى محروسـة سلا ونواحيها حينه وهو (محمـد العربى بن أحمد بن منصور لطف الله به) أعـزه الله تعالى بعز طاعـته وحرسـها بثبوت المنتـسخ أعلاه الثبـوت التام، لصحـته عنده وثبوته لديه بواجـبه، وهو حفظه الله ورعـاه وسدده وكلاه، بحـيث يجب له ذلك من حيث ذكـر دامت كرامـته، وتوالت بحـمد الله سعادته ومجادته.

وفى ثامن عشـرى جمـادى الثانية عـام ثلاثة وثمانين ومـائتين وألف فـوقه والاستقلال عقبهما بخط من يجب رعاه الله، بطرته: وبعده بخط من يجب حفظه

الله استقل، بين أسطره ونص خطابه، أصلح نسخة، لحصاء، له، ضرب بين تعالى ووصلنا صح به عبيد ربه محمد إدريس بن محمد الجعائدى الحسنى لطف الله به فى الدارين آمين بين فقته، وأشهده صح به محمد وعبيد الله محمد العربى ابن محمد بن سعيد لطف الله به فى الدارين.

ونص الثبوت عقبه:

الحمد لله أديا لدى أصلا وإلحاقا، فقبل وأعلم به أسير نفسه محمد العربى بن أحمد بن منصور لطف الله به، ونص الأعمال أسفله بخط من يجب رعاه الله: أعملته. وبعده ثبوت ثان نصه:

انتهت فقوبلت بأصلها فماثلته ووافقته وأشهده الفقيه الأجل العالم العلامة الأمثل، الدراكة الأنبل، المحدث الحجة الأكمل، قاضى سلا ونواحيها وخطيب أعظمها حينه ووقته وهو أبو الحسن (فلان. . . .) أعزه الله تعالى بعز طاعته، وحرسها بثبوت المنتسخ أعلاه الثبوت التام لصحته عنده، وثبوته لديه بواجبه، وهو حفظه الله ورعاه وسدده وكلاه، بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر، دامت كرامته وتوالت بحمد الله سعادته ومجادته، وفى ثالث عشرى ربيع الثانى عام عشرة وثلاثمائة وألف بين أسطره من من لطخ بين مولانا والمقدس صح به عبيد ربه تعالى (فلان. . . .) بشر محل وفى ثالث عشرى ربيع الثانى عام عشرة وثلاثمائة صح به (فلان. . . .»).

وفى عام ١٢٥٧ ورد على صاحب الترجمة العلامة الأديب الشيخ يوسف المدنى فأكرم وفادته وأحسن إليه.

وفى عام ١٢٥٨ كتب لولده الخليفة بما نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«ولدنا الأبر الأرضى، سيدى محمد أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فتصلك كتب فيها أخبار المسلمين مع العدو الكافر، قصمه الله بناحية الشرق وغيره، وجهناها لك لتطلع على ما فيها وتعلم حقيقته، فإن الأعداء أهلكم الله حسبوا كل بيضاء شحمة، وقويت أطماعهم ومنتهم أنفسهم وهموا بما لم ينالوا، ولما استولوا على تلمسان ورأوا ما عليه أهل حوزها من التواكل والتخاذل والفشل والرعب منه والفرار أمامه، ظنوا أن هذه الناحية مثل تلك، وأرادوا تعدى الحدود ومد اليد إلى الإيالة، وأعملوا الوجهة لها بعد الوجهة الأولى التى لم يحضر هناك أحد من الجيش، فلما دنوا وجدوا المخازنية أمامهم فى شرذمة فثبتوا وناوشهم خيل المتنصرة القتال فردوهم على أعقابهم، فخشى العدو على نفسه وفر ليلا.

ولما عاين من نجدتهم وثباتهم ما لا قبل له به وتخلف ظنه، كتب لطاغيته بذلك، وأرادوا إعمال التمويه والتلبيس ونصب المكائد بالتخيلات والأوهام، فظهرت بعض قراصينهم بنواحى طنجة والعرائش، فأمرنا جميع القبائل بإظهار القوة والاستظهار بالعدة والعدد ليرى من ذلك ما يسوءه ويبلغ الشاهد الغائب، ولا ينبغى إلا ذلك، فإنه دمره الله صاحب غدر ونكر وتلبيس، لا تؤمن غوائله، ولا تنقضى حيله ومكائده.

فلتكتب لعمال الثغور وعمال القبائل الموالية لها بإظهار القوة والاستظهار بالعدة وكثرة العدد، فإن ذلك مما يقوى سواد المسلمين، ويفت فى أعضاد الكافرين فقد قال الله تعالى: ﴿... لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ... ﴿٢٩﴾﴾[الفتح: ٢٩] مثل أن تأمر خديمنا عبد الله أُبه[1]، وسليمان بن الطاهر بحشد عديد قبائلهما، خيلا ورماة للصويرة، وعمارة ساحتها بلعب البارود وغيره، مما يغيظ العدو، ويقيمون يومين

(١) فى هامش المطبوع: «بضم الهمزة وكسر الموحدة تحت والهاء، أحد كبار عمال سوس وصناديدهم».

أو ثلاثة، وبعد ذلك ينصرف الجل ويبقى البعض، ويجعلون عمارة ذلك الثغر مناوبة، إذا توجهت طائفة وردت أخرى، وأمر ابن الغنيمى يفعل مثل ذلك بآسفى، وابن إبراهيم يفعل مثل ذلك فى فحص المجاهدين، والحاج موسى كذلك، فإن ذلك مما يغيظ الكفار ويفت فى أعضادهم ويرهب المشركين ويرعبهم، وفيه مغفرة الله ورضوانه، فإن كل ما فيه إغاظة عبدة الأوثان، وإرغام أشياع الشيطان فيه رضا الرحمن والفوز بالثواب والأمان، قال الله سبحانه: ﴿ ... وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ... ﴿١٢٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٠] الآيات.

ولتأمر عمال الثغور الصويرة وآسفى والجديدة وآزمور بمباشرة آلة الحرب ونصبها على كراريطها فى مواضعها، ووضع الإقامة حذوها، وإصلاح ما احتاج إلى الإصلاح من ذلك وتهيئته ليبلغ العدو من ذلك ما يغيظه ويسوءه، فإنه أهلكه الله عين وأذن على ما يتجدد من ذلك ولا يغيب عنه شىء منه، والله يرفع راية الإسلام، ويخذل عبدة الأصنام بجاه النبى عليه الصلاة والسلام فى ٤ ربيع الثانى عام ١٢٥٨»، صح من أصله الموجود بالمكتبة الكتانية.

وبنفس التاريخ كتب لعاملى العدوتين ظهيرا فى شأن المناوشات الواقعة على الحدود، يأمرهما بأخذ الأهبة والاستعداد وتهيىء الأبراج والمدافع، واستعراض رجالها.

ونصه بعد الحمدلة والصلاة والتوقيع السلطانى صدر الكتاب «عبد الرحمن ابن هشام وفقه الله» بخطه كما كان يفعل أحيانا فى بعض رسائله:

خديمينا الأنجدين القائد محمد بن الحاج محمد السويسى، والقائد بوعمران ابن الحاج الطاهر فنيش السلوى، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.



ظهير رحمانى لعاملى العدوتين الرباط وسلا بالاستعداد للطوارئ المنتظرة من جانب فرنسا ويرى خط السلطان صدر الظهير

وبعد: فاعلموا أن عدو الدين الفرنصيص دمره الله لما استولى على تلمسان ردها الله دار إسلام، ورأى اضطراب أحوال قبائل تلك الناحية وفشلهم عن ملاقاته وفرارهم أمامه، ظن أن كل الناس كذلك، وحسب كل بيضاء شحمة، فسولت له نفسه لعنه الله التشوف إلى قبائل إيالتنا السعيدة وإرهابهم بتهويل أمره ونصب حيله ومكره بدورانه بعسكره المخذول، ومحاكته للحدود ليرهب ضعفة العقول ويرعبهم، فتحرك على عادته وأراد النزول بمحل نزل به قبل توجه جيشنا المنصور لتلك الناحية، فلما قرب منه وجد بعض خيل المخزنية أمامه فنزل على بعد، لعلهم يتزلزلون فثبتوا، وناوشهم خيل المتنصرة القتال فردوهم أعقابهم وولوا إلى العدو منهزمين، فسقط فى يده وهرب ليلا، فلما رأى ما لا قبل له به أراد إعمال المكر والحيلة بظهور القوة الإسلامية، والاستظهار بالعدة والعدد، ليرى ما يسوءه ويزداد غيظا وهَوَانًا، ويعلم أن الإسلام والحمد لله بأنصاره، وأن أمة النبى عليه الصلاة والسلام راغبة فى جهاده ساعية فى دماره.

فبوصول كتابنا هذا إليكم أظهروا أخذ الأهبة والاستعداد بتركيب آلات الحرب فى محالها على كراريطها وعجلاتها فى صقائل العدوتين، وأنزلوا حول كل مدفع ومهراس عددا من آلات حربه من الكور والبنب وغير ذلك، وأظهروا الحزم بتفقد العدة ومسحها وتشميسها وتسراد الرجال أهل العدة، وتعمير الصقائل والأبراج بأهلها، ليصل العدو ذلك، فإنه لا يغيب عنه شيء، لأن له عيونا يطالعونه بذلك، ويبلغ الشاهد الغائب، وفى ذلك من توفر أَجْر نيّة الجهاد، ونيل رضوان الله ما يتبادر إليه المؤمنون ويتسابق إليه الموقنون، فإن فى ذلك إغاظة الكفار، وإرغام الشيطان وأشياعه، وكل ما فيه إرغام الشيطان فيه رضا الرحمن.

والقصد بذلك إظهار عزة الإسلام، وإلا فالعدو قصمه الله فى هوان وصغار، وذلة واحتقار، فالمراسى معمورة والحمد لله بحاميتها، والثغور مشحونة

بعدة الحرب وآلتها، وكل عين أمامها إصبع ما تحرك فى ناحية إلا ويلقى من أهلها خسارا، ولا يطمع فى جهة إلا وينال هلاكا وبوارا، بحول الله وقوته، وهذا الأمر افعلوه عند ظهور شيء، والسلام فى ٤ ربيع الثانى عام ١٢٥٨».

ثم كتب له بما نصه:

«ولدنا البار الأرضى، سيدى محمد أصلحك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فاعلم أن المهدى الشرادى كنا حسنًا به الظن، حيث أظهر التنسك وأبدى النصيحة والتودد مع أخذ الحذر منه، ووليناه على قبائل أهل سوس طلبا لجمع كلمتهم، حيث رأينا رغبتهم فيه وميلهم إليه، حتى طلب التوجه للمشرق فساعدناه وجعلنا خليفته البهلول كما فى علمك، ولما سافر صرحنا له بالاستقرار، ونحن فى خلال ذلك نلتمس انحرافهم عن المهدى وانقطاعهم عن محبته، ولما قدم أعرضنا عنه وأقررنا الوالى على عمله، فكان لا يبرم أمراً دون ولده فى غيبته ودونه فى حضوره حتى ألقى الله العدواة والبغضاء بينهم وبين العامل، وسعى فى فساد القبيلة عليه فلم يصلح الله له عملا ولا بلغه من ذلك أملا، بل رجع شؤم سعيه عليه، وعادت سهام فساده إليه، فأصبح وقد كشف الله عواره، وأبلى أسراره، وأطلقت ألسنة خاصتهم وعامتهم فى ثلبه، وإبداء العجر والبجر من عيبه، ورموه عن قوس واحدة، وهتكوا حرمته وخرقوا عوائده، ولم يبق مصمما على اتباعه غير البعض من زواره، أمرناهم بالانتقال لفاس فكان مبلغ شيعته مائة ونيفا وخمسين فارسا وما يناهز الأربعمائة رام، بعد ادعائهم أن الكل له تابع وبعد انتقالهم جعلوا يتسللون فرادى وأزواجا، ويرغبون فى الرجوع أفواجا، وتطرقت إليه ألسنتهم بكشف ما كان يسر من قلة الدين، والتلبيس بالانتساب للصالحين، حتى ذكرت شبانية كانت بداره قالوا على وجه الفساد فأخرجها عند توقع الشرّ به.

وحدثت أنه يبول على المصحف الكريم وموضع خلوته وقبلة استجابة دعوته المستراح، وأنه تارك للصلاة، مشتغل بالسحريات، وصدقتها فى دعواها زوجته بنت عمه وشاع ذلك وذاع، وملأ الأفواه والأسماع، وحدث به العامة عن الخاصة وعمدوا إلى زريبته فحرقوها، وإلى مخازنه فنهبوها وفرقوها، ومن سر سريرة ألبسه الله رداءها، وأصبحوا اليوم وقد خرجوا من الظلمات إلى النور، يتأسفون على ما فاتهم من الاغترار به وتقلبات الأمور، وقد اختفى بحيث لا يدرى محله، وعامله الله بما هو أهله، فكان طلب الانتقال إلى المشرق بأولاده، وإعراء الأرض من فساده، وسنجيبه إلى ذلك إبعادا له عن هذه الأقطار وننشد:

إذا ذهب الحمار بأم عمرو   فلا رجعت ولا رجع الحمار

وأيضا اعلم أن ابن العواد ظهر منه من الفساد ما لم يكن فى حساب، واغتررنا ببكائه وما كان يظهر من الدين والطهارة وكثرة إيمانه بنصيحته فى هذا الجيش وشفقته، وكانت تصدر منه هنات، وتبلغنا عنه أمور يتحاشى أهل الدين عنها، فنعاتبه على ارتكابها فيجيب بالتفصى من عهدتها، ويبرهن برسوم زور، وكلام فجور، فنحمله على علاته، ونغض الطرف عن هناته، ثقة بما يظهر، واغترارا بما يموه ويزور، وهو ساع فى تبذير هذا الجيش البخارى بخرق العوائد، وإفساد القوانين، وأحدث فيهم أموراً شنيعة من بيع المراتب والخطط وتوليتها غير أهلها، ومنع المستحق منها، وإيثار الدخلاء ومن لا خلاق له بذلك، وإلزامهم المغارم زيادة على خيانة الرواتب الشهرية، والغفلة عن تفقد الأسلحة والعدة والخيل التى نخصصهم بها حتى كادت أن تضيع المخزنية رأسا.

وفقد الحزم والضبط المعهود فى المخازنية، وعدم الإقدام والشجاعة فيهم مع أنهم كان يضرب بهم المثل، فإن الرعية على رأسها، وتصدى لإرث كل من حانت منيته من المخازنية وحيازة متروكه وبيع أصله ومنع ورثته.

وأما أهل مكناسة فقد سار فيهم سيرة جور وعسف، وأذاقهم عذاب ظلم

وخسف، بجعل حيل ونصب حبالات وأساليب لاستخلاص الأموال، ومصادرة ذوى الأغراض، وأفضى به الحال إلى جعل ديار مخصوصات للفاسد، وتوظيف خراج على الفاسدات فى كل شهر، ولم يكفه ذلك كله حتى جعل من جهاته لإفساد القبائل ومداخلته أعيان الفساد، وتمالئهم عن الخروج على عمالهم، فكل من لم يمل إليه ولم يواصله أو تشانا معه، بث فى رعيته القيام عليه وواعدهم بالمعونة، ورتب لهم الطعام عند الزوقة، مع أنه أبخل من مادر، وإن نزل عليه ضيف واحد أضجره ونصب العداوة مع قواد البرابرة المجاورة لمكناسة، وألقى الشرّ بينهم وبين المخازنية، حتى لم يبق لهم وُداًّ فى قلب القريب والبعيد، ولم تبق له همة إلا فى هذا وشبهه.

وأما أهل الذمة فأبدأ فيهم وأعاد، حتى أخرجناهم من حكمه، ومع ذلك لم يتحاش عن فعله فيهم وفى غيرهم، ولما تفاحش أمره، وفشا فى الرعية شره، قبضنا عليه ووجهناه لفاس بكبله، وحاق به سوء مكره، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

واستخرنا الله تعالى فيمن نوليه على الجيش ممن يسعى فى جبره، وينصح لله ولرسوله وللمؤمنين فى سره وجهره، فشرح الله صدرنا لتولية قائد مشورنا السعيد القائد الجيلانى بن بوعزة لما بلوناه من نصحه ومحبته، وعلمناه من دينه ومروءته، نسأل الله تسديده وتوفيقه، وإلهامه الرشد وطريقه.

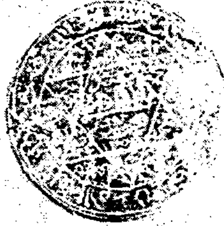
واعلم أن جل الحياينة وخصوصا أولاد أرياب منعوا الحقوق، وأظهروا العقوق، فطلب عاملهم خروج المحلة إليهم، فوقع منهم وعد وإخلاف، ومنع وإرجاف، فنهضت المحلة المنصورة إليهم وأحاطت بالمفسدين وأخذتهم أخذة رابية، ولاذوا بالفرار، وتركوا الأموال والأنعام، فامتلأت أيدى المحلة منها، وقبضوا

وقتلوا وهو مشروح فى الكتب الواردة عليك صحبته، والسلام فى ٤ جمادى الأولى عام ١٢٥٨» صح من أصله الموجود بالمكتبة الكتانية.

وفى عام ١٢٦٠ ستين ومائتين وألف، كتب له الأمير عبد القادر بن محيى الدين الحسينى الجزائرى يسأله عن أبناء عمه المهاجرين للمغرب، وفى طى كلامه الإعلان بانحياشه وانحيازه إلى شريف حضرته، وطلبه صالح أدعيته، ونص كتابه بعد الحمدلة والصلاة ثم الطابع بداخله «عبد القادر بن محيى الدين ١٢٥٨» وبزواياه الاثنتى عشرة: الله، محمد أبو بكر، عمر، عثمان، على، عبده، ناصر الدين، الواثق بالقوى المعين. وبدائرته ومن تكن برسول الله نصرته البيت:

«ملاذنا وعمدتنا وقاطبة أهل الإسلام، الذى بلغ الله به قصد ومرام، ورفع به مقام أهل الإيمان على كل مقام، متعنا الله بنصرته على الدوام، ومر الليالى والأيام، ذلك الإمام الهمام، الذى اشتهر كنار على رءوس الأعلام، ولا تحصى مزاياه أو تحصرها الطروس والأقلام، مولانا عبد الرحمن بن مولانا هشام على مولانا ما لا يتناهى حصره من السلام، مضمخا بطيب التحيات والإكرام والإعظام، وأسبغ عليكم أنواع الإنعام، ونصر بكم ملة النبى العدنان، وخذل بكم أهل الكفر والطغيان، ولا زائد بعد التماس صالح دعاء مولانا ورضاه الأرضى، عن أبناء صنو أبينا الذين حلوا بساحته، وخيموا بجوار حضرته، وهم السيد أحمد وإخوته أولاد المرحوم السيد أحمد بن أبى طالب، وأن لا يكونوا مطرحين بزاوية الإهمال، لأننا وإياهم منسوبون من جملة الخدمة والعيال، ومثل مولانا نصره الله، من قال فيهم تعالى جل جلاله: ﴿ ... يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ... ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: ٩].

ونحن لك أينما كنا وحيثما حللنا واستقر المكان بنا، لأن من إلى الشرف الرفيع انحاز، فقد نال المطلوب وفاز، وأن لا ينسانا من دعواته، فى خلواته وجلواته، المرجوة القبول عند الله، ونحن من أهل الحسبة عليه بعد حسبتنا على



كتاب من الأمير عبد القادر الجزائرى للسلطان المولى عبد الرحمن

الله خديم حضرتكم الباذل جهده فى مرضاة الله ورسوله ثم مرضاتكم، المتوكل فى كل أموره على الله وعليكم الموضوع اسمه بالخاتم، النائب عنكم بما قدر من جهاد العدو القائم، فى ١ ربيع الثانى سنة ١٢٦٠» هـ من أصله الفتوغرافى الموجود بالمكتبة العمومية للحكومة بالرباط.

ولما دخلت هذه السنة التى هى سنة ستين، كان قد تم استيلاء فرنسا على سائر شمال المغرب الأوسط، اضطر الأمير عبد القادر المذكور للدخول لحدود المغرب الأقصى، فنزل بعين القصب فاقتفت أثره ووقفت جنودها وراء نهر تافنة، وجعلت تبنى قصبة فى الغزوات على شاطئ البحر لتقرب منها مراكبها وتنزل إليها عساكرها، وقصبة أخرى على وادى الحاجة مغنية، فكثر العيث بأعمال وجدة وملحقاتها، وعمد بعض الحامية الفرنسية النازلين ببنى واسين وكانوا تابعين لأعمال وجدة، وكانت تربة المرأة الصالحة مغنية، معتقدة من بنى واسين، فأهانوا قبتها بما قام له بنو واسين، وقعدوا وصدر منهم ضد الحامية ما جسم المسألة، وكدر صفو السلم بين الإيالتين، وأوجب إلحاح سفير فرنسا بطنجة على المترجم فى طلب الترضية.

وفى أثناء المخابرة وجه المترجم جيشا فى نحو ثلاثة آلاف بين خيل ورماة تحت رياسة كاتبه على بن الطيب الأجناوى، وأمره أن لا يفاتح بقتال حتى يصدر إليه الأمر، ثم لما وصل الكاتب لوجدة فتح باب المخابرة مع رئيس الحملة الفرنسية، ولم يشعر حتى ابتدأ المسلمون بقتال جيش الحملة، ولما رأى رئيسها ذلك أمر عسكره بالكمون للمسلمين بعريش الوادى، ثم أحدقوا بهم وقتلوا منهم نحو الثمانين، فرجع الجيش السلطانى لوجدة، ثم نهض لعيون سيدى ملوك، ودخلت الحملة الفرنسية لوجدة فوجدتها خالية فباتت بها ليلة واحدة أعدمت ما كان بها من بارود ورصاص، ثم بارحتها من غير أن تحدث بها أدنى حدث.

ولما اتصل هذا النبأ بالمترجم وهو يومئذ بمراكش، وجه لخليفته بفاس ولده أبا عبد الله محمد للنظر فى شأن الحدود ريثما تنفصل القضية بطريقة سلمية، فجهز جيشا من القبائل الغربية يبلغ ثلاثين ألف مقاتل، وسار به إلى أن بلغ وجدة، وألقى القبض على على بن الطيب رئيس المحلة السابقة المذكور.

وقد عثرت له على كتاب أرسله لوالده المترجم يخبره بحلوله بالعيون وما كان من اجتماع قبائل آنكاد والصحراء وحسن استعدادهم، ونصه بعد الحمدلة والصلاة:

«بعد تقبيل حاشية البساط الشريف، وأداء ما يجب بين يد سيدنا أيده الله من التبجيل والتعظيم والتشريف، يكون فى علم مولانا أيده الله، أنا حللنا بعيون سيدى ملوك حلول عز ويمن وسعادة بوجود مولانا أدام الله وجوده، ونصر أعلامه وجنوده، وتلقتنا بها قبائل آنكاد بعطاطيشهم، وأظهرت من الفرح والسرور بمحال سيدنا أيده الله ما لم يعهد منها، وسكنت أنفسهم واطمأنت وزال عنهم ما كانوا فيه من الخوف والجزع، والروع والفزع، بسبب فعل ابن الأكناوى، وانحاشت إلى عاملها الطالب حميدة الشجعى، وانتظم شملها، وما بقى منها من تطمح عينه للعدو الكافر بوجه ولا بحال، كما تلقانا بتازا أخوال سيدنا الكرارمة فى أحسن زى وأعجبه بعطاطيشهم أيضا، وقاموا بمؤنة المحلة أحسن قيام وصحبتنا كافة فرسانهم ورجالاتهم وجميع أعرابهم، وما تخلى أحد عنا من هؤلاء القبائل المعتبرة، ولا أظهرت عجزا ولا تكاسلا.

وقد اجتمع من القبائل الصحراوية أيضا خلق كثير لله الحمد وله المنة، والمسلمون الآن فى غاية الظهور، والعدو من أجل ذلك ينادى بالويل والثبور.

هذا وقد بلغتنى كتب سيدى أيده الله ونصره فى شأن العدو الكافر الذى جعل طنجة نصب عينيه، واستفدت منها ما حدث بطنجة من الهرج، فإنا لله وإنا

إليه راجعون، نسأل الله ببركة سيدنا أن يجبر صدع الإسلام، ويكسر شوكة عبدة الأصنام، والمحال التى هنا فى غاية النشاط، والسرور الانبساط، وما لحقتها خصاصة ولا تلحقها بحول الله وبركة سيدى ووجوده أيده الله.

والسيد عبد القادر بن محى الدين تأخر بمن معه لملوية بألطف إشارة، وأوجز عبارة، من الطالب حميدة والشيخ حمدون بأمرنا وإشارتنا، فلم يبق للكافر الآن ما يعتذر به من جهته، والذى حققناه أن هذا العدو لا يقنع بتأخير السيد عبد القادر ولا بكل ما يفعل معه، إذ لا زال مصمما مع ضعفه الآن بالنسبة للمسلمين المجتمعين هنا على تعدى طوره إن وجد إليه سبيلا، وقد خوطب من قبل الطالب حميدة بنص ما فى التقييدة الواصلة فى طى هذا الكتاب فأجاب بالامتناع من الخروج من مغنية، والمتعين خروجه منها إذ ليس فى بقائه بها إلا الفساد، ورد هؤلاء القبائل للخوض والعناد، فيتعين اشتراط الخروج عليه منها عند عقد الصلح معه، وإلا فلا يتم كلامه ولا تحسم مادته ولا ينقطع تشوف من فى قلبه مرض إليه، ولا يستقيم مع بقائه بها أمر من أمور هذه النواحى.

وهذه القبائل عزمت على الزحف عليه وإخراجه منها وإعمال موجبات التضييق عليه من قطع الماء عنه، وأخذ من خرج منها، ومنع من يريد الدخول إليه حتى لا يقر له بها قرار، ويطلب النجاة بنفسه والفرار، وإن تمادى على البقاء بها مع توفر أسباب إخراجه منها الآن وذهبت هذه الجموع، وبقى بها مد يده بل ورجله وملك ما شاء من قرى وأمصار، وصدر منه ما لم يصدر منه فى عصر من الأعصار، فلا ينفع معه إلا الجد، ولا يخدع سيدنا بإبقاء عسته بها - أى بمغنية - فإنه يترك بها محلة لا عسة وحاصله مكائده لا يحدها حد، ولا تدخل تحت عد، وما رضى أحد من هؤلاء القبائل بإبقائه بها خوفا من غدره، وجسارته ومكره، إن تفرقت هذه الجموع وكذا الحراك قالوا: إن رجعنا وأبقينا هذا الكافر بمحله ذهب

عملنا، وظهر له فشلنا، والله يبارك فى عمر سيدى آمين والسلام فى ٢٠ رجب عام ١٢٦٠.

محمد وفقه الله بمنه آمين».

ثم إن الخليفة المذكور خيم بجنوده على ضفة وادى يسلى حول وجدة، فى ذلك البسيط الممتد من غير تَرَوٍّ ولا نظر فى العواقب، وعندما نزلت المحلة على تلك الحالة، ورأى ذلك الأمير عبد القادر، قال لهم: إن هذه الفرش والأثاث والثقلة التى جئتم بها حتى وضعتموها بباب جيش هذا العدو، ليس من الحزم فى شىء، والرأى أن لا تلاقوا العدو إلا وأنتم متحملون منكمشون بحيث لا يبقى لكم خباء مضروب على الأرض، وإلا فإن العدو متى رأى الأخبية مضروبة وإلا وقصدها ولا يرجع دونها ولو أفنى عليها عساكره، فلو أبقيتم هذه الأثقال بوادى زا، فإن كانت لكم فلا يبعد إتيانها، وإن كانت عليكم فتسلم من الأخذ وتجدون الراحة والمقام بها حتى تعودوا للقتال، ولكن لم يجد لنصحه أذنا واعية، فرجع من حيث أتى يتنفس الصعداء.

ثم إن بعض الأعراب لما رأى قائد تلمسان يريد أن يصبح الجيش السلطانى على حين غفلة، قدم على المحلة وأنذرهم بالهجوم عليه، وحقق لهم أنه ترك الجيش الفرنسى يستعد للنهوض إليهم حينا، فلم يلتفوا إليه، ولا رفعوا لخبره رأسا اعتمادا على قوة عددهم وبسالة مقاتلتهم، ولما كان الصباح أعجلهم قائد الفرقة المذكورة الجنرال (لامور يسير) الشهير عند العرب بأبى هراوة وعسكر بجيشه بمغنية، وقبل فتح المخابرة هجم على الجيش المغربى فى غلسٍ يوم الخميس ليلة الخامس من شعبان السنة.

ولما أشرف على اسلى، نظم جيشه على هيئة قلعة مركزها مئونة الجيش وأركان الجيش، تحيط بالمركز عسكر المشاة ثم الخيالة ثم القبائل الدائنة بطاعته،

وتحيط بالدائرة بطريات المدافع الخفيفية من سائر جهاتها، وأمر القائد العام لامور جيشه بالهجوم والسير على هذا النظام، ولما تراءى الجمعان ركبت محلة المخزن وكان أكثرها خيالة وأضعاف المحلة الفرنسية وتسابقت إلى اللقاء، والجيش الفرنسى محافظ على النظام المذكور لا يتحرك من مركزه حتى أحاطت به جيوش المغرب إحاطة السوار بالمعصم، صارت تصب رصاصها فيه.

فعند ذلك أمر القائد الفرنسى بإطلاق المدافع من سائر الجهات إطلاقا متواليا بلا إمهال دام العمل على ذلك ثلاث ساعات، والجيش الفرنسى لم يتزحزح عن موقفه، وما كانت الساعة العاشرة من اليوم المذكور حتى افترقت محلة المغرب ومات أكثرها، وتمزقت أوصال حماتها ـ الذين جعلوا صدورهم هدفا لمدافع مقابلهم ـ كل ممزق، وتطايرت أشلاؤهم فى الهواء وباقيهم طارت بهم خيولهم فلم ينزلوا إلا وراء نهر ملوية، وبقى الخليفة فى نحو عشرة من خاصة فرسان غلمانه، ثم سار إلى أن لحق بتازا، ثم سار إلى أن بلغ فاسا، وتقدم الجنرال (لامور يسير) بجيشه إلى مضارب المعسكر وقد كانت بقيت به فرقة من جيش العبيد والطبجية، فأبلوا بلاء حسنا، وقتلوا من المهاجرين عددا كبيرا إلى أن غلبوا عليهم، واستأصلوهم واستولى الجنرال المذكور على المعسكر بما فيه.

وعندما وصل خبر الواقعة للمترجم وهو بمراكش فخرج يطوى المراحل طيا كى يدرك رتق الفتق قبل اتساعه، ولما بلغ ثغر الرباط بلغه أن أسطولا فرنسيا يريد الهجوم على طنجة، فبعث ولده أبا الربيع سليمان فى شرذمة من الخيل لحراسة طنجة، وفى ذلك الأثناء بلغه أن الأسطول رمى طنجة بخمسة آلاف كورة فى نحو ست ساعات ودمر منها أماكن كثيرة، ثم ارتحل عنها وتركها خاوية، ومن لطف الله أن كان أهلها أخلوها قبل هجوم الأسطول عليها فنقلوا أموالهم وأولادهم للفحص.

وقد عثرت على كتابين فى هذا الشأن: أحدهما من القائد محمد عشعاش، والثانى من المولى سليمان يذكر فيه دخوله لطنجة وكيف وجدها بعد أن ضربها الأسطول الفرنسى ونص أولهما:

«أدام الله العز والتأييد والتمكين، والنصر والظفر والفتح المبين، لمولانا السلطان المعتصم بالله المعان، سيدنا ومولانا عبد الرحمن، زاد الله سيدنا عزا وشرفا ومكانة وتبجيلا وتعظيما، وسلام الله وتحياته ورحماته ورضوانه الطيبات المباركة على الحضرة المنيفة الزكية، وبعد لثم حاشية البساط الكريم، وأداء الواجب للمقام الرفيع المبجل من التعظيم، فلا ريب أن ما فعل مراكب الفرنصيص بطنجة يوم الثلاثاء العشرين من شهر التاريخ من إطلاقهم عليها وتخريبهم بعضها لا يعزب عن كريم علم سيدنا، ولا شك أن نجل سيدنا الأسعد أنهى ذلك لكريم علم سيدنا وعليه اعتمدنا، والذى نعلم به سيدنا أن عشية يوم الخميس الثانى والعشرين من شهر التاريخ خرجت تلك المراكب عن آخرها وغاصوا فى البحر الكبير، والشائع أنهم قاصدون التخريج على العرائش والرباط والصويرة، ثم يعودون لتطوان يفعلون بالجميع كفعلهم بطنجة.

ووجب أن نعلم سيدنا ليكون من أمرهم على بصيرة، ونجل سيدنا الأسعد مولانا سليمان كتب لنا أن نوجه له الكمانية[1] فنحن نوجه له كل يوم ما يستحق له ولمحلته حفظه الله، وأقر عين سيدنا به وبإخوته، ولا حركة عند اللعين الفرنصيص فى هذه الساعة للنزول فى البرّ على ما بلغنا، وإنما غايته الفساد فى المراسى، اللهم إن حدث شىء فالله يجعل كيده فى نحره، والخفيف الذى أمر سيدنا بتوجيهه لفراجى قد وجهنا منه نحو الثلاثمائة ونحن ننتظر الإبل لنوجه له الكمال وعلى الخدمة والسلام فى ٢٣ رجب الفرد الحرام عام ١٢٦٠.

الخديم محمد اشعاش وفقه الله آمين».

---

(١) فى هامش المطبوع: «ما يحتاج إليه من التموين».

ونص الثانى:

«سيدنا الإمام، المؤيد بالله الهمام، مولانا أمير المؤمنين، وناصر الملة والدين، وبعد أداء ما يجب من الإجلال والإعظام. وإهداء رفيع السلام. لعلى ذلك المقام، فقد وافانا الأمر الشريف، والخطاب العلى المنيف، فتلقيناه بالإعظام والإجلال، والمبادرة إلى أوامره بالامتثال. فإنا بحمد الله كما يحب سيدنا ويرضى من الوقوف والأخذ بالحزم فى المصادر والموارد، فالعسة داخل البلد وخارجها ليلا ونهارا على أكمل وجه من الضبط والترتيب، فالكل قائم أحسن قيام.

وقد دخلنا قبل تاريخه بيوم إلى المدينة وقصدنا النظر إلى أبراجها فظهر لنا أن إصلاحها يتيسر فى أقرب مدة، لأن رمى العدو لم يعم جميعها، وإنما كان يصيب شرفات البعض فتسقط إلا ما كان من البرج الجديد الذى طريقه مارة أسفل سور البلد الموالى للمرسى والبرج المتصل به من أعلى، فقد تهدم الكثير منهما، ودخلنا مسجدها الجديد فرأينا بسوره الموالى للبحر أثرا كثيرا من رمى المدفع له، وبسقفه أيضا وأحصى ما نزل بالمسجد فألفى ستا وثلاثين كورة، والواقع خارج البلاد شيء كثير جدا.

وقد جمع الأمين الحاج أحمد الرزينى مما وقع داخل البلد بالخصوص ثلاثة آلاف، وقد رأيناه مجموعا بالبرج الذى بإزاء باب المرسى، وأما ما وقع بالأجنة وأطراف البلد فإلى الآن لم يجمع منه شيء، وسمع أهل البلد من القنصوات بعد نزولهم ورجوعهم لمنازلهم أن ما رمى به قصمه الله ينيف على ستة آلاف بكثير، ومع هذا كله فالسلامة حاصلة بفضل الله وسعادة سيدنا.

وذكر لنا الأمين المذكور أن الكور الذى اجتمع عنده كله يصلح لوجود مثل تلك المدافع التى كان يرمى بها عندهم بالمرسى، وقرأنا كتاب سيدنا الشريف على

القائد محمد بن عبد الملك وكبراء البلد من القواد والطبجية وغيرهم، ففرحوا به أشد الفرح، وظهر عليهم من السرور والنشاط ما لا مزيد عليه، وحرضناهم وذكرناهم ومنيناهم وبينا لهم بعض ما أعد الله للمجاهدين من الأجر والمثوبة، وما ادخره لهم من رفيع الدرجات فقاموا فرحين مستبشرين، ودفعنا لهم الكتاب الشريف بعد ليقرأوه على من لم يحضر منهم ليعم الفرح جميعهم.

والقائد محمد اشعاش قد بذل المجهود، وظهر منه ما هو المعهود، فمنذ وصلنا لطنجة ورسله تترادف علينا منه من الخبز والبشماط[1] ما عم جميع المحلة، فالله يعينه على خدمة سيدنا الشريفة.

وورد علينا جسوس وكيل سيدنا بجبل طارق أمس تاريخه، فتلاقينا معه بالمحلة السعيدة، وذكر أنه راجع لمحله فورا والسيد بوسلهام ورد علينا منه كتاب يخبر فيه بأنه باحد الغربية، وأنه بنية الورود لطنجة يوم الكتب، وهذا ما وجب به إعلام سيدنا والسلام وفى ٢٧ رجب الفرد الحرام عام ١٢٦٠ سليمان وفقه الله بمنه» صح من الفتوكرافية المأخوذة من أصله الموجود بملف الفتوكرافيات بالمكتبة العامة للحكومة بأجدال من رباط الفتح.

ولما اتصل بالمترجم ما حل بطنجة تضاعف همه وغمه، وتوقع الهجوم على الثغر الرباطى، فأخذ فى الاحتياطات اللازمة، وكتب لعاملى العدوتين بالاستعداد، وصمم على المقام بالرباط، فبينما هو كذلك إذ حدث ما أوجب إسراعه بالنهوض لفاس، وما استقر به الثوى بفاس حتى بلغه هجوم الأسطول على ثغر الصويرة ومقاومة أهلها له بقدر إمكانهم، وأخيرا دخلها الأعراب النازلون حولها فنهبوا وعثوا وأفسدوا، فازداد ضجرا وضاقت عليه الأرض بما رحبت، ولم

(١) فى هامش المطبوع: «قطع من الخبز صغيرة مشوية فى الفرن».

يكن له بد من الجنوح إلى السلم التى جنحت إليـه فرنسا، لفسـاد الرعية وفزعـها وعدم توفر الدواعى.

ثم التفت لمنهـزمة الجيش الـذى كان مع خليفـته ولده أبى عبـد الله المذكور بوجدة فـقبض على جمـاعة منهم وأودعهم السـجون مدة، وأهان كـبراء، وحلق لحاهم وقطع خراجهم مدة ثم عفا عنهم.

ولما تمت المهادنة انعقد الصلح على تسوية الحـدود بين وجدة ومغنية على ما هى عليه الآن، وعلى طرد الأمير عبد القادر من حدود المغرب.

ثم بعد ذلك نهض المترجم وسار إلى أن خيم برباط الفتح، وولى عليها عبد اللطيف فرج، وأقـام به أربعة أشهـر، ثم نهض وسار إلى أن عـبر وادى أم الربيع على مشـرع بولعوان، وهنالك التقى بنجله الخليـفة أبى عبد الله المذكـور، إذ كان مخيما على دكالة بثلاثاء سـيدى أبى النور، وأمره بالتوجه لفاس وسار هو إلى أن بلغ مراكش، وما استقر به الثوى بها حـتى بلغه أن الأمير ابن محيى الدين قام فى قبائل أنجاد وتبعته أعرابهـا وبرابرها، وقاتل طائفة من أهل قلعية، وقتل منهم نحو الثلاثمائة، وسار إلى أن وصل إلى قرب تازا عازما على التوغل فى البلاد المغربية، وأنه اتفق مع بنى عـامر والحشم على الملاقـاة معه بضـفة وادى الحيـاينة ودخولهم جميعا بقصد التغلب، كذا قال بعضهم.

وعند هذا الحد أظلم الجو بين المـترجم والأمير عبد القـادر المذكور، وساءت الظنون واتسع للأوهام المجال، وشمرت على ساق شـياطين الجن والإنس للمبالغة فى الإفسـاد، فبعث المتـرجم ولده الخليفة المذكـور وأمره بنقل بنى عامـر والحشم لداخل الإيالة، فعرض عليهم الخليفة ما لديه من الأوامر فأجابوا بالسمع والطاعة، واعتذروا بأنهم ليس عندهم ما يحملون عليه رحالهم، فالتزم لهم بإعطائهم جميع ما يحتاجون إليه، وبعث معهم خيلا توصلهم إلى الأرض التى عينت لنزولهم، ثم

لما وصلوا لخيامـهم قالوا: لا ننتقل من مكاننا هذا حـتى نموت عن آخرنا، وضرب واحد منهم أحـد الفرسـان الذين وجهـوا، ولما رأوا انكباب الناس عليـهم انحازوا للغابة وقاتلوا حتى قتلوا عن آخـرهم، ولم ينج من القتل إلا النزر القليل، فقيدوا وصفدوا وحشدوا مع النساء والصبيان لفاس، ثم أمروا بالنزول بضفة نهر سبو.

ولما اتصل خبـر الواقعة بالأمـير رجع لسلوان، وأُشيع عنـه التظاهر بالعداوة للمترجم والتأهب لمحاربتـه داخل إيالته والاستبداد عليه، فوجه المتـرجم إليه جيشا بقيادة شيخ بنـى مالك ابن رباح القائد محمد بن سالم الأحـمر المالكى، وكان من كبار الأبطال ووجوه الأعيان من العـمال للنظر فى شأن الأمير ومطاردته أو القبض عليه، غـير أن القـائد الجسور لم يحـسن التدبيـر، ولا حسب حسـابا للمصـير، فبـوصوله لقصـبة سلوان صـمد جيـشه الجرار للغـارة على حلل المهاجـرين أتباع الأمير، وكانوا منتشرين بكارت وقلوعها (قلعية) فتوقف الأمير عن مناجزته وكتب إليه يتـبرأ مما نسب إليـه من البهتـان، وأقسم بصدق ولاية السلـطان بكل أيمان، وبرهن على أنه مستظل بحـمى أمير المؤمنين، مع بقية الـسيف من أبناء المسلمين، وأكثـرهم شيوخ وأيامـى، وعجزة ويتـامى، فلم يصخ القائد المذكـور لكلامه ولا التفت لاستعطافه، بل هجم على دائرة الأمير فـوقفت بقية الأبطال دونها يدافعون عن الحريم والمال، عملا بقول من قال:

وإذا لم يكن من الموت بد فعلى الحر أن يموت كريما

وبعد حـرب شديدة سقط القـائد الأحمـر قتيـلا بين الصفوف، وافـترقت جيـوشه، وقد تركوا بين يـدى الأمير معـسكرهم بما فيه من حـريم وأثقال وأثاث وأموال، فجمع الأمير ما تركوه، وعـين وفدا من الأشراف والعلماء وأعيان رجاله برياسة شيخ الجماعة أبى عبد الله محمد سقاط بن الشيخ المشرفى، وكان ملحوظا عند المترجم لكثرة تردده سفيرا لحضرته فيما مضى، وقدموا ما تركته محلة الأحمر

من الأخبية والأثقال والحريم والمتاع وتبرءوا واعتذروا عن الأمير واستعطفوا المترجم، وأدوا السفارة كما ينبغى، فقوبلوا بكل تجلة وإكرام، وتحقق السلطان براءة ساحة الأمير من أقوال المرجفين، وأحسن إلى بقية الحشم وبنى عامر وجمعهم وحملهم لمراكش، وأنزلهم بأخصب بلاد بالويدان من قبيلة الرحامنة من عرب حشم البلاليين إخوانهم، وانقلب الوفد إلى الأمير مغمورا بجود المترجم وكرمه.

ثم بعد هذا قضت الظروف على صاحب الترجمة بإبعاد الأمير عن حدود بلاده، ولم يكن له بد من ذلك بعد أن كانت بينهما محبة صادقة، ووصلة كاملة وإخاء، كم أمده المترجم بآلات الحرب، وأعانه بالأموال والملابس والصافنات الجياد حسبما بتحفة الزائر والحلل البهية وغيرهما.

ولكن لما كان للأحوال مقتضيات وللضرورة أحكام لم يسعه إلا تنفيذ ما وقع عليه الاتفاق إثر قضية أسلى، وارتكاب أخف الضررين، فجهز المترجم جيشا كثيفا بقيادة ولديه: المولى محمد، والمولى أحمد لإزعاج الأمير للخروج من إيالته أو الجنوح للصلح، وأمر جميع قبائل الناحية بمعاضدة الجيش ضد الأمير عبد القادر إنْ أَبَى مما ذكر، ونزلت الجيوش السلطانية بتازا وأقامت بها أياما، وكانت تزيد على عشرة آلاف مقاتل.

ولما علم الأمير عبد القادر بذلك بعث خليفته البوحميدى للحضرة السلطانية يطلب الصفح والعفو عما مضى، فلحق بالمترجم لفاس فأكرم وفادته، واقتبله بجنان أبى الجنود الذى صار اليوم جنانا عموميا، ولما مثل بين يديه وبلغه ما أتى لأجله أجابه المترجم بقوله: إن أحب الحديث إلى الله أصدقه، وإنى لا أقبل منكم إلا أحد أمرين: الدخول لداخل الإيالة والنزول لدينا نزول عز وإكرام، أو الخروج من الإيالة وحدودها، ولا يمكن قبول غير هذا بحال، فطلب البوحميدى الإمهال

إلى أن يخابر مرسله، فأمهله صاحب الترجمة وأمنه وأبقاه فى ضيافته، فبعث لمرسله الأمير بجواب المترجم له فأعرض عنه ولم يجبه.

ثم بعد ذلك نهض الخليفتان بمن معهما من الجيوش من تازا وساروا إلى أن بلغوا سلوان، ثم وقعت مناوشة بين جيوش الأمير والجند السلطانى، ثم ارتحل الأمير وسار إلى أن عبر الوادى فاقتفت أثره الجنود وانضمت إليها جميع قبائل آنكاد، ووقف الجيش الفرنسى بالحدود له بالمرصاد، ولم يتركوا للأمير ملجأ ولا منجى مما قدره الله وقضاه.

وهذه نسخة بطاقة لأهل آنكاد وبنى يزناسن فى ذلك نقلا عن مسودتها المحفوظة بمستودع الأوراق بالقصر السلطانى بالرباط:

«خدامنا أهل آنجاد وبنى يزناسن كافة إلخ.

وبعد: فقد وصلنا كتابكم مخبرين بما صدر من أعداء الدين من تعدى الحدود وما قابلتموهم به من الغلظة والقوة، وأبديتموه من الحمية والأنفة، وتوجيه جماعة منكم مع كتاب عاملكم ومخاطبته بالجد حتى رجع عن مراده واعترف بخطئه وتعديه، وأنصف للحق وصار ما دار بينكم وبينه منا على بال، ذلك هو الظن بكم، وهو المعهود من أهل الدين المتين، المتبعين لسبيل المهتدين، فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون، والله معكم، والحق يعلو ولا يعلى عليه، والمؤمنون أقوياء بيقينهم، موقنون بنصر دينهم، مصدقون بوعد ربهم، وكان حقا علينا نصر المؤمنين.

واعلموا أن نزول الحاج عبد القادر ودخوله بين أظهركم هو الذى جرأ أعداء الدين عليكم، وجعل وجهتهم إليكم، ولولا هو ما طرق حماكم، ولا تعمد أذاكم، لأنا عقدنا معه الصلح الذى فيه مصلحة الإسلام، وسددنا بذلك باب الفتنة

عن الخاص والعام، فإن ذلك الفتان جر البلاء لأهل الواسطة حتى جرأ عدو الدين عليها حتى جاس خلالها، وكسر شـوكة أهلها وزادهم انحياشا للكفر، وتوغلا فى الشر، بإجلابه عليهم، ونهب ما أبقت لهم الفتنة من أموالهم، وحكم فيهم بحكم الطاغوت من استحلال الدماء والأموال، وانتشار الفساد إلى العيال، فإذا ظهرت له بارقة من الكفار لجأ إلى حوزكم، واحتمى بكم، وجعلكم حجابا بينه وبينهم ليجر لكم الفتنة والوبال، ويرميكم كما رمى من قبلكم بالمحنة والخبال.

وأنتم عن دسائسـه ساهون، وعن مكره بكم لاهون، ولو عـقلتم رشدكم، وحفظتم عـهدكم، لكان أعدى الأعادى إليكم، ولعـاجلتموه بالقتـال والدفاع عن حـوزتكم، وأخرجـتـموه وأتبـاعـه عن بلادكم. ليطيب لكم العـيش، ولا يطرق الرومى حِمَـاكم، بعسكر ولا جيش، وحتى لو ظهـر من الرومى نقض لأمددناكم بجيوشنا المنصـورة، وعاجلناكم بنصرتنا المشهـورة، مع أنكم تجدون فى العدو من الوفاء ما لا تجدون فى تلك الشرذمة الفاسدة، والفئة الكاسدة.

فلا تظنوا بـهم حميـة ولا دفاعا، ولا تعـتقـدوا فيهم نصـرة ولا انتفـاعا، وانظروا ما تكرر على أسمـاعكم من وقائع غدره، وما رمى به المنحـاشين إليه من ظلمه وضره، تعلمون ما يريد بكم ولكم، وما هو جار من سخط الله إليكم، فقد كاد أن يزلزل يقينكم، ولو سـاعدتموه لبدل دينكم، فإنه حملكم على مـخالفة من أوجب الله عليكم طاعته وبيـعته فى أعناقكم، وجرأكم على عدم امـتثال أمره مع اعترافكم بالسمع والطاعة فى حال خلافكم.

هذا من فعل الشيطان إنه عدو مضل مبين، فتيقظوا لدسائسه واستعيذوا بالله من وساوسه، وأصرموا حباله ومن معه وأخرجوهم، وضيقوا عليهم بمنع الأسواق وأحرجوهم، لتعودوا عليكم بركة الامتثال، وتفوزوا برضا الكبير المتعال» هـ.

وبعد مناوشات خفيفة ختم الأمير أعماله بالتسليم للفرنسيين على شروط، ورجعت أتباعه لأوطانها، وحمل إلى فرنسا بمن معه من العيال والأتباع فى بابور وأنزل بـ (طولون) وذلك فى صفر عام ١٢٦٤ أربع وستين، وقيل فى متم عام ١٢٦٣ ثلاثة وستين ومائتين وألف، وبقى لديها فى عقال ستة أعوام.

ثم سرحه نابليون الثالث وعين له مرتبا سنويا يدفع إليه من خزينة الدولة، وأباح له الذهاب حيث شاء، فاختار أخيراً سكنى دمشق بأهله، وبها كانت منيته فى الساعة السابعة من ليلة يوم السبت التاسع عشر من رجب سنة ثلاثمائة وألف ١٣٠٠ والرابع والعشرين من إيار سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة ٨٨٣ كما بتحفة الزائر، ودفن بجنب الشيخ محيى الدين بن عربى الحاتمى.

وكان هذا الأمير رحمه الله عالمًا عاملا كاملا، راسخ القدم فى الحقائق والرقائق، وكتابه المواقف أكبر دليل على تضلعه وسعة اطلاعه، ودقة مداركه.

أما الشجاعة والإقدام فهو ابن بجدتهما، وقد عرفت له فرنسا ذلك، وقدرته قدره، وما زالت الأعاظم تنزل الأعاظم منزلتها، وقد بسط صاحبا الجيش والاستقصا وغيرهما نبأ وقائع الأمير الحاج عبد القادر وصاحب الترجمة فى حالتى السلم والحرب، ووقعت الإشارة لبعض ذلك فى تحفة الزائر تركنا جلبها اختصارا.

وقد عثرت للأمير على رسالة بعثها وهو بفرنسا إلى صاحبه البوحميدى يصف فيها حالته فى الاعتقال ومقامه بتلك الديار، ويدعو فيها للسلطان المترجم بالتوفيق والإعانة ويعذره عما صدر منه فى حقه، ويستغفر الله مما كان ونصها:

«من عبد القادر بن محيى الدين، كان الله له ولإخوته آمين، إلى أخى سيدى محمد بن أحمد البوحميدى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فإنا نسأل عن أحوالك ونرجو أن تكون فى نعمة مثلنا، فإننا فى نعم لا نحصوها، وخيرات لا نستقصوها، وحصل لنا من صفاء الوقت والبسط

وانشراح الصدر ما لا نقدر قدره، ولا نكيف أمره، نسأل الله أن تكون كذلك، وحمد الله واجب علينا لا سيما حين جرت علينا المقادير باللطف والرأفة، وسيق كل منا لما قدر له وعليه محفوفا بالعناية، فإنا لو حاولنا غير ما نحن فيه واستظهرنا بالجن والإنس والملائكة ما كان غير ما هو كائن، فلنطب نفسا ونعلم يقينا أننا فى عافية، فإنها غير محصورة فيما صورته صورتها، والحق تعالى إنما أذن لعباده فى الأسباب وجعل لهم الكسب وصورة الاختيار قبل ظهور مراده.

أما بعد إبداء قضائه وقدره، فليس لهم إلا تلقف مواقع القدر شريعة وحقيقة، وإرادتهم غير إرادة الله قريبة من الكفر، أو هى الكفر، ومراد الحق تعالى أن يتعرف لنا فى كل شىء حتى لا نجهله فى شىء.

اللهم أشعرنا لطفك حيثما أقمتنا حتى نكون بك ولك.

وإنه تعالى أوجب ما أراده فينا مثل ما أوجبه فيما أراده منا، فكما يجب علينا قبول هذا يجب قبول ذاك.

وأن عيالك وأولادك فى خير، ويصلك كتابهم مع هذا الكتاب، وأننا وقت التاريخ اطلب وزير الحرب يجمعهم معنا وأنه لا يخيب ظننا ولا يرد كلمتنا إن شاء الله، فكن على هناء منهم فى القراءة وغيرها مثل أنفسنا، وإذا تسرحنا إلى الشرق إن شاء الله نطلب تسريحهم أو ذهابهم معنا إلى الشرق وأن تسريحنا قريب إن شاء الله، فإن الجنرال ذو لا منسيار صار من عظماء الدولة وهو حبيبنا حارص على تعجيل تسريحنا.

وما أقعدنا هذه الأيام إلا ما كتبه الله لنا من الماء والطعام، فإننا فى أيام الدولة السابقة حين وصلنا إلى طولون، واسترحنا من تعب البحر، وعزموا على سفرنا، وأخذوا فى أهبة السفر وقع ما وقع من التبديل، ولما جلس فى دار الإمارة

من جاء بعدهم كـاتبوني وقالوا لى: إنك عندنا فى ضيافـة الإكرام، وقد وقع هذا التبـديل فاقبل عـذرنا فى تأخيـر سفرك حـتى يستقـيم أمر الدولة ونسـرحك لبر الإسلام، وقد استـقامت أمورهم وصلحت أحوالهم، فتسـريحنا قريب بحول الله وقوته، وجميع ما قصدناه أو ظنناه فى الفـرنصيص من الخير والإحسان والاحترام فعلوه معنا، وزادوا فوق ما ظنناه، فنحن اليوم ملوك على الحقيقة، فقد أنزلونا فى منزل سلطانهم فى قصـر يحار فيه الطرف، ويقصـر دونه الوصف، وفرش وطية، ومآكل شـهية، ومـلابس بهية، مع التـعظيم التام، من الكبيـر والصغيـر والخاص والعام، ورفـقتنا مـا بين تال وذاكر ومدرس ومـتعلم صار الشـهر عندهم كـاليوم وتيقنوا بحـسن اختيـار الله لهم، وقد بلغنا أن لك وجـها عند السلطان وفـقه الله للخـير وأعـانه عليه وأصلحـه وعلى يديه، وهذا دعـاؤنا له اليوم والأمس وغـدا ونعذره فى حقنا، ونستـغفر الله فى حقه، فإنى ما أُبرئ نفـسى وستبلى السرائر، وتجزى كل نفس بما تسعى.

فإن كان مـا بلغنا حق فاسع فى تسريح ابننا الصادق، فإن والده قـد احترق صدره، وعيل صـبره، وسرى لنا ذلك جمـيعا، وما كـان يخطر ببالنا أن السلطان يبقيـه لهذا الوقت، والأمر لله، وعليك السلام من الوالدة ومن محـمد وأمه ومن السيد الحـاج مصطفى بن التهامى، ومـن السيد قدور بن محـيى الدين، ومن قاره محمد، ومحمـد بن البشير، وبعض من جاء معنا إلى فرنسا مفترقـا معنا كمحمد ابن الخير وعن قريب يقع لهم التخيير بين المجىء عندنا وبين التسريح أينما أرادوا.

وقد خبرنا أنك شممت كافورة ومسكة فبالرفاء والبنين والكيس الكيس، ولا تكثرت بالحادثات، وسلم تسلم وتسترح وهو جنة الدنيا، وإنى أعلم أن أهم شىء عندك قراءة الأولاد فكن مستريح القلب منهم بعـد جمعهم معنا إن شاء الله، ولا

تنسانا عند ضريح الدرياق المجرب، مولانا إدريس، وعند غيره من أهل الله أحياء وأمواتا، وفى عاشر ذى القعدة الحرام عام ١٢٦٤» من كناش موثوق بما فيه.

هذا وإن مولانا الجد السلطان ابن هشام كان للأمير عبد القادر عضدا معاضدا. وساعدا مساعدا. ومعينا ماديا وأدبيا، أعان بالعين والسلاح وجياد الخيل وفاخر الملابس، سرا وعلنا ضد محاربيه.

قال فى الابتسام عن دولة ابن هشام:

إن الأمير ابن محيى الدين كان يخاطب السلطان ابن هشام بالوالد ورسائله لا تنقطع عنه، وخطب به وبعث له بالبيعة، وكان يقول إنما أنا نائب عن مولانا عبد الرحمن بن هشام، وإن السلطان ابن هشام كان يخاطبه بالولد البار وأورد كتاب أصدره المولى ابن هشام للأمير المذكور ونصه بعد الحمدلة والصلاة:

«محل الولد البار الأحظى، المجاهد الأرضى، السيد عبد القادر بن محيى الدين، أمدك الله بالعون واليقين، ونظمنا جميعا فى سلك عباد الله المتقين، وسلام الله الأتم، ورضوانه الشامل الأعم، يتوالى لديك فى المواقف، ويخصك بتواتر الأمداد الربانية والعوارف، ورحمة الله تعالى وبركاته تترى وتتوالى.

هذا وقد وصلنا كتابك الذى فاح نشرا، وأهدى بشارة وبشرى، مخبرا بما رزق الله المجاهدين من شحذ العزائم، وما توالى على الكفر وشيعته من النكبات والهزائم، فالحمد لله حمدا يليق بجلاله، ويؤذن بزيادة النصر واتصاله، فقد سعدتم والله وفزتم، وحزتم من الأجر الوافر ما حزتم، لقيامكم بفرض الجهاد المتعين، وسبقيتكم لهذا الفضل البين، فاحمدوا الله أن جعلكم ردءا للإسلام وأهله، وخصكم بالجهاد فى هذا الزمان، وألبسكم رداء فضله، واشكروه على ما هيأه لكم من السعادة، وكتب لكم من الحسنى والزيادة، فإن الجهاد مما شرف الله

به فى صدر الإسلام الصحابة، وتلاهم أهل الخير والإصابة، وجعلكم الله زهرة وعصابه، ألبسكم لبوس التقدم وأعطاكم نصابه، فنلتم شرفا ضخما وأجرا عميما، يا ليتنى كنت معكم فأفوز فوزا عظيما.

فإن الجهاد كما علمتم فضله، نغبط فيه أهله، لأنه كميا السعادة، ومفتاح الرحمة فى الغيب والشهادة، وحسبك ما أعد الله للمجاهدين فى الدنيا والآخرة، وما خصهم به من المراتب العلية والمنازل الفاخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ... ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١] الآية. قال بعض المفسرين فى إيقاع اشترائه تعالى على أنفس المؤمنين وأموالهم غاية التشريف لهم، لأنهم قالوا: إن نفاسة السلعة تعرف بثلاثة أشياء: بعظم المشترى لأن العظيم القدر فى العادة لا يباشر إلا شراء الأشياء العظيمة، وبجلالة الواسطة يجل قدر المتوسط فيه ويعظم الثمن، فإن من أعطى الجنة فى الثمن أعطى فوق الأمنية، فبان بهذا غاية شرف المجاهدين عند الله تعالى، ومن شرفهم الحياة الأبدية، والكرامة السرمدية، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩] وفى الصحيح: أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تسرح فى أشجار الجنة. وقال عليه السلام، وقد سئل عن أفضل الأعمال، فقال: الجهاد فى سبيل الله. وقال: من مات ولم يغز ولم ينو الغزو مات ميتة جاهلية. وقال: لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وقال: ما أحد يخرج من الدنيا له عند الله خير فيتمنى الرجوع إليها إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة ولوددت أنى أُقتل فى سبيل الله ثم أحيى ثم أُقتل ثم أحيى ثم أقتل. وقال: والله لن تلج النار عين حرست فى سبيل الله وعين بكت من خشية الله وعين غضت عن محارم الله. وقال: والله لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف مسلم أبدا. وقال عليه السلام: يأتى الشهيد يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك. وقال عليه السلام: رباط يوم خير

من الدنيا وما فيها. فهنيئا لكم يا معشر المجاهدين وبشرى بما لكم عند الله من الخير العظيم، والأجر الجسيم، فإن أنفاسكم وخطواتكم حسنات. وسائر أفعالكم عند الله درجات. قال الله سبحانه: ﴿ ... ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ... (١٢٠) ﴾ [التوبة: ١٢٠] الآيات. فأيقنوا بنصر الله. وصمموا عزائمكم على إنجاز وعد الله. ولا يهولنكم ما يزخرف به العدو على ألسن شياطينه من كثرة الحشود والجموع. وما يظهره من قوة ويهدد من خنوع. فإنما ذلك ترهات باطلة وتمويهات كاذبة ﴿ ... لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ... (١٠) ﴾ [المجادلة: ١٠] مع أنه بلغنا على ألسن الثقات أنه يكترى العسكر من صبانية وغيرهم ليهول بكثرة العدد والعدد، وذلك كله كسراب لا طائل تحته، وكيف يرد المزية أو يقف للموت من هذه صفته، مع أن المسلمين المجاهدين ثبتهم الله أعدادهم موفورة، وعزائمهم على قتال العدو مظفورة، وقلوبهم بما عند الله مسرورة، وهم يقاتلون على دينهم وبلادهم ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) ﴾ [النساء: ٧٦] فتأملوا قوله سبحانه: ﴿ ... كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) ﴾ [البقرة: ٢٤٩] وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ... (١٧٣) ﴾ إلى قوله: ﴿ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ... (١٧٤) ﴾ إلى (مُّؤْمِنِينَ) [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥]. وقد وهن الله كيد الكافرين فقال سبحانه: ﴿ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ (١٨) ﴾ [الأنفال: ١٨] وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ... (٦٥) ﴾ يا [الأنفال: ٦٥] الآية. فكان فى صدر الإسلام لما بدا الواحد لا يفر من عشرة والعشرون لا تفر من مائتين والمائة لا تفر من الألف، فلما كثر المسلمون خفف

الله سبحانه فقال: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ... ﴿٦٦﴾﴾ [الأنفال: ٦٦] الآية. ويحرم على المسلم الفرار من كافرين والله مع الصابرين بالعون والتأييد ولعل هذه الخرجة آخر خرجاته لهذا البر فلا نشك أن الله يجعل تدميره فى تدبيره فقد عول قبحه الله وأخزاه على الخروج من ثلاث طرق، من وهران ومن مستغانم ومن قسنطينة فى يوم واحد وساعة واحدة على ما بلغنا وذلك بحول الله سبب خذلانه وتمزيقه، وتوهين كيده وتفريقه، فإن عادة الله فى هذا العدو الأصفر مهما طغى وتمرد وتعجب فى نفسه يوبقه الله سبحانه ببغيه. ويورده موارد شقائه وغيه. كما وقع له فى مصر وغيرها وأذكرك غزوة وادى المخازن على عهد السعديين فإن أعداء الله خرجوا فى مائة ألف فارس وخمسة وعشرين ألفا وكان إذ ذاك مولاى عبد المالك لمرض كان به حين حمى الوطيس وكان أخوه مولاى أحمد مدبر أمره فهزم الله الكافرين وقتلوا وسبوا وغرقوا ولم يفلت إلا النزر اليسير ومات محمد المسلوخ الذى أتى بهم وطاغيتهم بستيان وغنم المسلمون وكراعهم وفل حد البرطقيز من يومئذ حتى الآن ونسأل الله أن يجعل هذه الغزوة نظيرتها على هذا العدو الكافر، فالصبر ثم الصبر فإن الشجاعة، صبر ساعة، وفى الحديث: الصبر عند الصدمة الأولى، وليس للكفار كبتهم الله إلا الحملة الأولى ثم يفشل ريحهم وتضعف عزائمهم، والصبر والثبات، يكسران الوثبات، ولم يكن الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم يقاتلون بكثرة عدد ولا عدد وإنما كانوا يقاتلون باليقين لإعلاء كلمة الله ورجاء لما عند الله حتى انتشر الدين فى المشارق والمغارب فاصبروا وصابروا ورابطوا وأبشروا وبشروا، وأيقنوا أن الله متم نوره وناصر دينه إنجازا لوعده الصادق، وقضائه السابق، قال سبحانه: ﴿... وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف: ٨] وقال ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم

حتى تقوم الساعة وهم بالغرب» وفى رواية بالمغرب نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإياكم منهم، فقد كان الدين عند ابتدائه غريبا فأظهره الله على الدين كله وأقسم سبحانه بنصر من ينصره فقال: ﴿... وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ... ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠] فهو تعالى المتكفل بإعزازه وإعلائه، والممد بالظهور والنصر لأوليائه، فعلينا امتثال أمره، وعليه سبحانه إمدادنا بنصره، فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون، والسلام.

قال صاحب الابتسام: انتهت هذه الرسالة من خط ابن إدريس وعلى هذا المساق الرسائل التى كان يبعث له منذ ظهر إلى أن غبر وانقطع منه الأثر هـ لفظه.

ومن تأمل بإنصاف تصريحات المرحوم المنعم الأمير أبى عبد الله محمد نجل الأمير عبد القادر المذكور فى مؤلفه تحفة الزائر صحيفة ٢٠٦. وصحيفة ٢٠٧. وصحيفة ٣١٧: علم علما يقينا صِدْقَ ما ذكرناه، ولم يبق له أدنى ريب فى حسن نوايا الجد ابن هشام وإخلاصه للأمير عبد القادر وموازرته له وطهارة سريرته نحوه، وإبدائه النصائح لسموه وسعيه فى إزالة ما ينشأ من خلاف أو سوء فهم بينه وبين غيره من المجاهدين المدافعين، ولكن لما رأى استيلاء الأجنبى على بلدان المغرب الأوسط واحدة تلو الأخرى حتى اضطر الأمير عبد القادر إلى الفرار من بلده والحلول بأطراف إيالة المغرب الأقصى ومد الأجنبى بسبب ذلك يد العداء والانتقام فى بعض الثغور المغربية وأطراف الإيالة السلطانية، وألجأ ذلك الجد ابن هشام إلى مناشبة الحرب مع الجند الفرنسى، وكان له الظهور على الجند المغربى لعدم تكافؤ القوتين، وعدم اتحاد القلوب، وغير ذلك من الأسباب التى لا تكاد تعزب عن المطالع اللبيب.

وهجمت بوارج فرنسا على ثغرى طنجة والصويرة، وقذفت أفواه مدافعها الكور عليهما على حين غفلة، واحتلت وجدة وضيقت على سلطنة المغرب برا وبحرا، وصمم الجيش الفرنسى على اقتفاء أثر الأمير عبد القادر حيث ما حل

وارتحل، والأمير عبد القادر إذ ذاك حال بتخوم الإيالة السلطانية على مقربة من فاس، وفرنسا تعلن استرعاءها على أمير البلاد مشددة فى مطاردة الأمير أو الإيذان بالحرب.

وتحقق السلطان العجز، وأن لات حين مناص، وليس بعد العيان بيان طلب أولا من الأمير الجنوح إلى الصلح حسبما فى تحفة الزائر، وأبدى له نصائح وإرشادات وتكفل له بكل ما يضمن راحته وراحة أتباعه، فأبى الأمير ذلك كل الإباية، كما فى تحفة الزائر.

ثم طلب منه بعد ذلك مبارحة إيالته التى أصبحت فى خطر عظيم، تهددها القوة الأجنبية برا وبحرا وفى هذه الظروف الحرجة صدر من المهاجرين من بنى عامر - الذين كانوا ارتحلوا لبلاد السلطنة المغربية مغاضبين فآواهم السلطان وأكرم وفادتهم ونزلهم وأقطعهم أرضا للحراثة ذات أهمية كبرى وبسائط خصبة - ما صدر من مقابلتهم الإحسان بالإساءة، ووقع الهرج والمرج بسبب ذلك داخل الإيالة وفى أطرافها والقلوب مندملة، وفتنة الودايا ومن شاكلهم حديثة عهد، واتسع للمرجفين ومن فى قلبه مرض المجال.

فلم يبق والحالة ما ذكر لأمير البلاد بد من القيام على ساق فى إعمال اللازم فى إطفاء ما تأجج من نيران الفتن، ودفع الضرر المحقق لحوقه لقطره المغربى، ورعيته المسئول عنها قبل أن يحيق بهما ما حاق بجيرانها أهل تلمسان وغيرهم، وقد تحقق من نفسه ومن إيالته عدم القوة فى ذلك الوقت على التسرع للحرب، وأن الإقدام على ذلك والحالة ما ذكر غير جائز سياسة وعقلا وشرعا.

قال ابن يونس فى ديوانه الذى قيل فيه إنه مصحف المذهب. . التسرع فى غير قوة يورث النكث، أخّر الحرب ما استطعت، فإن النفقة فيها من النفوس هـ.

وقد اضطر سلطان المغرب لما ذكر، وشرح للمهادنة وعقد الصلح مع فرنسا وقبول شروطها فيه، إذ يتعين على المكلف بالنظر فى مصالح المسلمين الاهتمام بدرء المفاسد أكثر من الاهتمام بجلب المصالح وسد أبواب الخرق الذى يتسع على الراقع، ولا خلاف فى جواز الصلح مع العدو وإن كان طالبا إذا دعت الضرورة لذلك إبقاء على المسلمين وبلادهم، وأن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

وقد نقل الشيخ بنانى فى الفتح الربانى لدى قول خليل المبين لما به الفتوى: وللإمام المهادنة لمصلحة ما نصه ابن عرفة المازرى، لا يهادن الإمام العدو بإعطائه مالا لأنه عكس مصلحة شرع أخذ الجزية منهم إلا لضرورة التخلص منه خوف استيلائه على المسلمين، وقد شاور عليه السلام لما أحاط القبائل بالمدينة سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فى أن يبذل للمشركين ثلث الثمار، فلو لم يكن ذلك جائزا عند الضرورة ما شاور فيه هـ إلخ. ومقتضى الاستثناء فى قول ابن عرفة أن لا محذور فى المهادنة مع الضرورة، قاله سيدى عيسى السجستانى فى أجوبته هـ.

ومن قواعد مذهبنا المالكى الضرورات تبيح المحظورات، وما شرحناه هو حقيقة الواقع، والحق أبلج، وقد ذهب المغرضون فى نشر هذه الأحدوثة التى هى من أعظم المواقف فى تاريخ المغربين كل مذهب، وعند الحق الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، تجتمع الخصوم وتنكشف الحقائق ويقتص من الظالم والمظلوم.

هذا وفى عام ١٢٦٠ كتب له بما نصه من أصله:

«المقام الذى أعلى الله قدره. وشرف فى العالمين ذكره، مولانا الإمام. خلاصة آل الرسول عليه الصلاة والسلام، جلى المناقب، وجميل العواقب، أمير المؤمنين. المجاهد فى سبيل رب العالمين، محل اليمن والأمان، ومعدن الخير

والإحسان. سيدنا ومولانا عبد الرحمن، لا زالت مواهب الله على قلبه هائمة الانسجام، وعوارف معارفه دائمة الازدحام، وسلام على تلك الحضرة العالية بالله ورحمة الله وبركاته وتحياته دائمة متوالية.

هذا وقد وصل كتاب مولانا الشريف. العلى القدر المنيف، فاستفدنا منه سلامة سيدنا التى تحمد وتشكر، وتذكر ولا تنكر، أدام الله وجودكم للمسلمين، وأبقاكم رحمة للعالمين، وما ذكر سيدنا من قدومنا وانتداب المسلمين للجهاد فما قصرنا فى ذلك بوصولنا تلاقينا مع هؤلاء القبائل، وقرأنا عليهم أمر سيدنا وأجابوا بالسمع والطاعة، وشرعوا يتهيئون للحركة، وبعثنا أمر سيدنا لزيان، وكنا فى انتظارهم فنحن على ذاك، إذ سمعنا بخروج سيدنا من الرباط، فلم أدر ما السبب فى ذلك؟ والتبس علينا الأمر، وبلغنا خبر جيش وجدة، وكذلك خبر الصويرة وما حل بأهلها، فتأسفنا على ذلك الغاية، والحمد لله على سلامة ولد سيدنا سيدى محمد ففى سلامته سلامة المسلمين، والعاقبة للمتقين.

ولما وصل كتاب سيدنا زال اللبس علينا وهانحن بصدد القدوم مع المجاهدين، وانتداب من طابت نفسه من المسلمين للمحل الذى أمر به سيدنا بإثره عاجلا إن شاء الله، مستعينا بالله وعلى محبتكم وودكم، سائلا دعاكم وملتمسا رضاكم حالا ومآلا، والسلام على سيدنا ورحمة الله، وفى ٩ رمضان المعظم عام ١٢٦٠.

محبكم ابن داوود بن العربى لطف الله به».

ومما كتب به للبعض من إيالته فى الموضوع أصله بملف أوراق الحدود المغربية الموجود بمستودع الأوراق بالحضرة السلطانية، من الرباط، نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«خدامنا الطرافى الباقين مع جماعة المسلمين، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد بلغنا انحراف إخوانكم عن الإسلام ودخولهم فى حزب الكفر وشيعته، واختيارهم للكفر عن الإيمان، نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى، وركوب ما يجلب سخط الله اليوم وغدا.

وقد كتبنا لكم هذا الكتاب غيرة على جانبكم وموعظة لكم ولإخوانكم، فإذا قرأتموه تقدموا لإخوانكم بالتذكرة والموعظة، وحذروهم سطوة الله وغضبه النازل على من والى الكفر وشيعته، وبالغوا فى تذكيرهم ووعظهم لعل الله أن ينفعهم بذلك فيستيقظوا من غفلتهم ويرجعوا من ضلالتهم، ففى الحديث: لأن يهدى الله بك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس، وإياكم أن يستفزكم العدو الكافر بخداعه، فإنما ذلك كالسراب سيضمحل عن قريب، فعضُّوا على دينكم بالنواجذ، وأخلصوا النية فى جهاد عدوكم بحسن يقين بنصر الله وإعلاء دينه على الدين كله بوعده الصادق، وقوموا على ساق الجد فى مقاطعة الكافر، ومصارمة أهل شيعته، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ... ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١] وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٦].

ونأمركم أن تكونوا يداً واحدة، ونفسا متحدة مع البركة السيد الشيخ بن الطيب البكرى، فإن المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضا، وقد أمرناه أن يصلح بينكم وبين إخوانكم قبائل الصحراء، حتى تكونوا معهم يداً واحدة على أعدائكم كما كنتم من قبل، لتربحوا وتنجحوا، ولا تقصروا فى إرشاد إخوانكم حتى يرجعوا إليكم ويعمروا البلاد معكم، فإن الفرنصيص لا يأنفون من هذا ولا يكرهونه ولا يتعدون الحدود، ولا يطمعون فيمن هو من إيالتنا وإيالة أسلافنا قدسهم الله، وذلك لما جددنا معهم من الهدنة وعقدنا من المصالحة والسلام وفى ٣ رمضان المعظم عام ١٢٦١».

وفى عام ١٢٦١ كتب لمجاط بما نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير:

«خدامنا قبيلة مجاط كافة وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد كان أخبرنا خديمنا ابن حد الشعيوى، بأن الخارجين عليه من إيالته رغبوا فى الرجوع إليه، والبعض من إيالة وصيفنا الجيلانى بن بوعز ذبحوا عليه راغبين فى الدخول فى ولايته، فوجهنا كتابنا صحبة وصيفنا المعطى الزعرى لاختبار صحة ذلك من عدمه، لأنا نريد لكم الصلاح والسكينة وما يعود عليكم بانتظام الأمر وحسن الخدمة وصلاح الأحوال، ولو علمتم ما نحب لكم من الخير ونؤمله لكم من الصلاح لبذلتم أنفسكم وأولادكم فى الطاعة والخدمة، وعليه فها نحن أقررنا وصيفنا الباشا المذكور على من كان فى ولايته، ومن رغب فى الانحياش لإيالته منكم، وأبقينا خديمنا القائد محمد بن حد الشعيوى على من بقى معه حسبما بالرسم المشهود عليكم، ونأمر الكل بالسمع والطاعة وحسن الخدمة والاستقامة، ومن حاد منكم عن الخدمة ورام نقض ما شهد به عليه فلا يَلُمْ إلا نفسه، ولا يضر إلا رأسه، وفقكم الله والسلام وفى ٢٨ محرم الحرام فاتح عام ١٢٦١».

وكتب للفقيه القاضى سيدى محمد بن عبد الهادى فى شأن شراء الأصول بتافيلالت بالطابع الصغير بداخله «عبد الرحمن بن هشام الله وليه» بما نصه:

«ابن عمنا الفقيه سيدى محمد بن عبد الهادى أعانك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فقد بلغت موجبات بيع المواضع التى أراد مولاى اليمنى بلغشى وحفيده بيعها وتقويمها بسوم الوقت صحبتهما، ولم نشتر شيئا من ذلك، إذ لا

يشترى الأصل من لم يكن عنده من يقوم بصيانته وحفظه وخدمته، فقد بلغنا ما يقع فى أصلنا هناك من تفريط الخدام والوصفان فيه وعدم خدمته وتعريضه للتلف وضياع غلته، وليس من الرشد أن نعمد إلى شراء أصل آخر ونعرضه للتلف أيضا، فإنما يشترى الأصل ويغتبط بزيادته من عنده من يقوم على حفظه وخدمته من ولد أو ابن عم أو خديم أو وصيف حازم، والله يعينك والسلام فى ٣ رمضان عام ١٢٦١».

وفيها اخترع العسكر على الهيئة المنظمة وضمه إلى جيوشه وكلف بتنظيمه على نسق النظام التركى عامليه اشعاش وازطوط، ولكن لم يتم بذلك أمر لأنفة الناس مما لم يألفوه، وما انتظم فى ذلك السلك غير من لا يؤبه من أخلاط الرعاع، فارتكبوا ما هو من شأنهم من كل شنيع، فاغتاظ المترجم بذلك وأمر بتركه وإبطال العمل به.

وفيها وجه عامله على ثغر تطاوين سفيراً لفرنسا، وفى معيته جماعة من أعيان الثغر المذكور، ووجه معه وحوشا وخيلا وطرفا واحتفلوا لمقدمه بباريس احتفالا عظيما، وبالغوا فى إكرامه، وقاموا بضيافته أتم قيام، وأطلعوه على معامل السلاح والمقومات الحربية، ثم بعد قضاء المأمورية التى توجه من أجلها وأوبته للحضرة السلطانية ورد باشدور فرنسا لرد الزيارة والسلطان يومئذ بمراكش، وكان نزول الباشدور المذكور بثغر الجديدة فى مقدمه هذا سادس عشرى قعدة عام اثنين وستين، ووصوله لعاصمة الجنوب فى الثانى عشر من ذى الحجة، وورد فى معيته من أهل طنجة والجزائر خمسة عشر رجلا، ومن الفرنسيين تسع وعشرون، ومن اليهود عشرة، فأكرم وفادته وأنزله بالبستان المعروف إلى اليوم بالمأمونية، ورتب له جراية وافية مياومة أربعة رءوس من الضأن، ونصف ثور، ومائتى خبزة، وخمسين

دجاجة، وثمانية أرطال من الشـمع، وما يناسب ذلك من السمن والزيت والخضر والحليب والزبد.

وفى اليوم الثالث من أيام وصوله صدر إلـيه الإذن بلقى السلطان، وفيه كان اقتباله له أمام قـبة الصويرة الشهيرة بعاصمـة الجنوب، والمترجم ممتط ظهر جواده، والجيوش والوزراء وأعـيان الدولة مصطفة عن اليـمين والشمال، ثم تقدم السـفير وقدم مـا أتى به من الهدية ستـة مدافع نحاسيـة من الطراز الجديد محـمولة على كراريط مزخرفـة، وما يحتاج إليه كل مدفع من الإقـامة، وأربعة أفراس من إناث الخيل العتاق، ثم ناول الكتاب الذى أتى به للحضرة السلطانية فناوله السلطان لقائد مشوره فـفتحه وناوله للترجـمان فقرأه أمام صـاحب الترجمة، ولما ختـمه وأحاط المترجم علما بما حواه كان من جملة ما شافهه به أن قال له: سنكون معكم على ما كان عليه أسلافنا وأنتم جيراننا لكم علـينا حفظ الجوار، وقد كنا قبل نسمع عنكم ما لا يليق، أما اليوم فقد تحققنا صدق محبتكم فى جانبنا.

وإننا مستعدون لقضاء شئونكم، ثم دخل جنانه، ورجع السفير لمحل نزوله، هذا ملخص ما أفاده بعض من شاهد ما ذكر من حذاق الكتاب فى مقيداته، وكان إبحار هذا السفير من ثغر السويرة، كذا قال بعض كتاب الدولة العبد الرحمانية فى بعض مقيداته.

وفى عام ١٢٦٢ كتب لأبناء عمه بما نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«أبناء عمنا الأشراف، أهل قـصبة سيدى ملوك، وفـقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابكم، وعرفنا مضمنه وما ذكرتم من حطنا من قدركم، وأنا لم نجركم مـجرى أسلافنا الكرام قـدسهم الله من الاعـتناء بكم، والدفاع عن

حوزتكم، فمعاذ الله أن يصدر ذلك منا، وحاشا الله أن نسلمكم أو نهملكم مع أنكم من خيار أبناء عمنا وأرضاهم وأحظاهم لدينا، وما طلبتم من أمرنا الشريف بتقويم بلادكم لتبيعوها لجانبنا العالى بالله، وتنتقلوا منها لسكنى مراكشة حيث تخيرتموها لشبهها بالصحراء، فاعلموا أن بلادكم لا تصلح إلا لكم، وعن قريب ينجلى هذا الغبار، ويأخذ الله أهل الفساد الفجار، ويرجع المخزن إلى نصابه، والصلاح إلى أحزابه، فإن مع العسر يسراً، إنَّ مع العسر يسراً، والسلام وفى ٢٤ ربيع الأول عام ١٢٦٢».

وفى عام ١٢٦٣ كتب لولده الخليفة بما نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير:

«ولدنا الأبر الأرضى، سيدى محمد أصلحك الله ورعاك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فيرد عليك كتابان لولد الشبلى فى شأن خديمنا الحسين الجروانى، طالعهما لتكون على بصيرة فى أمره، فقد عجز الذين معه عن مقاومة بعض زمور ولم يقوموا به، فكيف بعداوة بنى مطير! والعاقل لا يرتكب ما لا يقدر عليه، ولا يسعى فيما يجر الغلبة إليه، فلا بدّ اسعَ فى إطفاء نار الفتنة الثائرة بين القبيلتين، وباشر الصلح بينهما حتى تضع الحرب أوزارها، وتذهب الشحناء بين الفئتين.

وقد تواتر لدينا من كتب العمال ولد الشبلى وغيره، ارتكابه للخوض والسعى فى إثارة الغوغة على العمال ومواعدة فسدة القبائل بالولاية، حتى تشوف لذلك كل قاطع ومارق، وأن الواقع فى بنى حسن، إنما هو بسببه لسعيه فى ولاية العامرى بن إدريس وتسريحه، وقد كان حاول ذلك لما كان هنا وتكلم حتى فى هذا أخ عق أرح الذى وجهنا، ولم نساعده على شىء من ذلك، ولما قدم وجد فيك محل قبول لذلك ومساعدة، ونحن لم نكره ولاية العامرى، واستقامة بنى

حسن معــه، لأنه ولد الدار وله، ولسلفه صالح خــدمة ونصيحــة وقدم صدق فى الحزم والنجدة، غــير أنه خلط ولم يتبع سيرة سلفــه وتخلق بأخلاق البربر وآثرهم على العربية، وأراد جعل قدمــهم على رقاب بنى حسن، وسعى فى وطئهم بهم، وجعلهم مخزنا عليهم مع فسادهم، وخــصهم بإعطاء جيد خيل بنى حسن وتفريق مال الله الذى جــمع عليهم، وجــعلهم وزره وحاميــته، حتى أعــلام المخزن التى كانت عنده أعطاها لزمــور، ورضى بالدنية لهم التى لم يرضها أســلافه من قبل، حتى عقد حلف الطاطة معهم، الذى لا يــرضى فعله ذو نفس أبية، وهمة عربية، من ارتكاب عادتهم الجاهليــة فى ذلك من الاجتماع معهم على طعــام مخصوص، والمشى إليــهم حافــيا عــارى الرأس، ليكمل العــقد ويطــمئنوا إليــه، ويصيــر من جملتهم، وقد اقــتدى به إخوانه وغيرهم، وتخلقوا بهــذا الخلق السيئ الشيطانى، وقد كان بنى حــسن أشداء على عداوة البربر، ســاعين فى قمعهم، مــثابرين على قتالهم، لا يرضون بجعل العــافية معهم فضلا عن مؤاخاتــهم ومحالفتهم، وبذلك صلاح زمور واســتقامتهم، فــانظر إلى ما رجعوا إليه اليــوم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، مع أنه من المعلوم المجرب أن ولايته عليهم لا تعقب إلا بالفتنة والاضطراب، كــالواقع الآن وسعى الجــروانى فى هذا وشــبهــه ليس فــعل عمــال النصيحة وولاة الصلاح.

وقد سرى ذلك حتى دخل فى الغرب، فقــد لقيه الحباسى بمكناسة، وأهدى له بغلة ووعده بالولاية، وصار يشنع ذلك ويشيــعه فى آذان العامة مع سكون أهل الغرب ورضــاهم بولاية عاملهم لمــا مسهم من الراحــة وعمــهم من العفــة وحسن الملكة، وأعلمناك بهذا كله لتكون على بصيرة، وتنظر فــيه بحسن النظر، وتتنبه لما وقع وصدر، وتكشف عن حقيقة ذلك وصحته من عدمها، ونحن الآن نراعى أمر الفتان الحاج عبد القادر، فقد بلغنا استفحال أمره، وانتشار ضره، ونريد من يسعى

في أمر الألفة والجماعة ما أمكن، ليكون ذلك عونا على ما يحاول من اجتثاث أصله، وحسم مادة إفساده، ولا شيء أعون على ذلك من إصلاح القبائل، واستقامة خدمتها، وهذا الحباسى لا يبعد وقوع هذا منه لخفته وطيشه.

فبوصول كتابنا هذا إليك، وجه عليه كأنك احتجته لغرض، ووجهه موكلا به من يحفظه من غير كبل ليد اشعاش لتطوان، ومره بتثقيفه كما كان عبد الله بن القرشى عنده وعند والده من قبل، وهذا الأمر لا تظهره للجروانى، ولا يشم له رائحة، إذ ربما يسوء ظنه لأن طبعه جاف يأبى قبول النصح ويشمئز منه، إنما أردنا بهذا كله تبصرتك وتنبيهك لتتفطن وتكون على بال، والسلام فى فاتح جمادى الثانية عام ١٢٦٣».

ثم كتب له بما نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير:

«ولدنا الأبر الأرضى، سيدى محمد أصلحك الله ورعاك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا بسلامة تلك النواحى وسكون قبائلها وانتفاء ما كان من الخوض والاضطراب فيها، فالحمد لله، فهذه النواحى كذلك، زاد الله المسلمين صلاحا وألهمهم رشدا ونجاحا آمين، وقد وصل كتاب ولد أب محمد مخبرا بما أعقب قتال فسدة غياثة من دخول الرعب فى قلوبهم وقلوب جيرانهم، حتى قدموا عليه راغبين فى معونة المحلة لظهور ثبات الجيش السعيد، وإقدامه وفتكه فى المتجاسرين عليه، وعلمنا من جوابه عتابك له على الواقع، ولعل ذلك خير، فإن غياثة لئام لا ينبغى إلا أن يقابلوا بالجد والقوة، وأن يهانوا ولا يكرموا، وليسوا أهل مكرمة، إن قوبلوا بالبشاشة واللين رجعوا وراعوا بل عند ذلك يزدادون جسارة وتعنتا:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته   وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وإنما اللائق هو مقابلتهم بالشدة، وأخذهم بالعنف، ليلزموا طورهم، ويعرفوا قدرهم، فقد جربناهم وخبرناهم، وتعرفنا ذلك من طباعهم أهلكهم الله، ومع هذا النازل بهم ورغبتهم فى الصلح لا تركن لما أظهروا ولا تغتر بسكون الفتان، وخذ الأهبة والاستعداد بعمارة تازة وشحنها بالرماة النفاعة، التى تكون حامية ومنعة، مثل رماة العرب دخيسة مائة، وأولاد نصير مائة، وذوى منيع خمسون، والشجع خمسون وثلاثمائة أو أربعمائة من رماة الجبل إيالة الصنهاجى وفرجى.

ورتب لهم الكفاية، فإن الرماة أكثر معونة وأقل مئونة، حتى إن كان الطول يملهم اجعل لهم الإدالة يتبدلون بعد الشهر أو الشهرين، ولا يلحقهم ملل ولا ضجر، وهذا العسكر النظامى حيث ظهر ثباته وإقدامه ونكايته فى العدو استكثر منه على قانونه وإعداد عدته، وقد أخبر ولد أب محمد أن سبب اضطراب تلك القبائل هو ما ألقاه الوزغ ولد بوزيان مما كنا منيناه به، حين كان بحضرتنا الشريفة، وذلك إنما كان منا على وجه المدافعة والوعد، حيث أكثر الإلحاح والرغبة، وإلا فأى فائدة ظهرت على يد الكرارمة، وأى عائدة عادت على الدولة منهم حتى يجابوا لما طلبوا! وما أفسد قلوب تلك القبائل وكفرهم فى المخزن إلا ولايتهم لما يرتكبونه فيهم من العسف والظلم والبغى الخارق للعوائد حتى يختاروا الكفر عن عودهم لولايتهم، فكيف بالدخول فى حزب الفتان! فذلك أيسر عليهم من تحمل أعباء ولايتهم.

وانظر ما نتج منهم من كثرة الإرجاف وإلقاء الرعب فى القلوب مما سودوا به الصحائف، وطولوا وهولوا وخوفوا من أمر الفتان، وأنه قادم لتازة لا محالة، وطلبهم للمدد والخيل والعدة والمعونة بالعسكر وغيره.

وقولهم في مكاتبهم: إنه قال لهم إن أردتم الخير لأنفسكم تنحوا عن الطريق، وإلا فسيحل بهم ويحل، وذلك فتٌّ في عضد المخزن وشيعته وإرجاف، حتى كأنهم ينادونه هلم فليس هناك من يلقاك، أهلكهم الله وزادهم ذلا وهوانا، فلا أضر على الدولة منهم، فإنهم الذين ربوا هذه الفتنة بإيواء الفتان ودائرته، وإظهار الإشفاق عليه والترغيب في الإحسان إليه، وأن ليس مراده في شيء إلا الحماية والمعيشة وهو يسر حسوا في ارتغاء، حتى برز منه ما برز ولحقهم من شؤمه ونحسه ما صيرهم عالة ﴿... وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ... ﴿١٨﴾﴾ [الحج: ١٨].

وما ذكر على شأن الجيلاني بن العواد والشافعي وعدم نجح سعيهما في تلك الناحية، فالأمر كذلك، فالأول قائد فتنة لا زال لم يغسل عارها، وسبب محنة أصلاه نارها مع خبث لسانه وعدم إحسانه، وأما الشافعي فلا يعرف صرف أهل تلك الناحية ولا الكلام معهم، لأن صرف الشاوية وكلامهم بخلاف هؤلاء، والموجه لهم ينبغي أن يكون به عارفا.

واندب لكل مهم أهل بلواه.

وفي تكليف ولد أب محمد بذلك غنية فإنا نعرفه في حال الخلافة خيراً دينا مع محبة وصدق لهجة، فهو أولى بالمباشرة وأحق بالتكليف، وقد مارس قبائل تلك الناحية وعرف أهلها وصرفها وحمد مسعاه وحنكته التجارب، والله ولي التوفيق والسلام في ٦ رمضان المعظم عام ١٢٦٣».

وفي سنة ١٢٦٦ كتب بعض أولاد سيدي الشيخ للقائد حميدة الشجعي يخبره بحالة قبائل الحدود بما نصه ومنه تعلم بعض الأسباب التي اضطرت المترجم إلى ارتكاب ما قدره الله وقضاه:

«محبنا الأرضى، الرئيس الأعز المرتضى، القائد السيد حميدة بن علي، أعانك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه الأعم وتحياته.

وبعد: فإننا والحمد لله بتمامه لازلنا على عهدكم ومحبتكم، نسأل عنكم ونحبكم وندعو لكم، لكن بقى القلب متعلقا من أجلكم حيث لم يأتنا من لدنكم كتاب ولا جواب مع قربكم منا ومحبتنا معك راسخة لا يفصمها عارض من العوارض. . . . وأما خبر هذه الناحية فالسكوت عنه خير من الخوض فيه، فقد تراكمت أهوالها واشتدت أزمة الفتن حتى وصلت حدها، وخافت الناس سطوة العدو الكافر دمره الله، وهابوه لذلك لا سيما حيث أمنوا انتقام المخزن وعدم قيامه لديهم، فجدوا فى الفساد واتخذوه سبيلا، وامتلأت بلاد الله بغيا وفسادا، وأكل القوى الضعيف، ولم يبق خوف ولا حياء إلا من الكافر لا غير، فلما ثار ذلك وشاع لديهم ذهب ميعاد المهاية بفرسهم وهديتهم للكافر يطلبون الأمان لأنفسهم، فتبعهم كثير من القبائل كبنى حمليل، وبنى بوحمدون وغيرهم، فأمنهم الكافر وأجابهم بما يقتضيه ظاهره، كما كانت عادته وباطنه على دغل يترقب الفرصة وينتهزها مهما وجدها، والناس فى وجل منه، والفساد بينهم لا حدّ له.

فأهل أنجاد يشنون الغارات على أطراف وجدة وبنى مطهر أكلوا مال بنى وكيل وبعض مال المزاوير معه بوترفاس بنفسه ولم يبق حسن ولا محسن، والجهة التى تلى الحدود كلها التجأت لإيالة الرومى ما عدا بنى يعلى مع أنهم بقوا فى حيرة من عدم الملتجأ، فهذا وجه ما عليه الناس فى نواحينا كافة، نسأل الله السلامة لديننا ودنيانا آمين، وحامله الطيب الطرشى منا وإلينا استوص به خيراً بارك الله فيك وأعانك، وعلى محبتك وعهدك والسلام فى ٢٨ ذى الحجة الحرام متم عام ١٢٦٦، ويسلم عليك أخونا كاتبه صح منه حمزة بن الطيب لطف الله به» من ملف أوراق الأمير عبد القادر المحفوظ بمستودع الأوراق بالقصر السلطانى بالرباط.

وفى عام ١٢٦٦ أحدث المترجم المكس أولا فى الجلود فقط بفاس وغيره من الأمصار، وذلك على يد المصطفى بن الجيلانى الدكالى، والمكى القباج ثم أحدثه فى البهائم ثم تفاحش أمره من بعده.

وفى عام ١٢٦٧ أصدر ظهيرا نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الصغير:

«يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره أننا أمضينا للتاجر الحاج قاسم حصار السلوى وشريكه ولد المسعودى بيع كنطردة الثيران التى يسقها جنس اللنجيز من طنجة وتطوان حرسهما الله تعالى مدة من عام واحد، يأتى من تاريخه على أن يؤديا لبيت المال عمره الله عشرة آلاف مثقال، الحق بالطرة وشريكه ولد المسعودى والسلام فى ١١ ربيع الأول عام ١٢٦٧».

وفيها كتب بعضهم للقائد فرجى باشا فاس الجديد واحد وصفان السلطان سليمان المتازين كان بمثابة أحمد مولى إتاى، وكان له نفوذ شاسع ومكانة عالية فى الدولة العبد الرحمانية، ونص الكتاب بلفظه بعد الحمدلة والصلاة:

«أدام الله سعادة الباشا الأمجد، الفارس الأنجد، الوجيه النزيه، الأفضل النبيه، الماجد الأكمل القائد فرجى أدام الله عزك بوجود مولانا المنصور بالله، وسلام تام شامل عام عليكم ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وأبد ملكه.

وبعد: فليكن فى كريم علم مولانا أدام الله عزه أننا لما توجهنا لهذه الناحية ما رأينا إلا الخير الكبير ببركة وجود مولانا أعزه الله، حتى وصلنا لعيون سيدى ملوك فالتقوا بنا كبار بنى يوناسن والنجع وهوارة وفرحوا بنا كلهم فرحا كبيرا، ومانونا مئونة جيدة، وسرنا لوجدة فلما دخلنا والتقوا بنا أهلها سلموا علينا ومانونا مئونة ضعيفة ونفروا منا نفورا تاما خاصتهم وعامتهم، فغفلنا عنهم حتى ننظر مرادهم.

فلما كان بعد وصولنا بثلاثة أيام قدم[1] كبار بنى يزناسن وشيخهم الحاج ميمون ليسمعوا أوامر مولانا المنصور بالله، فلما دخلوا عندنا اجتهد[2] أهل فى إقامة الفتنة وساروا يترددون فى الهجوم علينا وعليهم حتى لصبيحة غد خرج للسوق بعض من قدم معهم من أهل وجدة الفارين من البلد، فدفعوا عليه وهجموا على القصبة عن آخرهم بالعدة والسلام والبارود، وطلعوا على الأسوار واستولوا على القصبة، والتجار ينادون بالشرع ويستغيثون، ونحن نطفئ ذلك بأنفسنا، حتى قدم بعض من أشياخ العرب، فركبوا وركبنا، وخرجناهم سالمين، وحضر لطف الله فى الدماء والأموال والحمد لله، ولما وقع ذلك اجتمعوا بنى يزناسن وجميع عرب آنكاد وتعاهدوا على أن من حاد منهم عن خدمة المخزن يحرقوه أو يقتلوه واجتمعوا أيضا أهل وجدة وتعاهدوا على الفساد والعصيان، وساروا يكاتبون الرومى دمره الله بما لا يليق، وهذا بإشهاد جميع التجار وغيرهم من أهل العدل والصلاح وهذا ما وجب به إعلام مولانا أدام الله عزه والسلام وفى ٣ شعبان الأبرك عام ١٢٦٧».

وفى عام ١٢٦٨ كتب بما نصه وهو يدل على اهتمامه بكل شىء بعد الحمدلة والصلاة والطابع الصغير:

«وصيفنا الأفلح بريك الحبشى، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فيرد عليك صحبة حامله اثنتان وثلاثون جلاسية[3] من الخليع البقرى، فيها ثلاث من البطون، فنأمرك أن تدفع لولدنا مولاى سليمان ثمان جلاسيات، ولمولاى عبد الله أربعا، ولمولاى الحسين أربعا، ولابنتنا زوجة سيدى

---

(١) فى المطبوع: «قدموا».

(٢) فى المطبوع: «اجتهدوا».

(٣) فى هامش المطبوع: «أوانى خزفية معروفة».

المهدى بن العربى ثلاثا، ولأختها زوجة مولاى الظاهر ثلاثا، والباقى وهو عشر جلاسيات ادفعهم لدارنا بآبار، واجعل ذوات البطون فى عددها لا فى عدد ما أمرنا بإعطائه، وحظ مولاى عبد الله ومولاى الحسين ادفعه لهما ولا يتصرفان فيه، بل أبقه تحت يدك حتى يدخل كل واحد لمحله، لأن مئونتهما اليوم من دارنا، كما يرد عليك صحبة الحامل المذكور أربعة قناطير من الزيت، ادفعها للدار تكون بالخزين أيضا، ومنه تكون عولة مولاى سليمان والسلام فى ٢٥ صفر عام ١٢٦٨».

وفيها كتب القائد محمد بن عبد الصادق للمترجم بما نصه بعد الحمدلة والصلاة:

«بعد تقبيل بساط سيدنا المنيف، ولثم قدمه الشريف، ثم الإعلام لمولانا أن الرومى دمره الله لما كتبت له قبل ورود الأمر الشريف، وطلبت منه أن لا يترك عساكره هناك، وأن ينهض من محل نزوله امتثل، لكن عدو الدين لا يؤمن بقى بمحله بعد بعث من حيز عليه من غير مضرته لشىء وقوله لا ينهض حتى يتلاقى مع عبد مولانا، ويجعل معه العقدة التى يكون فيها الصلاح للدولتين، ثم بقى على حاله المذكور إلى يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شعبان الأبرك ونهض لمرس قربه من قبيلة بنى يزناسن، إلى أن وصل ولم يجد الحال حينئذ من أهل القبيلة المذكورة بالمرس المذكور إلا شرذمة قليلة من بنى خالد وبنى منقوش نحو المائتين، ومنعوه النهب من المرس المذكور وقاتلوه قتالا عظيما وردوه على عقبه، ومات من الجانبين من مات وانجرح من انجرح، ورجع لمحل نزوله.

ويوم الأربعاء من شهر الله رمضان وافانا نجل مولانا السعيد مولانا العباس بالمحلة السعيدة لتفرسيت، ولاقيناه بالفرح والسرور الواجب وكثرة المئونة، وساعة وصوله ورد علينا رقاصيص من وجدة وبنى يزناسن يطلبون التعجيل بقدومنا

لناحيتهم لما أصابهم من القلق ووفور الوجل، ونحن ما ظهر لنا توجه لتلك الناحية بالمحلة السعيدة ما دام عدو الدين قربهـا، إلا أن أذهب بنفسى خاصة فى نحو مائة فارس وبعض أعيان قبائلنا الريفية بعد تركى المحلة السعيدة فى قبائلنا الريفية ناعمة بحمد الله بوفـور المؤنة ونئوب عاجلا لقبض الواجب من القبـائل الريفية التى هى آكد التقديم، وفى ذلك مصلحتان: إحـداهما لئلا ينسب الرومى لنا إعانة الرعية، الثانية التقـديم منهم لأن النفع فيهم أكثر من غيرهم من القبـائل الوجدانية ولراحة المحلة أيضا، ثم الإعلام أيضا لسيدنا أن بنى يزناسن آخذون فى خواطرهم ذاكرون أن مولانا سمع فيـهم كلام غيرهم وقبض مساجنهم، وامـتنع من تسريحهم، لأن الأشـجاع إخـوانهم وتحت كفـالتـهم، وكذلك من مـعهـم من الثلاثة نفـر لأنهم إخوانهم، ولم يكن بوجـدة إلا سكناهم، وهـم الآن مجموعـون فى سجن فاس، وقد طلـبوا منا الشـفاعة فـيهم المرة بعـد المرة، وجوابى لهم أن الطاعـة لا تكون بالشرط، وحـتى الآن تعين علينـا الكلام وظهر لنا أن الشـفاعة فى شـأنهم فيـها مصلحة، حيث القبيلة المذكورة زرب الطرف قـابضة على دينها وإيمانها أفضل من غيـرها، فالمطلوب من سـيدنا أن يجبـر خواطرهم بتسـريح المساجـين المذكورين، وينفى عنهم الشك الـواهى من أنهم فيـهم غـرض أهل وجدة، وهـم الآن إخـوان وذات واحدة وهـم عمارة وجدة، ما عدا ابن زعيم، لا كلام لنا فيه.

والنظر فى هذا كله لمولانا والعبد على الخدمة طالبـا من سيده صالح الأدعية والسلام وفى ٥ رمضان المعظم ١٢٦٨، مقبـل الأرض بين يدى سيدنا، محمد بن عبد الصادق أمنه الـله» صح من أصلها الموجود بمستودع الأوراق الرسمـية بالقصر السلطانى من رباط الفتح.

ثم كتب أيضا بما نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير:

«خديمنا الأرضى القـائد محمـد بن عبـد السلام بن عبـد الصادق الريفى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك مراجعا فيما أمرناك به من إسقاط الواجب هذه السنة عن فرقتى بنى منقوش وبنى خالد جبرا لحالهم، وإعانة على ما ضاع لهم، فذكرت أنك طالعت كبراء القبيلة كالخديم الأنصح الحاج ميمون وأشباهه، فنشطوا لذلك وفرحوا برد البال لهم، وكون الخاطر معهم، ثم ذكروا أن الذى تقتضيه المصلحة هو عدم الإسقاط عنهم وأحرى حيث ألفاك الحال قبضت منهم لا يناسب الرد لهم، لأن القبيلة تتشوف لمثل ذلك لكون الجهاد وقع من الكل إلى آخر ما ذكرت.

أو أنك بعد ما أردت الشروع فيما أمرناك به من الكلام مع الرومى على الحقوق التى قبلهم ومحاججته ردك عن ذلك أعيان القبيلة مخبرين أن المصلحة فى عدم المراجعة الآن للعلة التى ذكروا، وأن مثل ما صدر هو كثير الوقوع من الجانبين من قديم، ثم يقع الصلح فى ذلك ووجهوا كتابهم بهذا، وأن ترحيل الشيخ سليمان العطياوى من المحل الذى هو به لا يناسب لما فى بقائه هناك من المصلحة، فاعلم أرشدك الله أن الذى يبلغنا ويظهر لنا نكتب لكم والعامل الناصح العاقل السديد الرأى يتأمل القضايا على مقتضى مصلحة الرعايا، ثم ما يرى المصلحة فى تنفيذه ينفذه، وما يرى المصلحة فى عدم تنفيذه يراجع فيه، ونحن لا نكره المراجعة.

والآن حيث اقتضى النظر عدم الإسقاط عن الفرقتين المذكورتين، وعدم الرد لهم فاترك ما قبضت منهم تحت يدك وأضفه إلى غيره، ولا ترد لهم شيئا، فإنا ما أمرنا بذلك إلا جبراً لحالهم، وأما الجهاد فهو فريضة وفضيلة يتعين على كل أحد حيث يفجأ العدو، ثم حيث أشار أعيان خدامنا بنى يزناسن وفرهم الله بعدم الكلام الآن مع الرومى وأن الرأى تأخير ذلك، واستصوبت أنت إشارتهم فاترك الكلام معه، ولا تخاطبه فإن الحاضر بصيرة ويرى الشاهد ما لا يرى الغائب.

وكذا الشيخ سليمان البطياوى حيث كانت المصلحة فى بقائه بمحله فاتركه فيه ولا تنقله منه، وأنت بصيرة ما يناسب فإنا نكتب على مقتضى ما يبلغنا، فما يكون صوابا وسداد نفذه، وما تأملته وكان الأمر على خلاف ما بلغنا فيه راجعنا، فإنك أصلحك الله من أهل العقل والتجربة والعراقة فى الخدمة، زادك الله توفيقا وإرشادا آمين، وما كان على خلاف الصواب ونفذته فالعهدة فيه عليك، والله يوفقك والسلام فى ٢٥ قعدة الحرام عام ١٢٦٨».

وفى عام ١٢٧٠ كتب بما نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«ولدنا الأبر الأرضى سيدى محمد أصلحك الله ورضى عنك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فيصلك طى هذا كتاب وجهه الطالب عبد السلام بن عبد الكريم جوابا عما قدمناه له من كتاب الزكاة، أخبر فيه عن حال القبيلة بما تراه فيه، ولا شك أن الزكاة فرع عما يزكى، وحيث كان حال القبيلة كما شرح، فمن كان عنده نصاب شرعى من زرع أو ماشية فليطالب بها على قدر ما عنده، ومن ليس عنده نصاب فلا يطالب بشىء.

وعلى هذا يكون العمل فى شأنهم لكن إن صرحنا لهم بذلك تشوف له غيرهم من جيرانهم، لأن تلك النواحى كلها هذا العام ضعيفة، والآن تأمره مشافهة حين يكون عندك فى العيد بأن يخاطبهم بأن من كان عنده شىء فليزكّ على ما عنده، ومن ليس عنده شىء يقول لهم: أنا أؤدى عنكم، ولا يطالب بعد بشىء من ذلك، وإنما يفرغه لهم فى هذا القالب للعلة المذكورة لأن أهل الغرب لا يقصرون إن كان عندهم ما يعطون، فينبغى الآن الرفق بهم والسعى فى جبر حالهم، لأن ذلك الظالم تركهم لحما على وضم كما يصلك بطيه أيضا كتاب وجهه عبد الكبير بن المدنى فى شأن ما كلفناه به من قبض ما تراه فيه من عند

رجلين ظننا أنهما معا بإيالته، فبوصوله إليك مُرْ عبد السلام بن عبد الكريم بالقبض على ولد أخت الشافعى وأخيه المذكورين فيه وتوجيههما إليك، ثم وجههما لعاملها المذكور ليستخرج منهما متاع بيت المال، هذا وقد وصلنا كتابك وعلمنا ما فيه وتصفحنا ما أجاب به ابن عبد الصادق فى القضية المعهودة، وعلمنا من كتابه الذى وجهت سابقا ما أخبر به من رد الولد النصرانى لأهل ملته، وما ذكره فى شأن العداوة بين الريف والصبنيول، وأن لا خير فى الهدنة بينهما، فذلك هو المقصود، لكن لو كانوا يقتصرون على مقابلة السيئة بمثلها مع الصبنيول فقط.

وأما ما يفعلونه بالإنجليز وغيره من الأجناس البعيدة عنهم، فإنهم يجرون به كثرة الكلام والهرج.

وما ذكرت على الشريف الذى جاء يعرض بيع أملاك له باكحيك، فإن لنا هناك أصولا، فاكتب لوصيفنا الحبشى يقومها، ويوجه لك رسم التقويم ومواجب البيع، وادفع ثمنها للبائع أو لوكيله بعد تسليم الموجبات شرعا، وما طلبه مقدم الشيخ أبى يعزى من زليج البديع على المثال الذى كانت مزخرفة به القبة، فادفع له من الزليج الموجود فى الوقف لا غير، لأن الترقيع ليس كالبناء.

وما ذكرت فى شأن مجاط الذين قبضهم الطالب عبد السلام بن عبد الكريم الشعيوى ومن معه، فهؤلاء كانوا نازلين هنالك بالإذن قديما، فأمره بتسريحهم وإبقائهم هنالك، ونحن لما ألح علينا إخوانهم هؤلاء بالطلب فى جلب الفارين أجبناهم لذلك، ومن كان له إذن كهؤلاء فليسوا منهم، وعلمنا ما ذكرت من توقف مولاى عبد الهادى فيما توجهه إليه من أمر الأصول على الإذن من قبلنا، فها نحن كتبنا له بذلك، وها كتابه يصلك طى هذا، فاختم عليه ووجهه له.

وأما الحطوشى فقد قدمنا لك أنه لا يوثق به، لأنه يقبض من البائع والمشترى ولا عليه.

وما ذكـرت فى شأن الولد المقبـوض فى جرح وصـيف سمار من وصـفاننا فانظر فى أمره، فإن كان من أهل الدعارة والفساد فألقه بالسجن ورتب له ما يقتات به، وإن كان لم يصدر منه إلا الجرح المذكور فهذا حق لنا قـد سامحناه فيه فسرحه والسلام، ألحق بطرته مـشافهة حـين يكون عندك فى العيد، بعد تسليـم الموجبات شرعا صح به فى ١ ذى الحجـة عام ١٢٧٠ الحق بين أسطره شرعى صح به» صح من أصله.

وفى عام ١٢٧١ كتب أيضا بما نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«ولدنا الأبر الأرضى، سـيدى محـمد أصلحك الله ورضى عـنك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فـقد وصلنا كتـابك وعرفنا ما فـيه، ووصل زمام أمناء فـاس بصائر الشهر الفارط، وعلمنا ما ذكرت من صدق الحشم فـيما ادعوه من ساقية الجديدة، كما علمنا كتبك لمولاى الصادق بما قـدمناه لك وإعادتك الكتب له بعد ورود كتابه الذى وجهت بطيه، وقد تصفحناه وكتـبنا له بما تراه طى هذا، فاختم عليه ووجهه له، والله يوفقـه للقبول، ويصلك زمام رسـوم ٤ وبطائق ٣ كانت تحت يد الأمناء تضمنت مـا بذمم المذكورين فيـها من صائرنا الموفـر بالله، فأما مـا بذمة دخيـسة وأولاد نصير وذوى منيع فكلف عمالهم باقتضائه والإتيان به.

وأما مـا بذمة بوزيان فعهـدى أنى كنت أمرت بحيـازة بلاده فى ذلك، فإن كانت حيزت فذاك، وإلا فأمر بحيازتهـا، وكان بذمته وبذمة إخوته أكثر من ذلك، فقد كنا سلفنا له لما كنا بحركة عين زورة أكثر من ألفين، فباحث الأمناء لعلهم أن يجدوا ذلك فى كناش الأمين الذى كان معنا وقتئذ.

وأما ما بذمة ابن المانع فإن كان مـا يحاز منه فحزه، وأمر الأمناء أن يجعلوا لعبد الله العلج الذى بباب دارنا العالية بالله هنالك الوارد من المشرق كسوة تناسبه

من كساوى المخازنية، وأن يدفعوا له خمسة عشر مثقالا، كما يصلك كتاب لابن عبد المالك الريفى، وآخر لقونصو الفرنصيص تطلع منهما على قضية وقعت بطنجة، وكنا كتبنا للخطيب لما ورد علينا كتاب ابن عبد المالك أن يحتج عليهم بأن هذا الرجل هم أتوا به من بلادهم بعد ما صدر منه معهم ما صدر، فهم يعرفونه ويعرفون حالته وأنزلوه عندهم وأجروا عليه مئونتهم حتى صدرت منه هذه الواقعة، وكان من حقهم حيث أتوا به مع معرفتهم بحاله أن يسلموه لعامل البلد فى كبله فيعلمنا به، وننقله من هنالك ونعرف ما نسلك فى أمره حتى لا يصدر منه هذا ولا شبهه، فصاروا هم المتسببين فى قتل ذلك المسلم فهم المطالبون بدمه.

وأمرناه أن يسلك معهم فى القضية ما ينقطع به الكلام حتى إن رأى أنهم لا يريدون إلا القصاص، وأن لا محيد عنه، فليكتب لابن عبد المالك أن يقتص منه، لأنه قتل مسلما عمداً، ثم بعد ختمه ورد كتابه فى القضية فاستدركنا له فى الكتاب المذكور، أن الذى يكون عليه العمل هو أن يحتج عليهم أولاً بما ذكر، فإن لم يفد فليسلك معهم مسلك الشرع، وما حكم به عليه العمل إن أذعنوا لذلك وإلا فليخبرنا، ولا شك أن الشرع لا يقتل مسلما بكافر لكن هذا قتل مسلما عمدا عدوانا ومصالحا يجر بقتله ضررا على المسلمين، فعلى كل حال استحق القصاص بقتل المسلم، وإذا كان كذلك فنخرج من باب واسع.

وقد ورد أخوك مولاى العباس أصلحه الله ومن معه، ووصلنا كتابك صحبتهم، وعلمنا تنفيذك لهم ما يحتاجونه لسفرهم وللطلبة ما أنعمنا به عليهم أصلحك الله ورضى عنك، ويصلك كتاب للطالب أحمد اللب وجهه له مع ظهير والسلام فى ٢٥ جمادى الأخيرة عام ١٢٧١» صح من أصله.

اهتمامه بأمور الدين

وصدور أوامره لولاته بجبر رعاياهم على إقامة رسومه

قال المشرفي في شرحه للشمقمقية بعد ما نقلناه عنه صدر هذه الترجمة:

وكان - أي السلطان المولى عبد الرحمن - في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمحل الذي لا ينكر، يأمر عماله بالرفق والسير الحسن في الرعية والاستمساك بالسنة وعمارة المساجد واتخاذ الفقهاء يعلمون الصبيان بكل حلة ودوار، وينهاهم عن البدع والمحدثات التي أعظمها إشاعة الفاحشة والربا في معاملاتهم، حتى ابتلاهم مولاهم بغلاء الأسعار والآيات التي نشأت عن أفعالهم.

وبذلك كتب لسائر عماله في رابع جمادى الأولى عام سبعة وستين ومائتين وألف مكاتب فرقها جائلة في الأقطار، تقرأ عليهم في مساجدهم وأسواقهم وموضع اجتماعهم في مواسمهم ما نصه في النسخة التي بعثها لعامل الغرب المالكي القائد محمد بن الحاج الحباسي - فأقام ابن عمه الأستاذ الخير الفقيه ابن عبد السلام في نفر من أصحابه وأهل شرطته، يدور في المناهل ويطوف على كل حلة ويقرأ عليهم مكتوب السلطان، ولثقته وأمانته ومعرفة الناس له بأنه ابن عم الحاكم فيهم كي تأخذ بقوله وتنفذ ما أمر به السلطان - وفاتحة الكتاب:

«الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، عاملنا فلان، سلام عليكم. وبعد: فقد قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ... ﴿٩٠﴾﴾ إلى (تَذَكَّرُونَ) [النحل: ٩٠] وقال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥] وكان النبي ﷺ يتخول أصحابه الكرام بالموعظة أحيانا مخافة السآمة، ولنا فيه أسوة، لأن سنته لمن تمسك بها أوثق عروة، ولم يقبضه الله إليه حتى أكمل به الدين، وأزاح غياهب الشك باليقين، قال جل جلاله: ﴿... الْيَوْمَ

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ... ﴿٣﴾ [المائدة: ٣] فتركنا ﷺ على المحجة البيضاء التى لا يحيد عنها إلا شقى، ولا ينحرف عن مناهجها القويم إلا غوى، فقد رغب وبشر وحذر وأنذر ولم يأل جهدا فى نصح أمته، وندب الناس للانخراط فى سلك ملته، فجزاه الله عنهم أفضل ما جزى به نبيا عن قومه آمين، وآكد ما جاء به ﷺ قواعد الإسلام الخمس المشار إليها بقوله ﷺ: بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا».

«فالتوحيد أساسها وقطبها الذى عليه مدارها فالبداية به أهم، والعناية به أتم، ومعرفته على الوجه الأكمل الذى هو إقامة الدلائل والبراهين أولى، ليخرج المكلف به من ربقة التقليد المختلف فى إيمان صاحبه».

«والصلوات الخمس عمود الدين وذروة سنامه، فهى منه بمنزلة الرأس من الجسد، وقد وقع الحض عليها فى كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كقوله: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨] وكقوله ﷺ: أول ما يحاسب عليه العبد صلاة الفريضة، فإن صلحت له صلح سائر عمله، وإن فسدت عليه فسد سائر عمله، وكفاها فضيلة وشرفا أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، كما قال الله فيها، وتاركها يقتل حدًّا كما قال خليل فى مختصره: ومن ترك فرضا أخر لبقاء ركعة بسجدتيها من الضرورى وقتل بالسيف حدا، ولو قال أنا أفعل وصلى عليه غير فاضل هـ، ولها وسائل من طهارة حدث أصغر وأكبر وطهارة خبث وستر عورة واستقبال قبلة، وغير ذلك مما لا بد من معرفته».

«والزكاة واجبة فى الحبوب والثمار والعين والأنعام على من حال عليه الحول، وكمل عنده النصاب، وهى أخت الصلاة قارنها الله بها فى غير ما آية من كتابه لكونها طهارة للأموال كما أن الصلاة طهارة للأبدان قال تعالى: ﴿... وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥] وقال عليه السلام حصنوا أموالكم بالزكاة والمال الذى أخرجت زكاته ليس بكنز فلا يدخل صاحبه فى الوعيد المشار إليه بآية (يوم يحمى) الآية».

وقال تعالى فى الحج: ﴿... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ... ﴿٩٧﴾﴾ آل عمران: ٩٧] وقال عليه السلام: من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنبه كيوم ولدته أمه، وفى حديث آخر: العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة).

«وقد تساهل الناس فى قواعد الإسلام المذكورة فتجد جل العوام لا يعرفون عقائد التوحيد ولو على سبيل التقليد المحض ولا يصلى، ومن صلى فإنما يعرف كيفية الصلاة بكثرة تكرارها ولا يعرف مسنونا ولا مفروضا ولا يحسن طهارة ولا غيرها من وسائلها، ويتثاقل الكثير منهم عن إخراج الزكاة ويعدها من قبيل المغرم، ويتجاهر البعض بأكل رمضان من غير نكير، وجل الصائمين يتهاونون بحقه، ولا يبحث عما يصحح صومه أو يفسده، وبعضهم يصوم ولا يصلى، وفى الحديث: من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه، لما يكثر فيهما من الرياء والسمعة ويتلبس فى سفره بمعاص كثيرة التى أعظمها ترك الصلاة فى وقتها، ولا يبالى مع كثرة الرفث والفسوق والله يقول: ﴿... فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ... ﴿١٩٧﴾﴾[البقرة: ١٩٧].

«وكما وقع التساهل الكثير فى أصول الدين المذكورة وقع التساهل فى فروعها بالأحرى كالجهاد فإنه وإن كان فرض كفاية يسقط الطلب عن البعض

بسبب قيام البعض به فربما يصير فرض عين إن فجأ العدو، وقال خليل في مختصره: وتعين بفجأ العدو، وإن على امرأة، يحتاج الإنسان إلى نيته ومعرفة أحكامه وتعلم ما يقوى به عليه من رماية وفروسية وغير ذلك قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ... ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال: ٦٠] وقال عليه الصلاة والسلام: من مات ولم يغز ولم ينو الغزو مات ميتة جاهلية».

«وقد أكثر العمال من التساهل فى أمر الزنى والسرقة والدماء واكتفوا فيمن ثبت عليه شيء منها بالسجن والذعيرة مع أنهما من الكبائر شدد الشارع فى أمرهما وعين فى كل واحد منهما مائة جلدة وأما المحصن فحده الرجم حتى يموت لأن السنة خصصت الآية وقال جل وعلا فى أمر السرقة ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ... ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة: ٣٨] وقال عليه السلام: لو أن....... سرقت لقطعت..... وذكر عضوا شريفا من ذات شريفة وحاشاها من ذلك وقال تعالى فى حق الدماء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ ... ﴿١٧٨﴾﴾ [البقرة:١٧٨] ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ... ﴿٤٥﴾﴾ - إلى قوله (وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ) [المائدة:٤٥]، وقال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ... ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة: ١٧٩] فهذه نصوص صريحة قاطعة لا تقبل التأويل، فالإعراض عنها إلى الحكم بالهوى والغرض الدنيوى إلحاد فى الدين، وخروج عن ربقة سيد المرسلين ﷺ وعلى آله قال تعالى: ﴿... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة: ٤٥] وفى آية أخرى: ﴿... فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة:٤٧] وفى آية أخرى: ﴿... فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

«ومن ذلك فساد المعاملات بيعا وغيره وتعاطى الربا بإسلاف الدراهم بزيادة أو كرائها بكذا لكل مثقال فى الشهر، مع أن الله شدد فيه لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ... ﴿٢٧٥﴾﴾ - إلى

قوله: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥] وقال ﷺ: لعن الله الربا وآكله وموكله وكاتبه وشاهده، وقال: من نبت لحمه من سحت فالنار أولى به، وقال فى حديث: ولا فشا فى قوم الربا إلا أخذوا بالسنة».

«ومن ذلك تسلط الأشياخ فى نساء رعاياهم بالاحتيال بالقبض على من كانت عنده زوجة حسناء، حتى يتوصلوا للإفساد فيها، ومن ذلك فساد الأنكحة والتساهل فيها من خطبة الرجل على خطبة أخيه والدخول بالمطلقة قبل كمال العدة وغير ذلك من المنكرات، وأبشعها وأشنعها ما كان بلغنا عن فجرة الأشياخ والخلايف من بيع النساء، وصورة ذلك أن يرغب الرجل فى زوجة حسناء تحت آخر ويتوصل إليها بإغراء الشيخ على زوجها بالقبض عليه، وتوظيف ذعيرة لا يفى بها ماله، فإن أدى ما قدر عليه تحمل عنه الراغب فى زوجته بالباقى ويتسلمها منه، ويجعلها فجرة عدول الوقت فى صورة خلع، وربما يدخل بها الراغب فيها قبل انقضاء عدتها».

«ومع شيوع هذه الحوادث الفظيعة، والبدع الشنيعة، فلا غرابة من حبس الأمطار، وارتفاع الأسعار واستيلاء العدو الكافر على كثير من الأقطار، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وهذه المسغبة التى امتحن الله بها عباده، وجعلها فيهم حكمه ومراده، أعظم الآيات التى قال الله فيها: ﴿... وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ [الإسراء: ٥٩] فليجهد الإنسان فى الإقلاع عن ذنبه، والرجوع لربه، حتى لا يكون ممن قال فيهم: ﴿... وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ [الإسراء: ٦٠].

«وقد غاضت حياض العلم وأقوت ربوعه، وضيعت من الدين أصوله وفروعه، وزهد الناس وخصوصا ذوى أمرهم فى الباقية، رغبة فى هذه الدنيا الفانية، مع أن مآلها إلى ذهاب، ومصيرها إلى عقاب، ولو استقام العمال

لاستقامت الرعية، لأن القوم على دين رئيسهم، فهم أولى الناس بالتفقه فى الدين لتكون سيرتهم فى الرعية على منهاج الشريعة، فإنه لا يحل لامرئ مسلم أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه كما فى الحديث.

والعامل إن كانت بطانته صالحة، كانت أعماله جارية على الصلاح والسداد، وإن كانت بطانته على غير هداية، كانت أحكامه مخالفة للشرع فضلّ وأضلّ.

وقد كان العمال الأقدمون أهل الخير والدين ويقتدون بأفعالهم بالعلماء العاملين والأخيار الصالحين، ويعينون من ظهرت نجابته فى قبائلهم على طلب العلم من محله، وأخذه من أهله.

واليوم تجد القبيلة الكبيرة من قبائل البادية ليس فيها عالم واحد يرجع الناس إليه فى مسائل دينهم ونوازل أحكامهم، وما ذاك إلا للانهماك فى زهرة الحياة الدنيا والإعراض عن الآخرة، وقد قال النبى ﷺ: خيركم من لم يدع آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته، فيجب على من ولاه الله أمراً أن ينصح لنفسه ولرعيته جهد الاستطاعة، فإن النبى ﷺ يقول: كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، ويحمل الناس على اتباع السنة والجماعة، ويزجر من قصر فى دين الله وخالف أمره، ويبدأ بنفسه لينفع تعليمه ويقبل ما يقول ويسعى فى إحياء العلم ما أمكنه فإن رفعه من أشراط الساعة، وتعظيم العلماء من تعظيم حرمات الله، والله لا يقبض العلم انتزاعا من صدور الرجال ولكن يقبضه بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رءوساء جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا، ويلزم العامل كل دوار أو جماعة مشارطة طالب علم يرجعون إليه فى أمر دينهم وتعليم صبيانهم وجهالهم، ويقوم بالأذان والصلوات الخمس فى أوقاتها، ومن لم يفعل زجره

وعاقبه، ويختار الأشياخ من أهل الدين، ويرفع القضايا الشرعية لقضاة العدل الذين يتقون الله ويتحرون فى أحكامهم.

ومن وجب عليه حد من حدود الله يرفع أمره إلينا لنأمر بإنفاذ حكم الله فيه، ولا يقال: فسد الزمان، وقل أهل الدين وفقد الناصر، فإن من قام لله وجد الله قال تعالى: ﴿ ... وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠، ٤١] فهذه تذكرة لمن تذكر، وتبصرة لمن تبصر، فاجعلوا ما اشتمل عليه هذا الكتاب نصب أعينكم، فإنا نصحناكم ولمنهاج الشرع أرشدناكم، فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها، والله يوفقكم لما يحبه ويرضاه آمين».

قال المشرفى المذكور بعد جلبه لهذا الظهير: فلينظر العاقل إلى هذه الوصية الجامعة التى لم تصدر إلا من خليفة أو من ابن نبى ولى، جمع فيها بين علوم الشريعة والحقيقة، دلت على صفاء باطنه واتصافه بالعدل وإيثاره للدين على غيره، وإعراضه عن الأغراض المفسدة للطبع البشرى، فيجب على كل خليفة وولى عهد من أمير ومأمور أن يحفظ فصولها، ويعمل بمقتضاها، ولذلك أدرجتها فى تأليفى هذا لنأخذ قسطا من الثواب مع من عمل بها، فينبغى للحاكم أن يمشى على منهاجها فهى كرسالة مولانا على بن أبى طالب كرم الله وجهه للقضاة وأهل الفتوى، ولقد شاهدنا من لم يخالف أمره نجح سعيه وصلحت أحواله ونتجت بخير قضاياه، ومن ادعى عليه أو خالف أمره واتبع هوى نفسه بدد الله شمله ومحا المولى سبحانه اسمه ورسمه.

وقضية الوداية، فيها الكفاية، فقد كانت لهم السطوة والجاه العريض الباع والحظوة، وحيث استخفوا بسلطان الله أهينوا، وكان عاقبة أمرهم خُسْرًا والذى قرأناه فى فنون الأدب أن ثمانية إذا أهينوا فلا يلومون إلا أنفسهم: من أتى مائدة

لم يدع إليهـا، والمتأمر على صاحب الدار، والداخل فى حـديث اثنين لم يدخلاه فيـه، والمستخف بالسلطان، والجـالس فى مجلس ليس له بأهل، والمقـبل بحديث على من لا يسـمعـه منه، وطالب الرفق من أعـدائه، وراجى الفضل من اللئـام، وهى مجموعة نظما:

أحق بالصـفع فى الدنيـا ثمانيـة ... لا لوم فى واحد منـها إذا صفـعا

المســتـخـف بسلطان لـه خطر ... وداخل فى حـديث اثنين مندفعـا

ومتـحف بحـديث غيـر سامـعه ... وداخل الدار تطفـيـلا بغـير دعـا

وطالب الخـيـر ممن لا خـلاق له ... وجالس مـجلسا عن قدره ارتفـعا

وطالب الرفق من أعـدائه وكـذا ... ضيف تـأمر فاحـفظها أخى لمـعا

وقضيـتهم مذكورة فى الحسـام، وسببها أنهم كانـوا هم الرؤساء على محلة مولاى على بن مولانـا سليمان بتلمسان لـكونه خليفة عن مولانا عـبد الرحمن، فجـاروا وعاثوا، وكـرههم أهل تلك الإيالة لميلهم للطمـع الدنيوى، ولا يمـضون حكما علـى وجهه، فنفـوهم وأعرضـوا عن أحكامهم، وكم بلغـوا أمرهم لمولاى على الخليفة بفسـادهم وإشاعة الفاحشة منهم، فتارة يأمـر بسجنهم ويسرحهم عند غيبة الشاكى، وتارة يوعدهم بالزجر، ولـم يفعل، وحين تحققوا ذلك مدوا أيديهم فيهم، عند ذلك كرهوا الـبقاء هناك، ورجعوا عن غير إذن الإمـام، وشهد عليهم الخليفة بذلك بين يدى السلطان فخلى سبيله لكونهم أكرهوه على الرجوع وعاقبهم بما هو معلوم ويسـتوجبونه، وذكـرنا ذلك فى غير هذا، وكانت قـبيلتهم مشـئومة مهما وجدوا مندوحـة لإثارة الفتنة أثاروها، فدعا عليهم العلامة السـيد محمد بن أبى بكر بن عـبد الكريم بن على اليـازغى ثم الزهنى، فى قـصيدة له حـين أكلوا ملاح اليهـود بفاس العليا وقت فتنة الفـترة، التى كانت آخر ولاية مـولانا سليمان مطلعها:

يا غــارة الــله عــهــد الله يــنتظر — إن الودايا لذلك العهد قــد كسروا

شنوا على ملة الإســلام غــارتهم — وذمة المصــطفى فى أهلها خــفروا

سبــوا نساءهم من بعد مــا سلبوا — ديارهم ولدور البــغى قــد عمــروا

إلى أن قال:

يا أهل فاس سيروا بهم على مهل — ولا عليكــم فــإن اللــه ينتــصــر

تربــصـــوا بهــم بالســــوء دائرة — تأتى حــماهم فــلا تبــقى ولا تذر

تصــبهــا راحــة المنصــور فوقــهم — فيــصبــحون وفى أخــبارهم عــبر

ا هـ كلامه.

وقــد وقفت على ظهــائر شــريفة للمــترجم أصــدر أحــدها للقائد المهــدى الشرادى، والثانــى للقائد العربى السعــيدى، كلاهما بتاريــخ رمضان سنة ١٢٥٢، والثالث للقائد ابن عبــد الصادق الريفى بتاريخ صفر عام ١٢٧٠ يأمر فيــها العمال المذكورين بالاهتــمام بإقامة قواعــد الإسلام بمحل ولايتهم، وإرشاد النــاس إليها، وتعليمهم أمور دينهم، وما يجب عليهم وجبرهم على العمل به، ويأذن بعقوبة من تهــاون بذلك، ويستــغرب سكوت العــمال عن عــقاب تارك الصــلاة مع أنه أولى بالعقوبة.

وقد سبق تصريح المشرفى أنه كتــب بتاريخ جمادى الأولى عام ١٢٦٧ لسائر عماله بهذا المعنى، كما عثــرت فى بعض ظهائره الصادرة بتاريخ عام ١٤١ لرؤساء المراكب البحرية التجــارية منها والحربية على الحض على التقوى، والصــلاة لوقتها وقراءة القرآن(١)، ويوصى بعدم حمل مثل الخــمر والخنزير، ويوعد من فعل ذلك

(١) فى هامش المطبوع: «هذا نظير مــا أمر به السلطان المولى عبد العزيز بحرية «البشــير» كما قدمناه».

بالنكال، وتلك أدلة كلها تدل على مبلغ اهتمامه بالدين، وحمل الأمة على العمل بأوامره، وتجنب نواهيه.

وإليك نص ما وقفت عليه مما كتب به للقائد المهدى الشرادى الذى كان ادعى المهدوية وعتا وتمرد، مار الذكر آنفا، بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطانى:

«محبنا المرابط الأرضى السيد المهدى الشرادى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإن الله سبحانه رضى لنا الإسلام دينا، وجعلنا من أمة سيدنا محمد ﷺ الذى لم يخلق الله له فى الوجود قرينا، فمن اتبعه واقتفى ما جاء به فقد فاز فوزا عظيما، ومن حاد عن سنته، فليس من أمته، وقد خسر خسرانا مبينا.

وقد بلغنا من غفلة الناس عن دين الله وتفريطهم فى جنب الله وإعراضهم عن أداء ما فرض الله عليهم ما حملنا على تنبيههم من سنة الغفلات، وإرشادهم لتدارك ما فات، بإصلاح ما هو آت ﴿... إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ... (١١٤)﴾ [هود: ١١٤]، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥)﴾ [الذاريات: ٥٥] وقال: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ... (١٢٥)﴾ [النحل: ١٢٥] وقال: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ... (٢٢)﴾ [الزمر: ٢٢] وقال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ... (١٣)﴾ [الشورى: ١٣] وفى الصحيح عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم: كان النبى ﷺ يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا.

فاعلموا أن التوحيد أصل الإيمان، وبه يخرج الإنسان من ربقة الشرك وحزب الشيطان، وهو النطق بلا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ مع اعتقاد

معناها، والجزم بأن اللـه واحد فى ذاته وأسمائه وصفـاته وأفعاله ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١] والسورة الجامعـة للتوحيد ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص] وقد قـال عليه الصلاة والسلام: بنى الإسلام على خـمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن مـحمـدا رسول الله، وإقـام الصلاة، وإيتـاء الزكاة، وصـوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا.

فمن أخل بقاعدة من هذه القواعد الخـمس فقد اختل إيمانه، ولا يخفى أن الصـلاة هى عمـود الدين وذروة سنامـه، وقد ذكـرها الله فى مـواضع من كتـابه وأوصى عليها ومدح القائمين بها كمـا ذم من ضيعها قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ ... ﴿٣﴾﴾ [البقـرة: ٣]، وقال: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ... ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩] الآية، ولا يكون القيام بها إلا بأدائها فى وقتـها بشروطها المعلومة شرعـا، قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨] وقال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور: ٣٦- ٣٨].

وقد قال عليـه السلام أول ما يحاسب عليـه العبد الصلاة، فـإن قبلت قبل سائر عمله، وإن ردت رد سائر عمله.

فمن حافظ عليها فهو لما سواها أحـفظ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، ويجب حفظ أم القرآن، وسور منه للقراءة فى الصلاة قال تعالى: ﴿... فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ

وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المزمل: ٢٠].

وقد تواترت لدينا أن الناس أهملوا الصلاة رأسا، وتركوا ما كان عليه سلفهم من جعل المساجد فى الحلل وترتيب الطلبة للأذان، وإقامة الصلوات وتعليم الصبيان، وهذه غفلة كبيرة عن الله، وتضييع لدين رسول الله ﷺ.

فإذا قرأت كتابنا هذا فمر كل أهل دوار من إيالتك بجعل مسجد فيه إمام راتب، وأجبرهم على إقامة رسوم دينهم، وإحياء سنة نبيهم ﷺ، بإقامة الصلوات فى أوقاتها بشروطها المعتبرة شرعا، فإنهم رعيتنا ينبغى لنا نصحهم وإرشادهم لما ينفعهم دنيا وأخرى.

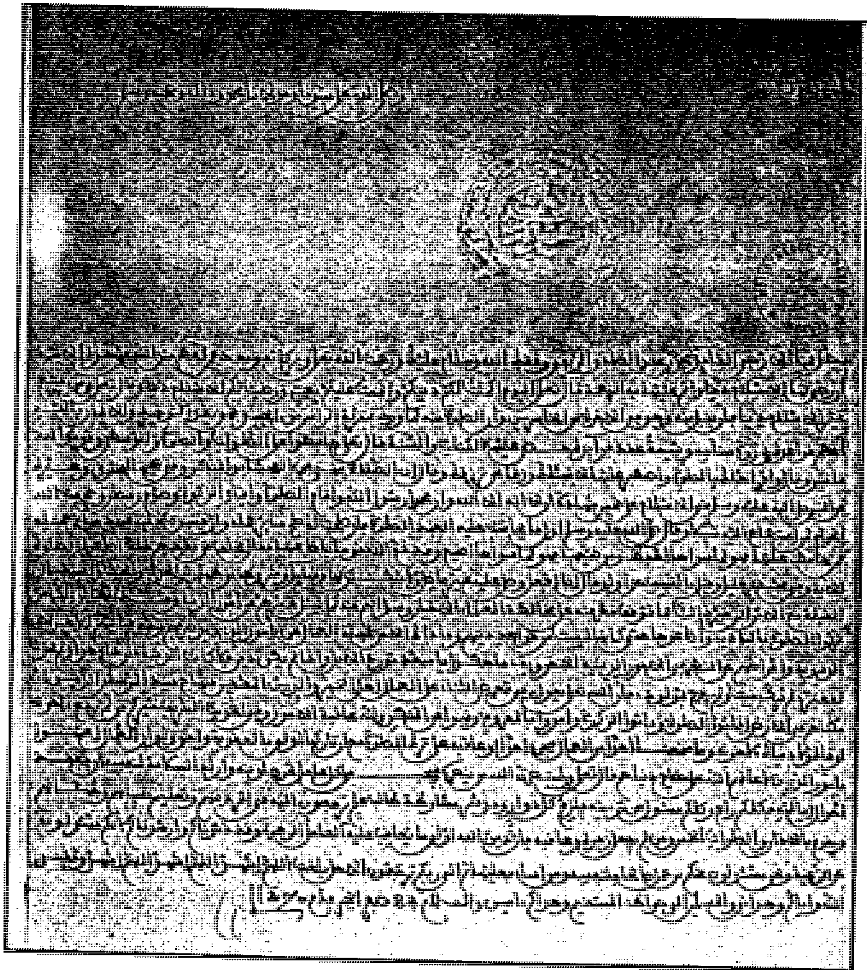
قال عليه السلام: كلكم راع ومسئول عن رعيته، وقال: الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. فمن قام بواجب ذلك وواظب عليه فقد استبرأ لدينه، وأدى ما عليه، ومن تراخى فى ذلك وحاد عن سنن الدين فنعاقبه بحول الله وقوته أشد العقوبة ولا يلم إلا نفسه.

وبث نسخا من هذا الكتاب فى إيالتك ليعم النفع به إن شاء الله وليعملوا بمقتضاه، والله يوفقهم لما فيه رضاه، وقد أذنا لك فى عقاب من لم يمتثل بعد الإعلام، فأحق ما يعاقب عليه الإنسان دينه، وقد علمت أن سبب نزول المصائب غالبا من احتباس الأمطار وغيرها، التفريط فى الدين، فلا بدَّ قُمْ على ساق الجد فى هذا والسلام فى ١٦ رمضان المعظم عام ١٢٥٢» هـ من أصله.

وبمثله ولفظه كتب للقائد العربى بن على السعيدى بتاريخ ١٥ رمضان عام ١٢٥٢.



ظهير رحمانى للقائد المهدى الشرادى بإقامة رسوم الدين وإحياء السنة بكل دوار من إيالته



ظهير رحمانى إلى القائد محمد بن عبد الصادق بإقامة رسوم الدين فى البادية وإلزام كل دوار بمشارطة طالب علم يعلمهم وأولادهم الدين ويقيم الصلاة

ونص ما كتب به لابن عبد الصادق بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير:

«خديمنا الأرضى، القائد محمد بن عبد الصادق الريفى، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فمن أعظم منن الله على هذه الأمة أن رضى لها الإسلام دينا، وأتم عليها به النعمة قال تعالى: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ... ﴿٣﴾﴾ [المائدة: ٣] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥] وأن الصلاة منه كما ورد بمنزلة الرأس من الجسد، فهى بعد التوحيد والإيمان بالله أعظم قواعده، وذروة سنامه ويتيمة عقد فرائده، حض عليها الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨] وقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ... ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢] وقال: ﴿... إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ... ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت: ٤٥] وفى صحيح البخارى وغيره عن النبى ﷺ: بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا. وقال ﷺ: أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة إن صلحت له صلح سائر عمله، وإن فسدت عليه فسد سائر عمله، فمن حافظ عليها فهو لما سواها أحفظ ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، وقد ذم الله قوما بإضاعتها فقال: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ ... ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩] الآية، وفى مختصر خليل وقتل بالسيف حدًا، ولو قال أنا أفعل وصلى عليه غير فاضل، ولا شك أن لها وسائل وشروطا من طهارتى الحدث

والخبث، واستقبال القبلة مع الأمن إلى غير ذلك مما تتوقف معرفته على مخالطة العلماء الأخيار، وسؤالهم عنه كما يسأل غيرهم عن أمور الدنيا.

وقد بلغنا أن الناس تركوا الصلاة بالبادية وأضاعوها، حتى كأنها ليست من قواعد دينهم، وما ذاك إلا من غفلة العمال عن أمور الدين وصرفهم وجه عنايتهم للأغراض الدنيوية، وإعراضهم عن النظر فى الأمور الدينية الأخروية:

ما هكذا يا سعد تورد الإبل

إذا لم يكن دين فلا كانت الدنيا

إن دام هذا ولم يحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

فإن الله تعالى يقول فى معرض الثناء على العمال أهل الخير والدين، المقتفين منهاج سيد المرسلين: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١] وفى الحديث الشريف: خيركم من لم يدع آخرته لدنياه، ولا دنياه لآخرته.

وما سمعنا أحدا من العمال سجن أحدا أو عاقبه على ترك الصلاة، مع أن تاركها أولى بالعقوبة وأحق، ولو أن العمال اعتنوا بأمور الدين لأعانهم الله على صلاح دنياهم قال تعالى: ﴿... وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ... ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠] فيجب على كل عامل تحرى لدينه وأراد السلام لنفسه أن يتفقد أحوال إيالته، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فيلزم كل دوار ومدشر مشارطة طالب علم يرجعون إليه فى أمر دينهم، وتعليم صبيانهم وجهالهم، ويقوم بالأذان والصلوات الخمس، ومن لم يفعل زجره وعاقبه فإن دين الله أولى ما يعاقب عليه العامل الرعية.

وقد ذكرناكم وأرشدناكم لأنكم مسئـولون عن الرعية ونحن مسئولون عنكم ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الجاثية: ١٥] ألا هل بلغت، اللهم اشهد، اللهم اشهـد، اللهم اشهد، وفقنى الله وإياكم، وهدانى والمسلميـن إلى صراطه المستـقيم وهداكم. آمـين والسلام فى ٨ صفـر الخيـر عام ١٢٧٠».

فهذه الظهائر الشريفة، والأوامـر المنيفة، هى مرآة مكبرة لماضى صالح سلفنا الأكرمين، وأمرائنا العظـام من الفتح الإسلامى إلى العصر الحاضر، لا يتـقاعسون عن زجر وإنذار من حاد عن الطريقة المثلى والمحجة البيضاء، التى لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يأتيـها الباطل مـن بين يديها ولا من خلفـها، تارة بالوعـد، وأخرى بالوعيد، فلقـد كان يهمهم كثـيرا تعظيم شعائر الدين ورعاية حـرماته وإعلاء منار النظام الذى رتبه الله لخلقـه، ورسمه بالشـريعة، وأوجبه بالحكمـة البالغة امتـثالا لأوامر الخالق الرازق، ورضوخـا لتعاليم الدين الحنيف، ولتحقـقهم أن الدين أكثر تأثيـراً فى بقاء الملك ورسـوخ الدولة وجـمع الكلمـة فى الدفاع عنهـا، وأن أهل الاعتقاد الواحد يعملون بقلب واحد ويد واحدة، ويعتقدون برابطة دائمة بينهم فى الدنيـا والآخرة، وأن أعظـم واجب على السلطان القـيام بحـفظ الدين ووظائفـه الشرعية حتى لا تزول عن أوضاعهـا، وأن وظيفة الملك قد علم بالضرورة أنها هى حراسة الدين لحماية الناموس.

والأوائل لا يسمون بـالملك إلا من حرس الدين وقام بحفظ مـراتبه وأوامره وزواجره، وأما من أعرض عن ذلك فيسمونه متغلبا ولا يؤهلونه لاسم الملك، وأن الدين هو وضع إلهى يسوق الناس باختيارهم إلى السعادة القصوى، والملك حارس هذا الوضع الإلهى حافظ على الناس ما أخذوا به، حتى إذا أغفل شيئا من حدوده دخل عليه من هـنالك الخلل والوهن - وحينئذ تتـبدل أوضاع الـدين ويجد الناس

رخصة فى شهـواتهم، ويكثر من يساعدهم على ذلك، فتنقلب هيـئة السعادة إلى ضدها، ويحدث بينهم الاختلاف والتباغض المؤديان إلى الشتات والتفرقة، وبطلان الغرض الشريف، وانتـقاض النظام الذى طلب صاحب الشرع بالأوضـاع الإلهية، فتحتاج الأمة إذ ذاك إلى تجديد الأمر واستئناف التدبير، قال حكيم الفرس وملكهم ازدشيـر: إن الدين والملك أخوان توأمان لا يـتم أحدهما إلا بالآخـر، فالدين أس والملك حارس، وكل من لا أس له فمهدوم، وكل من لا حارس له فضائع.

إن الإسلام جاء بالحكمة والـعزم هادما للتشريك بالكلية، ومـحكما لقواعد الحرية السياسية المتوسطة بين الديموقراطية والأريستوقراطية، فأسس التوحيد وأظهر للوجود حكومـة كحكومـة الخلفاء الراشدين التى لم يسـمح الزمان بمثـال لها بين البشر حتمـا ولم يخلفهم فيها بين المسلمين خلف، إلا بعض شواذ كـعمر بن عبد العزيز، والمهتدى العباسى، ونور الدين الشهيد. فإن هؤلاء الخلفاء الراشدين فهموا معنى القـرآن وما يدعـو إليه وعملوا به واتخـذوه إماما، فـأنشأوا حكومـة قضت بالتساوى حتى بينهم أنفـسهم وبين فقراء الأمة فى نعيم الحيـاة وشظفها، وأحدثوا فى المسلمين عواطف أخوة وروابط هيئة اجتماعيـة، وحالات معيشية اشتراكية، لا تكاد توجـد بين أشقاء يعـيشـون بإعالة أب واحـد وفى حضـانة أم واحدة، وهذا القرآن الكريم مشـحون بتعاليم إماتة الاسـتبداد وإحياء العدل والتـساوى حتى فى القصص منه.

إن الحكومة الإسلاميـة مؤسسة على أصول إدارة الديمقراطية، أى العـمومية والشورى الأريستـوقراطية أى شورى الإشراف - وقد مـضى عهد النبى صلى الله عليه وسلم والخـلفاء الراشدين من بعـده على هذه الأصول بأتم وأكـمل صورها، خصـوصا وأنـه لا يوجد فى الإسـلام نفوذ دينى مطلقـا فى غيـر مسـائل إقـامة

الدين... هذا الدين السهل السمح الذى رفع الإصر والأغلال وأباد الميزة والاستبداد.

ومما يدل على خضوع ملوكنا للشرع المطاع وتسوية أنفسهم مع أقل الرعية، أنه لما كان المولى عبد الرحمن صاحب الترجمة عاملا وأمينا بالصويرة استقرض البعض منه مالا وبقى بذمته إلى أن نقل لخلافة فاس، ثم إلى أن تسنم عرش الملك، ومات المستقرضون، ولما طلب الأمير من الوراثة أداء ما على موروثهم من المال المستقرض طلبوا من السلطان إعمال الشرع معهم فى ذلك، فعين وكيلا عنه لرفعهم لمجلس الشرع الحاج عبد القادر بنانى ناظر أحباس القرويين، والقاضى يومئذ مولاى عبد الهادى الشريف العلوى، وبعد تقييد المقال وإجراء المسطرة الشرعية وقع الحكم على الورثة بالأداء وعلى السلطان بيمين القضاء، ثم صالحهم الوكيل بحط قدر من الدين فى مقابلة اليمين فأجابوه لذلك، وتم الفصال وهذا يذكرنا بعدل الصدر الأول.

قال فى الترجمان المعرب آخر ترجمة أبى الربيع فى حق السلطان أبى عبد الله محمد بن عبد الله ما لفظه: لما ولى خاله القائد قدور بن الخضر على قبائل الجبل وأمره بالخروج بالمحلة لقبض الزكاة والعشر فى إبان الخريف واقتضاها منهم ورجع، فكثر شاكو تلك القبائل بباب السلطان بأشياخهم فاستفهمهم السلطان عن العامل، فقالوا: ما رأينا منه إلا الجميل، وما تشكينا إلا بالأشياخ، فوجه معهم رحمه الله أحد قواده بهذا الكتاب (من إملائه) ونصه:

«خالنا القائد قدور بن الخضر سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: بلغنى ما صار إليه حال المستضعفين من الرعايا الذين أسندناهم لنظرك، لتحفظهم بسمعك وبصرك، فتركتهم فى حيز الإهمال، وليس هذا شأن من يتولى الأعمال، فنأمرك أن تخرج إليهم وقت قراءتك لهذا الكتاب، فى

خمسمائة من الركاب، وأدرك هذه الغنم قبل أن تفترسها الذئاب والقبيلة التى تنزل عليها فأصل دعاويها، ورد مظالمها، وانتصف من ظالميها، ولا تكثر المقام وتطيله، واترك الطمع وسبيله، فإن ذلك مما يضر بالرعية ويجحف بالمال، والحظ عاقبة المآل.

والقبيلة التى تشتكى من شيخها لا تهمل أمرها، وابحث عن حال الشيخ المشتكى منه، فإن كان ممن علم بالجور والتعدى فانتصف منه وأبدله بغيره، وإن كان الشيخ من أهل الخير ولم يعلم ظلمه فأقره على شيخوخته وافصل مسألته بوجه سديد.

وأصحاب الجنايات أحوالهم تختلف، فمنهم من يسجن ولا يطول سجنه ويمكث ثلاثة أيام أو أربعة تأديبا له ويسرح، ومنهم من يضرب ويسجن ويبقى الشهر والشهرين عقوبة له، وأما أهل الجرائم العظيمة مثل القاطع والسارق والهاجم والمتلصص وقاتل النفس، فالواجب أن تتصرف فيهم بالضرب والسجن، وقبض النصاف، ويبقوا تحت يدك إلى أن تأتينا بهم وتخبرنا بجرائمهم، ولا تجعل فسحة فى تسريحهم.

وأوصيك بتقوى الله والرفق بالمساكين، والضرب على أيدى الجبارة والمتمردين، فإن ذلك من القربة فى الدين، وإياك أن تتعدى هذا الحد وتفرض على القبائل مالا أو تكلفهم لما لا يطاق من المئونة والسخرة، أو تظلمهم مظلمة، فما وجّهتُك فى هذه الحركة إلا لرد المظالم وإقامة الحقوق لأربابها، ومن تجنب الظلم فى هذا الحركة إلا لرد المظالم وإقامة الحقوق لأربابها، ومن تجنب الظلم فى هذا فهو مأجور والسلام» وقد أسلفنا فى ترجمة صاحب هذا الكتاب سيدى محمد بن عبد الله نصيحته للأمة كما قدمنا نصيحة السلطان المولى الحسن القرنية فى ترجمته.

ومن هذا الباب ما كان من تحرى صاحب الترجمة المولى عبد الرحمن فى الأوقاف الدينية، فقد وقفت له على ظهير أصدره لناظر سَلاَ، أبى العباس أحمد عواد فى الموضوع، ودونك لفظه بعد الحمدلة والصلاة ثم الطابع السلطانى بداخله «عبد الرحمن بن هشام الله وليه»:

«خديمنا الناظر الأرضى، الحاج أحمد عواد، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فدور الحبس المنفذة بأيدى الناس هناك أردنا التحرى منها، فإن كان من دور المخزن هناك ما يناسب فأعلمنا به لنكون ننفذ منها والسلام فى ٢٢ ذى الحجة متم عام ١٢٥٢».

ومن الباب ما كتب به وزير المترجم المختار الجامعى لعواد المذكور ونصه بعد الحمدلة والصلاة:

«محبنا الأود الأرضى، الخير الدين المرتضى، السيد الحاج أحمد عواد، سلك الله بنا وبك مناهج السداد، وبلغنا وإياك من رضاه غاية المراد، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا أيده الله ونصره.

وبعد: فقد وصلنا كتابك واستوعبناه، وأطلعنا عليه مولانا فسر غاية، ودعا لك بخير، وحمد الله على وجود مثلك فى هذا الوقت، لأنه أيده الله لا يحب أن يتولى أمور المسلمين إلا من هو مثلك وهو ضالته المنشودة، وغايته المقصودة، فابق على عملك فإن الله يعينك ويسددك حيث لم تطلب هذا الأمر وما ذكرت فى شأن ما ضربه المتولى قبلك من المكوس وأحدثه من الأمور المذمومة شرعا وطبعا، أسقطه واقطع مادته، فإن سيدنا لا يحبه ولا يرضى لولاة أمره أن يسمع عنهم ما يخالف الشرع والسلام فى ١٤ ربيع الثانى عام ١٢٤٧، وأسلم على الفقيه السيد

محمد عواد والحاج العربى معنين والفقيه السيد التهامى مرسيل بأتمه وأزكاه والسلام.

المختار خار الله له ولطف به»

ومن الباب أيضا ما وقفت عليه لولده السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمن ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«خديمنا الأرضى الأمين، الحاج عبد الله حصار، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا بورود كتابنا الشريف عليك المتضمن للجواب عما أعلمتم به جانبنا العالى بالله من الفصال مع الإنجليز فى فكاك دار الأحباس بالعدد الذى قدره ثلاثة آلاف ريال، على أن يدفع خديمنا الطالب الطيب ابن هيمة النصف الذى تطوع به، وأمرناكم بفكاكها من يد النصرانى، ولو أن يزاد من بيت المال ضعف ما تطوع به الخديم المذكور حرصا على تطهير ذلك المحل، وحتى إن توقفتم فى خلاصه من يده على محل آخر غيره ويدفع له بالكراء تفعلوا، وذكرتم أنكم أحضرتم النصرانى المرة بعد المرة، واجتهدتم كل الاجتهاد فى سل المحل من بين يديه أنت والأمين الذى معك، وذلك بمحضر القائد الطيب بن هيمة وخوفتموه من جهة تسلطه على المسجد وغيره من مواضع البر، بطرق الشرع والقوانين، وضيقتم به غاية حتى أطاع بخروجه منه بمشقة، وطلب فيه ستة آلاف ريال ومحلا يسكن فيه، فبالغتم فى الاجتهاد معه حتى أسقط ألفًا وتفاصلتم معه بخمسة آلاف ريال، وعينتم له دارا مناسبة يسكن بها بالكراء من جهة كونها بين دارين لتجار النصارى، وليس فى جوارها مسجد ولا زاوية ولا غيرهما من مواضع التقرب، وأنها كانت فى القديم معدة للتجار، وكانت بيد نصرانى، ثم بيد ذمية من آسفى، وتكنى بدار الأعشار حيث كانت تنزل بها المعشرات لما كانت تحاز

بجانب المخزن قيد ولاية ابن عزوز، وأنها الآن بيد الأمـناء يضعون فيها إقامة البناء وغيرها، ويؤدون للأحباس ستين أوقيـة كراء فى كل شهر، وأسفلها صين وأعلاها متداع للسقوط، وأكريتموها للنصرانى بمائة ريال فى السنة، وعملتم معه تصلحوها له، وذكرتم إن اقتضى نظرنا بـقاء الأحباس على حيازة الستـين أوقية كراء، وأنتم تحـوزون المائة ريال من النصـرانى فى السنة فذاك وإن اقـتـضى نظرنا أن تناقل مع المسجد بملك يساوى ستين أوقية كراء فـى الشهر فعلتم، وأخبرتم أن الخمسة آلاف ريال التى تفاصلتم بها مع النصرانى عملتم معـه يقطع له نصفها الآن من خدمة إن كانت له خدمة، والنصف الآخر حين تصلح الدار ويخرج إليها ويدفع لكم مفاتح المحل والمخازن التى كانت بيده يصير يقتطع له من خدمته، وصار كل ذلك بالبال، فقـد أمضينـا ما فعلتـموه أصلحكم الله ورضى عنكم، وأمـر المناقلة سهل، فـما تقتضيه المصلحة فافعلوه فيها والسلام فى ٢٣ من شعبان عام ١٢٨٥».

ومن ذلك أيضا مـا وقفت عليـه لحفيـده المولى الحسن ونصـه بعد الحـمدلة والصلاة والطابع:

«خديمنا الأرضى الحـاج عبد الله حصـار وفقك الله وسلام عليك ورحـمة الله.

وبعـد: فقـد بلغنا أن بلاد السـواحل الحوزية كلهـا أو جلهـا ملكها أهلهـا للنصارى واليهود الذيـن فى حمايتهم بالبيع أو الرهن، بأن يذهبوا إليـهم برسومها ويطلبـون منهم دينا أو بيع قـوت أو شبـه ذلك، فيـعطونهم مـا طلبوه ويحـوزوا الرسوم، ولا يبقى لأهلها فيها إلا الاسـتغلال من تحت أهل الحمايات، وهذا الأمر إن لم يتـدارك بالقرب اتسع الخـرق فيـه على الراقع، ولا يكون هذا إلا مع تجـار المراسى الحوزية لقربهم منه وعليه فاستفهم تجار بلدك عما دفعوه لأرباب هذه البلاد من دين أو شبهه، ما هو منه على وجـه الشراء وما هو على وجه الرهينة، والقدر

الذى وقع به البيع أو الرهن، وأسماء الذين باعوه أو رهنوه لهم، وأعلمنا به على التفصيل، وإن أمكنك أن تتلطف فى حوز الرسوم منهم وتوجيهها إلينا فذلك المراد والسلام فى ١٩ ربيع النبوى عام ١٢٩٦ هـ».

ونص آخر له بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«أذنا بحول الله وقوته للفقيه القاضى السيد عبد الله ابن خضراء، فى النظر فى الوكلاء والشهود والعرفاء بمراكشة، وتمييز البر منهم فيقر والفاجر فيقصى، كما أذنا له فى النظر فى أمور الأحباس والمواريث والغياب والكشف عن أولياء الأيتام والمحاجير بما تقتضيه الشريعة المطهرة فى كل ما يتعلق بحقوق الجميع، فيسلم ما سلمه الشرع من ذلك، ويرد ما رده، وأن يحاسب أولياء الأيتام والمحاجير على ما دخل بأيديهم من أموالهم.

وأما ما دخل بيد ناظر الأحباس الكبرى من مستفادها ونائب المواريث والغياب من أموال المواريث والمنقطعين، فالنظر فى محاسبتهم عليه أمر آخر موكل لجانبنا العالى بالله حين نريده والسلام فى ٥ ربيع النبوى عام ١٢٩٨».

ونص آخر بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«خديمنا الأرضى القائد محمد بن سعيد السلوى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد بلغ لعلمنا الشريف ما استفز به اللعين. رعاع المسلمين، واستهواهم بغوايته وضلاله المبين، وارتمى بهم الحال إلى أن صاروا يشربون الخمر جهارا، ويعربدون فى الشوارع وهم صرعى أطوارا، من غير مراقبة من حرمها فى صدر الإسلام، وأوعد من يقتحم شربها بأليم العقاب، وفوق إليهم السهام.

فعن مولانا رسول الله ﷺ مخبرا عن ذى الجلال، من شرب الخمر فى الدنيا سقاه الله من طينة الخبال، وهى ما يسيل من جلود أهل النار.

فاعتبروا يا أولى الأبصار، على أن المخالفة باقتحام عقبات المحرمات، موجبة لسخط الله ومجلبة للآفات. ﴿... إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ... ﴿١١﴾﴾ [الرعد: ١١] فيما يأتونه أو يذرونه، وقد ذم الله تعالى بنى إسرائيل بما جعله بيانا لما اقترفوه. فقال: ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ... ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٩]. ويكفيك فى الإيعاد كونها ـ أى الخمر ـ من الخمس عشرة خصلة التى إذا فعلتها هذه الأمة حل بها الخسف أو المسخ أو غيرهما من أنواع البلاء، واستأصلتهم يد الخلاء والجلاء، بنص قوله سبحانه فى كتابه المبين: ﴿... سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف: ١٤٥].

وعليه فنأمرك تزجر من عثرت عليه من المسلمين معربدا، أو وجدته صريعا واللعين عليه مستحوذا، بأن تجلده ثمانين، وتودعه السجن حتى تتحقق توبته ويخلص من شؤم سمة المجانين، ويتدرع شعار المسلمين: ﴿... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢] كما نأمرك أن تجعل عهدة من أخرج شيئا من الملاح على البوابين. وتتوعدهم عن ذلك إن غضوا الطرف عنه أو قبضوا عليه الرشا من المبتلين، وتزجر من المسلمين من عاد إلى مخالطة أهل الذمة فى شىء من ذلك فى الحين أو بعد حين، فإن ذلك مثلبة فى الدين:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على

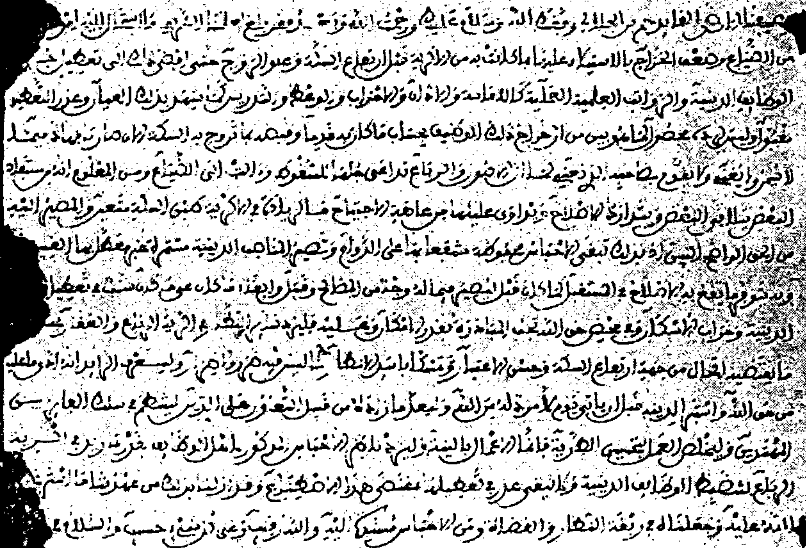
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

إلا ما يتعاطاه أهل الذمة فيما بينهم فلا يتعرض لهم، لكونه مستحلهم فى دينهم، وأعطوا العهد عليه، نعم يعزرون إن أظهروا السكر فى غير محلهم جريا



ظهير حسنى لعامل سلا فى التحذير من الخمر

وإقامة الحد على شاربها وسجنه



ظهير حسنى إلى القائد حم بن الجيلانى فى الإذن للنظار بالزيادة فى أكرية الأحباس تبعا لارتفاع السكة والزيادة لأصحاب الوظائف الدينية والعلمية فى رواتبهم تبعا لذلك

على مقتضيات الشريعة المطهرة فى ذلك، والله ولى التوفيق، والهادى إلى سواء الطريق، والسلام ٩ رجب الفرد الحرام عام ١٣٠٤».

ونص آخر بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير:

«وصيفنا الأرضى القائد حم بن الجيلانى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فقد بلغ لعلمنا الشريف ما استحال إليه أمر الرباع من الضياع وضعف الخراج، بالاستيلاء عليها بما كانت به من الأكرية قبل ارتفاع السكة وعلو الرواج، حتى أفضى ذلك إلى تعطيل جل الوظائف الدينية، والرواتب العلمية العملية، كالإمامة والأذان، والأحزاب والوعظ والتدريس كما شهد بذلك العيان، وعذر التعطيل مقبول، وليس لرده محصول، لما هو بيّن من أن خراج ذلك الوظيف بحساب ما كان به قديما، وقبضه بما تروج به السكة الآن صار تافها ذميما، لا يسمن ولا يغنى، ولا يقوم بصاحبه الذى نعنى، كما أن الأصول والرباع، تداعى جلها للسقوط وآلت إلى الضياع.

ومن المعلوم أنه من مستفاد البعض يتلافى البعض ويتدارك الإصلاح، ويداوى عليها من عاهة الاجتياح، فالزيادة فى الأكرية طبق السكة متعين، والمصير إليه من الحق الواضح البين، إذ بذاك تبقى الأحباس محفوظة منتفعا بها على الدوام، وتصير المناصب الدينية مستمرة غير معطل بها القيام، وبه يتوفر ما يقع به الإصلاح فى المستقبل كما كان قبل ليصير فيما له وجه من المصالح وقبل.

وإبقاء ما كان على ما كان، سبب فى تعطيل الوظائف الدينية وخراب الإسكان، وفى محض حق الله تجب المبادرة بقدر الإمكان، وعليه فليزد سائر النظار فى أكرية الرباع والعقار بحسب ما يقتضيه الحال من جهة ارتفاع السكة

وحسن الاعتبار، وتمسكا بأسد الأنظار، مما ليس فيه ضرر ولا ضرار، وليعرف الزائد أنه أدى ما عليه من حق الله، واستبرأ لدينه قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله، وليعد ما زاده من قبيل التعاون على الدين، لينتظم فى سلك الفائزين المهتدين، وليتخلص العمل بتحسين الطوية، فإنما الأعمال بالنية، وليزد ناظر الأحباس المذكور لأهل الوظائف بقدر ما زيد فى أكرية الرباع، لتنضبط الوظائف الدينية ولا يبقى عذر فى تعطيلها بمقتضى هذا الاصطناع، وقد أزلنا بذلك من عهدتنا ما استرعانا الله عليه، وجعلناه فى ربقة النظار والقضاة ومن الأحباس مسندة إليه، والله رقيب، وعلى كل شيء حسيب، والسلام فى . . جمادى الثانية عام ١٣٠٣» استقل الظهير الشريف.

إلى غير ذلك مما يطول ذكره.

وإن أى وقفة يقفها القارئ الكريم من هذه الفصول التى كان يصدر الأمر بها لعمال الجهات وقواد المناطق نَأت أو قرُبَت تملى عليه من آيات الاعتناء بكل ما يتعلق بأمر الدين، ومعالم التوحيد، وأركان الإسلام مما لم يكن يغفل أمره أحد من سلفنا الأكرمين، وملوكنا الأماثل مجتهدين، حاثين على التواصى بإقامة الدين، ونشر نفوذه وثقافته المؤثرة بين مختلف الطبقات وتنوع الأوساط.

وكيف لا يكون اعتناؤهم بالدين عظيما واهتمامهم بأمره يتجاوز أقصى مجهوداتهم ومتفوق حدود مقدرتهم، وهم يعلمون أن ذلك من أخص واجباتهم، وأول فروضهم المحتّم عليهم قبل غيرهم إنجازها وأداؤها، علاوة على ما فى رابطة الدين وثقافته، ومن لم الشعث وضم المتفرق وإحكام الوحدة التى ينتظم بها أمر الملك، ويصلح نظام السلطان.

وقلما أمكن صلاح حال أمة أو رعية من الرعايا ما لم تسق بسياسة الدين الكفيلة بصلاح عموم الأحوال، وتحقيق جميع الآمال، ولعل ذلك هو سر اتفاق

كلمة المؤرخين وعموم الباحثين والمحررين على سحب كلمة السلطان ونعت الملك عن كل قائم لا ينهض بأمر الدين، ولا يحفل بتعاليمه وأوضاعه المحببة إلى كل ذى فكر سليم ونفس شريف.

فمهما علا قدر الواحد واشتد ساعده يدعونه متغلبا ما لم يكن للدين من نظره نصيب، وللاهتمام به من رعايته قدر وافر، ولنرسل رائد النظر بعيدا منذ الفتح الإسلامى للآن على جميع الأصقاع النائية والدانية من مختلف أقطار المغرب وجهاته، فنرى كيف أن كل ناحية أو صقع مهما ضؤل شأنه وقل سكانه إلاّ وبه مسجد لإقامة الصلوات ومرجع عبادة وإنابة لأداء الفروض، وطلب غفران الخطايا، وتهذيب النفوس، وإصلاح الضمير.

ولم يخل قط عصر أو تاريخ لم تكن فيه كل قبيلة أو بادية تفرط فى شأن من أمور دينها وتعليم شرعها، وكان الفضل الأول والأكبر فى ذلك واستمراره لهداتها الأمراء الكرام والملوك الأعاظم، ولا سيما ملوك دولتنا الحاضرة الذين نقرأ لهم فى هذا الباب صفحات بيضاء يبيض لها وجه التاريخ وتنار بها طلعة وجوهم على ممر الأعصار وتوالى الأيام، وما هذه الفصول المنتشرة بأغلب مراجع هذا التاريخ كله - ومنها ظهيرنا الواقفة هذه اليراعة عنده - إلا غيض من فيض، وقُلّ من كُثْر، من هذه العنايات المختلفة والرعايات المتشتتة بين مختلف دفاتر التاريخ.

أما مولانا السلطان الحالى المفتخرة بعصره الدنيا على كل العصور، فلم ينهج إلا نهج أسلافه الأكرمين، وسلفه من عظماء ملوكنا العلويين فى الحث على إقامة أمر الدين وتنظيم معالم الإسلام فى كل ناحية وجهة، ففى كل مرجع وموضع من الأنحاء المغربية يعطى لأمر الدين المقام الأول والمكان الممتاز، وإذا كان قد انفرد عصره الزاهى بإقامة شعائر الدين فى مواطن جديدة وأماكن لم يكن تأسس بها مسجد من قبل لحدوثها بحدوث عمران إيالته المتسع، وانتشار نفوذ دولته الممتد فى

ذلك إلا من حظوظه المؤيدة، وسعوده الطالعة، ومجده المضاعف الناشر فخره على الأيام والليالى:

نبنى كما كانـت أوائلـنا تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

فكم من مسجد وجامع جمـعة وخطبة أُنشئ منذ جلوس جلالته على عرش أسلافه الكرام، وآبائه الهداة العظام، وإن أحجمنا عن عدها فـلمعرفة الجمهور بها وانتصـابها أمام جمـيع الأنظار، يشاهدها الخاص والعـام، وحسبك منها المسـجد الجامع المقام بأنحاء زمور الشلح بالمحل المعروف بـ (الخميسات) الذى أصبح عمرانه يتزايد بتزايد الإقبال عليه، ومضاعفة الحركة فيه، وناهيك إنه بمنزلة محطة من أكابر المحطات، وطريق من أوسع الطرق شـأنا، وأبعدها مدى، يربط بين أقـصى البلاد البربرية وشواهق جبالها الممتدة إلى أقصى حدود الأطلس البعيد، فهلا اعتبرنا ذلك من حسنات عصره الزاهر الذى أمكن أن نشاهد فيه ما لم يكن بالحسبان.

اعتناؤه بنشر العلم وتسهيل سبله:

وكما اهتم بأمور الدين وإظهـار شعائره وإقامة مبانيـه، كذلك اعتنى بمسألة العلم والعلماء والطلـبة وانتقد أسلوب التـدريس الذى كان جاريا على عـهده من تطويل ممل، واقتصـار مخل، واشتغال بالـقشور عن اللباب حسـبما ترى فى هذا الظهير الشـريف الذى أصدره لقاضى مدينة فـاس يأمره بجمع المدرسين وتنبـيههم على خطأ ما جرت به العادة، وإرشادهم لنظام كفيل بالتحصيل والإفادة، ونصه:

«ولد عمنا الأرضى، الفقيه القاضى مولاى عبد الهادى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد بلغنا توافر طلبة العلم على العادة، وجدهم فى الطلب، غير أنه قل التحصيل والإفادة، وذلك لمخالفة الفقهاء فى إقرائهم عادة الشيوخ، وإعراضهم عما ينتج التحصيل والرسوخ، فإن الفقـيه يبقى فى سلكة سيدى خليل نحو العشر

سنين، وفى الألفية العـامين والثلاث أكثر ما يجلب من الأقـوال الشاذة، والمعانى الغريبة الفـاذة، وكثرة التشغـيب بالاعتراضات وردها، ومناقشـة الألفاظ وعدها، ويخلط على المتعـلم حتى لا يدرى الصحـيح من السقيم، ولا المنتج من العـقيم، وفى ذلك تضييع الأعـمار التى هى أنفس المتاجر بلا فائدة، وتعمـير الأوقات التى يرتجى نفعهـا بلا عائدة، فتجد الطالب يرحل فى طـلب العلم من بلاده، ويتغرب عن أهله وأولاده، ويقيم المدة المتطاولة لا يحـصل مع كثرة دءوبه على طائل، ولا يقف على محـصول ولا حاصل، فـترى الفقهـاء يكثرون على المبتـدئ من نقول الحواشى والاعتـراضات، وينوعون الأقوال والعبارات، حـتى لا يدرى ما يمسك، ولا أى سبيل يسلك، ويقوم من مجلس الدرس أجهل مما كان، ولا يجد زيادة مع بلوغه فى نفسه الإمكان.

وهذا يؤدى إلى ضياع العلم الذى هو ملاك الدين ويحمل على عموم الجهل فى العالمين، وما هكذا كان يفعل أهل الإفادة والتحرير، الذين يحرصون على نفع طلبة العلم رغـبة فيمـا عند الله من الأجر الكبيـر، فقد كـانوا يسهلون لهم طرق العلم واستفادته، ويرتكبون ما يقرب تحصيل العلم وزيادته، ويتنزلون لعقول الطلبة على قدر أفهامهم، ويحتالون على حصـول الفهم والعلم للمتعلمين بلطيف عبارة كلامهم، حتى يحصل اللبيب على مـراده فى أقرب أوان، ولا يضيع عمره سبهللا من غير تحصيل ولا عرفان.

إذ كان مقصـودهم فى ذلك الله ونشر العلم للعمل، لا التفصـح والتمشدق الذى يحصل معه الخلل والملل، ولا ينجح معه لذى أرب أمل.

وهذا من الأمر الذى يجب التنبـيه عليه، ويتـأكد فى جنب أرباب المناصب الجنوح إليه، إذ فى الحديث: الدين النصيحـة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المؤمنين وعامتهم.

فبوصول كتابنا هذا إليك اجمع المدرسين وأرشدهم لما فيه المنفعة العامة، والإفادة التامة، وهو الاقتصار فى التقرير على حل كلام المؤلفين وإفهامه للسامعين المتعلمين، مع التنبيه على ما فيه من خطأ وتحريف من غير إكثار هدر، ولا تشغيب بترداد اعتراضات وطرر.

إذ المقصود هو حصول الفهم والإفادة، والمناقشة فى الألفاظ إنما هى لغو وزيادة، وليست لأهل التحرير بعادة، وما يقدم قراءة النحو والبيان والمعقول، إلا لتحصيل الملكة التى يتوصل بها إلى فهم المنقول، فلا ينبغى فى الفقه مناقشة الألفاظ، ولا نقل كل ما سوده الحفاظ، بل ينبغى الاقتصار على بسط المسائل وفصولها، وتقريبها للفهم بتقرير أصولها، فلا يجاوز الفقيه فى سلكة خليل، العام، وإن أطال ففى عامين، ولا يجاوز فى الألفية الشهر أو الشهرين كما كان يفعل ذلك جهابذة العلم ونقاده، بل كانوا يسردون خليل فى أربعين يوما، والألفية فى أقل من ذلك، ويحصل الطلبة فى ذلك على علوم جمة، ومسائل مهمة، لا يحصلونها فى هذا التماطل والتطويل، وعمارة الأوقات بما ليس عليه تعويل.

ولينظروا فى سيرة من قبلهم فى التدريس والإلقاء، ويسلكون ما هو أقرب للتحصيل وأمس بتسهيل الفهم والإقراء، فبهداهم فليقتدوا، وبأنوارهم فليهتدوا، ليستفيدوا ويفيدوا، ويبدئوا فى نشر العلم ويعيدوا، ويحصل الطلبة الغرباء فى ذلك على مرادهم، ويدركوا ما يسره الله على قدر استعدادهم، والله ولى التوفيق.

ومن جملة الأمور الموجبة لقصور فهم المتعلمين وعدم نفعهم، تقصير مجلس الإلقاء وخفته، فلا يجاوز من أطال من الفقهاء الساعة، مع أن من رحل للطلب من بلده ونيته تحصيل العلم يستغرق الأوقات، ويعرض عن الراحة واللذات، ولا يكون له غرض إلا فى درس أو نظر، ليحصل مطلوبه على الوطر،



ظهير رحمانى لقاضى فاس المولى عبد الهادى

فى إرشاد المدرسين لسلوك طريق تكون أقرب للتحصيل ونفع الطلبة

ظهير رحمانى

للقائم بالزاوية الكرزازية فى الإنعام عليه بأعشار بنى عباس وزكواتهم

ففى الحديث: منهومان لا يشبعان، طالب علم وطالب دنيا، فينبغى حمل الطلبة على الأليق بحالهم من الدءوب والإطالة. ومواصلة الطلب وترك البطالة والسلام فى ١٢ محرم الحرام ١٢٦١».

وقد جاء فى كتاب شريف بعثه لولده الخليفة بتاريخ عام ١٢٥٢ مما يدل على اعتنائه بالعلم وأهله:

«وما ذكرت على شأن الطلبة الذين ظهرت نجابتهم، فمن كان مجتهدا فى القراءة وظهرت نجابته فرد له ما كان يقبضه قبل من الإعانة، ومن كان مجتهدا فى القراءة مثابرا عليها فاجعل له ما ينتعش به ويتقوت، وحين يزيد اجتهاده نزيده إعانة، فإن العلم كاد يندثر وفى مراكش أكثر، وقد كان الملوك ينقلون العلماء من البلدان لبث العلم ونشره كالسهيلى وعياض، والطلبة، وإن كان غالبهم إنما يقرأ العلم لأجل الدنيا، فإن العلم يرده إلى الله ويدعوه لإخلاص العمل له، وقد قال سفيان الثورى رحمه الله: قرأنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله».

تبرعاته وأوقافه

من ذلك إنعامه على رئيس الزاوية الكرزازية بجميع أعشار بنى عباس.

ودونك لفظ الظهير الصادر بذلك بعد الحمدلة والصلاة ثم الطابع السلطانى بداخله «عبد الرحمن بن هشام بن محمد وفقه الله» وبعده:

«أنعمنا بحول الله وقوته على محبنا المرابط البركة، سيدى محمد بن محمد القائم بأمور الزاوية الكرزازية بجميع أعشار بنى عباس وزكواتهم القاطنين بوادى الساورة وما والاه، ليستعين بذلك على مئونة زاويتهم المباركة، فنأمرهم أن يدفعوا له ذلك، ولا يتراخوا فيه، وفقهم الله والسلام فى رابع عشرى ٢٤ محرم الحرام عام ١٢٣٦».

وقد أصدر ظهيرا آخر بهذا التاريخ لمقدم الزاوية المذكورة بالتوقير والاحترام، نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«مقدم الزاوية الكرزازية المباركة المحب محمد بن بوعزة، السلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فقد ورد على حضرتنا الشريفة المرابط البركة المحب الصالح سيدى محمد بن محمد، وأثنى عليك خيرا، وذكر لنا محبتك فى جانبنا العالى بالله تعالى، وسعيك فيما يرضى الله ورسوله ويرضينا، فالله يرشدك، وهانحن وقرناك لانحياشك إليه، واحترمناك وأسدلنا عليك ذيل المبرة وأمّناك فلا يحوم أحد حول حماك، ولا يروم أذاك، والواقف على كتابنا هذا يعمل بذلك، ولا يسلك غيره من المسالك، والسلام فى ٢٤ من محرم الحرام عام ١٢٣٩» هـ من أصلهما المحفوظ بمكتبتنا، وصاحب الزاوية الكرزازية الذى إليه تنسب هو الشيخ عبد الكريم كان من أكابر الأولياء كما فى التقاط الدرر للنسابة الضابط المحرر أبى عبد الله محمد بن الطيب القادرى، قال: وممن أخذ عنه من الأكابر سيدى محمد العياشى دفين مصر. هـ.

ومن تبرعات صاحب الترجمة إنعامه بعشرة قناطير من معدن الحديد على الزاوية الناصرية، ودونك نص الظهير الصادر فى ذلك بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطانى:

«يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره، وجعل فى الصالحات طيه ونشره، أننا جددنا لماسكه المكرم الأجل المرابط البركة السيد أبى بكر بن على حفيد الولى الشهير، والشيخ العارف الكبير صاحب الأسرار والمفاخر سيدى محمد بن ناصر أفاض الله علينا من بركاته، على ما بيده من ظهير جدنا سيدى الكبير قدس الله روحه فى النعيم المتضمن إنعامه على الزاوية الناصرية بتمكروت عمرها الله

بدوام ذكره بخمسة قناطير من معدن الحديد من مرسى الصويرة، ومثلها من مرسى آسفى كل عام، إعانة لها، وقد جمعنا العشرة قناطير كلها بثغر الصويرة، فنأمر كل من يتولى بها أمرنا الشريف أن ينفذ للزاوية المذكورة القدر المذكور كل عام والابتداء من شهر تاريخه صدر به أمرنا المعتز بالله فى ١٠ محرم عام ١٢٧٣» وبعده: استقل.

ومن ذلك الساعات التى حبسها على جامع النجارين والجامع الأعظم من مكناس، ونص ما ورد فى ذلك حوالة الأحباس الكبرى بمكناس صحيفة ٤٠:

«حبس مولانا الإمام، المظفر الهمام، أمير المؤمنين مولانا عبد الرحمن ابن مولانا هشام الشريف العلوى مجانة على منار الجامع الأعظم بمكناسة الزيتون، وحازها الموقت بالمنار السيد محمد الفاسى بحضور ناظر الأحباس السيد الحاج الطيب غريط، وذلك بواسطة خديم سيدنا الطالب السيد محمد الأشخم الزرهونى، تقبل الله من مولانا المذكور وشهد على إشهادهم بذلك عارفين قدره وبأتمه، وعرفهم ثالث المحرم الحرام فاتح أربعة وسبعين بموحدة ومائتين وألف فلان بشكله ودعائه وفلان كذلك».

وبالصحيفة نفسها: «بعد تحبيس مولانا أيده الله مجانات خمس على جامعى النجارين، والأعظم بمكناسة الزيتون، وحازها بالأمر المولوى أعزه الله الناظر السيد الحاج الطيب المذكور أعلاه، يليه لجانب الحبسين المذكورين حضر الطالب السيد محمد بن الفقيه السيد عبد القادر الفلوسى الموقت بالجامع الأعظم، والشريف سيدى محمد بن سيدى محمد فتحا المنونى الموقت بالنجارين، وحاز الأول ثلاث مجانات، وحاز الثانى اثنتين، وعرفوا قدره وبأتمه، وعرفهم ثالث المحرم الحرام فاتح أربعة وسبعين بموحدة ومائتين وألف فلان بشكله ودعائه وفلان كذلك».

ومن ذلك ما سنه للمهاجرين إليه من وطن الجزائر كل سنة خمسمائة مد من القمح بالمد الفاسى لخصوص الأشراف منهم، مع خمسمائة مثقال كذلك، وكان بها خمسمائة ريال أو ما يقرب منها، وذلك زيادة على صلته لهم فى الأعياد وكذلك عوامهم من أهل الحرف والزراعة، وقد أصدر أوامره لعماله باحترامهم وتوقيرهم وعدم تكليفهم بأى كلفة من الكلف المخزنية قلّت أو جلّت، وأن لا يسامون بمغرم ولا هدية رعيا لهجرتهم وتغربهم عن أوطانهم.

وقد وقفت له على ظهير كتبه لولده الخليفة يأمره بإسكان القاضى الذى كان مع الأمير عبد القادر دارا تناسبه بفاس وإعانته على مئونته ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«ولدنا الأبر الأرضى سيدى محمد أصلحك الله ورعاك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فبوصوله إليك مر الطالب علال الشامى يدفع لحامله السيد عبد القادر بن محمد قاضى الحاج عبد القادر بن محيى الدين ثلاثين مدا من القمح إعانة له على مئونته، وينظر له دارا يسكنها مناسبة لحاله، وإن كان أهلا للتدريس يجعل له ما يستحقه من المشاهرة، على أن يقوم على تدريس مختصر خليل، فقد بلغنا أنه يحسنه، وقد كتبنا لولد عمنا مولاى عبد الهادى بذلك بأن يجعل له ما يستحقه، فإن قيمة كل أحد ما يحسنه والسلام فى ١١ رمضان المعظم عام ١٢٦٢».

ومن ذلك أنه لما انتشر القحط بالمغرب سنة أربعين ومائتين وألف بذل للضعفاء والأرامل والأيتام والمساكين، وأمدّ التجار بالأموال لجلب الأقوات من أوربا وغيرها لإيالته، وحدد للمحتكرين الأرباح شفقة على ضعفاء الرعية، وعنف ولام من خالف ذلك، ويكفيك شاهدا على ذلك ما أصدره لأهل العدوتين سَلاَ



ظهير رحمانى لأهل العدوتين ببعث تاجر لأوروبا يمتار الأقوات ويجلبها للناس عند القحط

الحمد لله وحده   وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

ولدنا البار الارضى سيدى محمد اصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته
وبعد فقد بلغنا ان عرب الصحراء من الواسطة وغيرهم يدخلون افواجا
بعد اخرى ليكيل الزرع من قبايل [illegible] الله كعلى اول وانهم كانوا في العام الماضي
يغيبون على الانهر حتى يلحقوا ما يخرج منها جملة وذلك بقصد التوجه
لبيعه للنصارى دمرهم الله فلابد ان تبحث عن ذلك عاملا وجدة وغيره حتى تقف
على حقيقة ما كانوا يتوجهون به للنصارى وكما بلغ عنهم بعض ذلك فامنع
القبايل من بيعه لهم ومن ظهر عليه ذلك يعاقب ويزجر وان كانوا يأخذون
ذلك لانفسهم ويحملونه لاقامة بنيتهم فاتركوا سبيلهم فلا يمنع اخواننا والسبيل
لجميعهم واعلمنا بما ثبت عندك من ذلك والسلام في 14 جمادى الثانية عام [illegible]

ظهير رحمانى إلى الخليفة سيدى محمد فى جواز اكتيال الجزائريين القمح لأنفسهم من المغرب ومنعهم إن أرادوه لغيرهم

والرباط فى الموضوع، وإليك نص الظهير الصادر إليهم بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطانى:

«خدامنا أهل العدوتين سَلاَ، ورباط الفتح كافة السلام عليكم ورحمة الله تعالى.

وبعد: فكيف تجاركم يجلبون الأقوات ويحتكرونها ولا يقنعون بالربح الذى جعلناه لهم، وقدره درهمان للمثقال، والناس فى غاية الاحتياج من غير نكير ﴿... أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ۝٧٨﴾ [هود: ٧٨] قال تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون: ٧] وقال عليه الصلاة والسلام: اتقوا النار ولو بشق تمرة.

وعليه فبوصول كتابنا هذا إليكم عينوا رجلين تاجرين ماليين سلاوى ورباطى، كالحاج العربى معنينو، والحاج محمد والزهراء لندفع لهما عشرة آلاف ريال، ويتفاوضان فيمن يسافر منهما لبر النصارى يتسوق، ومن يجلس بالبلاد يقبل ما وجهه الآخر، ويباع الزرع بالبلدتين بما يأتى به وزيادة درهم لكل مثقال ربحا، وهذا الربح يستبد به التاجران اللذان تعينونهما، وحظنا من ذلك الدعاء وإغاثة الملهوف، ويباع الزرع للخاص والعام، ولا يحجر على أحد، وإذا تهيأ التاجران للعمل أخبرونا مع رسول، لأوجه للذى يسافر منهما أمرنا لطنجة ليدفع له المال المذكور هناك، ويتخير المسافر المذكور هل نكتب لابن عليل بجبل طارق يعينه أو لمودنة بجنوة، والعزم له بركة، وإياكم ثم إياكم والتراخى والسلام فى سادس ذى القعدة عام أربعين واثنى عشر مائة» من أصله.

ومن ذلك ما كتب به لولده خليفته سيدى محمد فى شأن أهل الجزائر الذين يدخلون أرض المغرب لاكتيال القمح من قبائله، يأمره بالبحث فى أمرهم، فإن وجدهم يشترون القمح لأنفسهم وإخوانهم تركهم، وإن وجدهم يشترونه لمن احتل بلادهم منع بيعه إليهم.

ونص الكتاب من أصله الموجود بمستودع المحفوظات بالقصر السلطانى بالرباط بعد الحمدلة والطابع:

ولدنا البار الأرضى، سيدى محمد أصلحك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد بلغنا أن عرب الصحراء من الواسطة وغيرهم يدخلون أفواجا بعدد كثير لكيل الزرع من قبائل الإيالة كعام أول، وأنهم كانوا فى العام الفارط يقيمون على الأندر حتى يأخذوا ما يخرج منها جملة وذلك بقصد التوجه لبيعه للنصارى دمرهم الله، فلا بد ابحث عن ذلك عامل وجدة وغيره حتى تقف على حقيقته، فإن كانوا يتوجهون به للنصارى كما بلغ عنهم فقد أذناك فى منع القبائل من بيعه لهم، ومن ظهر عليه ذلك يعاقب ويزجر، وإن كانوا يأخذون ذلك لأنفسهم ويحملونه لإقامة بنيتهم فاترك سبيلهم، فإنهم إخواننا ولا سبيل لمنعهم، وأعلمنا بما ثبت عندك لننظر فيه والسلام وفى ١٤ جمادى الثانية عام ١٢٦٣».

فأين هذا مما تقوله المتقولون عليه من أنه كان يعين النصارى على المسلمين ويمدهم ويساعدهم عليهم.

ومن ذلك ما وصل به علماء الأزهر العامر من مصر المحروسة على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم بواسطة شيخ مجلسه الحديثى قاضيه بالعاصمة المكناسية أبى عيسى المهدى بن سودة المرى مار الترجمة، والأمين الحاج محمد الرزينى، والحاج بوجنان البارودى، وذلك فى شهر شوال عام أربعة وسبعين لكل واحد من أهل الطبقات الأولى ثمانية وأربعون ريالا (فرنك ٢٤٠)، ولكل فرد من الثانية خمسة وأربعون ريالا (فرنك ٢٢٥)، وللثالثة كذلك اثنان وأربعون ريالا (فرنك ٢١٠)، وقد قدمنا أسماء أولئك الشيوخ فى ترجمة أبى عيسى المذكور.

ومن ذلك شراؤه لدار بمكة المشرفة وتحبيسه لها على مؤذنى المسجد الحرام بمكة زادها الله عزا وشرفا، وكان ذلك سنة ١٢٧٤، ودونك نص عقد الشراء

والوقف وما جرى فى ذلك بعد افتتاحه وطابع قاضى مكة المشرفة بداخله السيد أحمد عزت:

«الحمد لله عز شأنا، هذه حجة صحيحة شرعية، ووثيقة محررة مرعية، صدرت بمحكمة مكة المكرمة البهية، دامت آمنة محروسة محمية، بين يدى نائب مولانا فخر قضاة الإسلام، كمال ولاة الأنام، قاموس البلاغة ونبراس الأفهام، محرر القضايا والأحكام يومئذ ببلد الله الحرام الراجى لطف ربه الخفى، الحاكم الشرعى الحنفى، الواضع خطه وخاتمه الكريمين أعلاه، دام فضله ومجده وعلاه، مضمونها حضر إلى المجلس الشريف الشرعى، ومحفل الدين المنيف المرعى، المكرم الحاج محمد بن الحاج أحمد الرزينى المغربى فى شراء المبيع الآتى ذكره فيه بطريق وكالته عن الجناب الشريف المحترم السيد السلطان الأمجد مولاى الشريف السلطان عبد الرحمن بن المرحوم السلطان هشام سلطان المغرب، الثابتة وكالته عنه فى شراء الدار الآتية، وأن يوقفها عنه فى الوكالة عنه المفوضة المطلقة وقفا صحيحا شرعيا يصرف ريعه على الآتى ذكرهم أدناه بشروطه الآتية، وذلك بين يدى نائب مولانا الحاكم الشرعى الموما إليه أعلاه ثبوتا شرعيا، بطريقه الشرعى المطابق للوجه الشرعى بشهادة المكرمين الحاج سعيد جسوس بن أحمد المغربى، والحاج على بن حسن المغربى، وحضر لحضوره فى البيع المكرم صالح بن الشيخ عبد الغنى بن الشيخ أحمد عبد الغنى غب حضورهما وثبوت الوكالة المذكورة فيما ذكر الثبوت الشرعى».

«اشترى المكرم الحاج محمد بن أحمد الرزينى الوكيل المذكور بطريق وكالته المفوضة المذكور عن موكله مولاى الشريف السلطان عبد الرحمن المشار إليه بمال موكله لموكله، دون مال غيره من بائعه الحاضر معه صالح عبد الغنى المزبور، فباعه ما ذكر أنه له وفى ملكه وحوزه، وباق تحت تصرفه إلى حين صدور هذا البيع منه

فيه الآئل إليه بالشراء الشرعى، بموجب حجة شرعية بيده، أعنى ما باعه كامل الدار الكائنة بمكة المشرفة بحارة الشامية المشتملة على مساكن علوية وسفلية، ومرافق ومنافع، وحقوق شرعية، وحوش وذلك بسفح جبل الهندى، ويحد كامل هذه الدار ويحيط بها بجميع ما اشتملت عليه حدود أربعة شرقا السكة النافذة المصعدة إلى علو جبل الهندى، وفيها باب الدار، وغربا جبل الهندى المذكور، وشاما ملك ورثة الشيخ محمد سعيد بن العطار، ويمينا وقف المرحوم الشيخ إبراهيم بن ياسين الجناعى، وتمام الحد السكة المصعدة إلى علو الجبل المذكور، وفيها باب الحوش بما لهذه الدار المبيعة المذكورة من الحق والحقوق والسوح والفسوح والمرافق والمنافع والأرض والبنا ومجارى الماء والطرق والاستطراقات وكل ما يعد، ويحسب من جملتها، وينسب إليها شرعا المعلوم ذلك عند كل من المتبايعين المذكورين العلم الشرعى، النافى للجهالة شرعا، اشتراء صحيحا شرعيا، وبيعا صريحا مرعيا بيعا باتابتلات. . . حازما جازما لازما ثابتا لا عدة فيه ولا مثنوية، مستوفيا لجميع شرائطه الشرعية، ومسوغاته المحررة المرعية.

لا قول فيه يبطله، ولا شرط ولا خيار يفسده، بل وقع على أتم البيوعات الشرعية وأكملها، صدر بين المتابعين المذكورين بصريحى الإيجاب والقبول الشرعيين، بثمن قدره وجملته من الريالات السنكو ألفان ريالا سنكيا وسبعمائة ريال سنكى. وخمسون ريالا سنكيا، ثمنا حالا مسلما جميعه من يد المشترى المذكور بيد البائع صالح عبد الغنى المزبور، حسب إقراره بقبض ذلك واعترافه الإقرار والاعتراف الشرعيين، وأذن هذا البائع المذكور لهذا المشترى الوكيل المزبور فى قبض وتسلم كامل الدار المحدودة المبيعة المذكورة وقبضها وتسليمها منه لموكله مولانا السلطان عبد الرحمن المذكور، وحازها له حوز مثلها خالية عن الموانع المبطلة، والشواغل المفسدة، لصحة هذا البيع، والقبض والتسليم والاستلام

فموجب ذلك صارت الدار المبيعة المحـدودة المذكورة ملكا طلقا من أملاك المشترى له مولاى الشريف السلطان عبد الرحمن المذكور، وحقـا صرفا من حقوقه يتصرف فى ذلك تصرف الملاك فى أملاكهم، وذوى الحقوق فى حـقوقهم من غير معارض له فى ذلك ولا منازع، ولا رافع ليـده ولا مدافع، وضـمان الدرك له على البـائع المذكور، حـيث يجب له عليه شرعا، وقـد صح وثبت جميع مـا ذكر لدى نائب مولانا الحاكم الشـرعى المومى إليه أعلاه ثبوتا صحـيحا شرعيـا، وأجاز هذا البيع ونفذه وأمضاه، وأوجب العمل بمقتضاه، والله الهادى».

«ثم لما أن تم هذا البـيع وانبـرم، وصـارت الدار المذكـورة ملكا من أمـلاك مولانا السلطان عبد الرحمن المذكـور، أقر بالمجلس الشرعى بين يدى نائب مولانا الحاكم الشـرعى المومى إليه أعـلاه هذا الوكيل عنه الحاج مـحمـد الرزينى المذكور بوكالته المفـوضة المذكورة الثابتـة شرعا، عن مولانا السلطان عبـد الرحمن سلطان المغرب، إقـرارا شرعيا وهو ومـوكله بحال الصحـة ووفور العقل طائعـين نافذين التـصرف، بأنه أوقـف عن موكله بحـال السلطان المذكـور كـامل هذه الدار ملكه المحـدودة المذكورة أعـلاه، وذلك لأنه حـيث كـانت هذه الدنيـا الدنية دار مـرور وغرور، لا دار بقـاء وسرور، ولأن الآخرة خيـر وأبقى ولا ينفع ابن آدم من هذه الدنيا إلا ما قـدمه لنفسه من التصـدقات المرضية، والأعمال الزكـية، وقد ورد فى الخبر عن سـيد البشر سيـدنا محمد ﷺ فى فضل الصـدقة أحاديث كثيرة شـهيرة أشهر من شـمس الظهيرة، منها قـوله ﷺ: يحشر المرء تحت ظل صدقـته، ومنها قوله ﷺ: اتقوا النار ولو بشق تمرة، ومنها قوله ﷺ: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له.

فلهذا رغب السلطان مولاى السلطان عبد الرحـمن المذكور فى الوقفية لأنها صدقة جارية طامعا فى الجزاء والثواب، من الملك الوهاب.

فأوقف هذا الوكيل عنه الحاج محمد الرزينى المذكور بوكالته المفوضة عنه كامل الدار المحدودة المذكورة، وهى فى ملك موكله، وحبس وسبل وأبد وأكد، ووطد[1] وسرمد وخلد، كامل الدار المحدودة المذكورة أعلاه بحقها وحقوقها وسوحها وفسوحها ومرافقها ومنافعها وأرضها وبنائها وطرقها واستطراقاتها وحوشها ومجارى مائها، وكل ما يعد ويحسب من جملتها وينسب إليها شرعا، المعلوم ذلك عند الواقف الوكيل وموكله العلم الشرعى النافى للجهالة شرعا وقفا صحيحا شرعيا، وحبسا صريحا مرعيا، لا يباع ولا يوهب ولا يرهن ولا يملك ولا يتملك، ولا يبدل ولا يستبدل، ولا يناقل به ولا ببعضه، بل لا يزال قائما على أصوله وضوابطه مستمرا على شروطه وروابطه، أبد الآبدين، ودهر الداهرين، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

يصرف ريعه بعد العمارة الضرورية اللازمة على المؤذنين بالمسجد الحرام بمكة المشرفة أهل الوظائف فى منابر المسجد الحرام دائما أبدا بالسوية بينهم، وإن تعذر إجراء ريع الوقف على المؤذنين أصحاب الوظائف المذكورين ولم يمكن إجراء ذلك مطلقا بوجه ما، فيصرف ريع الوقف على مطلق الفقراء القاطنين ببلد الله الأمين.

وشرط هذا الواقف الوكيل المفوض المذكور عن موكله، أن النظر على هذه الدار الوقف للحاضر معه بالمجلس الشرعى المكرم أحمد أفندى أماصيه لى ابن عمر مؤذن باشى شيخ المؤذنين حالا، فلا يعارضه فيه معارض، ولا ينازعه فيه منازع، ولا يشاركه مشارك، يؤجر ويعمر ويقسم ريع الغلة بالسوية على أصحاب الوظائف المؤذنين جماعته، ثم من بعده يكون النظر لكل شيخ يتولى مشيخة المؤذنين شيخا بعد شيخ دائما أبدا.

وإن آل الوقف لمطلق الفقراء بمكة فالنظر لمولانا الحاكم الشرعى يومئذ، ينظر عليه من أهل الديانة والأمانة من فيه صلاحية لذلك».

(١) فى المطبوع: «وأطد».

«ثم لما أن تم هذا الوقف وانبرم، وعلى هذا المنوال انحسم، وتسلم هذه الدار الوقف المذكورة الناظر عليها أحمد أفندى المذكور، ووضع يد نظارته عليها خالية عن الموانع والشواغل، حضر إلى المجلس الشرعى ثانيا هذا الوكيل الحاج محمد الرزينى المذكور الثابتة وكالته المفوضة عن مولانا السلطان عبد الرحمن المزبور، بين يدى نائب مولانا الحاكم الشرعى المومى إليه أعلاه، وأحضر معه الناظر على الدار الوقف المذكورة أحمد أفندى المذكور شيخ المؤذنين، وادعى عليه بوكالته المذكورة بدعوى صحيحة شرعية مستكملة لشروطها ومسوغاتها الشرعية فى هذه الدار الوقف المذكورة، وحددها ورددها بحدودها المذكورة أعلاه، تتضمن دعواه أن موكله عنَّ له الرجوع عن هذه الوقفية ويريد عود الدار المذكورة إلى ملكه ثانيا، زاعمًا عدم صحة الوقفية حيث لم تسجل ولم يحكم بها حاكم شرعى متمسكا بقول الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان رضى الله عنه فى ذلك، وطلب رفع يد الناظر عليها المدعى عليه عنها، وعارضه الناظر فى ذلك أحمد أفندى المذكور بأن ليس لموكلك الرجوع عن هذه الوقفية، وأنها صحيحة ولو لم تسجل، متمسكا بقول الإمامين الهمامين أبى يوسف ومحمد، وأن العمل على قولهما فى الوقفية، فعند ذلك تأمل بينهما نائب مولانا الحاكم الشرعى المومى إليه أعلاه فى ذلك، تأملا شافيا كافيا ورأى برأيه السديد، ونظره الرشيد، أن بجانب صحة الوقفية رجحانا قويا، وطريقا سويا.

ثم استخار الله تعالى وحكم بينهما بصحة الوقفية ولزومها، فى خصوصها وعمومها، حكما صحيحا شرعيا عالما بالخلاف، الجارى بين الأئمة الأسلاف، ومنع هذا الوكيل المدعى المذكور عن إعادة دعوى الملكية، وامتثل لذلك وبقى الناظر المذكور واضعا يد نظارته على الدار الوقف المذكورة، وصارت وقفا من أوقاف الله تعالى الأكيدة، مدفوعا عنها بحوله وقوته الشديدة.

﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾﴾ [البقرة: ١٨١] جرى وحرر ٢٠ ذى الحجة الحرام ختام عام الرابع والسبعين والمائتين والألف من هجرة من له العز والشرف، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، شهود الختم:

ترجمانه: محمد أفندى سعيد زاده. كاتبه: دروس أفندى معاص.

مسجله: الشيخ أحمد عزوز حباط. كاتبه: محمد بن المرحوم وسى الفغبى غفر لهما» من أصله.

استعداده البحرى

كان المغرب على عهده لا تزال له مراكب بحرية تجارية وحربية تمخر العباب ويقتنص رؤساؤها مراكب الدول التى ليس لها عقد مهادنة مع المغرب، ولا جوازُ مرورٍ يُبيحُ لها حرية التجول بمياهه وعبور شواطئه، وكان له بتلك المراكب ورؤسائها مزيد اعتناء، وقد اهتم كثيرا بإرجاع القوة البحرية - التى أغفلها بل أهملها عمه أبو الربيع آتى الترجمة - إلى سابق عزها، وردها إلى شبابها.

فتطوف على الثغور المغربية أواخر سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف، وأمر بإنشاء الأساطيل وضمها إلى البقية الباقية من آثار جده أبى عبد الله محمد بن عبد الله، وأصدر أوامره لرؤساء البحر من العدوتين سَلا، والرباط، أن يخرجوا القراصين للتطوف بالسواحل المغربية وما جاورها، فخرج الرئيسان عبد الرحمن بركاش وعبد الرحمن بريطل، فصادوا بعض المراكب الأجنبية وليس بيدها ورقة الجواز التى تخولهم التجول بتلك السواحل طبق الاتفاق الواقع بين الدولة الشريفة والدول الأروبية، فغنموا تلك المراكب وأتوا بها إلى مرسى العدوتين والعرائش، وبأثر ذلك وقع الهجوم على مرسى العرائش أخذا بالثار، ووقع قتال عظيم بين

ظهير رحمانى بحيازة (اليطغان) التى كانت عند الرئيس عبد السلام

أهل ذلك الثغر والمهاجم الأجنبى دام طيلة النهار، وانجلى بالظهور على الهاجم، وذلك يوم الأربعاء ثالث ذى القعدة عام خمسة وأربعين ومائتين وألف، وكانت هذه الواقعة وما نشأ عنها من فتح أبواب المشاكل بين الدولة الشريفة والدول الأجنبية من أعظم ما فت فى عضد صاحب الترجمة، وأكبر حائل بينه وبين الوصول لبغيته وغايته وضالته المنشودة.

وقد عثرت على عدة وثائق فى هذا الباب، فمنها ظهير يدل على استعمال تلك المراكب فى نقل الأمناء ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«خديمنا الأرضى، الحاج محمد بن التهامى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فالأمينان الواردان عليك فى المركب أنزلهما بمحل حذاء دارك وما معهما من الكمانية واستوص بهما خير إلى أن نقدم، فنحن فى إثره فنهوضنا من ثغر الرباط الفتح يوم الاثنين تاسع شهر تاريخه، وإياك والتراخى فى ذلك سددك الله، والسلام فى ٨ شوال الأبرك عام ١٢٣٩».

وكان السلطان ينعم على رؤساء المراكب بـ(اليطغان) تشريفا لهم، وهو سيف قصير محلى بالفضة له قبضة من عاج أو كركدان مرصع بالذهب والأحجار الكريمة، وله غمد كله من ذهب، وقد يكتب على نصله اسم صانعه واسم السلطان المنعم به، وكان هذا اليطغان سلاحا ملوكيا ينعم به السلطان على رؤسائه ما داموا أحياء، فإذا مات صاحبه حيز من ورثته ليدفع لمستحقيه، يدل على ذلك هذا الظهير الذى أصدره المترجم ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«نأمر خديمنا الفقيه الحاج عبد الوهاب محبوبة، أن يحوز اليطغان التى كانت عند الرئيس عبد السلام رحمه الله، فإنها من آلة الحرب التى لا تورث،

وإنما ينتفع بها من كانت عنده قيد حيـاته، وتدفع لمن يستحق الانتفاع بها بعد مماته والسلام وفى ٩ من جمادى الأولى عام ١٢٤٣».

وبعـده إعمـال بعض القـضاة له، ونص كـتـاب من الوزير ابن إدريس فى الموضوع:

محبنا الأود الأرضى، الحـاج أحمد عواد، سلام عليك ورحـمة الله تعالى وبركاته عن خير مولانا أيده الله ونصره.

وبعد: فإن يطغـانا كان عند الرئيس عبد السلام بن الفقـيه، ولما توفى حازه منه محبوبة، وعليـه فيأمرك مولانا أن تحوزه منه ووجهـه إلينا ليصل محله إن شاء الله تعالى والسلام فى ١٧ شعبان الأبرك عام ١٢٥٦.

محمد بن إدريس لطف الله به»

وكـان السلطان يـصـدر أوامـره للرؤسـاء بما يكون عليـــه عـملهم، وأين يتوجـهون، وعمن يبحـثون كما ترى فى هـذا الظهير الذى أصدره المتـرجم ونصه بلفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير بداخله (عبد الرحمن بن هشام غفر الله له) وبدائرته: ومن تكن برسـول الله إلخ، وبزواياه: (وما توفـيقى إلا بالله عـليه توكلت وإليه أنيب) (الله، محمد، أبو بكر، عمر، عثمان، على).

«الخديـمان الرئيس عـبد الرحـمن بريطل والرئيس الشريـف عبد الـسلام، أصلحكم الله ووفقكم، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فليكن سفركم المبارك السعيد المصحوب بالسلامة والغنيمة إن شاء الله ما مداش واحد تقطعـون للبحر الكبير على قان سينط، وتبـحثون كل البحث على جنس إبريمل، وجنس لويك وجنس ابروصية وجنس هنبورك، وإذا احتجتم للماء

فادخلوا لجنوة، ولا تقيموا فيها أكثر من ثلاثة أيام ولا تحملون منها إلا الماء، وإياكم والفالطة وعليكم بتقوى الله والصلاة فى وقتها وقراءة حزب القرآن وحزب البحر صباحا ومساء، والله خليفتى عليكم، وإذا تم سفركم وكمل بالخير إن شاء الله فادخلوا مرسى العدوتين إن ساعدتكم للدخول إن شاء الله والسلام فى ٢٦ من قعدة الحرام عام ١٢٤١».

وقد اقتنص يوما الرئيس الحاج عبد الرحمن بركاش مركبا غنيمة، فتألفت لجنة لإحصاء ما احتوى عليه من السلع وتقويمها وبعد أن بيع منها ما بيع، ووجه للسلطان بعضها، كتب السلطان إبراء لأمناء العدوتين الذين تألفت تلك اللجنة منهم ومن أمينين تطوانيين وذمى من يهود تطوان وإليك نص ما راج فى ذلك بلفظه:

«الحمد لله وحده بأمر مولانا الإمام، حامل راية الإسلام، سيدنا أمير المؤمنين، وناصر الملة والدين، المجاهد فى سبيل رب العالمين طالع السعد فى غرة عدنان، أبى زيد مولانا عبد الرحمن، نصره الله وأيده، وأيد عساكره وجنوده، آمين، أحصى أمناؤه بمرساه من العدوتين حرسهما الله بوجود مولانا أعزه الله وهم خديمه الحاج محمد السويسى والحاج بناصر غنام والحاج عبد الله السدراتى والأمينان الواردان بأمره الشريف أسماه الله من تطوان حرسه الله الحاج عبد الرحمن مدينة والحاج أحمد صالح والذمى شميل قرياط من يهود ملاح تطوان، ما احتوى عليه المركب المغنوم على يد رئيس سيدنا المجاهد عبد الرحمن بركاش من السلع على اختلاف أنواعها وتعرفوا وزن ما يوزن منها، وعد ما يعد منها حسبما يذكر ذلك مبينا بتقويم الذمى قرياط المذكور بحسب سعر الوقت فى أوائل ربيع الثانى عام ١٢٤٤:

كاغيد كتابي فروض	٠٠٠٠٥ رزم		٠٠٠٩٩	رسوم ٢٥	٠٠٢٤٧٥
بوطات زيت عددها	٠١٠٠ كيلها بمعيار الرباط تقريبا قناطير		٤٤٦٠٠	رسوم ١٦٠	٠٧١٣٦٠
برامل فلفل عدد	٠٠٦٠ ميزان بالطارة	٦٣٨٤ صافي	٠٥٣٠٠	رسوم ١٦٠	٠٠٧٤٢٠
صناديق من كبريت	٠٠٣٣	٩٥٩٢ صافي	٠٨٢٧٠	رسوم ٦٥ ١/٢	٠٠٥٣٧٥
برامل جبة حلاوة	٠٠١٢	٢٠٠٠	٠١٦٤٠	رسوم ١٠٠	٠٠١٦٤٠
برامل حصا البان	٠٠٠٣	٠٦٤٠	٠٠٥٦٠	رسوم ٢٥٠	٠٠١٤٠٠
صنادق من زاج عدد	٠١٠٠ عدد الزاج	٣٥٨٨٠	٠٠٠٠٠	رسوم ٧٥	٠٠٧٥٠٠
صنادق صغار من شمع الشحم	٦٧٤ كل صندوق فيه ربع قنطار يجب ميزان صافي		١٦٨٥٦	رسوم ٩٠	٠١٥١٦٥
صنادق شليان	٠٠٠٦ فيها علبات	٣٥٠٠٠ صافي	٠٠٩٥٠	رسوم ٢٠	٠١٩٠٠٠
صندوق شمارر تبن	٠٠٠١ عددها	٢١٢ يمت رسوم ١٠ للواحد يجب درهم			٠٠٢١٢٠
صنادق فيها المنى	٠٠٠٥ بالطارة	٠٠٤٦٥ صافي	٠٠٣٤٠	رسوم ٦٠٠	٠٠١٣٦٠
صنادق منه لبرية	٠٠١٣ يمت لفسادها				٠٠٠٥٠٠
برامل شب عدد	٠٠٠٨	٢١٧٠ صافي	٠٢٠٠٠	رسوم ٨٠	٠٠١٦٠٠

برميلان كريم طرصار	٠٠٠٢	٠٢٨٠	٠٠٢٥٠	سوم ٣٠٠	٠٠٠٧٥٠
برميلان من نافع	٠٠٠٢	٠٩٤٥	٠٠٧٥٠	سوم ٧٥ ١/٢	٠٠٠٥٦٢
صندوق كافور	٠٠٠١ فيه قرص	٠٠٣٥ ميزان	٠٠٠٦٠	سوم ٣٠	٠٠١٨٠٠
صندوق تنكار	٠٠٠١	٠١٩٠	٠٠١٥٠	سوم ٥٠٠	٠٠٠٧٥٠
برامل رهج بيض	٠٠٠٨	١٣٨٩	٠١٢٣٠	سوم ١٥٠	٠٠١٨٤٥
برامل ملح التنقية	٠٠١١	١٣٧٠	٠١٢٠٠	سوم ٣٠٠	٠٠٣٦٠٠
برميل سناحرم	٠٠٠١	٠٠٩٠	٠٠٠٧٠	سوم ٧٠/٢	٠٠٠٥٢٥
برميل علك الطلح	٠٠٠١	٠١٦٥	٠٠١٤٠	سوم ٨٠	٠٠٠١١٢
برامل بياض الوجه	٠٠٣٦	٩٥٠٥	٠٨٩٦٥	سوم ١٢٠	٠١٠٧٥٨
عرق سوس قطع	٠٠٢٤	٠٨١٧	٠٠٧٨٠	سوم ١٠٠	٠٠٠٣٩٠
برميل جلانبة	٠٠٠١	٠٠٧٣	٠٠٠٦٠	سوم ١٠	٠٠٠٦٠٠
برميل عود عنبر	٠٠٠١	٠٢٠٠	٠٠١٧٥	سوم ٣٠ ١/٢	٠٠٠٠٥٢
فرض خزامة	٠٠٠١	٠٢٤٥	٠٠٢٣٥	سوم ١٠٥ ١/٣	٠٠٠٢٤٦

برميل طرمنطينة	١٠٠٠		٠٠١٩٠	٣٠٠ ســـوم	٠٠٠٥٧٠
كاغيد كتابي رزم	٠٠٠٠		٠٠٠١٢	٣٠ ســـوم	٠٠٠٣٦٠
صندوقان تصاوير من زاج	٢٠٠٠ عدد التصاوير	٠٠٨٥ بيع بهذا			٠٠١٢٧٥
لفافة واحدة فيها شيلان باوري عددها			٠٠٠٥٤	٦ ســـوم للواحد	٠٠٠٣٢٤
ثوم ميزانها صافي	٠٠٦٠		٠٠٣٤٠	٣٥ ســـوم ١/٢	٠٠٠١٥٠
صندوق داخله شمارر	٠٠/١ عددها		٠٠٠٨٤	٥ ســـوم	٠٠٠٤٢٠
وفيه كواغد خواتم	٥٠٠٠ في كل كاغد ٢٠	قوم بهذا			٠٠٠٤٠٠
وفيه كواغد	٣٠٠٠ فيها قرط صفر				٠٠٠٤٥٠
وفيه كواغدمضام صغار	٣٠٠٠				٠٠٠٢٢٥
صندوق واحد فيه رند صيني	٠٠٠٠	٣٠٠٠ ميزان ٣٦٠ صافي	٣٠٠٠٠	٧ ١/٣ ســـوم	٠٠٠٢٢٥
يجتمع فيما سطر اعلاه دراهم				١/٣	١٦٣٣٠٦
فرض واحد داخله شقق كتان	١٠٠٠٠ سوم ٠٠٠ للشقة يجيء دراهم ٧٠٠٠				٠٠٠٧٠٠
فروض	١٥٠٠ فيها كتان باسط ١٦٣ ٠ ٣٠ ســـوم للشقة				٠٠٤٨٩٠

فروض	٢١ ٠٠ فيها شرخيش خم ٢٣٨٦ [illegible] و م الشقة دراهم ٠٠٠٠٠				٠٠٣٠٩٠
برامل عقيق ابيض عدد	٢٦ ٠٠ بالطارة	١٢٢٥٥ صافي	١١٢١٥	ســوم ١٠٠	٠١١٢١٥
برامل عقيق علجة	٠٠١١	٤٣٨٥	٠٣٩٤٥	ســوم ١٠٠	٠٠٣٩٤٥
برامل عقيق وردي	٠٠٠٩	٤٥٢٠	٠٤١٦٠	ســوم ١٠٠	٠٠٤١٦٠
برامل عقيق فروزي	٠٠١٠	٣٧٥٥	٠٣٣٥٥	ســوم ١٠٠	٠٠٣٣٥٥
برامل عقيق ذهبي	٠٠٠٥	٢١٨٠	٠١٩٨٠	ســوم ١٠٠	٠٠١٩٨٠
برميلان من عقيق شيبة	٠٠٠٢	٠٧٣٥	٠٠٦٥٥	ســوم ١٠٠	٠٠٠٦٥٥
برامل عقيق أصفر	٠٠٠٤	١٦٠٧	٠١٤٤٧	ســوم ٢٠٠	٠٠٢٨٩٤
برامل عقيق اخضر	٠٠٠٥	٢١١٣	٠١٩١٣	ســوم ٢٠٠	٠٠٣٨٢٦
برميل واحد	٠٠١ داخله عقيق زبيجة كواغد ٠٠٠٠		٠٠٠٥١	ســوم ١٠	٠٠٠٥١٠
صناديق مبدوع طويل ١٠ ومدور ١٠		٢٠ ٠٠ داخلها كواغد	٠٠٨٣٧	ســوم ٢٢	٠١٨٨٣٢ ١/٣
صندوق واحد	٠٠٠١ داخله عقيق بزيوري الوان كواغد		٠٠٠٤٨	ســوم ٣٠	٠٠١٤٤٠
صندوق آخر	٠٠٠١ داخله كواغد من عقيق تسبيح عددها		٠٠٠٤٧	ســوم ٣٠	٠٠١٤١٠

صنادق عددها	٠٠٠٥ فيهاعقيق خناق الوان كواغد	٠٠٣٤٣	٣٠ ســــــوم	٠٠٨٥٧٥
صندوق واحد فيه	٠٠٠١ مبدوع وغيره عدد كواغده	٠٠٠٤٣	بهذا	٠٠١٢٢٥
صندوق آخر فيه	٠٠٠١ انواع عقيق كواغده	٠٠٠٧١	بهذا	٠٠٢٠٤٠
صندوق آخر	٠٠٠١ فيه عقيق حب الرمان كواغد	٠٠١٠٠	٥٠ ســــــوم	٠٢٥٠٠٠
حكاك عددها	٠٠١٦ فيهاعقيق منتظم وميال قومت بهذا			٠٠٢٨٢٨ ١/٢
صندوق واحد	٠٠٠١ حكاك ٧ خرائم وحكاك ٣٧ قرطو شبه فقات نافطة			٠٠٠٦٨٢ ١/٢
صنادق البحرية بمافيهامن حوائجهم وقش لباسهم وشمار وجبن قوم الجميع عدابيم اجمع هذا				٠٠٣٦٨٥

يجتمع فيما سطر اعلاه دراهم هذا	٨٦٩٣٨ ١/٢
يزاد علي ذلك المجموع حوله هذا	١٦٣٣٠٦ ١/٣
يجتمع فيما قوم اعلاه وحوله دراهم هذا	٢٥٠٢٤٥ ١/٤

وبقي مما لم يقوم مكانات الضرب عددها خمسة عشر هي تحت أيدينا

صندوقان داخل كل واحد زنابل ماء ٨٠ واحد ماء خزامة والثاني ماء زهر

صندوق آخر فيه قطع قزدير فيها ماء ٥ غير معروف مافيها
صنادق عددها ١٨ في كل واحد قطمان ماء ٦٠ لم يعرف ما فيها
صندوق صغير فيه قطيمان معموران بقضبان مختلطة مع زريعة وقطيم قزدير فيه ماء
صندوق فيه حجر اكحل وآخر فيه حقان لم يعرف ما فيهما
قرضان فيهما نبات يكون بشاطئ البحر وخنشة فيها عروق ربيع
برميل فيه نشة عظيم بيضا غير معروف
فراشكبرة فيها قزازات ٨ ماء وقطع ٨ قزدير فيها شبه برهام
بوطات الشراب كبار ٤٥ صغار ١٠
بيسات قلاع جديد ١٠ واعواد ١٧ تصلح للمركب الجديد لانطينات وغيرها »

= ٢ =

الحمد لله بالامر المولي أسماه الله وأعز امره * وجعل في الصالحات طيه ونشره * دفع أمناء المقام العلي بالله وخدامه القائد الحاج محمد السويسي والحاج بناصر غنام والحاج العربي معنين برساه من العدوتين حرسهما الله بوجود مولانا المظفر الغالب بالله للتاجر الحاج عبد المجيد بو هلال مايذكر من نصف سلع الغنيمة من غير المستثنى في المشرين من رمضان المعظم عام ١٢٤٤:

كاغيد كثابي رزم عدد			٠٠٤٩ ١/٢	٢٥	يجب دراهم	١٢٣٧ ٢/٤	
برامل فلفل عدد	٠٠٣٠	ميزان صافي	٢٦٥٠	١٦٠		٣٧١٠	
صنادق كبريت	٠٠١٦ ١/٢		٤١٣٥	٦٥		٢٦٨٧ ١/٤	
برامل حبة حلاوة	٠٠٠٦		٠٨٢٠	١٠٠		٤٨٢٠	١٤٠٦٥ ١/١
صنادق زاج	٠٠٥٠	عدد ما فيها زاجا	١٧٩٤٠	٧٥	للصندوق	٣٧٥٠	
شمارر تبن عدد			٠٠١٠٦	١٠		١٠٦٠	
برامل شب	٠٠٠٤			٨٠		٠٨٠٠	
برميل كريم طرطار	٠٠٠١		٠٠١٢٥	٣٠٠		٠٣٨٥	
برميل نافع	٠٠٠١		٠٠٣٧٥			٠٢٨١ ١/٤	
نصف صندوق كافور	١/٢		٠٠٠٣٠	٣٠ مقسوم		٠٩٠٠	
تنكار	٠٠٧٥		٠٠٠٧٥	٥٠٠ مقسوم		٠٣٧٥	
برامل رهج	٠٠٠٤		٠٠٦١٥	١٥٠ مقسوم		٠٩٢٢ ١/٢	
برامل ملح تنقية	٠٠٠٤ ١/٢		٠٠٤٦٨	٣٠٠ مقسوم		١٤٠٤	

علك الطلح نصف برميل	١/٢	٠٠٠٧٠	٨٠ ـــ	٠٠٥٦	٩٦٩٢ ١/٣
برامل بياض الوجه	٠٠١٨	٠٤٤٨٢ ١/٢	١٢ ـــ	٠٥٣٧٩	
قطع عرق سوس	٠٠١٢	٠٠٣٩٠	٥٠ ـــ	٠١٩٩	
عنبر نصف برميل	١/٢	٠٠٠٨٧ ١/٢	٣٠ ـــ	٠٠٢٦ ١/٤	
طرمنطينة		٠٠٠٩٥	٣٠٠ ـــ	٠٢٨٥	
صندوق تصاوير من زاج	٠٠٠١ عدد	٠٠٠٤٢ ١/٢	١٥ ـــ	٠٦٣٧ ١/٢	
شمارر عدد		٠٠٠٤٢	٠ ـــ	٠٢١٠	٥٨٨١ ١/١
كواغدخواتم	٠٠٠٢ ١/٢			٠٢٠٠	
كاغيد ونصف	٠٠٠١ ١/٢ فيها قرط صفر ومضام			٠٣٣٧ ١/٢	
فروض عدد	٠٠٠٧ ١/٢ فيهاشقق كتان٢	٠٠٠٨١ ١/٢	٣٠ ـــ	٢٤٤٥	
فروض عدد	٠٠١٠ ١/٢ فيها كتان خيش	٠٠١٠٣	١٥ ـــ	١٥٤٥	

برامل عقيق ابيض	٠٠١٣ ميزان	٠٥٦٠٧ ١/٢	١٠٠ ـــ	٥٦٠٧ ١/٢	
برامل عقيق ماجة	٠٠٠٥ ١/٢	٠١٩٧٢ ١/٢	١٠٠ ـــ	١٩٧٢ ١/٢	
برامل عقيق وردي	٠٠٠٤ ١/٢	٠٢٠٨٠	١٠٠ ـــ	٢٠٨٠	٠١٢٦٥٥
برامل عقيق فروزي	٠٠٠٥	٠١٦٧٧ ١/٢	١٠٠ ـــ	١٦٧٧ ١/٢	
برامل عقيق ذهبي	٠٠٠٢ ١/٢	٠٠٩٩٠	١٠٠ ـــ	٠٩٩٠	
برميل عقيق شيبة	٠٠٠١	٠٠٣٢٧ ١/٢	١٠٠ ـــ	٠٣٢٧ ١/٢	
برميلان من عقيق اصفر	٠٠٠٢	٠٠٧٢٣ ١/٢	٢٠٠ ـــ	١٤٤٧	
برامل عقيق اخضر	٠٠٠٢ ١/٢	٠٠٩٥٦ ١/٢	٢٠٠ ـــ	١٩١٣	
برامل عقيق زبيجة	٠٠٠١ ١/٢ كواغد	٠٠٠٢٥ ١/٢	١٠ ـــ	٠٢٥٥	
صناديق مبدوع	٠٠١٠ كواغد	٠٠٤١٨ ١/٢	٢٢ ١/٢ ـــ	٩٤١٦ ١/٤	١٤٤٥٦ ١/٢
صندوق عقيق بزيدي الوان	٠٠٠١ كواغد	٠٠٠٢٤	٣٠ ـــ	٠٧٢٠	
نصف صندوق عقيق	٠٠٠٠ كواغد	٠٠٠٢٣ ١/٢	٣٠ ـــ	٠٧٠٥	

صنادق عقيق خناق الوان	٢/١ ٢٠٠٠٠ كواغد	٢/١ ١٧١٠٠	سوم ٧٥	٢/١ ٤٢٨٧	
نصف صندوق مبدوع وغيره	٢/١ ٠٠٠٠٠ كواغد	٢/١ ٢١٠٠٠ بهذا		٢/١ ٠٦١٢	
نصف آخر انواع عقيق	٢/١ ٠٠٠٠٠ كواغد	٢/١ ٣٥٠٠٠		١٠٢٠	٠١٠٧٢٨
نصف آخر عقيق حب الرمان	٢/١ ٠٠٠٠٠ كواغد	٠٠٠٥٠	سوم ٠٠	٢٥٠٠	
حقاق ميال وعقيق ازرق	٣٠٠٠٠ خيوط	٢/١ ١٩٩٠٠ بهذا		٢/١ ٠٦٢٥	

نصف صنادق البحرية وحو نجهم وقش لباسهم وشمار ربعد اسقاط مرآة ١٩ توجهت وثمن الجبن ٢/١ ١٦٨٢

٢/١ ٠٦٧٤٧٨

يزاد على ذلك الشمع بتمامه صنادق ٠٠٦٧٤ ميزان صافي ١٦٨٥٠ سوم ٩٠ يجب ١٥١٦٥

أخذه الحاج عبد المجيد اعلاه من سوم اثني عشر مثقالا للقنطار فزاد ثمنه على ما قوم به هذا ٠٠٥٠٥ — ٠٢٠٢٢٠

اجتمع ثمانية آلاف مثقال وسبعمائة مثقال وتسعة وستون مثقال وثمان اواق ونصف اوقية هكذا ٢/١ ٠٨٧٦٩٨

الحمد لله جميع مارسم اعلاه من الاثمان هو بذمة الحاج عبد المجيد المذكور حيث اشير للجانب العلي بالله الى الابراء منه وقيده شاهدا به عليه وعلى الامناء المذكورين معه بالمشار اليه بعد اشهادهم به باتمه بتاريخ اعلاه »

= ٣ =

الحمد لله وحده يوافي حضرة سيدنا العلية بالله ما أمرنا سيدنا أعزه الله بتوجيهه من سلع الغنيمة

برامل حصلبان	٠٣ ميزان صافي	٠٥٦٠	سوم ٢٥٠	٠١٤٠٠
صنادق المنى	١٥	٠٣٤٠	سوم ٤٠٠	٠١٣٦٠
صنادق شاياى	٠٥ صافي	٠٧٨٥	سوم ٢٠	١٥٧٠٠
وتوجه للامير بنعيس لفاس	٠١	٠١٦٥	ضوم ٢٠	٠٣٣٠٠
برامل ملح تنقية	٠٢	٠٢٦٤	سوم ٣٠٠	٠٠٧٩٢
برميل سنا حرم	٠١	٠٠٧٠	ضوم ٢ ١/٢	٠٠٥٢٥
برميل جلانبة	٠١	٠٠٦٠	سوم ١٥	٠٠٦٠٠
شيلان بلوري عدد	٠٠	٠٠٥٤	شوم ٦	٠٠٣٢٤
صندوق داخله حقاق ٣ رندصيني ميزان	٠٠	٠٠٣٠	سوم ٢١/٢	٠٠٢٢٥
فرض واحد داخله شقق كرية	٠٠	٠٠٠٧	سوم ١٠٠	٠٠٧٠٠

كاغيد كتابي رزم	٠٠٠٨	٣٠ سـوم	٠٠٢٤٠

جميع ذلك هذا « ٢٥،١٦٦ »

= ٤ =

الحمد لله توجه للحضرة الشريفة العلية بالله قبل بمراكشة مع الميشطرة :

حق فيه عقيق منتظم مدجات	٥٢	٧ ١/٢ سـوم	٠٣٩٠
آخر فيه مدجات منه	٠٨	٧ ١/٢ سـوم	٠٠٦٠
آخر فيه مرجات مثله			٠٠٦٠
آخر ماضر مبدوع ٢ سـوم وعقيق مدجات	٠٤		٠١٣٠
آخر فيه عقيق منظوم عمائر	١٦	٧ ١/٢ سـوم	٠١٢٠
آخر فيه مدجات	٠٦	٧ ١/٢ سـوم	٠٠٤٥
آخر فيه مدجات	٠٨	بهذا	٠٠٤٥
آخر فيه عقيق شبكات	١١	١٠ سـوم	٠١١٠

مع مدجات	٢٢	سوم ٠١٢ ٧	٠١٦٥	
آخر فيه عماثر	٠٨	سوم ٢/١ ٧	٠٠٦٠	
آخر فيه حزوم رخام	٠٤	سوم ١٠	٠٠٤٠	
كموسيات من عقيق	٥٤	سوم ٣/٤ ٣	٢/٠٢٠٢١	
مدجات	١١	سوم ٣	٠٠٣٣	٠٢٤٧٥
سفايف سود	١٢	سوم ٢	٠٠٢٤	٠٢٧٦٤١
خيوط عقيق ميال	٥٠	بهذا	٠٠٩٣	
ومن حوائج البحرية مرآة	١٩	سوم ٥	٠٠٩٥	
كاغيد رزم كتابي	٠٤	سوم ٣٠	٠١٢٠	
صندوق حكاك ٧ خواتم وحكاك ٣٧ قرط وقفات ثافطة			٢/٠٦٨٢١»	

= ٥ = « الحمد لله وحده (ثم طابع سلطاني)

توصلنا بحمد الله وقوته بالمسائل المرسومة اعلاه من سلع الغنيمة وأبرانا امناء المدوتين من ذلك ابراء تاما صدر به امرنا المعتز بالله ٩ شوال المبارك عام ١٢٤٤ »

ومن أدلة أعتناء المترجم بالمراكب الحربية ما كان يوفده من البعثات الفنية لتفقد أحوالها والكشف عنها واختبارها، كما يستفاد من هذا الكتاب الذى وجهه لحضرته بعض ولاته فى أواخر عهده، ونصه من أصله المحفوظ بمستودع الأوراق الرسمية بالحضرة الشريفة من رباط الفتح بعد الحمدلة والصلاة:

«بعد أداء ما يجب على الخديم، من التبجيل والتعظيم، لمقام مولانا الغلى بالله العظيم، أطال الله بقاءه، وأدام فى معارج الفخر علاه وارتقاءه، ينهى لشريف علم مولانا المعتصم بالله أنه ورد عن أمر مولانا الشريف لهذا الثغر السعيد بوجود مولانا المعلم الغازى السلوى النجار حرفة[1]، والرايس الحاج عبد الرحمن بريطل الرباطى، واليكانجى الحاج أحمد بن سعيد النسب بقصد النظر إلى مراكب مولانا الجهادية واختبار أجفانها، وتوجهوا إليها مع معلم نجار من هذا الثغر السعيد وقائد مرساه ونظروها نظرا عاما، واختبروها اختبارا تاما، فألفوا المركب الذى صنع عن أمر مولانا ثبت الله أجره برباط الفتح راشى متلاشى لا يرجى نفعه لا فى الحال ولا فى المستقبل، ولا يصلح لصالحة وسلامته من الغرق فى البحر محال والمركب الثانى والثالث حسبما أشير إليهما فى الرسم الوارد بالعدول للحضرة

---

(١) فى هامش المطبوع: «كان هذا المعلم مكلفا بالخدمة فى مرسى العدوتين، وقد جاء فى ظهير لخليفة المترجم ولده سيدى محمد أصدره فى عدم التعرض لمن يختاره للخدمة معه ما نصه: «يعلم من هذا أننا بحول الله، ثم وجود مولانا أدام الله تأييده ونصره وعلاه، جددنا لماسكه الأشيب المعلم الغازى السلوى النجار حرفة حكم ما تضمنه ظهير سيدنا الذى بيده من جعله فى مقابلة الخدمة بمنجرة مرسى العدوتين وتخصيصه بالقيام بالكلف التى بها وعدم تعرض أحد على من يعينه للخدمة معه من النجارين والنشارين والمزبرية الذين بالمرسى المشار إليها فنأمر الواقف عليه من عمال أمرنا وولاته أن يعمل بمقتضاه، ولا يتعداه إلى ما سواه، والسلام فى فاتح جمادى الثانية عام ١٢٧١» ثم الطابع من أسفله: محمد ابن أمير المؤمنين وفقه الله».

الشريفة، يرجى إصلاحهما، لكن بعد ما تثنى قيمتهما المشتران بها، وهذا ما ذكر من ذكر فى الرسم حسبما يطالع عليه مولانا ونظره أوسع، ورأيه الشريف السديد أنفع، وبما يأمرنا مولانا المعتز بالله عليه عملنا والسلام بأتمه معاد على الحضرة الشريفة.

وفى ثانى عشر ربيع الأول النبوى الأنور عام ١٢٦٨ مقبل العتبة الشريفة محمد بن عبد السلام وفقه الله» صح من أصلها المشار له صدره وقوبلت عليه فماثلته حرفا حرفا من غير إصلاح ولا زيادة ولا نقص.

ومن ذلك ما أفاده أبو القاسم الزيانى فى كتابه المعنون بتاريخ الولاية، المحمودة البدء والنهاية - وهو من نفائس محتويات مكتبتنا - من شرائه مركبين حربيين وتعميرهما بالعساكر والمدافع، واختار لذلك من له رسوخ وثبات فى الدين، وصارا يتجولان فى البحر إلى أن انقض أحدهما على مركب إنجليزى وجده غير متأبط لورقة الجواز، وسار به إلى مرسى الرباط أسيرا، ثم لما اتصل الخبر بقنصل الإنجليز القاطن بطنجة، طلب من صاحب الترجمة أن يرد عليه مركبهم لأنهم مسالمون للسلطان قبله، واعتذر على عدم حمل المركب لورقة الترخيص فى الجواز بأنه خرج من بلد ليس به قنصل يعطيه الورقة، وأن السنجق (العلم) يغنى عنها فلا تسمح القوانين والحالة هذه بأخذ ذلك المركب أسيرا.

ثم اجتمع قناصل الدول للنظر فى القضية فسلموا عذر القنصل الإنجليزى وعضدوا ما احتج به، فسلمه المترجم لهم، وأسر المركب المغربى الآخر مركبا نامسويا، ولم يكن لهم عقد صلح مع الدولة المغربية، ولما اتصل بهم الخبر أنهضوا سفيراً لطنجة يطلب رد مركبهم عليهم ويزعم أن باشدورهم متأهب للقدوم على الحضرة السلطانية متأبط لهدية من سلطانهم للمترجم لطلب عقد الصلح، واتخاذ قنصل لهم بطنجة، فأبى المترجم مِنْ رَدّ المركب، واحتج بأنه أخذ فى وقت الحرب، فرجع ذلك السفير خائبا.

ولما أخبر بذلك عظيم النامسة اشتد غيظه، ووجه مراكب قرصانية للاحتيال على قنص مركب من المراكب المغربية، فصار ذلك المركب القرصانى يتطوف بنواحى مياه المراسى المغربية، إلى أن رأى مراكب منها بمرسى العرائش فحدثته أطماعه بالقبض عليها، ولما قابلوا المرسى أنزلوا عددا من الجند بالبر وقصدوا المراكب السلطانية، لإخراجها من المرسى، فحال بينهم وبين ذلك أهل البلد والمجاورون لها، وأحاطوا بهم قبل وصولهم للمراكب واستأصلوهم قتلا، وقطعوا رءوسهم ووجهوا بها للحضرة السلطانية بفاس هـ.

وقد كان العمل جاريا بحمل المراكب المغربية التجارية للجوازات البحرية المشتملة على اسم الرئيس والمركب وعدد بحريته، وإليك مثالين أصدرهما المترجم لمركبين مغربيين اسم أحدهما أصيلة، والآخر ميمونة.

نص الأول بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير بلفظه:

«كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره، وأحلى فى الملأ الأعلى ذكره، بيد خديمنا الرئيس عبد السلام بن محمد بن الفقيه الشريف السلوى، يعلم منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، أننا أذناه بالسفر بقصد التجارة فى مركبنا السعيدة البازركان المشتملة على صارى واحد المسماة ازيلة عدد بحريتها عشرة بالرئيس المذكور، ويخض إن شاء الله فى البحر الصغير والكبير مشترطا عليه أن يشتغل فى جميع أموره كلها بما يعنيه متحريا للأمور المذمومة المخلة بالدين، وأن لا يتعدى القانون المتعارف بيننا وبين أجناس النصارى، وأن لا يحمل فى مركبه مثل الخمر والخنزير، فإن حملها[1] فقد تعرض لغضب الله ونكالنا بحول الله، وبعد قضاء أربه من المحل الذى حل به يئوب إلى أى مرسى من مراسينا السعيدة بالله تيسرت، كما نؤكد على من يقف عليه من حكام المدن من مدائن النصارى والقراسين. . . وخدامينا، ولما نضاطس مراكب الحرب وحراسين المصالحين معنا أن

---

(١) عبارة المطبوع هنا مضطربة، والمثبت يستقيم به المعنى وهو المناسب للسياق.

يوقره ويحترمه، وأن لا يحدوا عما أبرمه أمرنا الشريف ولا يتعداه، وعلى الرئيس وبحريته بتقوى الله سرا وعلانيـة، والصلاة فى أوقاتها، وربنا الفتاح، إنه على ما يشاء قـدير، والسلام بهذا صدر أمـرنا المعتز بالله فى ١٤ ربيع النبـوى الأنور عام ١٢٤١».

ونص الثانى:

«كتابنا هذا السامى بفضل الله وقدره، النافـذ بإذن الله سبحانه نهيه وأمره، يتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، أنا أذنا فى سفر المركب البازرقان الذى صورتـه سكوته فى البحـر ببنديرتنا السعـيدة، وحـمل ما يحـمل من السلع وأنواع المتـاجر البرية والبـحرية، واسم المركـب ميمـونة، ورئيسـه الحاج أحـمد، وبحريتـه ستة، فـالواقف عليه من رؤسـاء مراكب الأجناس المصالحـين مع جنابنا العالى باللـه يعظم قدره، ويرفع جانبـه وخطره، ويجرى مـعه طرقة البـحر على القوانين المقررة، والشروط المعروفـة المحررة، من غير تعرض له بأذى ولا مكروه، فى مذهب من المذاهب ولا وجـه من الوجوه، وقوفا عند ما سـطرناه، وعملا بما ذكرناه، صدر به أمرنا المعتز بالله فى ٢٠ ذى القعدة عام ١٢٦٢».

ونص جواز آخر صـدر للرئيس الحاج بناصر مـرسيل الرباطى بالمرور بجنوة من إيطاليا بعد طابع المترجم الكبير من أعلى:

«إلى الولاة الذين فى خدمة سردنيا وولاة الدول الأجنبـية أن يسرحوا سبيل ماسكه لما بيـده عند الحاجة وهو السيد الحـاج بناصر مارسيل، الذى مـسقط رأسه رباط سلا، الساكن هناك، الذاهب إلى مادرا، المصحوب بـ. . . . . هذه المأذونية مطلقة مدة رحلته أعطيت إياه، نيابة عـن سيادة جناب المفوض القنصل العام نائب القنصل بجنوة.

عدد ١٦

أوصاف:

عمـره ٣٥، القامة متـوسط شعره أسود حـاجباه أسودان، عـيناه أسودان، الجبهـة مرتفعة، الأنف مـتوسط، الفم مستدير، اللحـية سوداء، الوجه مـستدير، وعلى جبهته جرح برئ وكتب بجنوه فى ٥ يوليو ١٨٢٩».

وكان المتـرجم قد أذن لسفراء الدول بطنجـة فى النيابة عنه فى شأن الحـجر الصحى على المراكب البحرية الواردة على مراسى المغرب وتسـريحها على مقتضى القانون الدولى العام الجارى فى ذلك، وقد أقر هذا العمل من بعده حفيده السلطان المولى الحسن ونص ظهير الإقرار:

«يعلم من هـذا الكتـاب الكريم، المقـابل أمـره السـامى بالـله بالإجـلال والتعظيم، أننا بحـول الله وقوته أقررنا جمـاعة نواب الأجناس المحبة الذيـن بثغر طنجة المحروس بالله تعـالى على ما كان أقرهـم عليه سيـدنا الجد المقدس بالله من الإذن لهم فى التـصرف نيابة عن الجناب الـعالى بالله، فى أمور الـسداد الذى هو التصـرف فى قبول المراكب التى ترد على المراسى ودفـعها وجعلهـا فى الكرنتيلة، وتسريحها على مـقتضى قوانينها، وذلك فى البحـر فقط دون البر، لكونهم أعرف بتلك القوانين، وتكليف أسلافنا الكرام لهم بذلك دليل على محبتهم لجانبنا العالى بالله، وحرصهم على نفع الرعـايا وضبط مصالحهم إقراراً تامـا نأمر الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يعـمل بمقتضاه ولا يتعداه، صدر بـه أمرنا المعتز بالله فى ٧ ربيع النبوى الأنور عام ١٢٩٦».

وحـدثنى من وثقت بخـبـره أنه لما بويع المولى عـبـد الرحـمن علق بعض الأجناس المجاورين لـلإيالة المغربية الاعـتراف بسلطنتـه على إبطال القوة البـحرية

فامتنع، وبعد مراجعات وقع الاتفاق على بناء الأبراج بثغر الرباط، فأمر ببناء برج السراط، وبرج السقالة، وبرج الدار، وبرج القصبة والسقالة، ثم إن المترجم هو الذى أمر على وجه السر بتغريق الأسطول البحرى المغربى لأمر أوجبه.

علائقه السياسية

كان للسلطان المولى عبد الرحمن علائق ودية مع ملوك عصره وأمرائه المسلمين وغيرهم من الأوربيين، فقد راسل السلطان عبد المجيد الأول العثمانى، وخاطبه مهنئا ومعزيا، كما هادى عباس باشا الأول صاحب مصر، ولما توفى باى تونس وتولى مكانه المشير محمد باشا، راسل السلطان سنة ١٢٧١ معلنا تبوأه عرش الإمارة ومجددا عهد السلف، فأجابه المترجم بكتاب من إنشاء العلامة الأديب اكنسوس.

ولما توجه ولديه سليمان والرشيد للحج سنة ١٢٦٥ ركبا فى سفينة إنجليزية ذهابا وإيابا، وأصحبهما هدية سنية إلى عباس باشا أمير مصر، قال صاحب الابتسام: إنها كانت تشتمل على خيل وسرج مذهبة وبغال فارهة، وتحف من طرائف المغرب، فكانا فى ضيافته من يوم حلولهما فى ثغر الإسكندرية إلى أن رجعا إليه مغربين، وقام بكل ما يحتاجان إليه من زاد ومركوب حتى وصلا لمكة، ومن مكة إلى الإسكندرية، وبعث معهما أبوهما صدقة للحرمين، وكان مدة السفر ذهابا وإيابا خمسة أشهر لخ.

وقد وقفت فى مستودع الأوراق الرسمية بالدار العلية من رباط الفتح على رسالة كتبت للسلطان المترجم تدل على نوع من العلائق والاتصال مع على باشا والى مصر، جد عباس باشا المذكور، ونصها بلفظها بعد الحمدلة والصلاة:

«بعد تقبيل البساط بين يدى أمير المؤمنين نصره الله، ودام لنا وللمسلمين وجوده.

وبعد: يكون فى كريم علم مولانا أن الحاج عبد السلام اقلع الذى كنا وجهنا بالغنم للباش محـمد على، فقد وصل مصر وتلاقى بالبـاشه ودفع له الغنم وفرح بها البـاشه غاية حتى قـبل واحد (كذا) من أولادها، وسأله عن مـولانا وعن أمر المغرب، وقـال له هل عند مولانا نضام (كـذا) قال له نعم قـال له المعلمين. . . . مسلمون قال للكاتب أعطيه كتـوب النضام و. . . . فأعطاه كتب ٣٥ ومنهم واحد طيب جيـد غاية وهذا الحاج عبـد السلام يفهم فى أمر النضـام، نطلب من مولانا يعرفنا هل نبعث الكتوب أو نبـعث معهما الحاج عبد السـلام والباشه أعط للحاج عبد السلام سيف جيد وكسوة ملف ومات ريال.

وأما أمر الفـرنصيص ما تحقق عندنا، لأن فرنصـه لا زالت قائما وسلطانهم هرب هو وزوجته، ولم يتـحاقق أين هو وزوج من أولاده وصل للنضره، وأولاده إلى كـان فى الجزاير هرب، ووصل إلى سـبنيـه ومنها ذهب للنضـره. . . . وصل للنضـره بأولاده وفى فرنصه الـتفق أن لا يعمل سلـطان، وإنما يعمل مـثل المركان يحكمـون أربعون، وقـد نهب دار السلطان والوزير، والـله يقوى شـرهم ويصل مولانا موسطرت كرية جيـده عددها ٢٠٠ نطلب من مولانا يأخذها منا مثل الذى قبلها سوم ١٥٠ للماه وثمانها يقطع مما بدمة شريكنا بهلال فى سوير وربنا يدوم لنا وللمسلمـين وجود مولانا نصره الـله والسلام ١٠ من ربع الثانى عام ١٢٦٤ عـبد ربه الخديم محمد الرزينى»، صح من أصلها وقوبلت عليه فماثلته حرفا حرفا ولحنًا وتحريفا وركاكة.

وقال فى الابتسام لما ذكـر ورود يوسف المدنى المتقدم الذكر: هو رجل أديب ورد من المشرق على حضرة الأمـير سنة سبع وخمسين فأكـرمه وبالغ فى إكرامه، ولما أراد الرجوع للقـسطنطينية رواده السلطان على أن يـبلغ كتابا من حـضرته إلى

حضرة عبد المجيد خان والكتاب فيه التعزية والتهنئة، لأن ذلك كان عقب موت السلطان محمود خان وولاية ولده عبد المجيد خان، فلما صادف وروده وقوع الأمرين، رأى سلطاننا أبو زيد، أن من المناسب أن يبعث كتابا فيه التعزية والتهنئة رعاية للود، وحفظا لما تقادم من العهد، وكان يوسف قبل ذلك مقيما بدار الخلافة عارفا باصطلاحهم وما يناسب فى حقهم ويعرف أعيان دولتهم، ويعرف الباب التى يدخل منها مع ما كان عليه من الأدب والذكاء وحدة الذهن ومعرفة القوانين الجارية عندهم، فيؤدى بسبب ما ذكر أحسن أداء، ويوفى البلاغ بأكمل وفاء، فلما دفع له الكتاب أخذه ومشى مكرما ثم رجع مرة ثانية بجواب الكتاب فى سنة ثمان وخمسين فأنزله السلطان على الفقيه ابن إدريس فبالغ الفقيه فى إكرامه، وإتحافه وعظم جانبه، وكان يلتمس فى كل الأمور خاطره، ويكرم لأجله وارده وصادره، حتى سافر ثم رجع مرة ثانية بعد سنة فأكرمه السلطان بمثل إكرامه فى المرتين السابقتين هـ.

وأما أوروبا فقد كان له مع دولهما علائق ودادية سياسية تجارية ومخاطبات مع ملوكها ورؤسائها، وقد أقر معاهدات أسلافه معها وعدل معها ما عدل وأنشأ ما أنشأ:

فالدولة الفرنسية أقر سنة ١٢٣٩ اتفاق جده سيدى محمد بن عبد الله المعقود معها، وفى نفس السنة أذن بإصدار أربعة آلاف رأس من الثيران وثلاثمائة ألف قنطار من الشعير لتموين الجيش الفرنسى الموجود حينئذ بإسبانيا على سبيل الامتياز، ونص الاتفاق المنعقد فى ذلك بين نائبى الطرفين بحضور القائد محمد أميمون الكروانى عامل طنجة:

«الحمد لله نسخة من الشروط فى شأن وسق الثيران بين سيدنا نصره الله والنصرانى ويقطور وكذلك فى شأن الشعير، وهذه هى: الحمد لله، عقدة شروط

انعقدت بحضرة خديم المقام العلى بالله الأمجد الأسعد القائد محمد أميمون بين خديم سيدنا نصره الله، التاجر مير ابن مغنين فى أمور التجارة مما هو مذكور فى الأوامر الشريفة المقروءة على كافة قنصوات جميع أجناس النصارى حسبما بأيديهم نسخ منها بالعدول، وبين الرومى ويقطور وكيل ونائب العلاف الكبير على العساكر الفراصيصية وجيوشها، الذى هو الآن فى بلاد إصبنول تحت سنجق الفرانصيص بواسطة فونصو الفرانصيص وهو الرومى صرد المقيم فى الوقت تحت إيالة مولانا المنصور بالله اتفقا عليها على ما سيذكر:

الشرط الأول:

سرح مير ابن مغنى المذكور بأمر سيدنا نصره الله الذى هو فى يده للرومى المذكور أربعة آلاف رأس من الثيران وثلاثمائة ألف قنطار من الشعير بميزان الغرب على شروط المبينة بعد.

الشرط الثانى:

التزم الرومى المذكور بأن يدفع هو إن كان حاضراً أو يترك نائبه إن كان غائبا بعد وسق الثيران المذكورين اثنى عشر ريالا صاكة، لكل رأس منها لمن يأذن مولانا نصره الله، وبعد وسق الشعير المذكور نصف ريال لكل قنطار من القناطير المذكورة صاكة لمن يأذن أيضا مولانا نصره الله.

الشرط الثالث:

إن وسق ما ذكر يكون بالمراسى المبينة بعد وهى مرسى تطوان والعرائش وطنجة على رضا الرومى المذكور أو نوابه.

الشرط الرابع:

إن الرومى المذكور يدفع فى الشهر الذى يقدم فيه أمر سيدنا نصره الله باستحسانه لجميع ما سطر صدره عشرين ألف ريال من حساب وسق الثيران

والشعير، حسبما فـى الشروط الأول، ويقتطع عند وسق ما ذكر من العدد المذكور قدر ما يلزم فى الوسوق قل أو جل، على حسب التوالى حتى يفرغ المال المدفوع.

الشرط الخامس:

إذا خرجت جيوش الفرنصيص من بلاد الأندلس فقط قبل تمام وسق ما ذكر فالرومى ويـقطور المذكور له الخـيار بين أن يكمل الوسق المذكـور بجمـيع شروطه المذكورة أو يتـركه، وإذا كـان قد بقى شىء من العـدد المدفوع فإمـا أن يسبق فـيه الثيـران والشعير أو يـسبق برضا سيـدنا نصره الله. الشمع بـتسع ريالات للقنطار صاكة أو الجلد بثـلاث ريالات صاكة، وإذا لم يرض سيدنا أيده الله بذلك فـيأخذ دراهمه الباقـية ووسق الثيران والشعيـر من الباقى المدفوع كما ذكـر يكون بالصاكة المذكورة قبل.

الشرط السادس:

التزم على نفسه خـديم مولانا المنصور بالله مير بن مغنـين المذكور بأن ييسر لرومى المذكـور جمـيع ما يحـتاج إليـه من المواجب التى يسبق فى سـائر المراسى المذكورة، على حسب ما بيده من إذن سيـدنا ومولانا نصره الله، ويبذل جهده فى ذلك حتى لا يتـعسر عليـه شىء فى الوسق المذكور، ويكون العـمل على الشروط المذكورة من غير أن يتعرض له أحد، ويشرع الرومى المذكور فى عمل الشروط من يوم تاريخه.

الشرط السابع:

إن هذه الشروط المذكورة المجعـولة مع الرومى المذكور فى الوسق المذكور إنما هو للفرانصيص الذين بـبلاد إصبانيا لا لغيـرها من بلاد الأجناس الآخرين، على هذا انعقـدت هذه الشروط المذكورة بين الرومى وبين مـير المذكورين، فمن حـضر

اتفاق مير بين مغنين و(فكتور)... بواسطة قنصل فرنسا على وسق الثيران والشعير من المغرب

العقد المذكور قيده شاهدا به عليهما فى الثانى والعشرين من ربيع النبوى الأنور عام ١٢٣٩» عبد ربه تعالى أحمد بن محمد الرفاعى لطف الله به آمين، وبعده طابع خديم مقام العالى بالله محمد بن ميمون الله وليه وبعده خطوط اليد النصرانى المذكور وقنصو الفرانصيص وخليفته، وكذلك خط اليد خديم المقام العالى بالله مير بن مغنين المذكور بالكتابة بالرومى» وبعد ذلك ختم باللّك الأحمر وخط إفرنجى.

وقد أرسل إليه الملك لويس سفارة برياسة الكونت (دومرنى) لتجديد روابط الوداد واستتباب الأمن بين الدولتين فوصلت فى ١٥ مارس سنة ١٨٣٢م لمكناس، وكان استقبال السلطان للسفير فى ٢٢ من الشهر وهو يومئذ بمكناس، وكانت مطالب الملك المذكور محصورة فى رسالة منه، وهى التخلى عن تلمسان واسترجاع ابن العامرى والتزام الحياد التام فى مسائل داخلية الجزائر وإرجاع الوفد الجزائرى الذى كان إذ ذاك بمكناس، وأداء قيمة السلع التى كانت بسفينة (نيبتون) التى حرثت أمام وادى نول سنة ١٨٢٠، وحصر واجبات المعشرات بالديوانات ما بين الدولتين، وبقيت المفاوضة جارية بين السفارة والملك بواسطة الوزير المختار الجامعى، والطالب ابن جلول إلى رابع إبريل، وكانت النتيجة عدم اعتراف السلطان بمسئولية ما ضاع فى تلك السفينة، حيث كان ذلك فى دولة السلطان قبله، كما أنه لم يساعد على الاتفاق الجمركى، وكتب رسالة رسمية إلى لويس فليب التزم فيها استرجاع محمد بن العامرى بعد ما أنكر أعماله السيئة، وأن لا يوجه رسلا إلى الجزائر ما دامت تحت حكم الاحتلال الفرنسى، وأن لا يكلف أوربيا بشئون المغرب فى الجزائر وتخلى عن تلمسان، ورد الوفد الجزائرى الذى كان بمكناس بدون نتيجة.

ثم إن الملك لويس المذكور استدعى قنصله بالمغرب وأقام (ميش) قنصلا مكانه وكتب للمترجم بذلك فأجابه بما نصه بعد الحمدلة والحوقلة:

«من عبد ربه الراجى عفوه ولطفه ومعونته ورفده، اللاجئ إلى حوله وقدرته فى كل الأحيان، المتمسك بحبل قدرته العظيمة الشان، وهو (الطابع الكبير بداخله عبد الرحمن بن هشام الله وليه): أبد الله سعوده، وأصحب النصر والظفر والتأييد أعلامه وبنوده، إلى المحب الذى بان صدق وداده، وتوفرت دواعى مواصلته ومعاونته وإنجاده، عظيم جنس الفرانصيص لوى فيليب.

أما بعد: فقد وافانا كتابكم الآخذ من البلاغة أوفر نصيب، وعلى كمال عقلكم شاهد غير مريب، فقد أحيا رسوم الوداد، وأكد جميل الاعتقاد، فاعلم بأن الوداد لا زال بمحله طالبين من تعاطى أسبابه المزيد عليه، وقد وصل القونص الذى وجهتم ميش ليكون مكان القونص قبله فتلقيناه بالقبول، وألبسناه رداء عنايتنا المسدول، وخصصناه بين القونصوات بمزيد الحظوة والشفوف، لثنائكم عليه بما هو به لديكم موصوف، ووجهنا ذى لبرط بيش قونص القديم المكث بإيالتنا مكروم الجناب لأجلكم، وهذا هو شأن الأحباب، والسلام فى ٦ ذى القعدة الحرام عام ١٢٤٨» من أصله المحفوظ بقسم المغرب من وزارة الخارجية الفرنسية.

وفى ٢٧ يوليو عام ١٨٣٦ ورد على المولى عبد الرحمن الكرونيل (دولارو) سفيراً والسلطان يومئذ بمكناس مذكرا فى معاهدة مرنى السالفة ومحذرا ومنذرا فى موالاة الأمير عبد القادر، وطالبا كف رعاياه عن الانضمام للمذكور وإلزامهم الحياد، وإلاّ يُعدّ ناقضا للعهد فيؤذن بحرب.

وطلب الإمضاء على شروط سبعة، منها: الاعتراف باستيلاء فرنسا على الجزائر، وملازمة الحياد، وأن يمنع الجزائريين من الالتجاء للمغرب، وأن تطلق حالا سراح الأسارى الفرنسيين الذين بالمغرب، وإلا فإن فرنسا تجاهر بعداوته، وتهجم على مراسى إيالته.

الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

كتاب رحماني إلى لويس فيليب ملك فرنسا بوصول القنصل (ميش) وقبوله

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

كتاب رحمانى للويس فيليب باعتماد (دينيون) قنصلا لفرنسا

وكانت مقابلة السلطان لهذا السفير واستلامه منه أوراق مأمورية سفارته فى ٣٠ يوليو.

وكان جواب السلطان أن له الرغبة فى مسألة فرنسا، وعين له محمد الطيب البياز للمفاوضة، وبعد انتهاء المفاوضة وفق ما أمل السفير بارح الحضرة المكناسية موليا وجهه للمحل الذى جاء منه فى غشت.

ثم استدعى القنصل المذكور وحل محله اسمه (دينيون) وكتب الملك للسلطان باعتماده وكيلا فأجابه بما نصه بعد البسملة والحوقلة:

«من عبد الله المتوكل على الله، المعتصم بالله أمير المؤمنين بالمغرب الأقصى الشريف العلوى الحسنى وهو الطابع بداخله (عبد الرحمن بن هشام الله وليه): أيد الله عساكره وجنوده، ونصر أعلامه حيثما توجهت وبنوده، إلى وحيد عصره، وفريد مصره، المتميز بخصوصية نفسه، على أبناء جنسه، المحب الودود، المحافظ على العهود، لويز فيلب عظيم جنس الفرنصيص.

أما بعد: فقد وافى حضرتنا العلية بالله كتابك، وعرفنا ما تضمنه خطابك، وعلمنا ما أنتم عليه من رسوخ المودة وجميل الاعتقاد، والجرى على سنن الوفاء فى الإصدار والإيراد، فنحن بحول الله وقوته فى حسن الوفاء بالعهود والمحافظة على الشروط فوق ما تظنون، وفى الوقوف على الحدود، واتباع السبيل المعهود، أكثر مما تؤملون، إذ نحن أولى برعى الذمام، وأحق بالمحافظة على الألفة والالتئام.

وما أنهى إليكم الخديم ميشن من الاعتناء به فكل من ورد لإيالتنا، واستظل بظل رعايتنا، لا يرى إلا ذلك وزيادة عموما، وخصوصا جنسكم فإنه آثر الأجناس لدينا لقديم عهده ووصلته، وتحببه لجانبنا العالى بالله تعالى ومودته، والخديم دينيون الذى وجهتم للخدمة بإيالتنا السعيدة واخترتموه للوساطة بين الدولتين بعد

التجربة والاختبار قد أمرنا بمقابلته بالمعروف، وإجرائه على المنهج المألوف، وهو عندنا فى محل الثقة فيما ينهى لحضرتنا الشريفة من أمور دولتكم إن شاء الله تعالى، ونسأل الله أن يكون مثل الذى قبله أو أفضل، ومن عنايتكم بجانبنا واهتمامكم بإيالتنا لا توجهون لخدمتنا من حاشيتكم إلا أهل العقل والرزانة وذوى الجد والحذق، ليسعوا فى الألفة بين الإيالتين ويحسنوا الوساطة بين الدولتين، والعاقل لا يوجه إلا عاقلا مثله، ولا يرشح للمهمات إلا شكله، انتهى، وكتب فى حمراء مراكشة صانها الله فى تاسع عشر ذى القعدة الحرام عام ١٢٥٥» من أصله المحفوظ بوزارة الخارجية.

وبعد وقائع الحدود الجزائرية المعروفة وما تلاها من ضرب الثغور وعظائم الأمور، فوض السلطان عامله أبا سلهام بن على ازطوط العرائشى فى عقد المهادنة والرجوع إلى الصلح، وكتب السلطان لباشا مكناس القائد الجيلانى بن بوعزة يقول: وبعد فقد كلفنا خديمنا الطالب بوسلهام بن على بعقد الصلح والمهادنة مع جنس الفرانصيص، لرغبته فى ذلك وحرصه عليه، فكتب لنا أنه تم عقد الصلح معه وطلع قونصهم لداره بطنجة، وأطلع سنجق جنسه، ومن جملة ما شرط عليهم الخروج من الجزيرة ورد الأسارى للصويرة، وأعلمناك لتكون على بصيرة والسلام فى ٢٨ شعبان الأبرك عام ١٢٦٠».

ونص معاهدة ازطوط المشتملة على فصول ثمانية بلفظها بعد الحمدلة والحوقلة:

«هذا تقييد الشروط الذى ينعقد عليها أمر الصلح والمهادنة بين سلطان مراكش وسوس وفاس، وبين سلطان الفرنصيص أن خاطر الجانبين لا يكون فى هذه الشروط المذكورة تحت، إلا بانفصال ما وقع بين الدولتين أن يتجدد بينهما

الصلح والمهادنة حسبما هو مقتضى الشـروط المنعقدة بين أسلافهم وقطعتهم ساعة الحرب، وسلاطين الجانبين أمروا نيابهم المكلفين بأمورهم:

فمن جهة سلطان المغرب وهو الفقيه سيدى أبو سلهامة بن على المفوض إليه من جانب سلطانه الموقع بينهما الفصال:

وحق جهة سلطـان الفرنصيص هو المسمى انطوان مـارى واقيل دورى دنيون اوفسيـال نيشان افتخـار كابليو من نيشـان السبيل من دولة الصبنيـول وغيره نائب قـونصـو خلنار، ونائب سلطانه بإيالـة المغرب مع المســمى لويز شـاول أى دكـاز كونت، وكـازد كرنى دكلو كبسـرت كباليرنيـشان افتخـار أمير نيشـان دانبرك من سلطان دينمـارك ومن نيشـان كارلوس الثـالث من دولة الاصبنيـول وغيـره نائب سلطانه بإيالة سلطان مراكش:

الشرط الأول:

فعساكر سلطـان مراكش المجتمعين لغير عادة فى الحـدود أو قريب منها يأمر عليه بالتفـريق فى الحين سلطان مراكش، ويأمر الآن أن يقطع اجتمـاعها فى ذلك النواحى ولا يبقى بها أكثر من عدد ألفين من الرجال الذى يلزموا فى تقدير الصلح وحفظ المحـادة، وإذا كان لزم لسلطان مراكش المغرب زيادة عـدد من الجيش بذلك النواحى فيعرف به سلطان افرنصة حتى يتفق أمرهم على ذلك ويفعل.

الشرط الثانى منها:

هو أن يأمـر سلطان المغـرب بالمعاقـبـة لقواده الذى حـاربونا أو تركـوا من يحاربونا فى إيالتنا فى وقت الصلـح، وتعدوا على جيش الفرنصـيص، وأن يخبر لفقائهم سلطان مراكش لسلطان الفرنصيص.

الشرط الثالث:

هو أن سلطان مراكش يتضمن بأنه لا يأمر بإعانة أحد من رعيتنا الذى يقوم علينا، وكذلك لا يعين أحداً ممن هو من أعدائنا فى بلدنا ولا بموطن، ولا يترك من يعطى من آل رعيته لعدونا سلاحا ولا شيئا من آلات الحرب.

الشرط الرابع:

فالحاج عبد القادر بن محيى الدين هو خارج عن حكم الشريعة فى إيالة المغرب وإيالة الجزائر، فعلى ذلك يضربون عليه فى بلادهم، وكذلك إذا هو فى إيالة سلطان مراكش، فرعيته يضربون عليه بالبارود حتى يطردونه ويخرجونه من بلادهم، وإذ تقبض به واحد من الجانبين، فإذا كان من تحت يدى الفرنصيص فيتضمن سلطان افرانصة بأنه يتكرم عليه ولا يضره، وإذا كان تحت يدى جيش سلطان المغرب فيأمر بإرساله إلى مدينة من مدائن السواحل من نواحى المغرب حتى يصير بين الدولتين الاتفاق فى شأنه، لئلا يتجدد من جهة الحرب مرة أخرى معنا، وكذلك لئلا يقطع الصلح مع المهادنة المقيمين بين الدولتين.

الشرط الخامس:

أما الحدود التى بين المغرب وإيالة الجزائر فيبقوا ولابد مثلما كانوا معلومين ومعروفين من المغرب فى عهد تولية التى لك على أرض الجزائر، وعلى أن يجرى الأمر فى هذا الشرط فيسموا أمر الجانبين نوابا، ويأمرونهم بالمسير إلى هذه الحدود ويحصرونهم هناك، ويتفاصلوا بينهم فى ذلك، ويجعلوا شرطا مخصوصا على هذه الحدود، ولازم سلطان المغرب أن يرضى فى هذا ويخبر لسلطان الفرانصيص بما فعل فى هذه النازلة.

الشرط السادس:

وفى الحين الـذين يصنعون النواب المكلفـين بأوامر سلطانهم طوابعـهم على هذه القوانين فـتقطع العداوة بيـن الدولتين، ولا يبقى بينهـما قتـال، وكذلك فى الوقت الذى يجرى فيـه سلطان مراكش الأمر بالوفاء هذه القـوانين ونعاينوا الوفاء ويرضى سلطان الفـرنصـيص فى الحين ذلـك يخرجـون الفـرنصيص من جـزيرة الصويرة، وكذلك من وجدة وعزما يردون الأسارى الذين بين الدولتين.

الشرط السابع:

والمراد هو أن النواب من الدولتـين يصيـر الاتفاق بينهـم على عقـد شروط جديدة على وجه جميل وفى وقت قريب، وإن تأسس على الشروط السابقة المقررة بينهم وأسـباب تجـديد عقـدة الشروط هو لزيادة التـقوية والتكمـيل، وذلك على مقـتضى الخـير من الجـانبين والنفع فى التـجارة، ومن الآن إلى أن يتـجددوا هذه الشـروط فتبـقى هذه الشـروط المتقدمـة موقـرة محـترمـة فى كل شىء، وجنس الفرنصـيص فى كل شىء وفى كل حـالة يكون مقبـول بالأنعام والمحـبة كـما هو الجنس العزيز من سائر الأجناس.

الشرط الثامن:

هو أن سـلاطين الجـانبـين يرضـوا ويكون منـهم الوفـاء فى هذه القـوانين المذكوريـن، وفى نسخة مـنهم بطابع سلطان المغرب يأخـذها سلطان الفرنـصيص ونسخة أخرى بطابع سلطان أفرانصة يأخذها سلطان المغرب، ولابد ولابد فى كون هذه مدة من شهرين أو أقل إذا يمكن، والنواب المذكـورين يصنعون من الآن تحتها طوابعهم وأسمـاءهم وهذا فى تاريخ ١٠ من شهر شتنبـروا فى سنة المسيح ١٨٤٢ الموافق فى دى ٢ من شعـبان الأبرك من سنة الهجـرة عام ١٢٦٠» صح من أصله المحتفظ به بالمكتبة الزيدانية على ما به من تحريف وركاكة.

ثم تلا هذه المعاهدة اتفاق آخر بشأن تحديد الحدود حسبما أشير إليه فى الشرط الخامس مما تقدم، وقد ناب عن الفريقين فى عقده القائد حميدة الشجعى.

«الحمد لله وحده ولا يدوم إلا ملكه، هذا تقييد اتفق عليه نائب سلطان مراكش وفاس وسوس الأقصى، ونائب سلطان الفرنصيص وسائر مملكة الجزائر، فمراد السلطانين هو تصحيح عقد المحبة السابقة وثبوتها، ولذلك ترى كل واحد منهما يطلب من الآخر الوفا بالشرط الخامس فى مكتوب الصلح المنبرم ١٠ شتنبر ١٨٤٤ عام من تاريخ المسيح ومصادقا لتاريخ ٢٥ من شعبان ١٢٦٠ سنة من الهجرة، وعين كلا السلطانين نائبه على تحديد الحدود بين الإيالتين وتصحيحها نيابة تفويض، فنائب سلطان المغرب هو الفقيه السيد حميدة الشجعى عامل بعض مملكة المغرب، ونائب سلطان الفرانصيص وهو الجينرال اريسطيد يزيدور كنت دلاروا وصاحب نيشان الافتخار دولة الفرانصيص، ودولة صبانية، فبعد الملاقاة بينهما وإتيان كلاهما برسمى التفويض من سلطانه، اتفقا على ما فيه مصلحة الفريقين، وجلب المحبة بين الجانبين وها هو مذكور أسفله:

الشرط الأول:

اتفق الوكيلان على إبقاء الحدود بين إيالتى المغرب والجزائر كما كانت سابقا بين ملوك الترك وملوك العرب السابقين، بحيث لا يتعدى أحد حدود الآخر، ولا يحدث بنا فى الحدود فى المستقبل، ولا تمييزا بالحجارة بل تبقى كما كانت قبل استيلا الفرانصيص على مملكة الجزائر.

الشرط الثانى:

عين الوكيلان الحدود بالأماكن التى فى ممر الحدادة وتراضيا عليها، بحيث إنها صارت واضحة معلومة كالخيط، فما كان غربى الخط يعنى الحد فلإيالة مملكة المغرب، وما كان شرقى الحد فلإيالة مملكة المشرق.

الشرط الثالث:

ذكر مبدأ الحدود والأماكن التى تمر عليها الحدادة، فمبدؤها ملتقى وادى عجرود مع البحر واصعد مع الوادى إلى أن تبلغ المشرع المسمى كيس، وسر كذلك مع الوادى إلى أن تبلغ رأس العيون الكائنة بحجر الكديات الثلاثة المسماة مناصب كيس، وهذه الكديات الثلاثة داخلة فى الحد الشرقى، وسر من رأس العيون من الحمار إلى أن تبلغ دراع الدوم واهبط إلى الوطا المسمى الأعوج، وسر كذلك وحوشى سيدى عياد كالمقابل لك غير أن الحوشى بنفسه يبقى داخل الجهة الشرقية نحو الخمسمائة ذراع، وسر كذلك إلى جوف لبارود الكائن بوادى بونعيم، ومنه إلى كركور سيدى حمزة، ومنه إلى زوج البغال، وسر منه مياسر البلد الطلح إلى سيدى الزهار المعلوم للأعملة الشرقية، ومنه سر مع الطريق الجادة إلى عين تقبالت التى هى بين الواردة والربوجتين المسماتين بالتوميات المعروفتين لإيالة المملكة المغربية، واصعد من عين تقبالت مع واد روبان إلى رأس العصفور، وسر كذلك مع الكاف واترك شرقا قبة سيدى عبد الله بن محمد الحمليلى وغرب مع ثنية المشاميش، وسر كذلك غير مشرق وغير مغرب إلى أن تبلغ قبة سيدى عيسى الكائنة بمنتهى طرفى مسيون والقبة وحرمها داخلان فى إيالة المملكة الشرقية، وسر مستقبلا من القبة المذكورة إلى أن تبلغ كدية الدباغ وهى تمام حد التل، ومنها سر مستقبلا إلى أن تبلغ خنيف اللحدا، ومنه إلى ثنية الساسى المعلومة لإيالة المملكتين والحدادة المذكورة من البحر إلى الصحرا من تمامها.

ذكر الأرض الملاصقة للحدود شرقا، وذكر القبائل النازلة بها، فأول الأرض والقبائل أرض بنى منقوس التحاته واعطيه الذين هم لإيالة المغرب، ومنزلهم أرض إيالة مملكة المشرق، وسبب نزولهم واقعة وقعت بينهم وبين إخوانهم الغرابة فانهزموا فالتجأوا إلى المنازل التى هى سكناهم الآن، ولا زالوا يتصرفون فى المنازل

المذكورة بالْكِـراَ، مِنْ من مالك إيالة المملكة الشـرقية إلى الآن وحـتى الآن، لكن تكرم وتبرع النائب عن سلطان الفرانصيص على نائب سلطان المغرب بالوظيفة التى تؤديا هاتان القبـيلتان المذكورتان لسلطان العـملة الشرقية، فـلا يطالبون بقليل ولا كثير ولا جليل ولا خطير، رغبة فى الاستـيلاف وإبقاء للمحبة، وجلبا للمودة بين الفريقين مدة الخـير والصلح والمهادنة وضيافة من النائب المتبـرع المذكور على السيد النائب عن سلطان المغـرب المسطور، ثم يجـاور تراب الفرقـتين المذكـورتين تراب مسـيردة والأعشـاش وأولا ملوك وبنى بوسعيـد وبنى سنوس وأولاد أنهار، فـهذه القبائل الستة من جملة عملة الجزائر.

وكذلك ذكر الأرض الملاصقة الحدود غربا، وذكـر القبائل النازلة فيها، فأول الأرض والقبـائل، أرض أولاد منصـور، أهل تزيفة، وبـنى يزناسن، والمزاوير، وأولاد أحمـد بن إبراهيم، وأولاد العباس، وأولاد على بن طالحـه، وأولاد عزور وبنى بوحمدون وبنى حمليل وبنى مطهـر بوحمدون وبنى حمليل وبنى مطهر أهل رأس العين وهو لا القبائل بمنازلهم لعملة المغرب.

الشرط الرابع:

أن أهل الصحرا لا حد فيهـا بين الجانبين لكونها لا تحرث، وإنما هى مرعى فقط لعـرب الإيالتين التى تنزل فـيها وتنتـفع بخصـبها ومـاها، ولكلا السلطانين التصرف فى رعيته بما شا، وكيف شا، من غير معارض إن امتازت، وإلا فمن أراد إحداث أمر فى رعيتـه حالة اختلاطها برعية غيره فليكف عن غيـر رعيته ويحدث فى رعيته ما يشا.

فالأعراب الغـربية هما المهايه وبنى قـيل أولاد سيدى الشيخ الغـرابة وعمور الصحرا وحميان الجنبة.

والأعراب الشـرقية هم أولاد سيدى الـشيخ الشرافة وكـافة حميان مـن غير حميان الجنبة.

الشرط الخامس:

فى تعـيين قصـور إيالة المملكتـين فى الصحـرا فعلى الملكين اتبـاع الطريق السابقة وتوقير أهل هذه القصور رعيا لجانب المقامين، أما قصور فجج وقصر بيش فلعمـالة المغرب، وأما العـين الصفـرا وسفيسـفة وعلة وتيـوت وشلالة والأبيض وبوسمغون فللعملة الشرقية.

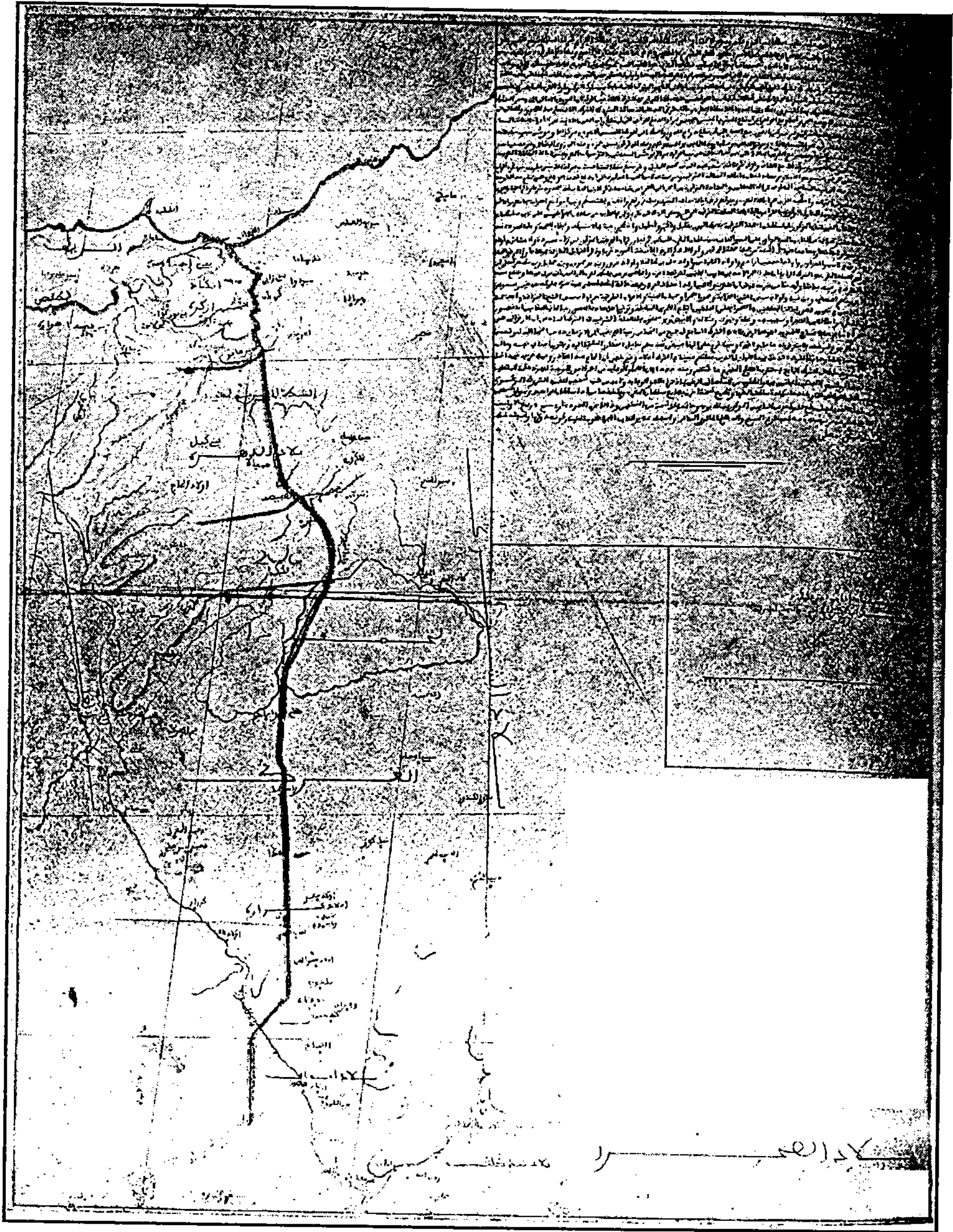
الشرط السادس:

أن الأض التى هى قبلة قـصور الفريقتـين فى الصحرا لاما فـيها فلا تحـتاج للتحديد لكونها أرض فلاة.

الشرط السابع:

أن جمـيع من التجأ من رعـية الفريقين إلى الآخـر فلا يرده من التجـأ إليه لموضعه، حيث أراد البـقاء بملتجئه، وإلا فمن أراد الرجوع لموضعـه فلا يتعرض له عامل ولا غيره، وحيث عزم على البقا فيبقى تحت حكم عامل المكان الملتجأ إليه، ويكون آمنا فى نفسه وماله احتراما من السلطانين بعضها بعضا.

وهذا الشرط لا تدخل فـيه القبائل الذين عـملتهم مبينة فى الـشرط أعلاه، وغيـر خفى أن الحاج عبـد القادر ومن فى حزبه غيـر داخل فى هذا الشرط، لأن دخوله فيه موجب لبطلان الشرط الرابع فى مكتوب الصلح المنبرم ١٠ شتنبرو سنة ١٨٤٤، فـإن العمل والوفـا به من أهم الأمور الموجـبة لـنفوذ كلمـة السلطانين، وتصحيح المحـبة، وإبقا المودة بين الدولتيـن، والألفة بين الجانبين، فبـعد المطلوب من السلطانين الرضـا بما ذكر أعلاه والوفـا به، ولابد من كتب نسـختيـن لتقيـيد الشروط المذكورة، فتطبع نسخة منهمـا بطابع سلطان الفرانصيص، ويأخذها سيادة



معاهدة الحدود الجزائرية المغربية المنعقدة بين القائد حميدة الشجعى نائب المغرب والكونت دولارو نائب فرنسا



كتاب الجنرال دولارو إلى المولى عبد الرحمن

سلطان المغرب، وتطبع نسخة أخرى بطابع سلطان المغرب ويأخذها سيادة سلطان الفرانصيص، وتبديل النسختين إنما يكون فى طانجة عن قريب إن شاء الله، بعد أن يضع كل واحد من النائبين المذكورين خط يديه وخاتمه فى كل نسخة من النسختين، وذلك بقرب الحدود بتاريخ ٤ ربيع الأول سنة ١٢٦١ الموافق اليوم الثامن عشر من مرس سنة ١٨٤٥ من تاريخ المسيح، والله يصلح الحالى والمآلى، وأسفله خط يد النائب الفرنصوى الجلينار كونت دولاروا، وأسفله خط يد النائب المغربى السيد حميدة بن على» صح من أصله الموجود بالمكتبة الزيدانية، وقد ألحقت به خريطة جغرافية لبيان تلك المواقع.

وقد عثرت على رسالتين للمندوب الفرنسى المذكور فى مسائل من هذا الباب تتعلق بالدولتين، وقد كتب إحداهما للسلطان مباشرة، والثانية لوزيره ابن إدريس ونص الأولى بلفظها العربى:

«الحمد لله وحده، ولله ملك السموات والأرض، إلى سعادة سلطان المغرب الأعظم فخر ملوك الإسلام، مولاى عبد الرحمن بن هشام أيده الله، وبلغه من الخير ما أراد، وأطال عمره آمين.

من عبد ربه سبحانه الفارس الكونت دولار وصاحب نيشان الافتخار الدولة الفرنصوية وجنيرال بعض عساكر سعادة سلطان فرانصة نصره الله، ونائبا عن حضرته، أعزه الله على تحديد بلد مملكة المغرب، وبلد مملكة الجزائر، ومفوضا التفويض التام بالحل والربط، وأن يحل ويعقد ويلتزم على كل ما يجب لترسخ المحبة الخالصة بين الدولتين.

بعد السلام اللائق بالمقامين، فالمعروض على مسامعكم الشريفة هو أن سعادة سلطاننا لما عيننى مرسولا إلى ناحيتكم لأجل التحديد المذكور أعلاه، ظن أن سعادتكم تسر بذلك لأنكم كنتم تفضلتم علىّ بالقبول والرضا، وشرفت

بمقابلتكم، وإنا نفتخر بذلك الافتخار التام، ونرجو أن تقبلوا كلامى الذى هو كلام سلطاننا المفوض إلى الأمر.

فسعادته أول ما وصانى به خصوصا هو أن نمتن ونصحح عقد الصلح الذى تم حديثا بين مالكى المغرب والفرانصيص، ولأجل تسهيل الأمر الذى أرسلت لأجله نستأذن منكم بأن نخلى العوائد المعلومة على جهة، لما كنتم أنعمتم علىّ سابقا حين كنت أرسلت إلى سعادتكم، ونطلب منكم أن تقبلوا كتابى هذا، لأن مقصودى تعجيل الأوبة وإنا نعلمكم بأن قدومى هذا ليس هو مقصوراً على تحديد البلاد فقط، بل لبيان أمر مهم آخر، وهو أن سلطاننا تحقق عنده ما فعلتم قبل من الخير، وأن نيتكم دوامه، كما تحقق عندكم أن نيته ثبات الخير وهو أفضل من كل فائدة، وسبب الفساد الواقع بين الدولتين إنما نشأ عن حلول الحاج عبد القادر بقرب الحدود، ولا يخفاكم أنه أصل كل فساد، وعنه ينشأ، وبفساده تنتقض المحبة المعقودة بين الدولتين، وهو الآن نازل فى بلد قلعية وتروهم فى ضيافته وإعانته هو وسائر دائرته وما ذلك إلا من كذبه على القبائل بالتمربيط والجهاد يختلهم به بلا طاقة، وفعله هذا كذب محض، يزعم أن ليس غيره آمرا بالدين والجهاد.

ونيته بذلك أن يقيم رعية، ويختلس لنفسه القوة، ويضرم نار الفتنة بين الجانبين، لما علمتم أن مقصوده الأهم، إنما هو سعيه فى إفساد رعية المغرب وهذا الحال لا يخفى على سعادتكم، وفيه خطر كبير للدولتين، ولأجل مصالح الفريقين، وجب علينا إزالة هذا المرض خوفا من زيادته، لأن الذى يحب حفظ الصحة الواجب عليه اتقاء ما فيه زوالها، فعليكم مسامحتنا، فإنا نذكركم أنى حين جئت عندكم سابقا منذ ثمان سنين، وبذلت جهدى عند سعادتكم وعند وزيركم الطيب البياز، وبينت لكم كل الفساد الذى سيصدر من الحاج عبد القادر، وكنت

حذرتكم من بيع السلاح وآلة الحرب له لما علمت أنه لابد يطرد عن مملكته، لأنه لا يستطيع المقاومة.

ومن المعلوم أنه لا يلجأ إلا إليكم، وربما جر لنواحيكم البلاء المحيط به، وكل ذلك وقع بإذن الله، فنرجو من سعادتكم العمل بكلامى، وتبذل مجهودك فى إزالة الحاج عبد القادر، لأنك ألزمت نفسك بذلك بواسطة الشرط الرابع من شروط الصلح الذى انعقد، ووافقتم عليه بطابعكم.

فالتحريض الذى حرضنى سلطاننا عليه لأجل وفاء بهذا الشرط، وهو يبين لكم أن نيته دوام الخير وأمر محقق ظاهر ما يثبت الخير بوجود الحاج عبد القادر بمجاورة الحدود، واليوم إن حصل لكم مانع سرى لأجل ذلك، فالطريقة الموافقة أكثر من كل شىء، هو أن ترسل أحد عمالكم من خواص حضرتكم وكنز سركم وتكلفوه بكامل أسراركم عند سلطاننا، وهو يتكلم عند سعادته بجميع أموركم، وما يلزم أن نبين لكم أنه يكون مقبول بالفرح والسرور كما هى عادة الملوك، كما فعل جدكم المعظم المبجل المفتخر مولاى إسماعيل حين أرسل إلى جد سلطاننا لويز الرابع عشر، فلا نقدر نحن ولا أنتم ننسوا الخير الذى صدر من هذه المراسلة بين النصارى والمسلمين.

فبتجديد هذه المراسلة تحصيل فوائد شتى، من جملتها: تجديد عقد الشروط التى وقعت بين الأسلاف السابقين على التجارة وغير ذلك، وامتثال أمر سلطاننا الذى بفعله نسى جميع ما مضى من الفتنة التى اشتعلت بواسطة الشيطان من غير نية من الجانبين، والحاصل بهذه المراسلة تظهر المحبة على عيون الجنوس كلهم، والآن أنا قادم إلى الحدود لأجل تحديد البلاد مع نائبكم إن شاء الله، وحين نكمل ذلك يأتينى مكتوبكم برضاكم موافقا لحين التمام، أو بإرسال نائب من سعادتكم

وبموجب مرسومكم الشريف متضمنا الانتظار بتلمسان، أو نقدم إلى طنجة ونركب فى مركب سلطانى، ونذهبوا سوية لباريز، وتكون له حرمة ورفعة كما يليق بمرسول سعادة الأعظم، سلطان الإسلام الذى صار الآن محبا للدولة الفرانصوية، وفى هذا كفاية والسلام بتاريخ أواسط صفر عام ١٢٦١، وبأمر المعظم الجنيرال المذكور الواضع طابعه فيه.

وأعلمكم أيضا أن خليفة سلطاننا المعظم الماريشال بيج الضامن العافية فى الوطن، قد أخبر السلطان أنه كاتبكم وكاتب ابنكم بما فيه مصلحة الفريقين، وأن سبب الفتنة هو وجود الحاج عبد القادر فى الحدود، وأخبره أنه حذركم فلا تظنوا أنه غير عالم بذلك، فقد علم كل الواقع فى الوطن، وقد كتبنا لك كتابين أحدهما برا، والآخر بحرا مضمنهما واحد: وقد حط خط يده أسفل» هـ من أصله.

ونص الثانية بعد الحمدلة والحوقلة والطابع الإفرنجى والتوقيع بالخط.

«من المكتوب عن إذنه الجنيرال الكونت دولارو وكيل سلطان الفرانصيص وواليه فى بعض جنوده، إلى الفقيه الرئيس السيد محمد بن إدريس، السلام التام اللائق بالمقامين، فإنه قد وصلنا مكتوبك، وعلمنا ما فيه إجمالا وتفصيلا، أما ما ذكرت أن السلطان قائم على ساق الجد فى التضييق عن الحاج عبد القادر وحسم مادته، وأنه كلف بعض عماله بذلك، وأنه ساع فى الخير حريص على ثبوته، فكل ذلك علمناه وفرحنا به غاية، وحمدنا الله تعالى الذى أظهر صدقنا فى تحذير السلطان سابقا من فساده، وأنه سيلتجئ إليكم فقد وقع كل ذلك.

وأما ما ذكرت فى شأن الفرنصيصى عمر أنه كاتب الحاج عبد القادر وحذره من الثقة بجانب السلطان، فاعلم أن هذا الرجل اسمه عندنا ليون بن الروش، وهو الآن ترجمان خليفة سلطاننا وكاتبه، وأحد خواصه، وما علمنا عليه إلا خيراً لا يسعى إلا فى مصالح العباد، وأنه لم يكاتب الحاج عبد القادر من تلقاء نفسه، بل

بأمر الخليفة المارشال بيج، وذلك أنه قبل وقعة يسلى بأكثر من نصف سنة كتب الحاج عبد القادر إلى خليفة سلطاننا يلتمس منه الصلح، وهو فى إيالتنا، فأمر حينئذ عمر المذكور بإجابته أنه إن التمس الصلح ليعود للملك فذلك لا سبيل إليه، وإن التمس الصلح عن نفسه فقط وبعض دائرته فليقطع الفساد.

ورغبة فى الانتقال بمن معه لمكة على يد السلطان مولاى عبد الرحمن ومئونة السفر على سلطاننا، كما أنه تحمل له بعطاء جزيل كل سنة إن فعل ما ذكر، ولما لم يمتثل لأمره حتى قدر الله بالفتنة الواقعة بيننا، ودخل لإيالتكم أمر الخليفة المذكور أيضا عمر المسطور بمكاتبته، وحذره من الثقة بجانب سلطانكم ومن غدره بعد وقعة يسلى بيومين، وبعث المكتوب صحبة أحد أصحابه كان قبض عندنا، وأخبره أن الباب الذى فتح له لا زال كذلك، وهذا إنما وقع حالة الفتنة كما ذكرنا.

وما ذكرته لنا من أن موجب تعاصيه إنما هو هذا الكلام فهذا غير مناسب، لأنه لا يخفى عليكم لفطانتكم وذكاء فهمكم أن هذا العذر لا ينفعه، ومع ذلك لا يستطيع دفاعا عن نفسه، فهو يتعلل بهذه العلة، وقد كاتبنا السلطان بالملاقاة والموافقة على ما فيه سد الخلة بين الجانبين مع النائب الطالب السيد حميدة ورسول السلطان السيد أحمد بن الخضر، وبينا له كيفية الملاقاة، وقد أتحفناهما بهدية نفيسة تليق بالوفود كما ستعاين جميع ذلك فى مكتوب السلطان.

وذكرت لنا أن بعث أحد الخواص لحضرة سلطاننا هو ببال من سلطانكم، فالمطلوب منك بذل الجهد فى تعيينه ليكون على أهبة واستعداد بطنجة، فإنا قادمون إليها لا محالة لتبديل النسخ، ويذهب معنا وعلينا حفظه ومواصلته بما يليق مكافأة لبر ملككم حال وفودنا عليه مرتين، وفى بعثه وإتمام هذا الخبر والصلح مصلحة الجانبين، وجريا على عادة الملوك، ويحيى هذا الرسول شروط التجارة السابقة بين الأولين، وليراه سائر الأجناس ويحصل لهم اليقين بثبوت الخير.

وكيف بك نحن عظمنا سلطانك بما يليق به، وأنت تقابلنا بخلاف ذلك، مع أن توقير الملوك وتعظيمهم من الأمور المهمة، لا سيما وقد اتفق السيد بوسلهام مع وكيلنا بطنجة على التعظيم، وأنه لابد من ذكـر السلطان ولقبه بلفظ التعظيم، ولا يكفى ذكر عظيم الجنس، ووصلت مكـاتبه لسلطاننا فى البحر بما يناسـب قصدنا، ووقعت المخالفة برا، والظن أنه على وجه النسيان منك.

ولا يخفـاك أن ملكنا مؤسس على العـدل منذ ١٨٥٥، مع أن كل جنس له ملك والملك يختـاره الله من خلقـه، فإذا كـان كـذلك فـالواجب على المخلوق تعظيمه، وهـا هى نسخة مكتوب السيـدة حميدة تصلك مـضمنها ما قـاله به عمر المذكور، والسـلام بتاريخ يوم الجمعـة ١٢ ربيع الأول عام ١٢٦١» صح من أصله المحفوظ بالمكتبة الزيدانية.

ثم أصدر السلطان ظهـيرا ضمنه كـيفية مـعاملة الفرنسـيين توكيدا للعـهود السالفة بعد الحمدلة والحوقلة:

«كتابنا هذا أسماه الله المتلقى بالإجمـال والتعظيم والتبجيل والتكريم، يعلم الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا بثغورنا علم يقـين، ونأمره أمرًا حتما أن يعمل بما فيـه ولا يحيـد على كريم مـذهبه، وذلك أن حـاصله القونـصوا الفرانـصيص خديمنا لورشنيد جعلنا له فيما أنعمنا عليـه وعلى جنسه الفرنصيص حسبما تضمنه عقـد الصلح الذى بأيديهم، وأن كل ما يوسقـونه سفن تجارهم بقصـد ما يأكلون بحرية السفينة مدة إقامتهم فى المرسى وزاد سفرهم لا يعطون عليه شيئا فى الخارج من لوازم المرسى، وكذلك القـراصين إذا وسقت ما تحتـاج إليه فى المأكل والمشرب وما تصلح به مراكبها، لا يلزمهم على ذلك فى الخارج شىء.

وكل ما يأتى لهم من بلادهـم من المأكل والمشرب واللباس لا يلزمـهم عليه شىء فى الداخل، وإذا اطرد محـاربهم سفينة من سفنهم حـتى بلغت رماية المدفع

المعدة للدفاع من مراسينا السعيدة، فلحاكم البلد أن يدفع عنها، وإن جاء عدوهم بالأسارى من الفرانصيص المرسى ما دام مقيما بهم على وجه الماء لم ينزل بهم للبر فلا كلام معه، وإن نزل بهم للبر فلولى تلك المرسى انتزاعهم منه وردهم على الفرانصيص.

وأذنا لقونصو الفرانصيص وبجمع تجارهم الانسياح فى إيالتنا يذهبون حيث شاء، فلا يتعرض لهم عارض، ولا يمنعهم مانع، وكذلك جميع أصحابهم وخدامهم، وهم محررون فى الوظائف كلها لا يلزمهم شىء.

ولهم أن يعملوا ما شاءوا فى دورهم من أمور دينهم مع الفرايلية، ومن أراد ذلك من أجناس النصارى معهم فلا يمنعون من ذلك ولا يحال بينهم وبين دينهم، وإذا صدرت مخاصمة بين مسلم وافرانصيصى فليحكم بينهم والى البلد، أو يرفعهما لعلى مقامنا إذا عجز عن فصالهما.

وإذا ساء الفرانصيص الأدب مع المسلم فلا يحكم عليه والى البلد إلا بمحضر القونصو المذكور، وله أن يدفع عنه بما أمكنه من البينات التى تقبل شرعا.

وإذا هرب الجانى فلا يؤاخذ به القونصوا، ولا غيره من جنس الفرانصيص، إلا إذا ضمنه، وكذلك إذا هرب الفرانصيص بمال مسلم ترتب عليه من سلف أو معالة، فلا يؤاخذ به القونصوا المذكور إلا إذا أذن للمسلم المذكور وأعطاه خط يده.

وإذا هلك أحد من جنس الفرانصيص ومات على دينهم، فله أن يتصرف فى ماله القونصوا بما شاء لا يتعرض له عليه، وإذا جاءت سلعة لتاجر من تجارهم وأنزلها بقصد البيع فعشرت ثم إنها لم تبع كلها وإن ردها لبر النصارى فلا يلزمه شىء عليها فى الخارج، حيث أدى واجبها فى الداخل.

وإذا صدرت مخاصمة بين افرنصيصى فيما بينهم سواء كان تاجرا مع بحرى أو تجار بينهم بما شاء وظهر له، فلا يمنع من ذلك ولا يطاف بدائره بما يكره، وإنما تبقى لمزة عن دور غيره من أهل ملته.

وإذا[1] انتقض الصلح بينه وبين البعض من غير إيالتنا مثل تونس والجزائر وأطرابلس وطردت سفينتهم سفينة الفرانصيص، حتى أدخلتها مرسى من مراسينا، أو وجد بها أو وجدها الحال كانت بالمرسى قبل، ثم أرادت الخروج من المرسى إلى بلادها فأراد محاربها اللحوق بها بنفس خروجها، فلا سبيل له إلى ذلك إنما يمنعه والى البلد جهدها تبعد عنه، وذلك أن يمكث مدة معلومة بين أهل البحر، ثم إن شاء اللحوق بها إذا بعدت فعل، وكذلك العكس، بهذا صدر الأمر العالى فكتبه فى الخامس من المحرم الحرام فاتح عام ١٢٦١٢» من أصله المحفوظ بالمكتبة الزيدانية.

ثم إن السلطان بعث عامله على تطوان الحاج عبد القادر أشعاش سفيراً لفرنسا برهانا على تمام المودة وتسوية الخلاف وإجابة لاقتراح الكونت دولارى المتقدم فى كلامه وأصحب السفير كتابا للملك لويس فيلب هذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله

من عبد الله المعتصم بالله المتوكل على الله المجاهد فى سبيل الله أمير المؤمنين بالمغرب الأقصى الشريف العلوى الحسنى وهو (الطابع بداخله عبد الرحمن ابن هشام الله وليه) أيد الله عساكره وجنوده، ونصر أعلامه حيثما توجهت وبنوده، آمين، إلى المحب الودود، الذى هو فى عظماء الملوك معدود، حامل راية الرياسة، والسابق المحلى فى مضمار السياسة، الفرد الذى فاق أبناء جنسه، بما حاز من خصائص نفسه، السلطان لويز فلب ملك جنس فرانسه والحاكم على ممالكها الدانية والقاصية وفقه الله وسدده، وإلى سبيل الهدى أرشده.

---

(١)فى المطبوع: «وإنما».



ظهير رحماني إلى لويس فيليب ملك فرنسا

مع السفير الحاج عبد القادر أشعاش

أما بعده: فإن المراسلة بين الدول، والمواصلة بين الملوك الأول، تفتح للمودة أبوابا، وتيسر للمواصلة أسبابا، وتزيد الود تأكيدا، والعناية تجديدا، وتزرع حب الحب فى القلوب، وتقرب البعيد وتيسر المطلوب، ولما رأينا ما برز به القدر من هذا الكدر، الذى لم يكن فى ورد عندنا ولا صدر، أردنا الوقوف فى ذلك على عين الحقيقة، وسلوك السبيل إلى العلم بسببه والطريقة، طلبا للإنصاف ورغبة فى العدل الذى هو أحسن الأوصاف واختبارا للمحبة التى قدم عهدها، وكان على يد الأسلاف عقدها، فاخترنا من بيوتات الخدمة والرياسة سفيرا، ورشحنا لحضرتكم من خاصتنا باشدورا، وهو وإن كان صغير السن فهو كبير الهمة والعقل، وهو الخديم الأنجب، والشاب الأنجد الحاج عبد القادر بن الخديم المرحوم الأرشد القائد محمد أشعاش وأصحبناه هذا الكتاب الشريف، والأمر الرفيع المنيف، ليكون للعهد مجددا، وللصلح المنعقد مؤكدا، وهو النائب عنا فى إنهاء مسائل عرضت تكسب الود صفاء، وتزيد العهد ثباتا ووفاء، فتأملوها بعين الإنصاف والعناية، وقابلوها مقابلة من شأنه الملاحظة والرعاية، فإن بصفائها تجرى الأمور على مقتضاها، وبحسم مادتها تبلغ النفوس من هذه المهادنة مناها، والله أسأل أن ييسر أسباب التوفيق، والهداية إلى أحسن روض مرعاها، فى سابع عشر شوال الأبرك عام واحد وستين ومائتين وألف» من أصله المحفوظ بوزارة الخارجية الفرنسية.

وقد قدمنا الكلام على هذه السفارة فى وقائع سنة ١٢٦١، كما ذكرنا السفارة التى وردت فى السنة بعدها، ونزيد هنا كتابا بعثه السفير الحاج عبد القادر للسلطان يتضمن الإخبار بما لقى من المبرة والإكرام ونصه على بترٍ فيه:

«وبعد فمما يجب إنهاؤه لكريم علمكم، أنا دخلنا مدينة باريس يوم الأحد ثامن عشرين من الحجة الحرام، بعد أن مكثنا فى الطريق سبعة أيام، من يوم خروجنا من مرسيليه، فأنزلونا منزلا رفيعا، ونظرنا فيها منظرا حسنًا بديعا، وهى

من أعظم مدن الدنيا، وأبهجها، فـأول من لقينا الوزير الذى كان بعث لنا صاحبه لمرسيلية، واسمه اليسكيزوا، فرحب بنا وألطف ملاقتنا، وأثنى خيراً وأبدى سرورا وبشرى، ثم جاءنا قائد المشور من عند السلطان يستدعينا لملاقاته هـ.

أرسله بذلك سيـده فلقينا يوم الثلاثاء ثـالث قدومنا فبالـغ فى إلطافنا والمبرة بنا، وكان أشار علينا بعض من له خبرة بعوايدهم أن لابد من إنشاء خطبة تتضمن تعظيما لجانب سيدنا ولسلطانهم وجنسهم، وأننا لازلنا على المودة وتأكيد المحبة إلى غير ذلك من الزخاريف، ونسردها بحضـرته، ففعلنا ذلك من غير تفريط. . . ولا يخل بواحدة من المـلتين فلما لقـينا. . . ما كنا زورناه ثم فـسره الترجـمان فبـعد فراغ. . . خطبته من جـيبه وسردها بلسانه ثم فسرها الترجـمان. . . أنه يحمد الله ويشكره على ما حـصل من تجديد المحبة. . . بينهم وبين سيـدنا نصره الله وأنه لا زال على المحبة. . . والميـثاق، وأن ما حدث من المجاورة بيننا وبينهم يوجب كـثير الوداد إلى غير ذلك مما كان جوابا لكلامنا، ثم مكناه من كتاب سيدنا فقبضه بيده، ووضعه على كـرس رأسه، ونزل درجة عن كرسيـه عند قبضه تعظيمـا، ثم دفعه لوزيره فرجعنا من عنده، ثم بعث لـنا يعرضنا للعشاء معه، فـصرنا إليه فى وقت العشاء فـألفيناه قد أحضـر عظماء دولته، وخواص مملكتـه ونساءه وأولاده وجلس معنا بنفـسه، فى صالة لا يسع هذا الكتـاب وصف ما فيـها، فأكلنا مـا يباح من الأطعمة، وبعد فراغنا أخذ يتحـدث معنا ويباسطنا بطيب الكلام ويتصفح من كان معنا من أصحابنا ويقف مع كل واحد منهم على حدته، ويسأل عنه وعن أحواله، ومن هو، ومـا يعمل، وكذلـك أولاده وأقاربه حتى أعـطواْ لِكُلٍّ واحد حـقه من ذلك.

ومما تشكر به هو ووزيره وامرأته وخـواصه ما فعله المسلمون بناحـية الجديدة من إخراجهم ما قـدروا على إخراجه من نصاراهم الذين انكسر مركـبهم فى شهر

ذى الحجة من سنة إحدى وستين هنالك، وطلب منى أن أبلغ سيدنا عنه فى ذلك أحسن ثناء، فبقينا معه هنيئة بعد العشاء، وأذن لنا فى الذهاب، فرجعنا لمحلنا وذلك كله يوم الثلاثاء المذكور هـ.

ثم استدعى القنصل (دينيون) الذى تولى وظيفته سنة ١٢٥٥ كما تقدم وأقيم مكانه آخر يسمى (دوشاطو) وكتب الملك لويس للسلطان يعلنه بذلك فأجابه بما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، من عبد الله المتوكل على الله المعتصم بالله المجاهد فى سبيل الله وهو أيد الله أوامره، ونصر أعلامه حيثما توجهت وعساكره (الطابع) إلى المحب الودود، المحافظ على العهود، الذى قدمه عقله وجده، وأورثه الرياسة أبوه وجده السلطان لويز فلب سلطان دولة فرانسة والحاكم على ممالكها، أرشدك الله وهداك، وألهمك هداك.

أما بعد: فقد وافى حضرتنا العلية بالله كتابكم الأوجز، صحبة الخديم الحازم، ذو شاطوا قونص جنسكم بإيالتنا السعيدة الذى أقمتموه مقام القونص دينيون الذى كان قبله ورشحتموه للنيابة عنكم، والوساطة بيننا وبينكم لما عرفتم من عقله وحسن أدبه لتبقى الأمور جارية بين الدولتين على مقتضاها، ويبلغ كل من الجانبين الخطة التى يرضاها، فقد قبلناه قنصوا جلناراً، وقابلناه بما يليق بأمثاله إكرامًا ووقاراً، وله لدينا مزيد احتفاء واحتفال، وموالاة عناية واهتبال، من معونته على ما يعرض له من مصالح الدولتين، وتأمين تجار المملكتين، فأما أولى الناس بحفظ الجار ومراعاة النزيل، ومعاملة الخدام النصحاء بالجميل، وعلمنا ما أكدتم به عليه من حفظ أسباب المودة، والسعى فيما يزيدها قوة وشدة، فذلك هو المعهود من وسائط الدول، المقتفين سبيل الخدام الأول، وهذا دليل المحبة التى شرح الخديم المذكور فصولها، ومهد بالنيابة عنكم أصولها، فقد أدى كتابكم، وأنهى

إلينا نصيحتكم وخطابكم، ووثقنا بما أنهى إلينا من صفاء مودتكم، وصدق محبتكم، وجدد ما كان بين السلف من ذلك، وسلك فى ذلك كله أوضح المسالك، فقد رجعت المواصلة بين الدولتين لنصابها، واستحكمت المودة بالانتفاع بين المملكتين باتصال أسبابها، وحصل من الصفاء ما اتسعت به الأمور، وانشرحت له الصدور، إن شاء الله تعالى والتمام، وكتب بالحضرة العلية بالله تعالى من حمراء مراكشة صانها الله بمنه وحاطها فى ٣ المحرم الحرام فاتح عام ١٢٦٣» من الأصل المحفوظ بوزارة الخارجية الفرنسية.

ولما نودى نابليون الثالث سلطانا على فرنسا كتب للمولى عبد الرحمن كتابا يعلمه بتبوئه عرش فرنسا، ويؤكد له استمرار سياسة الوداد بين الدولتين، ويقدم إليه ممثله الجديد فى بلاد المغرب (ياجير شميد) ونص ترجمة الكتاب من أصله المحفوظ بوزارة الخارجية الفرنسية:

«من نابوليون أمبرطور الفرنسيين بفضل الله وبإرادة الأمة، إلى الأمير الأسمى الأفخم الأعظم مولاى عبد الرحمن أمبرطور المغرب وملك فاس وسوس صديقنا الأعز الأفضل:

أيها الإمبرطور الأسمى الأفخم الأعظم:

لما ارتقينا عرش الإمبرطورية بفضل الله وبرغبة الفرنسيين أجمعين، بادرنا إلى مخاطبة الأمراء الذين برهنوا لنا على صدق مودتهم، مبلغين إياهم خبر توليتنا، ولأجل ذلك نوجه لكم هذا الكتاب ليعبر لكم عن عواطفنا ويشهد الله الذى يعلم ما انطوت عليه الصدور، أننا لا رغبة لنا إلا فى توثيق الروابط الودية التى بين فرنسا وممالككم، وتمتين العلائق التى تدل على ما بيننا من حسن المفاهمة، وأول ما سنوجه إليه اهتمامنا هو المحافظة على تطبيق العهود التى تربط أمبرطوريتنا منذ قرون، ولا شك عندنا أن جلالتكم أيضا ستسهر على تنفيذ جميع



ظهير رحماني للويس فليب باعتماد (دوشاطو) وقبوله قنصلا

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

من عبد الله المتوكل على الله [illegible] امير المومنين ابن امير المومنين ابن امير المومنين ابن امير المومنين ابن امير المومنين

وبعد

[illegible] الله عساكرك [illegible] ونقل علامة وثودة الى المحب الاود صاحب التدبير والسياسة والاطلاع [illegible] الرياسة عظيم قومه
وزعيم جنسه [illegible] التحية التامة [illegible] بجانبنا العالي بالله السلطان نابليون سلطان الفرانصيص اما بعد فمن [illegible] كتابك
[illegible] وعلمنا ان مرادكم ان ترفع ابدا المعاشرة بين الدولة الفرانصيصية والدولة المغربية [illegible]
المكرم دي كاستيلو [illegible] هو من اصحاب [illegible] الاعتبار [illegible] بيانا الحميدة بالله [illegible]
[illegible] واشرنا عليه [illegible] والاحترام [illegible]
رعاية لما بيننا [illegible] من المحبة الاكيدة والمودة [illegible] كان عليه اسلافكم مع اسلافنا رحمهم الله [illegible]
من [illegible] من دليل محبتكم واعتنائكم بجانبنا العالي بالله اختياركم هذا الرجل [illegible]
ونحن [illegible] حتى تبقى المحبة متصلة والمودة مسترسلة ولا يكون الا [illegible] ثبات المحبة بين بلادنا
وبلادكم والختام في 17 محرم الحرام عام 1272

RF ARCHIVES

ظهير المولى عبد الرحمن إلى نابليون الثالث

بقبول (دى كاستيليو) قنصلا

الشروط، وأنهـا ما تفـتأ تجود بحـمايتهـا للفرنسـيين الذين يجـولون بالمغرب، أو يقيمون به، أو يتعاطون فيه التجارة.

وبناء على الثقة التـى عندنا بجلالتكم فى هذا الباب فها نحـن نؤكد بأنفسنا لكم ما لنا نَحْوَكُم من عظيم الاعتبار، ومن صادق المحبة، هذا وننتهز هذه الفرصة لنخص لديكم بالوصيـة خديمنا الأرضى المسيو (ياجـر شميد) وقد كلفـناه بالقيام بشئون سفارتنا وبالقنصلية العامة بطنجة، ولنا اليقين بأن جلالتكم ستتنزل لمساعدته على القيام بالمهمة التى نيطت به، وذلـك بأن تطمئنوا كل الاطمئنان إلى كل ما قد يتشرف بتقديمه لكم باسمنا.

وختـاما نتـضرع إلى المـولى أن يحفظكم بعنايتـه الكريمة أيـها الإمبـراطور الأسمى الأفخم الأعظم صديقنا الأعز الأفـضل، وكتب فى قصرنا الملكى المعروف بتويلرى فى ١٤ يناير من سنة الرحمة ١٨٥٣».

وبطرته (من الإمبراطور إلى إمبراطور المغرب ١٤ يناير ١٨٥٣).

ثم وقع استـدعـاء ذلك القنصل وأقـيم آخـر مكانه وكتب نـابليون الثـالث للسلطان بقبوله نائبا عن دولته فأجابه بما نصه.

«بسم الله الرحـمن الرحيم، ولا حول ولا قـوة إلا بالله العلى العظيم، من عبد الله المتوكل على الله المفوض أمـره إلى الله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين وهو (الطابع بداخله اسم السلطان) أيد الله عساكره وجنوده، ونصر أعـلامه وبنوده، إلى المحب الأود صاحب التدبير والسياسة، والتجلى فى ميدان الرياسة، عظيم قومه، وزعيم جنسه، من له المحبة التامة فى جانبنا العالى بالله السلطان نابليون سلطان الفرانصيص.

أما بعـد: فقـد وصلنا كتابك، وفـهمنا خطابك، وعلـمنا أن مرادكم أن لا تتوقف أبدا المعاشرة بين الدولة الفرانصيصية والدولة المغربية، فاخترتم لذلك المكرم

دى كاستليون الذى هو أحد أصحاب نيشان الافتخار، ووجهتموه لإيالتنا المحمية بالله متوليا لأموركم، مفوضا فى جميعها، قونصوا جنرال فى إيالتنا السعيدة، فقد قبلناه وأسدلنا عليه أردية التوقير والاحترام، وأوصينا عليه بالحظوة والمبرة والاهتمام، رعاية لما بيننا وبينكم من المحبة الأكيدة والمودة القديمة، حسبما كان عليه أسلافكم مع أسلافنا رحمهم الله، وخير الخلف، من انتهج نهج السلف.

ومن دليل محبتكم واعتنائكم بجانبنا العالى بالله اختياركم هذا الرجل الذى وجهتموه من أعيان قومكم وممن يشار إليه فى جنسكم، حتى تبقى المحبة متصلة، والمودة مستمرة، ولا يكون إلا ما يسر الجانبين، إذ لا شك فى إثبات المحبة بين بلادنا وبلادكم والختام فى ١٧ محرم الحرام عام ١٢٧٢» من الأصل المحفوظ بوزارة الخارجية.

وأما دولة البرتغال فقد كتب لنائبها العام (جرج كلاص) أول دولته جوابا يعلنه باستمرار السياسة التى كانت جارية بين الدولتين على عهد عمه المولى سليمان، ونص ذلك بعد الحمدلة والحوقلة:

«من له بخدمتنا كمال الاعتناء وغاية الوقوف، والخادم الذى تمام عقله ظاهر معروف، وملاك أمره على مرضاتنا مصروف، قونصوا جلنار البرطقيز جرج كلاص.

أما بعد: حمدا لله الذى بيده الأمر والإنشاء، ويحكم ما يريد ويفعل ما يشاء، فقد وصلنا كتابكم، وأنهى إلينا خطابكم، وعرفنا ما أنتم عليه من صدق الخدمة، ورعى الحرمة، عملا على شاكلة جنسكم مع أسلافنا قدس الله ثراهم، وطيب أخراهم، وخصوصا أنت بمكانتك من الخدمة لا تجهل، فكن لنا كما كنت مع مولانا العم رحمه الله، وخاطبنا بما يظهر من المصالح ونحن اليوم معكم على ما كنتم عليه قيد حياة عمنا السلطان المرحوم من عهد وهدنة وغير ذلك، ونراعى

لكم أكثر مما كان إن شاء الله، حقق الله أملنا ووفق لما يرضاه أعملنا آمين. . .
انتهى بتاريخ ١٧ ربيع الثانى عام ١٢٣٨».

وأما دولة الإنجليز فقد أقر المعاهدة التى عقدها عمه معها بعد أن غير منها الفصل السابع والثامن حسبما ترى فى نص الإقرار:

«الحمد لله وحده ولا إله إلا الله (ثم الطابع الشريف داخله عبد الرحمن بن هشام غفر الله له) هذا ولما قدم على الحضرة الإمامية، المولوية العلوية الهاشمية حضرة مولانا أمير المؤمنين، وسلطان المسلمين، السلطان الإمام، ابن السلاطين الكرام، مولانا عبد الرحمن بن مولانا هشام بن مولانا محمد بن عبد الله بن مولانا إسماعيل أيد الله من قبل ملك الإنجلزية السلطان جرج الرابع، وهو خديمه الباشدور جيس شولط دكلا القونص الآن بثغر طنجة، فى إقرار الصلح الواقع بين هاتين الدولتين سابقا، وإثباته على منهج ما بيده من هذه الشروط المبتدأ أولها فى الوجه حوله التى انعقد بها الصلح والمهادنة لهم مع سيدنا المقدس مولانا سليمان رحمه الله، وهى إحدى وأربعين شرطا.

أمر مولانا أمير المؤمنين أعزه الله أن تتصفح هذه الشروط المشار إليها وتعرض عليه، فلما تأملها مولانا أيده الله شرطا شرطا وظهر له أن، عقده عمه المرحوم بمنة الله سددا ووفاقا، وفيه مصلحة للرعايا من الجانبين، أمر سدده الله هذه الشروط المذكورة المشار إليها التى أولها: الشرط الأول أن لسلطان الإنجليز أن يجعل قونص واحداً أو أكثر بمراكشة، وآخرها الشرط الواحد والأربعون هذا العقد الذى انبرم به الصلح بين سلطان مراكش إلخ وأمضاها وأثبت ذلك ما عدا شرطين منها، وهما السابع والثامن بدلا بشرطين آخرين.

مضمن أحدهما وهو السابع، أن ما يحدث من الخصومات بين المسلم وبين رعية الإنجليز فإن الفصل بينهما فيما يكون بمحضر عامل البلد وقاضيه وقنصل

الإنجليز، فـإن لم يرض أحد الخصمـين بحكمهم، فإن قـضيتهم ترفع حـينئذ إلى السلطان إلخ.

الثانى وهو الثـامن، إذا وقع نزاع بين أحد من رعيـة سلطان الإنجليز أو من هو تحت حميته وبين مسلم، وكان ربما ينشأ عن ذلك النزاع مضرة أو مظلمة لأحد منهمـا، فإن لسلطان مراكشـة هو الذى يتولى الفصل فـيهما وحـده، ولا يعاقب الظالم إن كان من رعية الإنجليز أو حمـايته بأكثر مما يعاقب به المسلم إذا ظلم أحدًا من الإنجليز، أو من غـيره، فـإذا انفلت هذا الظالم وهرب فلا يؤاخـذ أحد به من جنسه، فإذا تحقق أن هـروبه كان اتفاقيا من غير قـصد أو كان لأجل الدفع به عن نفسه فيحكم عليه فى ذلك بمثل ما يحكم به على المسلم فى مثل تلك القضية.

وإذا وقع النزاع بين المسلمين وبين الإنجليز فى ناحية من إيالة سلطان الإنجليز وتعين الظلم فى ذلك على واحد منهما، فـإن الفصل فى ذلك بينهما يكون بحكم الشرع وقانون الإنجليـز، فإذا لم يرض أحدهما بذلك، فإن قـضيتهمـا ترفع حينئذ إلى السلطان انتهى الشـرطان المستثنيان اللذان بدلا بما ذكر لمـا ظهر له أعزه الله فى إقرار هذه الشروط غير المستثنى منها وإثبـاتها من المصلحة العامة للجانبين فى هذه المهادنة والمصـالحة، والأخذ بالمعروف للمسـلمين والمناصحة، صـدر أمره الشريف بهذا وهو أعزه الله على كـرسى مملكته المعظم مكانه وفوق سرير سلطنتـه المؤسسة على سبـيل الحق قواعده وأركانه، أبقى الـله شموس معـدلته لغياهب المعـضلات ناسخـة ومعاليه فى المجـادة راسخة ونصره نصـرا عزيزا آمين فى الثامن عـشر من جمادى الأولى عام ١٢٣٩».

وسيأتى نص المعـاهدة السليمانية الجرجـية فى ترجمة صاحبـها إن شاء الله وفيها الفصلان المغيران بما ذكر هنا.

ونص كتاب رحماني للملك جورج الرابع ملك الإنجليز جواب عن كتاب له في بعض الأغراض:

«الحمد لله وحده الملك الكبير، العليم الخبير، المنفرد بالملك الحقيقي والتدبير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، من أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين، عبد الرحمن بن أمير المؤمنين هشام بن أمير المؤمنين محمد بن أمير المؤمنين عبد الله بن أمير المؤمنين إسماعيل الشريف الحسنى العلوى أمير المغرب أيد الله أمره، وأطال فى عز الخلافة عمره، وأبد نصره، وأسعد زمانه وعصره، لعظيم الروم وزعيم الدولة التى مبرتها شهيرة، وسيرتها فى الملة النصرانية أحسن سيرة، ذات الشاه الكبير، والمحل الخطير، الملحوظ من جانب الإسلام، بمزيد الاهتمام، ورعى الذمام، ومنجد ملة النصارى، سياسة واستبصارا، وكبيرهم الذى طلع فى أفق التدبير نهارا، وقابل أغراض ملته بالشكر سرا وجهارا، فانشق من روض سياسته أزهارا، والرئيس الذى هو الواسطة فى عقد قوم عيسى وعاقلهم أميراً ورئيسا، الأمير جورج الرابع القائم سلطانا بأمر الملك الحق، وخالق الخلق، على مملكة بريطانيا.

أما بعد حمد الله الذى بيده الأمر كله، وليس للوجود إلا فعله، فإنه وصلنا كتابكم، وأنهى لحضرتنا العلية بالله خطابكم، الذى أملى وكتب بديوان مدينة لوندرة بتاريخ ٣١ من شهر مايو من عام ١٨٢٧ مسيحية الموافق ٥ من ذى القعدة الحرام ١٢٤٢ من الهجرة النبوية المترجم على يد الوزير كوردتيش فقرأناه، وفهمنا لفظه ومعناه، وعرفنا ما أنتم عليه من كمال العناية بعلى جنابنا، وجميل الرعاية لعزة بابنا، حتى إن إشارتنا لديكم مقبولة، وأغراضنا على كاهل المبرة محمولة، وأسباب رعاية من انضاف إلينا موصولة، كل ذلك طلبا لدوام العشرة والمبرة، وحصول الألفة بين الدولتين والمسرة.

ومن قديم وجنسكم يجل جانب الإسلام على بعد داره، ويبادر فى خدمتنا غاية ابتداره، وغاية مقداره، حتى اجتذب القلوب، وأدرك لدينا غاية المطلوب.

وحاصل ما أشرتم إليه من قضية الذمى ابن كذا أنه أحد يهود ذمتنا، ومن المتوسلين بخدمتنا، وقد توسل إلينا فى قدومه عليكم، وتخلية سبيله ليتوجه إليكم، فأجبناه من حيث إنه تردد لبلادكم غير ما مرة، وحصل لكم به طول الألفة والعشرة وحدث عنكم بنيل كامل المبرة.

ولم نتعرض فيما بيده من كتبنا لإبطال حق أو تحقيق باطل، ولا نرضى أن يكون فيما يجب بطريق الحق الملد المماطل، بل هو كغيره، فى شأنه كله وأمره يأخذ ما إليه، ويؤدى ما عليه، لأن هذا أمر اجتمعت عليه الملل بأسرها، وعليه مدار كنه أمرها، لا يمترى فيه عاقل، ولا يقبل بخلافه نقل ناقل، والخروج عنه خرق للإجماع، وقيل تمجه الطباع والأسماع.

وأما ما استظهر به الذمى المذكور منا، وزعمه من كونه باشدورا أو قنصوا نائبا عنا، فهو إن صح أمر يتوقف على رضاكم، وحكم لا يتم إلا بقضاكم، فكما أنكم لا تستنيبون لدينا، ولا توجهون قنصوا إلينا، إلا من نرضيه وتتوفر فيه شروط للكمال تقتضيه، فكذلك أنتم لا تتم نيابة أحد من قبلنا لديكم إلا بقبول حاله، واستحسان انتحاله، وإلا، فلا.

بهذا تحصل الألفة بين القلوب، وتدوم المبرة التى هى ملاك الأمر المطلوب، بين الدولتين إن شاء الله تعالى، انتهى، وبه صدر أمرنا الشريف بالحضرة العلية، مكناسة الزيتون الإسماعيلية بتاريخ ٢٨ من ذى الحجة الحرام متم ١٢٤٢ من الهجرة النبوية القمرية، الموافق من الشمسية المسيحية ٧ يليز سنة ١٨٢٧».

ونص ما كتب به (درمـاندهى) نائب إنجلترا للسلطان يخبـره بوصول الفرس الذى أنعم به على حـاكم جبل طارق عـلى يده بعد الحـمدلة والسـلام من أصله العربى:

«أدام الله العز والتمـكين، لسيدنا أمير المؤمنين، وناصـر الملة والدين، وبعد تقبـيل اليد الشريفة أنهى لكريم عـلم سيدنا أدام الله نصره، وخلد فى الصـالحات ملكه، أنه ورد علينـا الكتاب الشـريف الذى تاريخـه فى ٣ جـمادى الثـانيـة سنة تاريخه، وصحبته الفرس، يأمرنى مـولانا بتوجهه لحاكم جبل طاريق، وعليه يعلم سيدنا أننا وجهنا الفرس المذكوز لصاحـبه عن أمر مولانا المنصور بالله هذه مدة من ٨ أيام سلفت، وأخبـرنا بأن الفرس وصل بخير للحـاكم المذكور، كما أمـرنا وما نحن إلا على الخدمة الشريفة راجيـا دعاء سيدنا الصالح والسلام، وفى ٢١ رجب الفـرد الحرام سنة ١٢٤٩ عن إذن ادرمندهى قـونص خلنار ونائب سلطان الإنجليـز بإيالة سيدنا السعيدة».

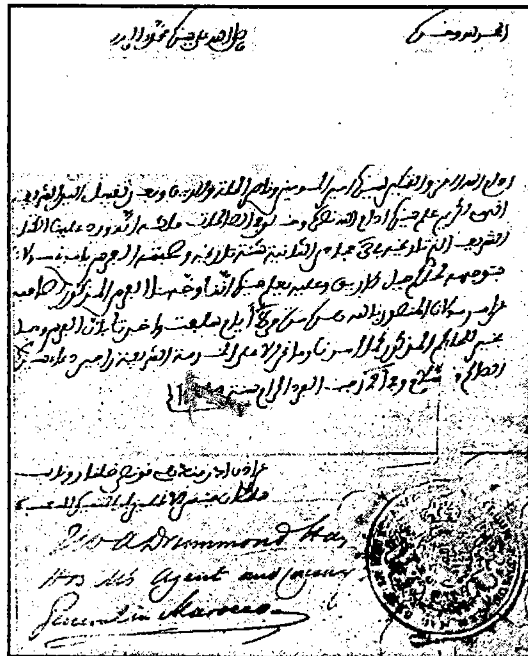
وبعده كتابة إفرنجية ثم طابع ملصق من ورق مطبوع عليه كتابة كذلك.

وفى سنة ثلاث وسبعين ومـائتين وألف أواخر الدولة الرحمانية عـقد السيد محمد الخطيب مع قنصل الإنجليز معاهدة فى أمور التجارة نصها:

«الحمد لله مضمن الشروط التى تعاقد عليها السيد محمد الخطيب مع قنصوا النجليز فى أمر التجارة عام ١٢٧٣:

الشرط الأول:

مضمنه أن تكون التجارة جارية متـساوية بين الإيالتين ولتجار النجليز الإتيان والسكنى والبيع والشراء فى جميع مراسى سيدنا أيده الله دون أمد محدود فى كل مـحل يكون به غـيـرهم من الأجنـاس، ولهم الكراء والاجـراء وأعـمـال الديار



كتاب (جان درماندهاى) قنصل الإنجليز إلى المولى عبد الرحمن

فى شأن الجواد المهدى لحاكم جبل طارق

والمخازن، ولهم الأمان فى أنفسهم وأمتعتهم، ولهم البيع والشراء مع من شاءوا فى أنواع التجارة إلا ما هو مذكور فى الشرط الثانى من هذه الشروط، ويتجر فى كل ناحية من النواحى من غير تعرض ولا ضرر بكنطردات وشبهها، ودون تخصيص فى أنواع المتاجر إلا الأنواع المذكورة فى الشرط الثانى، ولهم من المنافع والتخصيص ما يكون لأحد من محبى الأجناس وغيرهم بعد هذا ورعية مولانا أيده الله عندهم كذلك.

الشرط الثانى:

مضمنه إسقاط الكنطردات والممنوعات فى المتاجر إلا طابغة والأفيون والكبريت والبارود وملحته والخفيف وآلة الحرب وسلاح الحرب، وإسقاط الكنطردات فيما يخرج إلا العلق والدباغ وطابغة والذى يشبهها من الربيع الذى يشرب فى الدواية (كذا).

الشرط الثالث:

لا يلزم مسكن ولا غرامة ولا أعشار ولا ما يشبه ذلك لأحد من رعيتهم فى شراء أنواع السلع الخارجة بأى وجه باشروا الشراء بأنفسهم أو بواسطة نوابهم إلا الصاكة المبينة فى الشرط السابع، وجميع أنواع السلع المشتراة تحمل من كل موضع وتوسق من المراسى دون مكس ولا غيره إلا الصاكة المعلومة، ولا يلزم إذن ولا شبهه لحمل السلع ووسقها، ولا يمنع إلا المسائل التى اقتضى نظر مولانا منعها كما هو مذكور فى الشرط الخامس لا يقبض شيئا عليها، وإن فعل أحد من الخدام شيئا يخالف هذا يزجره مولانا أعزه الله إن كان ظالما، ويؤدى ما ناب من الخسارة بعد بيانها.

الشرط الرابع:

لرعيتهم الاستشغال بأنفسهم فى أمورهم أو تعيين من ينوب عنهم، ولا يلزمهم أداء شىء لأحد لم يعينوه لخدمتهم، نعم من كان من إيالة مولانا أيده الله منهم. . .[1] سائر رعيته دون تعرض ولا مدخل للولاة فى أمور تجارتهم، وإذا تعرض لهم أحد من الولاة فى أمر من أمور البيع والشراء ومنعهم من البيع والشراء، فإن مولانا أيده الله يزجره عن فعله.

الشرط الخامس:

إذا اقتضى نظر مولانا أيده الله منع شىء من الموسوقات قوتا أو سلعا، فإن رعيتهم يحملون ما هو بمخازنهم أو مشترى على أيديهم من ذلك الممنوع قبل ظهور المنع، ويبقون على عملهم فى ذلك ستة أشهر بعد ظهور المنع، نعم حين يأتى الأمر الشريف بذلك يجعل للتجار يومين أجلاً لبيان ما عندهم من ذلك النوع بمخازنهم، ويعطون رسوم ما عندهم مشترى بالبادية ولا تمنع رعيتهم من وسق ما هو مسرح لغيرهم من الأجناس.

الشرط السادس:

جميع أنواع المتاجر التى يرد بها تجار النجليز لا يلزمهم فى أعشارها أكثر مما يعطى غيرهم من تجار المسلمين والأجناس غيرهم، ولا يمنعون من وسق سلعة مسرحة لغيرهم، عدا الأنواع المذكورة فى الشرط الثانى.

الشرط السابع:

السلع التى ترد على يد التجار منهم لا يؤدوا عنها أكثر من عشرة فى المائة على تقويمها بالمال، ولا يؤخذ عشرها من عينها، كما أن السلع الخارجة من إيالة

---

(١) مكان النقط بياض بالأصل.

مولانا أيده الله على يد رعيتهم لا يؤدون فى صاكتها أكثر مما هو مسطر فى الزمام: القمح ريال واحد للفنيكة، الشعير نصف ريال للفنيكة، التركية والذرة نصف ريال للفنيكة، جميع أنواع القطانى نصف ريال للفنيكة، الدقيق ثلاثون أوقية للقنطار، الأرز ستة عشر أوقية للقنطار، الزوان اثنتا عشرة أوقية للقنطار، التمر أربعون أوقية للقنطار، اللوز خمس وثلاثون أوقية للقنطار، اللتشين اثنتا عشرة أوقية للألف، الزيت خمسون أوقية للقنطار، السعتر مثقال للقنطار، الكرمة عشرون أوقية للقنطار، الحناء خمس عشرة أوقية للقنطار، الشمع اثنا عشر مثقالا للقنطار، الصوف المغسولة ثمانية مثاقيل للقنطار، وغير المغسولة خمس وخمسون أوقية للقنطار، الجلد بأنواعه بصوفه ستة وثلاثون أوقية للقنطار، الجلد الفلالى والزوانى والقشينى عشرة مثاقيل للقنطار، الأنصاب عشرون أوقية لكل ألف، الشحم خمسون أوقية للقنطار، البغال خمسة وعشرون ريال للرأس، الحمير خمسة ريال للرأس، الغنم ريال للرأس، المعز خمسة عشر أوقية للرأس، الدجاج اثنتان وعشرون أوقية للطزينة، البيض واحد وخمسون أوقية للألف، البلغة سبعون أوقية للمائة، شوك الدرب خمس أواقى للألف، الغاسول خمس عشرة أوقية للقنطار، القفاف ثمانية مثاقيل للمائة، الكروية مثقالان للقنطار، مشطة العود خمس أواقى للمائة، الشعر ثلاثون أوقية للقنطار، الزبيب مثقالان للقنطار، الكرازى مثقال للمائة، تكوت مثقالان للقنطار، العنب والكتان أربعون أوقية للقنطار، بطانة الغنم مدبوغة بصوفها ست وثلاثون أوقية للقنطار، العاج...[1] والنحاس...[1] ريش النعم أسود وأبيض.

ولسيدنا أيده الله النظر فى منع وسق ما يريد منعه على ما هو فى الشرط الخامس، وأما القمح والشعير إن اقتضى نظره منع وسقه وتسريح ما هو لجانب

---

(١) مكان النقط بياض بالأصل.

المخزن فقط، فله أن يبيعه بالثمن الذى يريد، وإن أراد أن يزيد أو ينقص فيجعل له أجلا للمشترين قبل كما هو فى الشرط الخامس، وإن سرحه للرعية فصاكته ما هو فى الزمام فقط، وإن اقتضى نظره التخفيف من هذه الصاكة فيكون لرعيتهم ما يكون لغيرهم من الرفق والتخفيف.

الشرط الثامن:

إن أراد أحد من تجارهم وسق سلعة من إحدى مراسينا لمرسى آخر من مراسينا، وكان أدى صاكتها وقت دخولها، فلا يلزمه أداء صاكة أخرى، نعم يكون بيده خط الأمناء بأنه أدى صاكتها قبل.

الشرط التاسع:

جميع أنواع السلع التى أذن فى وسقها إذا اشتراها أحد من تجارهم وأرادوا وسقها، فإنه يحملها ولا يؤدى عنها إلا الصاكة المذكورة فى الشرط السابع.

الشرط العاشر:

مضمنه تجديد ما يعطى على المخاطف، وهو أن كل مركب يؤدى فى المخاطف ست موزونات عن كل طلنض إلى مايتى طلنض، والمركب الذى فيه أكثر من مايتى طلنض يؤدى موزونتين عن كل طلنض، وإن وقع شك للأمناء فى قدر الطلنضات فإن القونص يظهر لهم كواغد المركب الذى فيه عدد الطلنضات، وهذا هو الذى يؤدى فى جميع مراسى الإيالة التى تدخل فى الأودية، أعنى الرباط والعرايش فإنهم يؤدون للبلوط الذى يدخلهم فى الوادى أربع موزونات عن كل طلنض، وكذلك الذى يخرجهم يؤدى له أربع موزونات لكل طلنض، وعن مخاطف المراكب التى تدخل للوادى ثلاث موزونات لكل طلنض، والذى لم يدخل الوادى يؤدى مثل مراسى أخر، ويؤدى للبلوط بالصويرة أربع موزونات لكل طلنض فى الدخول فقط، وفى المخاطيف ست موزونات لكل طلنض كما ذكر.

وفى مراسى أخر إذا احتاج رئيس المركب إلى بلوط يؤدى موزونتين عن كل طلنض، وإلا فلا، وأما البابورات الواردة بقصد حمل السلـع ووضعها فتؤدى ستة عشـر ريالا واجب المخاطف، وإذا دخل لمرسى أخرى من الإيالة المذكـورة وحمل منها شيئا أو وضع يؤدى مثل ما أدى فى المرسى الأولى، وإذا رجع للمرسى الذى أدى فيـها أولا فلا يلزمـه أداء شىء ثانيا، نعم إذا تردد فى الخـدمة بمراسى الإيالة بالحمل والوضع فيـؤدى مخطافه، وكذلك إذا سافر لإيالة غـير إيالتنا ورجع، فإنه يؤدى إلا البابور الذى يكون من مائة وخمسين طلنض فأقل، فيجرى عمله مركب مركب قلع فى واجب المخطاف.

وكل مركب يؤدى الزيادة علـى المخطاف لخدام المرسى على ما يذكـر فقط، وكذلك كل مركب من خـمسة وعشرين طلنض فأقل يؤدى مثـقالين، وكل مركب من خمسة وعشرين إلى خمسين يؤدى أربعين أوقية، ومن خمسين إلى مائة يؤدى ستين أوقـية، ومن مائة إلى مائتين يؤدى ثمـانين أوقية، ومن مائتين فـأكثر يؤدى عشرة مثاقيل.

وفى مرسى تطوان يزاد على مـا ذكر مثـقال واحد لحمل كـاغد المركب من مرتيل للمدينة، وللنفـار خمس أواقى، وللبراح ثلاثة أواقى، والمركب الذى يدخل بقصد التستر مع مراكب الحواتة لا يؤدون شيئا، ومراكب راعيتنا لا يلزمها أكثر من هذا فى مراسى النجليز.

الشرط الحادى عشر:

إذا أراد تجارهم أن يحملوا سلعة أو ينزلوها، ففلايك المخزن تخدم ذلك، ثم إذا مرت يومـان من وصول المركب ولم توجد فـلايك المخزن، فتـستخـدم فلايك الغيـر، ويعطون للمخـزن النصف المعتاد عـدا مرسى طنجـة وتطوان لقيامـها فى

مراسيها بفلايك المخزن، ومصروف الفلايك المعتاد فى هذا الوقت لا يزاد عليه فى المستقبل.

الشرط الثانى عشر:

إذا فتحت فى المستقبل مراسى أخرى مثل مهدية وآكدير وغيرها، فتكون هذه الشروط جارية فيها سواء شروط المتجر والمخاطف وغير ذلك.

الشرط الثالث عشر:

إذا اطلع على أحد من رعيتهم مشغولا لا بكطربنضو فى إيالتنا فى نوع من أنواع السلع، فإن تلك السلعة تحاز لبيت المال، ومن ثبت عليه كطربنضن أمام القنص فإنه يعاقب بغرامة لا تزيد على قدر ثلاث مرات من عشرها، وإذا كانت من السلع التى تقبل يؤدى قدر ثمنها ثلاث مرات، وإذا لم يؤد ذلك على الفور فإنه يسجن على يد القونصو فى المحل الذى يظهر له، ولا يطول سجنه أكثر من عام.

الشرط الرابع عشر:

بعد مضى خمس سنين من تاريخ هذه الشروط لكل من الجانبين أن يطلب من الآخر تفقد هذه الشروط ومراجعتها، ربما تكون فى مسألة منفعة الجانبين يتفقون عليها بعد، ولا يكون هذا إلا بخاطر الجانبين ورضاهم.

الشرط الخامس عشر:

هذه الشروط يطبع عليها سلطانا الإيالتين وبعد أربعة أشهر يتمسك كل جانب بنسخة منها، ويكون العمل جاريا عليها، وتنسخ حكم الشروط الأولى القديمة بين الجانبين.

وفى نفس السنة عقد الخطيب معهم معاهدة أخرى تتضمن المهادنة والأمن واحترام الرعية وتنسخ ما تقدمها من الاتفاقات فى موضوعها وإليك مضمنها:

«الحمد لله مضمن شروط ٣٨ عقدها الخطيب بطنجة عام ١٢٧٣ مع نائب النجليز زيادة على شروط التجارة المقيدة يمنته:

الشرط الأول:

مضمنه انعقاد الصلح والمهادنة دايما بين جانب مولانا المنصور بالله وبين رينة النجليز، ولمن يأتى بعدهما فى مقام الرتبة وبين إيالتهم ورعيتهم.

الشرط الثانى:

مضمنه أن رينة النجليز تعين قونصو متحدا ومتعددا بهذه الإيالة المغربية يسكن بمرسى من مراسيها أو مدينة بمدنها بحسب ما يختاره القونصوا أو دولته.

الشرط الثالث:

مضمنه توقير واحترام نائب رينة النجليز ونوابه لجميع المراسى، ومن توجهه من قبلها لجانب مولانا أيده الله يكونون محفوظين فى أهلهم وديارهم لا ينالهم أحد بسوء، ومن عرض لهم بمكروه يؤدب، ويختار النائب المذكور من يترجم عنه ويخدمه من المسلمين أو غيرهم، ونوابه بالمراسى يختارون ترجمانا واحدًا وبوابًا واحدًا ومتعلمين اثنين من المسلمين أو غيرهم للواحد، ولا يكلفون بجزية ولا غرامة، ولا يكون أحد من هذه الإيالة المغربية تحت حمايته إلا عياله فقط، ويؤذن لهم فى جعل السنجاق فى كل وقت، وفى اتخاذ محل صلاتهم والحوائج التى ترد عليهم لأنفسهم أو لأهل دورهم بهذه الإيالة لا صاكة فيها، وإنما يعطون خطوط أيديهم للأمناء بعدد ما يريدون جوازه، وهذا إنما هو للقونصوات الذين لا

يتجرون، وفيها أرادوا الخروج فلهم ذلك لا يمنعون، ولا يثقف عليهم شيء من حوائجهم، وإن زيد لقنصوات الأجناس شيء من ذلك يزاد لهم.

الشرط الرابع:

مضمنه أن لرعية النجليز أن يسافروا أو يسكنوا حيث شاءوا من إيالة سيدنا، لكنهم إن سكنوا يتبعون قانون حاكم البلد، ولهم أن يكتروا ويحوزوا[1] الديار المخازن، وإن لم يجدوا ذلك وكان فى المحل المعلوم لسكناهم محل يصلح لبناء ذلك فيه، فإن المخزن يعينهم عليه ويتكاتب معهم على مصروف رينتهم قدر ما يبقى بأيديهم من السنين، لا يخرجهم أحد منها إلى أن تتم المدة، ولا يلزمون بغرامة ولا بخدمة المخزن فى بر أو بحر ولا بإسلاف شيء من مالهم، كرها وديارهم ومخازنهم محترمة ولا تفتيش كرها فى ديار رعيتهم وكنانيش تجارهم وكاتبهم إلا بموافقة القونصو أو نوابه، وقد عهد سيدنا أيده الله أن رعية النجليز المستقرين بإيالته السعيدة لهم الأمن والحق فى أنفسهم وأمتعتهم مثل ما لرعية سيدنا بإيالة النجليز.

الشرط الخامس:

مضمنه أن الساكنين بإيالة سيدنا أو التاجرين بها من إيالة النجليز لهم الأمن التام على أنفسهم وأموالهم، ويتدنون بأمر دينهم من غير منع، وتعين لهم مقبرة لدفن موتاهم ويخرجون لدفنها آمنين فى ذهابهم وإيابهم، ويوجهون لقضاء أغراضهم برا وبحرا من أرادوا، وإذا كان لتاجر منهم مركب فى أحد المراسى أو خارجها فله أن يصعد إليه بنفسه أو بمن يريد من أصحابه من غير أن يعطوا شيئا على ذلك.

---

(١) فى الأصل: «ولهم أن يكنزوا ويجزوا (كذا)» وحاز الشيء: ضمه وملكه. يقال: حاز المالَ وحاز العقار.

الشرط السادس:

مضـمنه أن كل من بإيالة سـيدنا من النجليـز لا يكلف ببيـع ولا بشراء إلا برضاه، ولا تسـلط لأحد من المسلمـين على ما بأيديهم إلا مـا يعطونه عن طيب نفس، ومثل هذا يكون لإيالة سيدنا فى إيالة النجليز.

الشرط السابع:

أن من كـان من إيالة النجليـز لا يلزم بأداء دين ترتب على غـيـره من أهل جنسـه إلا إن كـان ضـامنا له برسم أن بخط يد، ومـثل ذلك الـديون التى تكون لبعض إيالة النجليز على بعض إيالة سيدنا.

الشرط الثامن:

مضمنه أن ما يحدث بين رعية النجليز بإيالة سيدنا من الدعاوى كيفما كانت إنما يحكم فيها القونصوا أو نوابة، ولا يدخل فيها قاض ولا قائد ولا غيرهما.

الشرط التاسع:

مضمنه أن الدعاوى التى تكون بين رعية سيـدنا وبين رعية يفصل فيها، فإن كان المشتكى من رعية النجليز والمشتكى من رعـية سيدنا، فالمشتكى النجليزى يرفع شكواه لعامل البلد أو قاضـيه بواسطة القونصو أو نوابه، ولهم الحـضور فى محل الحكم على الدعاوى.

وإن كان المشـتكى من رعية سـيدنا والمشتكى به من رعـية النجليز، فـيرفع المشـتكى شكواه لمحل الحكم والفصـال للقـونصو أو نوابه بواسطة عـامل البلد أو قاضـيه، ولهمـا أو لمن ناب عنهما الحـضور وقت فـصل الدعوى، وإن لم يرض النجليز بحكم الحاكم أو القاضى أو لم يرض المسلم بحكم القونصو ونوابه فله رفع دعواه لنائب جنسه المفوض من الإيالتين.

الشرط العاشر:

مضمنه كيفية النظر فى فصل الدعوى وما هو حجة فيها وما لا فيها إذا رضى أحد من رعية النجليز يرفع دعواه لولاة سيدنا على أحد من رعية سيدنا لسبب دين ترتب عليه بإيالة النجليز، مع بيان ما يكون عليه العمل إن فر مدين من المدينين، وهو من إيالة سيدنا لبلد داخل الإيالة وليس بها قونصو للنجليز ولا نائبه.

الشرط الحادى عشر:

مضمنه إعانة ولاة سيدنا لنواب جنس النجليز بالمخزانية والعسة وغير ذلك إن احتاجوا له وتكون السخرة مثل ما يعطيه رعية سيدنا.

الشرط الثانى عشر:

مضمنه إذا تبين الزور فى شهادة أحد من رعية سيدنا على أحد من رعية النجليز فيزجر، وكذا إن تبين الزور فى شهادة أحد من رعية النجليز على أحد من رعية سيدنا فإنه يزجر أيضا.

الشرط الثالث عشر:

مضمنه استواء كل من هو من رعية النجليز كانوا مسلمين أو يهود أو نصارى فى الحقوق والمنافع المتفق عليها فى هذه الشروط، وفى اتفاق شروط أمور التجارة والمراكب، وكذا فيما يسلم لجنس من خواص الأجناس فيما يستقبل.

الشرط الرابع عشر:

مضمنه إذا كانت دعوى كبيرة أو صغيرة بين أحد من رعية النجليز، وبين أحد من رعية جنس من الأجناس غير المسلمين فلا يدخل فيها ولاة سيدنا، والقونصوات هم الذين يتولون فصلها فى محل خدمتهم إلا إن ظلم أحد من رعية

سيدنا فى تلك الدعوى، فيحضر أحد ولاة المسلمين أو نائبه فى فصلها عند القونصوات.

الشرط الخامس عشر:

مضمنه أنه إذا كان أحد من الرعيتين فى خدمة، وفر منها للرعية الأخرى، فإنها لا تستعمله فى خدمتها، ولا يستقر بإيالتها، سواء كانت خدمته فى البحر والبر، وكذلك إن فر أحد من بحرية المراكب البرزكان من أحد الجانبين للجانب الآخر ووقع عليه الطلب، فإن لم يكن فيه كسب ولا هد من رعية الجانب المطلوب منه، فإن ولاة ذلك المحل يعينون القونصوات أو نوابهم على قبضه ولا يعينون الفار على فراره.

الشرط السادس عشر:

مضمنه أن جميع رعية النجليز على أى دين كانوا لهم الحق والمنع على مقتضى هذه الشروط، وإن كان أحدهم متدينا بدين الإسلام فلا تنقض له حماية ولا منفعة.

الشرط السابع عشر:

مضمنه أن كل من كان من رعية النجليز بإيالة سيدنا فى وقت الصلح أو فى وقت الحرب، فله الحرية الكاملة، وإن نشأ بالمغرب أو بمحل آخر من غير إيالة النجليز فيذهبون حيث شاءوا ويركبون فى أى مركب أرادوا، ويحملون معهم عيالهم وخدامهم، ويتصرفون بما شاءوا فى سلعهم وأموالهم من غير أن يتعرض لهم بمنع أو تثقيف، ويكون مثل ذلك لرعية سيدنا فى إيالة النجليز.

الشرط الثامن عشر:

مضمنه إذا مات أحد من رعية النجليز أو ممن فى حمايته بإيالة سيدنا،

فالنظر فى متروكه وجميع متخلفه لوصيه الذى سماه فى وصيته كورثته إن كانوا حاضرين، فإن غاب الورثة أو الوصى إن لم يكونوا، فالقونصوا أو نوابه يحوزون ذلك لورثة الميت أو أقاربه، ولا يدخل فى ذلك ولاة سيدنا بتثقيف ولا بحث.

وإذا ترك الميت المذكور دينا على أناس، فإن عامل البلد يلزمهم أداءه للقونصو، وكذلك إن كان على الميت دين لأحد من رعية سيدنا فإن القونصو يقف له على متاعه حتى يقبضه.

الشرط التاسع عشر:

مضمنه أن ما انعقد عليه الشروط يعم جميع إيالة النجليز وجميع من سكن فى بلد من مملكتها حتى الذين هم بجبل طارق وبالجزر التى تحت حمايتهم، ويعم جميع من يدخل فى طاعتها فى المستقبل.

الشرط الموفى عشرون:

مضمنه أن رعية النجليز ومن هو تحت حكمها يكون لهم ما انعقد بهذه الشروط من المنافع ووفور النعم، وجميع ما يسلم لجنس من الأجناس فى المستقبل يكون لهم مثله.

الشرط الحادى والعشرون:

مضمنه إذا غنم النجليز مركبا لجنس معه فى الحرب ووجد فى المركب أحد من رعية سيدنا، فإنه على حرمته ويخل سبيله ولا يتعرض له ولا لأمتعته المحمولة معه، وكذلك إن غنم قرصان من قراصين سيدنا مركبا لجنس معه فى الحرب ووجد فيه أحد من رعية النجليز، فإنه على حريته كذلك يذهب حيث شاء، ولا يتعرض له ولا لأمتعته المحمولة معه.

الشرط الثانى والعشرون:

مضمنه إذا كان مركب للنجليز عنده البطنطة وغنم مركبا وأتى به لمرسى من مراسى سيدنا، فلأهل المركب النجليزى أن يبيعوا المركب المغنوم بتلك المرسى، وكذلك السلعة المغنومة من غير منع، ولهم أن يذهبوا بغنيمتهم إلى حيث شاءوا.

الشرط الثالث والعشرون:

أن مركب النجليز إذا ألجأه مركب لعدوه إلى الدخول تحت رمايته من سواحل سيدنا، فإن له الاحترام ويدافع عنه ولاة سيدنا ما أمكن، ومثل ذلك يكون لمراكب سيدنا فى جميع سواحل إيالة النجليز.

الشرط الرابع والعشرون:

مضمنه إذا كان قرصان من القراصين ليس لسيدنا ولا للنجليز وعنده بطنطة لجنس هو فى الحرب مع سيدنا أو مع النجليز، فلا يسامح فى الإقامة بمرسى من مراسى الجانبين، ولا يبع بها الغنائم التى غنمها، ولا يبدل بها سلعة أو سقا لغيره، وكذلك لا يسامح أن يعان بشىء من الإقامة لمركب ولا بشىء من المأكولات إلا قدر ما يوصله لأقرب بلدة.

الشرط الخامس والعشرون:

مضمنه أنه إذا كان بإحدى مراسى سيدنا أو بساحل من سواحله مركب لجنس هو فى الحرب مع النجليز، وكان هناك مركب للنجليز، فإنه لا يسامح لمركب عدو النجليز أن يقتحم على مركب النجليز، أو يتعرض له بسوء، كما لا يسامح لمركب ذلك العدو أن يخرج بإثر مركب النجليز، إنما يخرج بعد مضى أربعة وعشرين ساعة من خروجه، إذا كان لأهل المحل قدرة على منعه، وبمثل ذلك تعامل مراكب سيدنا فى مراسى النجليز.

الشرط السادس والعشرون:

مضمنه أن مراكب تجار النجليز أو قراصينه إذا كانت بإحدى مراسى سيدنا أو بساحل من سواحله واحتاج أهلها للمأكولات أو الفريشك، فلهم أن يشتروا ما يحتاجون إليه بسعر الوقت من غير عشر، ولكن إنما يشترون ما يكفيهم مدة إقامتهم بالمرسى، وما يوصلهم للبلد الذى يسافرون إليه.

الشرط السابع والعشرون:

مضمنه أن المراكب أو الفلايك الصغار التى يكتريها النجليز لحمل المكاتيب، لها الاحترام والخصوصية كما ذلك للمراكب القراصين إذا لم يبع أهلها ولم يشتروا مع أهل بلد بإحدى مراسى سيدنا ولم يحملوا شيئا من السلعة، فإن حملوا سلعة فحكمهم حكم البرزقان.

الشرط الثامن والعشرون:

مضمنه أن مراكب رعية الجانبين وسكان إيالتنا إذا دخل أحد منهم لساحل من سواحل الجانبين، ولم يرد الدخول للمرسى، أو دخل ولم يرد أن يبين ما عنده ولا أن يبعه، لا يلزم ببيان ولا يبحث أحد فيما عنده، لكن لخدام المرسى الإذن فى جعل السلعة بالمركب مدة إرسائه بالمرسى على المخطاف لمنع الكطربنض.

الشرط التاسع والعشرون:

مضمنه أنه إذا ورد مركب للنجليز على إحدى مراسى سيدنا وكان فيه وسق، فإنما يطالب بصاكة ما أنزل من الوسق، وأما ما لم ينزله فيفعل فيه ما شاء، وله أن يسافر به وزمام وسق المركب يدفع بيد ولاة المرسى حالة الوصول إليها، ولولاة المرسى البحث فى المراكب ساعة الوصول وعند السفر، وأن يجعلوا الساعة فى المركب على شأن الكربنض، وعلى هذا المنوال يكون العمل فى مراسى النجليز

مع مراكب سيدنا، ويلزم رؤساء المراكب أن يصحبوا زماما من قونصهم أو نائبه بما سافروا به من الوسق ويظهروه لأمناء المرسى ليبحثوا عن الكطربنض.

الشرط الموفى الثلاثين:

مضمنه أنه لا يلزم رؤساء مراكب الجانبين أن يحملوا فى مراكبهم سلعة ولا أحداً إلا برضاهم، ولا يلزمون أن يسافروا لمحل لا يريدونه ولا تثقف مراكبهم بوجه.

الشرط الحادى والثلاثون:

مضمنه أنه إذا اكترى أحد من رعية سيدنا مركبا للنجليز على أن يحمل فيه سلعة أو أناسا إلى بلد آخر من إيالة سيدنا، فألجأت الريح أو البحر ذلك المركب فى حال سفره إلى الدخول لمرسى أخرى، فإن رئيس ذلك المركب لا يلزمه مخطاف ولا صاكة إلا إن أنزل شيئا أو حمل شيئا.

الشرط الثانى والثلاثون:

مضمنه أن مراكب النجليز إذا حصل لها مضرة فى البحر ودخلت لأحد مراسى سيدنا بقصد إصلاح ما فسد، فإنهم يقبلونها ويعينوها بما تتوقف عليه من الإقامة والآلات إن كان ذلك موجودا فى المحل، ويشتريه أهل المركب لأنفسهم كما يشتريه غيرهم.

الشرط الثالث والثلاثون:

مضمنه أن مركبا إذا حرث أو تكسر فى نحية من نواحى سيدنا فله الاحترام والإعانة بما يحتاج إليه، والمركب وما فيه والسلعة التى نجت من الغرق، والتى خرجت بعده لا يضيع شىء من جميع ذلك، ويدفع جميعه لأربابه أو للقونصوا ونوابه يدفعونه لأربابه.

وإن كان فى المركب الذى حرث سلعة فلأربابها بيعها لإيالة سيدنا أيده الله، ويؤدون الواجب فى عشرها ما لم تكن موسوقة من إحدى مراسى سيدنا، فإن الصاكة الأولى حينئذ كافية، ولربها الخيار فى البيع والوسق والبحرية مع الرئيس يتوجهون حيث شاءوا، رعية سيدنا مثل ذلك ببلاد النجليز، وإذا حرث مركب للنجليز بوادى نون أو بعض سواحله، فإن سيدنا يستعمل جهده فى تحصيل بحريته حتى يركبوا لبلادهم، وحتى القونصوا أو نوابه يؤذن لهم فى البحث والوقوف فى ذلك ويعينه ولاة سيدنا بما يوافق المحبة.

الشرط الرابع والثلاثون:

مضمنه اتفاق جانب سيدنا وجانب النجليز على بذل المجهود فى قطع الزمنطوط، وأن سيدنا التزم البحث بسواحله عن المشتغلين بذلك، وأن يعين النجليز فى ذلك بعقدية من يظهر منهم بإيالته.

الشرط الخامس والثلاثون:

مضمنه إذا وقع من أحد من رعية الجانبين أو فى مركب من مراكبها ما يخالف شرطا من الشروط، فإن الصلح لا ينقض، ويبقى ثابتا راسخا إلى أن يكتب لسلطانه بفعله، فينكر عليه، وإذا رام بعض رعية الجانبين إفساد شرط من هذه الشروط، فإن سلطانه يؤدبه ويعاقبه.

الشرط السادس والثلاثون:

مضمنه أنه إذا وقع بين الجانبين نقض للصلح، نشأ عنه حرب بجميع من بإيالة سيدنا من رعية النجليز، أو من فى حمايتهم على حريتهم يذهبون لأى محل أرادوا، ويركبون فى موضع أحبوا من مراكب الأجناس، ولهم حمل أمتعتهم وعيالهم وخدامهم، سواء خلقوا بإيالة النجليز أم لا، ويكون الأجل فى ذلك ستة

أشهر لمن طلبه لإصلاح أموره وبيع سلعته، ولا يتعرض لهم أحد بمكروه فى خلال المدة فى أنفسهم وأموالهم، وللولاة إعانتهم فى قبض ديونهم من غير مماطلة، ومثل ذلك يكون لرعية سيدنا فى إيالة النجليز.

الشرط السابع والثلاثون:

مضمنه وجوب شهرة هذه الشروط المنبرمة لرعية الجانبين، فتخرج منها نسخ للقواد والأمناء الواقفين على الداخل والخارج فى جميع المراسى ولرؤساء القراصين بحيث لا يبقى فيها جهل.

الشرط الثامن والثلاثون:

مضمنه أن هذه الشروط يطبع عليها سيدنا وسلطانة النجليز، ويتمسك بها كل واحد من الجانبين فى مدة أربعة أشهر من تاريخها الذى هو عاشر ربيع الثانى من عام ثلاثة وسبعين ومائتين وألف، وحين يتمسك بها مع شروط التجارة والمراكب التى وقع الفصل عليها فى التاريخ المذكور، يصير العمل فى المستقبل عليها، وتكون ناسخة للشروط المتقدمة بين الإيالتين بهذا تم فصل النائبين الخطيب وقونصوا النجليز بمحروسة طنجة ووضع كل منهما طابع خاتمه على الشروط المذكورة.

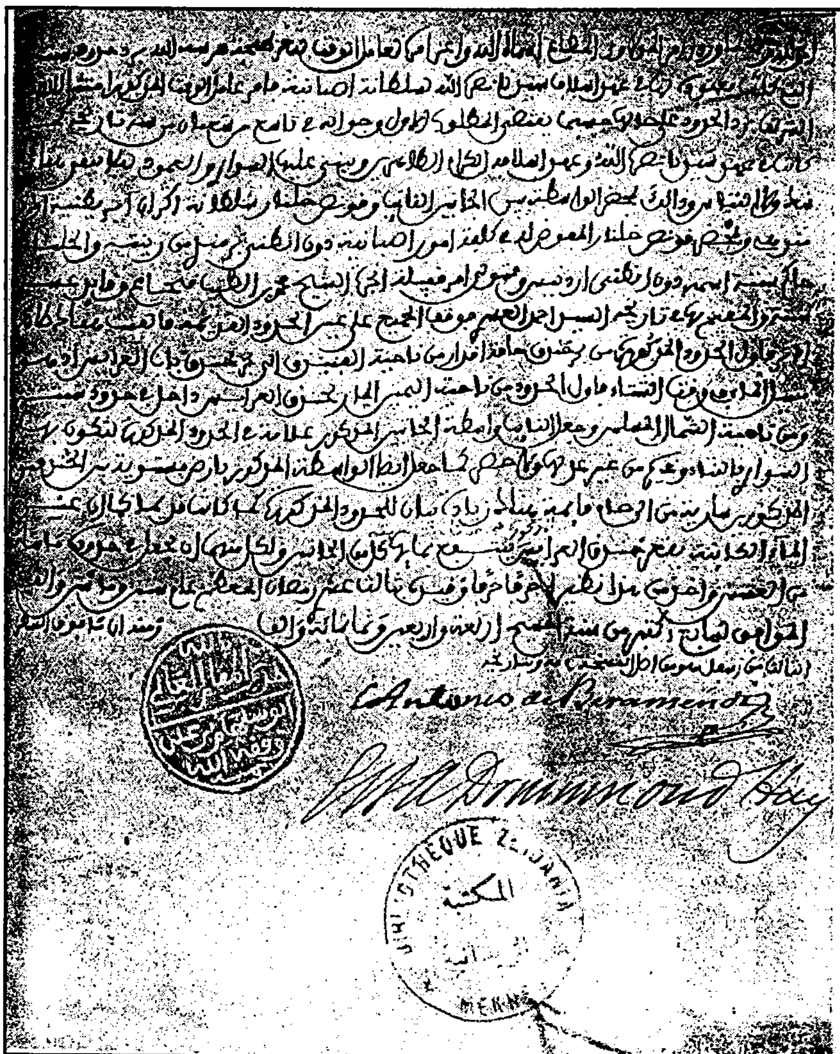
وأما إسبانيا فقد أقر معاهدة عمه التى عقدها معها وزيره ابن عثمان عام ١٢١٣.

ونص ما كتبه فى ذلك موافقا على إقامة نائب إسبانيا الجديد بعد البسملة والحوقلة والطابع:

«أثبتنا بحول الله وقوته، وإفضاله وشامل يمنه ومنته، ما صالح عليه أسلافنا قدس الله ثراهم جنس الإصبنيول من الشروط المقررة المعهودة المتعارفة، التى



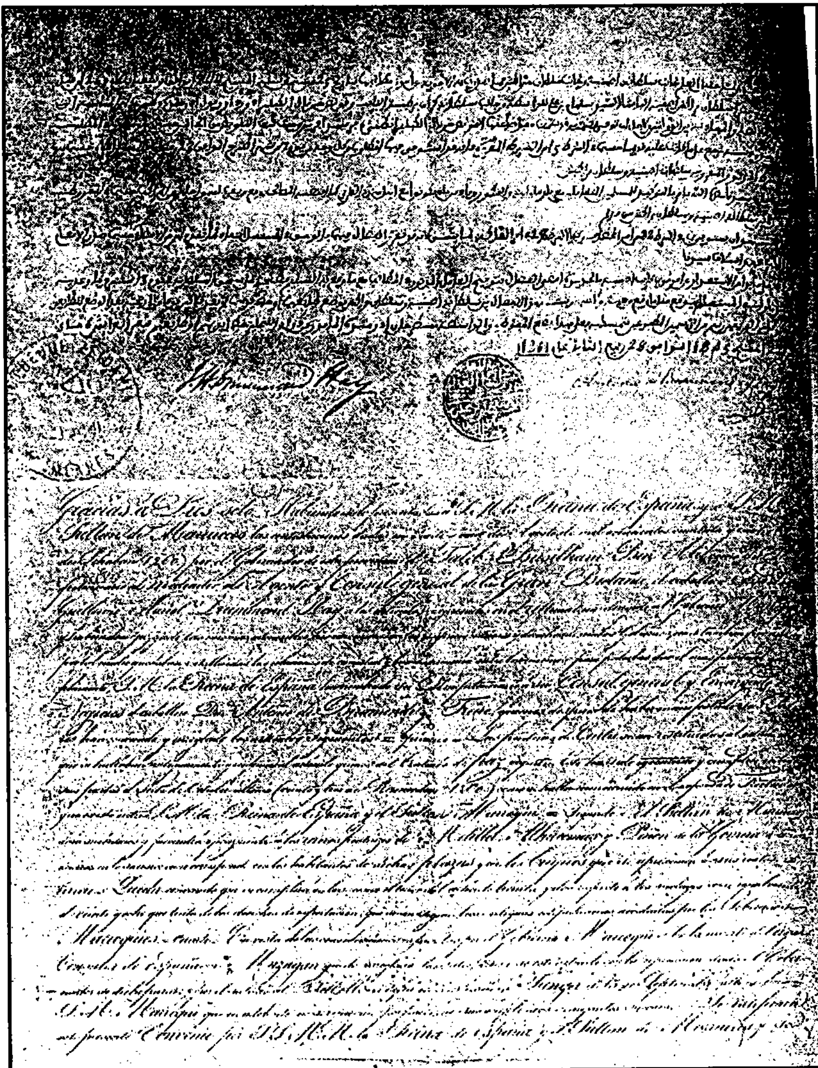
مطالب سبع طلبتها إسبانيا من المولى عبد الرحمن بواسطة قنصل الإنجليز درمنادى الوارد على حضرة مراكش الحمراء، وبجانبها أجوبة السلطان عليها بواسطة وزيره ابن إدريس المنتدب لذلك



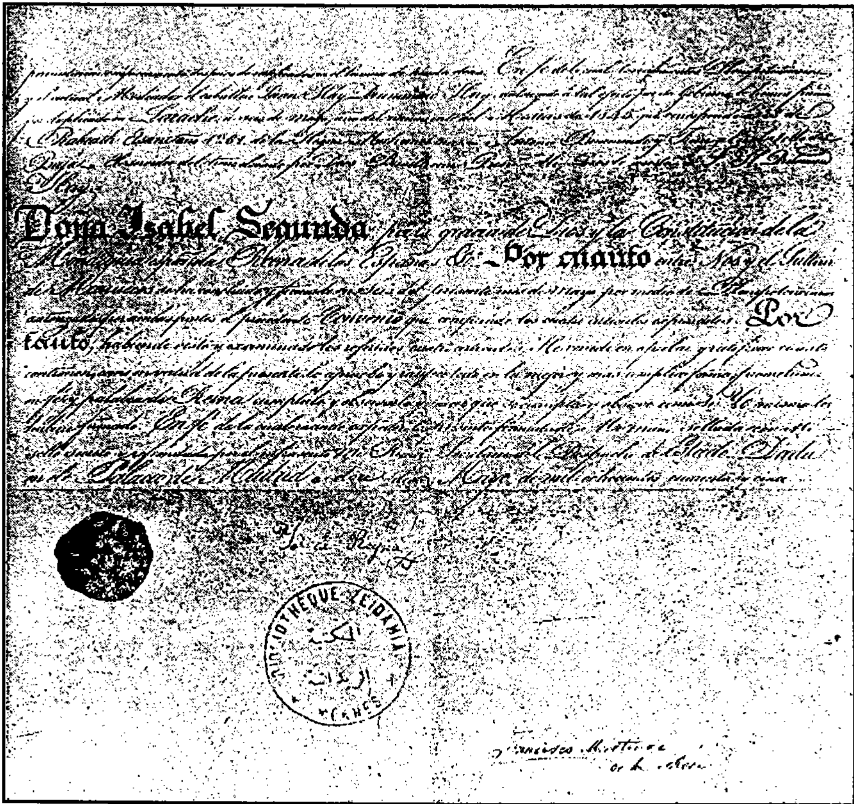
Antonio de

Drummond Hay

إرجاع حدود سبتة لما كانت عليه من قبل وتحديدها بحضور عامل طنجة بوسلهام أزطوط وقنصل الإنجليز درماندهاى، وقنصل إسبانيا أنطونيو برمندى وحاكم سبتة الجنرال أردنيس وشيخ أنجرة شجاع وقائد عسة سبتة أحمد العسرى سنة ١٢٦٠، ويرى إمضاء القنصلين وختم العامل



تسوية المسائل بين إسبانيا والمغرب نهائيا بمدينة العرائش بتاريخ ٢٨ ربيع الثانى عام ١٢٦١، ٦ ماى ١٨٤٥ وعليه خط قنصلى إسبانيا وإنجلترا وطابع بوسلهام عامل طنجة، وتحت الوثيقة العربية النص الإسبانى



Doña Isabel Segunda por la gracia de Dios y la Constitución de la Monarquía...

بقية النص الإسبانى، ثم إمضاء ملكة إسبانيا بمدريد عليها فى ثانى عشر ماى المذكور

بسببهـا تتم المهادنة والمساعفة والمساعدة، وتوجب الاعتـناء بجانبنا الشريف العالى بالله والمودة، وارتضـينا اليصاندرابريـارى بدلا من الذى كان قبله، فـعلى الواقف عليه من خـدامنا وولاة أمرنا العمل بما قـدرناه، وأن يقتفى أثر مـا سطرناه، صدر بهذا الأمر المعتز بالله فى ٢٦ من جمادى الثانية عام ١٢٤٠.

وفى سنة أربعين المذكورة ورد عـليه سفير (الصاردو) من قـبل ملكهم طالبا عقـد صلح ومهـادنة ورعاية من الجانبـين، فأجـابه السلطان لذلك، وكلف الوزير المختار الجامعـى بمفاوضته، فعقد معه هـذه المعاهدة التى أمضاها السلطان وأوجب العمل بها ونصها بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير:

«لما ورد على حضـرتنا العلية بالله سفـير جنس صارض (جرونم ارمـيريوا) قونصـو ونائبا عن الباشدور الموجـه قبل جنسه لكبره وضـعفه عن السفـر (كونذى ذيجنس) بكتـاب سلطان جنسه المتضـمن طلبه من على جـانبنا المصالحـة والمهادنة والانخراط فى سلك من له محبة فى جـانبنا العالى بالله أجبناه لذلك على نحو ما اشتملت عليه الشروط التى وقع اختياره عليها ومراده العمل بمقتضاها إسعافا لرغبة سلطانه، وإكـراما لوفادته، وأوجبنا العمل بمـقتضـاها مدة كـون جنسه مـحافظا لمقتضيات رضانا، مراعيا لأشراط مودتنا، معتنيا بشأننا ماضيا على نفذ أمرنا هـ.

الشرط الأول:

أننا آلينا على أنفسـنا أن لا نقبل نيابة جنس عن جنس، فـإننا أقررنا الصلح والمهادنة علـى الشروط التى ستـذكر مـدة كون قونصـوا صارض فى إيالتنا رافـعا لسنجاق جنسه مراعيا لأشراط المودة عاملا لمقتضاها هـ.

الشرط الثانى:

رعيـة مولانا أمـير المؤمنين لهم التـجارة فى البـر والبحر آمنيـن، بحيث لا يتعرض لهم بسوء ولا مكروه وكذلك تجار جنس صارض هـ.

الشرط الثالث:

جميع تجار صارض وبحريته ورعـيته تكون لهم المنافع بهذه الإيالة السعيدة، كمـا هى لرعية الأجناس المعتـبرين الملاحظين عند سلطان مراكش، ويكون لرعـية سلطان مراكش فى إيالة سلطان صارض مثل ذلك هـ.

الشرط الرابع:

رعية سلطان صارد لهم الخروج والسفر من إيالة سلطان مراكش كغيرهم من الأجناس النصرانية، من غير إذن ولا مشورة، إلا أذن قونصهم أو نائبه وربما تكون عليـهم حقـوق لغيـرهم لا يلزمونهم ولا قنـصهم ولا نائبـه بأداء دين ترتب على غيرهم إلا ما كان ضامنا له من ذلك برسم أو بخط يد هـ.

الشرط الخامس:

لقونصوا صارض ونائبه وأصحابه ما لغيرهم من أصحاب قنصوات الأجناس من الاستظلال بظل عناية سلطان مراكش والتوقير من ولاة أمره الشريف، وكذلك من اتصف بخدمة سلطان مراكش بأرض صارض هـ.

الشرط السادس:

رعية سلطان صارض لا يجبرون على الإتيان بالمدافع والبارود ولا بشىء من آلة الحرب هـ.

الشرط السابع:

مراكب سلطان صارض لا يثقفون مـجانا بإيالة سلطان مراكش أكثر من المدة التى يريدون المقـام بها، ولا يلزمون حـمل شىء من مرسـة إلى مرسـة أخرى إلا برضاهم هـ.

الشرط الثامن:

سلطان صارض ألزم نفسه أنه لا يعطى باسبورطه لأحد من مراكب الأجناس إلا لمراكب رعيته، ويكون مطبوعـا بطابع رئيس وزرائه وخليفته برا وبحرا، ويكون أيضا مطبوعا بطابع مرانطى المرانطس، ويكون أيضا فى بسـبورط مراكبه البرزكانية تقطيع كنطر سينية المعروفة بهذا الاسم عند رؤسـاء مراكب المسلمين وغيرهم، فإذا لقـيتـهم مراكب سلطان مـراكش فى البحـر ورأوا عندها هذه الكنطر سـينية فـإن مطالعتـها تغنيهم عن البـحث فى البسبورط، وأمـا المراكب الصغار للجنبـين مثل صيادين الحوت وغيرهم لا يحتاجـون ولا يلجئون إلى إحضار هذه الكنطر سينية، ثم إذا ظهر لسلطان صارض تبديل هذه الكنطر سينية إلى حالة غير الحالة التى هى عليها الآن فإنه قبل تبديلها عن حالها يخبر بذلك سلطان مراكش على يد قونصوه هـ.

الشرط التاسع:

إذا قرصـان من قراصين سلطان لقى فى البـحر المراكب البرزكـانية لسلطان صارض وبسنجاقه، فإن قرصان سلطان مراكش لا يثقفهم ولا يعطلهم عن سفرهم ولا يطلع إليـهم للبحث فى وسـقهم، بل يتـركهم على حـريتهـم يتوجهـون إلى سبيلهم، ولا يلزمهم بإظهار كاغيط آخر سوى الكونطر سينية، ولا يختلطون معهم بالمباشرة لئلا يلـزمهم الكرنطينة فى دخولهم للمراسى، فإذا استـعار أحدهم الآخر بشىء هو فى الحاجـة إليه، فلا بأس أن يعيـن أحدهم الآخر على طريق الصحـبة والمهادنة، ومـثل ذلك تفعله قراصـين سلطان صارض مع مـراكب سلطان مراكش وقراصينـه، ولا يلزمون مراكيب صارض بـإظهار كاغيط سوى مـا أخذوه من عند قونصهم الذى هو بالمرسة التى خرجوا منها هـ.

الشرط العاشر:

إذا لقى قرصان من قراصين الجانبين مركبا بزرقانا للجانبين، فإن القرصان لا يلزم البزرقان بأن يأتى إليه بفلوكة لمطالعة كواغطه، بل القرصان ينزل فلوكته ويأتى إليـه، فإذا وجـد عنده مـا أوجب له شكا أو ريبـة فى الكواغط وألجـأه ذلك إلى البحث لإزالة الشك والريبة، فـإنه لا يطلع إلى المركب، ولا يسامح أن يبحث فى كواغطه ولا فى وسقه إلا لمن هو أمين، فإذا نشأ عن ذلك ضرر للمركب أو لما فيه فإن من جاء ذلك على يده يؤدب ويصلح ما فسد ويغرم ما ضاع هـ.

الشرط الحادى عشر:

إذا قرصان لسلطان مراكش غنم مركبا لمن هو فى الحرب مع سلطانه، ووجد فيه أحدا من رعية صارض، فإنه لا يتعرض له بمكروه، بل هو وسلعه وأمتعته على سبيل حريتـه، فإذا دخل به إلى مرسى إيالة سلطانه فإنه يدفع هو وسلعته وأمـتعته إلى قنصوه، وكذلك يدفعـه لقنصوه إذا دخل به مرسى من مراسى الأجناس الذين هم فى المهـادنة والصلح مع سلطانه، فإذا دخل مـرسى بلد صـارض فإنه يدفـعه لحاكم ذلك البلـد، ومثل ذلك يكون لقراصـين سلطان صارض مع رعـية سلطان مراكش.

الشرط الثانى عشر:

إذا مركب لسـلطان صارض أقحـمتـه مركب لعدوّه ودخل تحـت رماية من سـواحل إيالة سلطان مراكش، فـإن له الاحتـرام ويدافع عنه مـا أمكن، ثم على الحاكم بذلك الساحل أن يلـزم مركب العدو الخروج إلى البحـر من حينه، أو يقيم بالمرسى بعد خروج مركب صارض المدة المعلومـة لهم فى قانون البحر، ومثل ذلك يكون لمراكيب سلطان مـراكش التى يقحمهـا عدوها ويلجئهـا إلى دخول سواحل إيالة سلطان صارض.

الشرط الثالث عشر:

جميع مراكب رعية سلطان مراكش الخارجة من مراسى سواحله إذا دخلت مراسى سواحل إيالة سلطان صارض، فلابد أن يلزموا بأعمال الكرنطينة إن تعين موجبها فى المواضع المعلومة لأعمالها لكل من لزمه ذلك، أو فى موضع آخر يعين لهم، وبعد الخروج من الكرنطينة فإنه يسوغ لهم الدخول لأى مرسة شاءوا من إيالة سلطان صارض وحتى مراكب سلطان صارض الواردين لمرسى سلطان مراكش يلزمون لأعمال الكرنطينة فى الموضع الذى يعين لهم أعمالها فيه على الكيفية التى تكون لغيرهم من الأجناس.

الشرط الرابع عشر:

جميع مراكب الكرة لسلطان صارض إذا دخلوا مراسى إيالة سلطان مراكش يقابلون بمثل ما يقابل به غيرهم من قراصين الأجناس الذين فى المهادنة والصلح معه والعمل فيما يحملونه من العوين وما يصلحون به مركبهم علي القانون الجارى المعمول به مع سائر الأجناس المعتبرين عند سلطان مراكش، ومثل ذلك يكون للقراصين الجهادية التى لسلطان مراكش فى مرسى سلطان صارض.

الشرط الخامس عشر:

إذا دخل قرصان صارض لمرسى من مراسى إيالة سلطان مراكش، فإن القونصوا أو خليفته بذلك المرسى يعلم عامل البلد لئلا يهرب إليه أسير من الأسارى التى تكون عنده، فإذا وقع ونزل وهرب إليه أسير فإنه لا يقدر أحد أن ينزله منه مراعاة لتوقير سنجق صارض، وليس لأحد كلام فى ذلك مع قونصوا صارض ولا يلزم بشىء من ذلك، ومثل ذلك يكون لقراصين سلطان مراكش بمرسى إيالة سلطان صارض.

الشرط السادس عشر:

حتى قرصان من قراصين الجانبين لا يسامح له فى الترصية قريبا من مراسى الجانبين التى يكون داخلا تلك المرسى مركبا لعدوه ليأخذه إذا خرج، ولا يتعرض أحد لمركب عدوه التى تحت رماية مدافع، وكذلك المركب مرصا على قدرها فى الموضع الذى لا مدافع فيه كما هى العادة هـ.

الشرط السابع عشر:

إذا حرث مركب لسلطان صارض بساحل من سواحل إيالة سلطان مراكش بسبب من أسباب فراتين البحر، أو ألجأه إلى ذلك قرصان لعدوه، فإن الواقفين بذلك الساحل وسكانه يعينوهم على إخراج مركبهم إلى البحر، فإذا لم يقدروا على إخراجه يعينوهم على نزول وسقه وجميع ما فيه، وقونصوهم أو خليفته هو الذى له التصرف فى ذلك والنصر فيه، ولا يلزمهم فى ذلك مصروف إلا ما يلزم فى خدمة نزول الوسق منه، وكذلك لا يلزم شىء من العشر فى السلعة التى يلزم منه إلا ما بيع منها فى الموضع، فيعطى العشر الواجب فيه، وأما ما يحمل من ذلك فى مركبه أو فى مركب آخر فلا يلزم عليه شىء من الأعشار ولا غيرها هـ.

الشرط الثامن عشر:

لسلطان صارض أعمال قونصوه وخلائف قونصوه الذين يعينهم هو لذلك ليقفوا بحسب النيابة عنه مع تجاره ورؤساء مراكبه وبحريته، ويفاصلون الدعاوى التى تكون بينهم، ولا مدخل لحاكم البلد فى ذلك إلا أن يستعين به القونصوا على من امتنع من أداء ما وجب عليه فليعنه بما يطلبه منه.

الشرط التاسع عشر:

لقونص سلطان صارض تعليق سنجق جنسه فى داره وحتى فى القوارب

التى يركب فيها حين يريد الخروج لملاقاة مراكب جنسه، ويكون لداره الوقار والاحترام مثل ما هو لدور غيره من قونصوات الأجناس.

الشرط العشرون:

لا يمنع قونصوا جلنار سلطان صارض من أعمال كنيسية فى داره ليتعبد بها هو وأهل جنسه، وكذلك من أراد الدخول إليها لذلك من جنس آخر فلا يمنع، وكذلك رعية سلطان مراكش لهم إحداث موضع لصلواتهم وعبادتهم فى إيالة سلطان صارض.

الشرط الحادى والعشرون:

إذا مات أحد من رعية سلطان صارض فى إيالة سلطان مراكش فإن قونصوهم هو الذى يحوز جميع متروكه، وله التصرف فيه بما يظهر له ببيعه أو دفعه لورثة الميت، ولا مدخل فى ذلك لشرع البلد ولا لعامله.

الشرط الثانى والعشرون:

إذا أحد من رعية سلطان صارض رفع يده تعديا على أحد من رعية سلطان مراكش، لا يكون إعمال الشريعة بينهما فى ذلك إلا إذا حضر معه قونصوه، فإذا هرب هذا الذى تعدى أو ظلم فإن قونصوه لا يطالب بإحضاره، وكذلك يكون لمن رفع يده تعديا على أحد من رعية صارض، فإنه العقوبة تلزمه على قدر فعله، فإذا هرب أو اخترم فإن العامل لا يطالب به.

الشرط الثالث والعشرون:

إذا وقع نقص من هذا الصلح والمهادنة التى بين الجانبين، وجاء من ذلك حرب نعوذ بالله منه، فإن لسلاطين الجانبين إعمال الأجل فى ذلك لمن طلبه ستة أشهر لأجل أن يخرج من إيالة هذا بل هو من راعية هذا، ولرعية الجانبين فى

خلال تلك المدة الحرية الكاملة حتى يبيعون سلعهم أو يحملونها إلى أى موضع شاءوا آمنين لا يتعرض لهم أحد بسوء أو منع بسبب ما ذكر من الحرب ولهم حمل أمتعتهم وعيالهم سواء نشأوا فى بر المسلمين أو لا، ثم إذا وقع الحرب بين الجانبين وغنم أحد مركبا لرعية الآخر فإنهم لا يكونون عندهم أسارى، ولا يفعل بهم ما يفعل بالأسارى بل يكونون مثقفين فقط حتى يقع الفداء، وإن لم يمكث أسيرا عند الجانبين أكثر من عام، وإن وجد فى المركب المغنوم لأحد من الجانبين نساء صبيان من نحو سنتين إلى اثنتى عشرة سنة وشيوخ مر عليهم أكثر من ستين سنة، فإن هؤلاء من أخذهم فى غنيمته فإنه يسرحهم من حينه ويتوجهون حيث شاءوا وعليهم كراء حملهم للموضع الذى قصدوا النزول به.

الشرط الرابع والعشرون:

حيث إنه (البرنسبلداددمنك) تحت طاعة سلطان صارض، وله فيها جيشه وهى بلاد حرب فجميع سكانها داخلين تحت هذه الشروط لأنهم من جملة رعيته.

الشرط الخامس والعشرون:

إذا وقع فيما يستقبل نزاع فى كلمة من ألفاظ هذه الشروط من حيث إنها تقتضى أمرين ووقع نزاع فيما يتمشى عليه فيهما ويتبع فلا ينقض الصلح بذلك، بل يبقى محفوظا ثابتا مقيما دائما على رسخه وصفوه إلى أن يتبين ذلك ويتحقق معناه، فتتبع الحقيقة والبيان حيث ما كانا، ورعية الجانبين تبقى على حريتها فى عملها وتجارتها، ولا يتعرض لهم أحد بسوء لأجل هذا، ولا تكون الكرة ولا الحرب بين الجانبين إلا إذا أحدهما امتنع من اتباع الحق والشريعة.

الشرط السادس والعشرين:

إذا أحدث فيما يستقبل وقد أغفل ذكره فى هذه الشروط[1] فإن الفصل فيه والعمل يكون على ما فيه منفعة لرعية الجانبين.

يزاد فصل على الشروط المذكورة:

وهو إذا وقع خصام بين المسلمين وبين صارض المفاصلة تكون بينهما على وجه الشريعة والحق، ولا يكون ذلك إلا إذا حضر مع صارض قنصوه أو نائبه أو وكيله هو، حتى يتبين الحق له أو عليه، وعلى كل حال لابد من رجوع مشورة السلطان، وحتى من كان من رعية سلطان مراكش فى إيالة سلطان صارض إذا يكون له خصام مع أحد من رعيته، فإن المفاصلة بينهما تكون بمحضر قونصوا المسلمين أو نائبه أو وكيله هو، ثم إذا لم يقبل المسلم ذلك فله الرفع لشرع بلدة أخرى أو سلطان صارض.

ثم يزاد أيضا ما أمر مولانا نصره الله بزيادته حين قرئت عليه الشروط المذكورة ويلزم إياله سلطان مراكش إعانة أرباب المراكب التى تكسر أو تحرث من إيالة سلطان صارض وحفظها، وما احتوت عليه إذا وقع بها ذلك حوز ثغوره المحروسة بالله تطوان وطنجة والعرائش وآسفى والسويرة ورباط الفتح والسواحل المعمورة، وأما إن وقع ذلك بالمراكب المذكورة بالسواحل الخالية التى لا يصل إليها إلا الزمنطوط فلا يلزم سلطان مراكش ولا رعيته حفظها وأداء ما نهب منها.

تم العقد وكمل، وأوجب مولانا نصره الله بمقتضاه العمل، فمن حضر العقد وإبرامه وناقش تفاصيله وإجماله قيده فى ١٢ ذى القعدة عام ١٢٤٠ المختار ابن عبد المالك الجامعى خار الله له ولطف به بمنه « انتهت بلفظها وبعدها مقابلتها بالأصل بعدلين وأداء القاضى بعدهما ونصه:

(١) فى هامش المطبوع: «كذا وفى نسخة بجعل مما مكان قد».

«قوبلت بأصلها فماثلته حرفا حرفـا فى سابع صفر الخير عام واحد وأربعين ومائتين وألف عبـد ربه أحمد بن سليمان برناط وفقـه الله آمين: وبعده بخط من يجب وقته: الحمد لله أديا بمضمنه أصلا وإلحاقا فثبت وأعلم به عبد ربه محمد بن يحيى وفقه الله فكتبه فى الخامس من المحرم الحرام فاتح عام ١٢٦٦».

وفى شعـبان سنة خـمس وأربعـين انبـرم الصلح بينه وبـين دولة النابريال (استرياك) على اثنى عشر شـرطا مضمون جميها تحسـين العلائق وترويج البضائع واحترام كل رعية الآخر ونصها باللفظ:

«الحمد لله مضمن شروط عقدها من ناب عن سيدنا المقدس بالله مع جنس النابريال فى تاريخ ١٨٣٠:

الشرط الأول:

أن رعيـة السلطانين يتعاشـرون على وجه المواصلة والموافـقة لا يكون بينهم اختلاف فى البحر والبر ومن احتاج إلى مواساة صاحبه يواسه مثل الأصحاب.

الشرط الثانى:

مضـمنه إذا تلاقى مركب البـرزكان مع القـرصان واجب القـرصان تفـتيش الكاغد من البرزكان لا يرسل إلا اثنين فى فلوكة ينظران الباسبرط.

الشرط الثالث:

مضـمنه إذا اجتمع قـرصاننا مع برزكـان (الانفلادر) يظهر له باسـبورط فى المركب والناس فى الفلوكة ولا يطلع أحد للمركب لئلا تفسد له الكرنطينة.

الشرط الرابع:

مضمنه أنه لا يفتش باسبرط إلا القرصان حين يتلاقى مع البرزكان ويقابلون القطع على ما هو معلوم.

الشرط الخامس:

مضمنه إذا القت الريح مـركبا لنا إلى مرساهم أو ساحلهم يكـون كل ما فيه محفوظا مأمونا ويقف مـعه أهل ذلك المحل ويعطونه كل ما يحتاج إليه، وإذا سلم الله ذلك المركب واحـتاج إلى بعض الحـوائج يقضونهـا له حتى يسـافر مـأمونا، وكذلك إذا حرث مركبهم بساحلنا وكانت لهم به سلعة لم يرد بيعها فى بلدنا وأراد ردها لبلده لا يلزمه شيء من الأعشار.

الشرط السادس:

مضمنه أن لا يأسر أحـد الجانبين من رعية الآخر أحـداً، وإن وجد أسيرا فى مركب العدو لا يأخذه هو ولا سلعته بعد ما يثبت أنه من أحد رعية الجانبين، ولا يطالب أحد منهما صاحبه بقليل ولا كثير.

الشرط السابع:

مضمنه أن تجار (الانبلادر) يدخلـون لأى مرسى أرادوا من مراسينا، وتجارنا يدخلون لمراسيهم كذلك، وقائد المرسى يراعى التجار كما يراعى غيرهم، ويبيعون ويشترون ولا يطالبون بزيادة على العادة القمرق.

الشرط الثامن:

مضمنه أن سلعة النابريال الواردة فى مركبهم أو مركب غيرهم لمراسى سيدنا يدفع عليـها العـشر كامـلا مثل مـا يدفع أجناس النصرى كـلهم (كذا) كـيرة مع المسلمين فالنابريال يبقى فى الصلح المذكور، وإن كانت لسيدنا كيرة مع جنس آخر وللنابريال كيرة مع جنس آخر فلا يمنع أحد الجـانبين الآخر من المسير والتجارة فى بلاد عدوه.

الشرط الحادى عشر[1]:

مـضمنه إذا انحـرف هذا الصلح وكـان بيننا وبينه حـرب فـلا يترامى أحـد الجانبين على الآخر إلا بعد ستة أشهر، وإذا كان أحدهم فى بلد الآخر يكون مأمونا فى نفسه وماله حتى يرجع لبلده بعد مـا توفت ستة أشهر، ولا يضيع له شىء من ماله فى بلد الآخر بموجب شرعى.

الشرط الثانى عشر:

مضمنه الصلح الدايم على هذه الشروط يفسده أمر يحدث بعده ولا يقع فيه زيادة ولا نقصان».

وقد دام الأمر على ذلك إلى أن حـدثت فتنة وورد سفير الإنجليز مع سـفير النابربال على السلطان لعـاصمة سـلفه مكناسة الزيتـون فى ربيع الأول عام سـتة وأربعين للنظر فيها وتعـديل مشكلة ما غنمته القراصين المغـربية من قراصين جنس النابريال التى كـانت تتجـول بالميـاه بدون تأبط لورقة الجـواز، وقد تكفل صـاحب الاستقصـا بشرح هذه الحادثة فلا داعى لجلبها هنا، وقـد كانت من أعظم الأسباب فى إهمال المراكب البحرية المغربية والإعراض عن الاعتناء بشأنها.

وفى سنة خمـسين عقد مـعاهدة مع (سيجـيليا) المعروفة بالنابلطـان مجددة لمعاهدة سلفت مـعها ومضـيفة إليـها زوائد ونصها بلفـظها بعد الحمـدلة والحوقلة والطابع السلطانى:

«بسم الله القـادر الصلح المتفق عليـه فى ٤ رجب سنة ١١٩٦ من الهـجرة النبـوية فى مدينة نابل مـا بين مملكة سيلجليـتان ومملكة مـراكش، وثبت ذلك فى كتاب من المعظم أمـير المؤمنين سلطان مراكش وسلطان سجيلتـان بتاريخ فاتح ذى القعدة سنة ١١٩٨ فلما صدر بينهما بعض الاختلاف حتى كادت المحبة أن تتفرق،

(١) فى هامش المطبوع: «كذا بالأصل بحـذف التاسع والعاشر ولعل الناسخ مزجهـما بالثامن على ما فيه».

فبادر لتجديدها سلطان سجيلتان والمعظم أمير المؤمنين سلطان مراكش، وأنبتا شجرة الصدق فيما بينهما وتجديدها بكمالها ولمن يأتى إن شاء الله بعد وارثا لهما إلى الأبد، على شروط الصلح والتجارة المعقودة بالتاريخ المذكور، ويحددون شروطا بعدها تكميلا للمحبة، فلأجل ذلك فوض الجانبان للمفوضين المذكورين بعده فجعل سلطان سيجليتان وفوض له (كمنضاطى جان بطسطسطيط مرشال ويطر) أمير إلى كمنضاطى حاكم جميع مراكب البحر، وجعل أمير المؤمنين سلطان مراكش مفوضه (بشرور دون يوذبن عليل) قونصوا خلينار المفوض له من قبل سلطانهما أن شروط الصلح المتفق عليه سنة ١١٩٦ ما بين الدولتين تحفظ وتبقى على كمالها كما كانت إلى الأبد، ويزاد عليها شروط يأتى ذكرها إن شاء الله:

الشرط الأول:

جميع الإكرام والبرور والإحسان الذى يصدر من قبل أمير المؤمنين سلطان مراكش إلى رعية الأجناس وسائر دولتهم التجارية والبحرية كذلك، يحصل لرعية سلطان سجيليتان ولمراكبه التجارية والبحرية.

الشرط الثانى:

إذا كان مركب تجاره ببندرة سجيليا وصادف فى البحر مركب الحرب ببندرة مراكش وأراد مركب الحرب أن يطلع على قواعد مركب التجارة فليعين رائسه رجلين أن يطلعا الباسبورط الذى عنده، ولا يقرب أحد منهم المركب لأجل الكرنطينة كفى بمراكب الحرب الاطلاع على قواعد مركب التجارة ولا يقربهم، وإذا كان بالمرسى لهم معه وكذلك مراكب الحرب سجيليا يعملون بمراكب رعية تجار مراكش على السواء.

الشرط الثالث:

إذا كان مركب أحد الجانبين رماه البحر وحرث بمرسى أو بادية أحد الجانبين فيحفظ وسقه وما فيه فى موضع آمن حتى يحملها أهلها، وعلى أهل المحل الذى

حرث فـيه الإعانة علـى جميع الوسق وحـفظ الرجال والأمتـعة وعليـه أجرة من استخدموه، ولا يمنعونه ما هو لازم، وإذا خرج المركب مكسر البعض فيه واحتاج إلى الإصلاح أو إقامة فتعطاه بالثمن المعلوم الذى يساوى، وإذا وقع بمركب سجيليا هذا العذر وأراد حمل سلعـه إلى محل آخر فلا يعطى فى خروجهـا صاكة ولا فى دخولها.

الشرط الرابع:

سلطان سجيليا يفعل كعادة سـلاطين الأجناس وتوفية لكلامه السابق يجعل قونصـوه خلينار بأرض سلطان مراكش ويسـتقر بطنجـة، ويجعل نوابه فى جـميع مراسى مراكش، ويكون محترما ونوابه كقونصوات الأجناس.

الشرط الخامس:

أن شروط هذا الصلح تكون محفـوظة إلى الأبد من الجانبين، وتكون زيادة فى المحبـة والمودة، وإذا وقع اختلاف بين الجـانبين وقد يمحـوه الله تعالى فيـبذل مجهـود الجانبين فى الاتفاق عـلى الصلح وإبقائه على حاله من غيـر كرة بواسطة قونصـوا طنجة، أو رجل يعـينه سلطان سجيليـا لمراكش، وإذا لم يتفـقا وأراد كل واحد حرب الآخر فليتـوقفا عن الحرب مدة من ستة أشهـر من بعد الإعلام لتأتى مراكب التجارة وأهلها آمنين.

الشرط السادس:

أن هذا الصلح الدائم والمحبة المستقيمة تكون إلى الأبد، وشروط التجارة التى اتفق عليـها الجانبـان فلا ينسـخها بحـول الله وقوته أمـر من الأمور، ولا يزاد ولا ينقص فيها من الشروط المذكورة.

الشرط السابع:

سلطان سجيلـيتان يثبت محـبة فى أمير المؤمنين سلطان مـراكش ويرغبه فى ذلك، ويوجه له فى دفعة واحدة مما يكرمه ويتحفه به الذى يرضاه سلطان سجيلتان ويواصل إلى طنجة.

الشرط الثامن:

المكمل لشروط المهادنة والصلح الدائم المعقود بين الجانبـين المفوضين فيحتاج الثبت لكمال الصـحة، يكون بطوابع السلطانين المذكورين بعد مـدة تاريخه بأربعة أشهر، ثم يعطى لمن يتـراضى عليه الجانبان حتى يتـوصل كل واحد بطابع الآخر، وبهذا وقع طوابع المفـوضين وخطوط أيديهمـا بجبل طارق بتاريخ ١٩ صـفر سنة ١٢٥٠ الموافق لعجمى المسيحى ٢٥ لينيه سنة ١٨٣٤».

وإليك ترجمة كتاب بعثة للمترجم فرديناندو الحادى عشر ملك إيطاليا يعلمه بحفلات الأفراح المقـامة لزواج بنت عمه بولد ملك فرنسا، وهـى تدل على مقامه بين أمراء أوروبا وسمـو قدره عند ملوكهم، ونصها من أصلها الإفـرنجى المحفوظ بمكتبتنا الزيدانية:

«من فردينادو الحادى عشر المالك بحمد الله سيشليا الكبرى والصغرى وبيت المقدس والدوق بارماوبليزانس وكاستورى وغيرها والأمير الأكبر ولى عهد توسكاو إلى صاحب الجـلالة الشريفة عظيم المسلمـين مولاى عبد الرحـمن سلطان المغرب وفاس وسوس، الذى نرجو له دوام العافية وبلوغ المرام.

وبعد: فلمـا كنا نأمل أن رسائلنا هذه ستـروق جلالتكم الشريفـة، وكنا قد أقمنا فى نفس هذا اليـوم حفلات زواج بنت عمنا المحبـوبة مارى كارولين اكيـستا كريمة عمنا المحبوب صاحب الفخامة الملكية أمير سليرق مع صاحب السمو الملكى

[illegible]

[illegible] Muley Abd-Heraman [illegible]

[illegible]

Napoli 25 Novembre 1844

[illegible]

كتاب فرديناندو الحادى عشر ملك نابولى للمولى عبد الرحمن

الدوق او مال نجل جلالة ملك الفرنسيس، أردنا أن نزف سريعا إلى سدتكم المولوية نبأ هذا الزواج لتتمكن جلالتكم من مشاطرة عائلتنا الملوكية فى هذه الأفراح التى غمرتها، وبهذه المناسبة نشعر جلالتكم الشريفة أننا لا نبرح داعين الله تعالى أن يحرسكم ويسبغ عليكم أخلاف النعمة والرفاهية (نابلس) ٢٥ نوفمبر ١٨٤٤ الإمضاء: (فردينادو»).

وفى سنة اثنتين وخمسين أمضى معاهدة مع أمريكا وضعت على يد نائبها بطنجة (جميس لا عيب) ونصها بعد البسلمة والطابع السلطانى الكبير:

«الحمد لله هذه نسخة شروط الصلح التى جعلناها مع المار كانوس وأثبتناها فى هذا الدفتر، ووضعنا عليها طابعنا الشريف لتبقى مستمرة إن شاء الله، وكتبت بحضرة مكناسة الزيتون فى ثالث جمادى الأخير عام اثنين وخمسين ومائتين وألف.

الشرط الأول:

أن هذه الشروط المذكورة فى هذا الدفتر وهى خمسة وعشرون شرطا قد قبلت من الجانبين وذلك على يد الواقف على أمورهم وكيلهم وقونصهم جيمس لا عيب المقيم وقته بمحروسة طنجة.

الشرط الثانى:

أنه مهما كانت الكرة مع أى جنس كان فلا تخرج سفينة من إحدى الجانبين وتعمل سنجق العدو، إما من جهتنا وإما من جهة المار كانوس.

الشرط الثالث:

أنه متى جعلت الكرة مع أى جنس كان وقبضت سفينة من أهل ذلك الجنس، ووجد مسلما أو نصرانيا ولهم سلعة، فإنهم يسرحون بسلعهم، وحتى إذا

كانوا حـاملين سلعة لجنس وبيننا وبـينه الكرة فلا تؤخذ من أيديـهم، ولا يكلفون بنزولها لما بيننا وبينهم من الصلح.

الشرط الرابع:

تكون بيننا علامة يعرف بها بعضنا بعضا فى البحر، ومهما لقى أحدنا سفينة الكرة لا يبحث عنها، وإنما يكفيه كلام الرائس فى بيانها مع سفن أخرى.

الشرط الخامس:

أنه مهما تلاقت السفن فى البحـر وكانت الكرة، فإن كل واحد من الجهتين لا يبعث لاختـبار السفينة التى أراد اختـبارها إلا فلوكة واحدة فـيها اثنان أو ثلاثة فقط، ومهما خرجت عمارة وأفسدت شيئا من إحدى الجهتين من غير طريق، فإن صاحب العمارة التى خرجت يصلح للآخر ما أفسدت له.

الشرط السادس:

أنه مهما قبض المسلمون أهل جنسنا أو سـلعتهم وأتوابهم لسيدنا نصره الله، فإنه يسـرح، وكذلك إذا قبـضوهم مسلمـون من غير إيالتـنا ودخلوا بهم لإحدى مراسينا، فإنهم يسرحون لأنهم تحت أماننا ومصالحين معنا.

الشرط السابع:

أنه متى وردت سفينة لإحدى مراسى الجانبين تقبض كمانية أو غيرها، فإنها تقبض ذلك من غير مشقة ولا حرج.

الشرط الثامن:

أنه متى وقع بإحـدى السفن شيء ومـالت إلى البر ووضعـت وسقهـا حتى أصلحت ما فسد منها، فإنها مـهما أرادت تحمل ذلك الوسق الذى وضعت، فإنها تحمله من غير صاكة ولا غيرها هـ.

الشرط التاسع:

أنه متى حرثت سفينة فى ناحية من نواحينا، فإنها تبقى على حالها حتى تنظر ما يصلح بها، إما الخروج من موضع آخر أو نقل السلع أو غير ذلك من الوجوه التى تليق بها، ولا يقربها أحد لأنها فى أماننا، وكذلك إذا دخلت سفينة للمرسة أو ألجأها الريح حتى دخلت للمرسة، فلا تكلف بنزول سلعتها بل تبقى على الأمان حتى تخرج برضاها.

الشرط العاشر:

أنه متى وقع قتال من أحد الجانبين مع بعض أجناس النصارى وكان القتال قريبا من بعض مدن الجانبين، فإننا نعين بعضنا على ذلك الجنس حتى يغلب أو يذهب، أو حرثت سفينة فى واد نون أو غيره فإن النصارى الذين بها فى الأمان حتى يصلون بلادهم إن شاء الله.

الشرط الحادى عشر:

أنه متى كانت الكرة بيننا وبين جنس من أجناس النصارى وكنا بالمرسة وأرادت سفينتنا الخروج من المرسة وأرادت سفينة العدو تتبعها فلا تخرج تتبعها حتى تمضى من الزمان أربعة وعشرون ساعة، وكذلك سفن الماركانوس إذا كانت بالمرسة وقت زمان الكرة وأرادت الخروج فلا تتبعها سفينة حتى تمضى أربعة وعشرون ساعة، سواء كانت من سفن المسلمين أو من سفن النصارى.

الشرط الثانى عشر:

أنه متى وردت سفينة الكرة على إحدى مراسينا فإنها لا تفتش، بل تبقى على حالها، ومهما كان بها أسيرا هاربا، فإنه لا ينزل منه كرها، ولا يطلب عامل تلك البلاد الذى به السفينة من رب السفينة قيمة ذلك الأسير.

الشرط الثالث عشر:

أنه متى وردت سفينة الكرة على أى مراسى وردت وأخرجت المدافع، فإنها لا يخرج عليها من تلك المراسى إلا مثل ما أخرجت من غير زيادة ولا نقصان.

الشرط الرابع عشر:

أن تسبب التجار يكونون على عادة تجار إصبنيول، ويكونون مميزين، ويكونون مثل الجنس العزيز عندنا فى الوقت ويذهبون فى المدن والمراسى حيث شاءوا فلا يتعرض لهم أحد.

الشرط الخامس عشر:

أن التجار يكونون مشتغلين بالسباب، وإذا أرادوا يجعلون من يقف معهم أو ترجمان فلا بأس بذلك، ولا يقلب وسق سفينة إلى أخرى ولا تثقف سفينة فى المرسة، وإذا أرادوا يجعلون من يعاونهم على أمور الوسق أو غيرها فإنهم ما يعطون سوى القدر الذى يعطون الأجناس من قبلهم هـ.

الشرط السادس عشر:

أنه متى كانت الكرة من الجانبين، فإن الأسارى يكونون رأسا برأس، فالرايس بالرايس، وسوط رايس بسوط رايس، والبحرى بالبحرى وهكذا، وأن يكمل العدد بيننا فتعطى فى كل رأس من الجانبين مائة ريال بشرط أن لا يبقى الأسير من الجانبين أكثر من سنة، وحتى إذا أراد فداءه مركانطى أو تاجر من الجانبين فيفديه بالمائة ريال المذكورة.

الشرط السابع عشر:

أن التجار لا تكلف عليهم السلع ولا يشترون إلا ما أرادوا عن طيب

أنفسهم، وكذلك البيع إلا إذا كانت هناك مسائل جارية فيها العادة مع من قبلهم من أجناس النصارى يحملونها فلا بأس بذلك.

الشرط الثامن عشر:

أن السلع التى توسق توزن وتقلب قبل وضعها فى السفينة لأجل أن لا تثقف السفينة من أجل إذا تحققوا أن بها كطربنط، وإذا كان كذلك فذاك الذى جعل الكربنط هو الذى يؤاخذ بذلك وحده على العادة الجارية فيمن قبله، وأما السفينة والسلع وما معها فإنها بريئة من ذلك.

الشرط التاسع عشر:

أنه لا تثقف سفينة فى مرسة ولا تحمل شيئا كرها إلا إذا كان عن طيب نفس من رئيسها فإنه يتهاود معه على حمل ما أراد حمله.

الشرط العشرون:

أنه مهما جنى أحد من أهل جنسنا جناية أو من هو داخل تحت سنجقنا، فإنه يحكم فيه قونصو جنسه، وإذا احتاج القونصو إلى أصحاب باشة البلاد فيعينه على ذلك.

الشرط الحادى والعشرون:

أنه إذا قتل منهم نصرانى أو العكس أو جرحه فإنه يحكم عليه بالقانون الشرعى من غير زيادة ولا نقصان، ويكون الحكم بمحضر القونصو، وإذ هرب قبل وقوع الحكم فلا يؤخذ به القونصو ولا بما جنى.

الشرط الثانى والعشرون:

أنه مهما مات أحد من جنس الماركانوس فى بلدنا ولم يوص فإن قونصهم هو الذى يقف على متروكه وسلعته، وإن لم يكن قونصو فتوضع عند أمين حتى

الحمد لله وحده

[illegible]

ترجمة أصلية لكتاب وزير الدنمرك نم عاصمة كوبنهاجن لقنصل دولته بطنجة بإعادة المخابرة مع الوزير ابن إدريس ليسقط السلطان عن دولتهم القدر المطالبة بدفعه للمغرب حسب المعاهدات السابقة



ترجمة أصلية لإمضاء كرستيان الثامن ملك الدنمرك بعاصمة كوبنهاجن فى ١٧ ينيه ١٨٤٥، للاتفاق المنعقد بين قنصله بطنجة والباشا بوسلهام فى شأن المال الذى تدفعه الدنمرك للمغرب سنويا والموافقة على إلغائه ابتداء من تاريخ توقيعهما على ذلك فى ٢٧ ربيع الأول ١٢٦١ موافق ٥ أفريل ١٨٤٥



إمضاء اسكار ملك السويد لاتفاق ممثليه مع الباشا بوسلهام على إلغاء القدر الذى تدفعه دولة السويد للمغرب بموجب اتفاق سابق وذلك بالعرائش فى ٢٧ ربيع الأول ١٢٦١ موافق ٥ افريل ١٨٤٥، وإمضاء الملك بعاصمتهم استكهلم فى ١٣ يونيه ١٨٤٥، ويرى خط قنصل السويد أورنهوف بالإفرنجية

يظهر من يستحقها، وإذا كان عنده من يرثه فتعطى لورثته من غير تعرض، أو أوصى بخط يده لمن يدفع ماله فالنظر فى ذلك لقونصه.

الشرط الثالث والعشرين:

أن القونصوات يكونون فى أى مرسة أرادوا، ويكونون موقرين مثل أجناس من قبلهم من النصارى، وإذا تعامل أحد من جنسهم مع مسلم بمال وأتلفه له فلا يؤاخذ به القونصو ولا يضمنه إلا إذا كان القونصو أعطى بذلك خط يده فيغرمه، وأما إذا لم يعط خط يده فلا كلام معه مثل جميع القونصوات.

الشرط الرابع والعشرون:

أنه مهما تنازع أحد فى شرط من شروط الصلح بأن ادعى أحد مسألة وادعى الآخر مسألة وقال إنها ليست فى الشرط، وطال النزاع بينهما، فإن الصلح يبقى على حاله ويبحث كل واحد منهما على ما ينفعه، حتى إذا لم يوافق أحدهم ما فى الصلح ومنع منه كل الامتناع، فإن الكرة تعمل حنيئذ، وجميع التجار تضرب لهم تسعة أشهر أجلا إلى أن يرفعوا سلعهم، وإذا تفضل سيدنا على جنس من أجناس النصارى فنحن من جملتهم.

الشرط الخامس والعشرون:

أن هذا الصلح يبقى مستمرا إن شاء الله بحول الله وقوته مدة من خمسين سنة، ويبقى يجرى بين الدولتين على القانون الجارى حتى يخبر أحد الجانبين الآخر فى مدة من سنة، بأن مراده قطعه فحينئذ ينقطع بعد تمام تلك السنة» هـ بلفظه.

وقد كانت دولة الدنمارك لا تزال تدفع للمغرب فى دولة المترجم ما هى مطالبة به حسب الفصل التاسع والعشرين من معاهدة السلطان سيد محمد بن عبد الله والملك كريستيان السابع سنة ١١٨١، كما تدل على ذلك وثائق رسمية كتبها

القائد عبد الخالق أشعاش عامل تطوان للمولى عبد الرحمن نص الأولى بعد الحمدلة والصلاة:

«بعد تقبيل حاشية بساط سيدنا أمير المؤمنين، وناصر الملة والدين، الذى ما رئى مثله منذ دهور وأزمان، سيدنا ومولانا عبد الرحمن.

وبعد: أنهى لكريم علم سيدنا أنه ورد علينا الأمر الشريف بحوز ما تحت يد القنص ابن عليال مما وجب على جنس دنمرك واجب سنة ٤٧ وواجب سنة ٤٨، وأعلمنا بذلك القونص ابن عليال على نهج ما أمرنا به سيدنا أدام الله نصره وخلد فى الصالحات ملكه، ولم يأتنا جواب من عنده حتى أتانى أحد رؤساء المراكب وهو الرومى طلايه، وأخبرنى بأنه أتى باثنى عشر ألف ريال من عند ابن عليال من المال المذكور ليدفعها لخديم سيدنا الأنصح القائد العربى السعيدى، وبهذا وجب الإعلام لسيدنا والسلام وفى ٩ ربيع الأول عام ١٢٥٠ خديم المقام العالى بالله عبد الخالق أشعاش وفقه الله» بلفظه وحروفه.

ونص الثانية:

«بعد تقبيل حاشية بساط سيدنا أدام الله نصره وخلد فى الصالحات ملكه أنه وافانا الكتابان[١] الشريفان وفهمنا مضمنهما فأعلم سيدنا أنه بلغنا بقية المال الواجب على جنس دنمرك على يد القونص يودى بن عليال صار جملة ما تحت أيدينا وأدخلناه بيت المال وفره الله خمسين ألف ريال، ثم أنهى لكريم علم سيدنا أن قونص جنس المركان حمل من مرسى سيدنا بعض الهدية المنعم بها سيدنا عليه، وذلك أسد وفرسان، حيث وجدنا بيده الكتاب الشريف يتضمن تسريحها، فوجب

(١) فى المطبوع: وافانا الكتابين (كذا) الشريفين».

علينا الإعلام بذلك، والعبد على الخدمة الشريفة والسلام وفى ٢٩ ربيع الأول عام ١٢٥٠ خديم سيدنا المنصور بالله عبد الخالق أشعاش وفقه الله بمنه آمين» بلفظه.

خلفاؤه:

منهم صنوه المولى المأمون بن هشام، كان استخلفه بمراكش، ثم نجلاه أبو عبد الله محمد السلطان من بعده على نحو ما أشرنا إليه فى ترجمته، وجدنا أبو العباس أحمد الذى كان فر بنفسه للآستانة على عهد صنوه السلطان سيدى محمد المذكور بالرباط رحم الله الجميع وقابله بالعفو والفضل آمين.

وزراؤه:

من وزراء المولى عبد الرحمن بن هشام، أبو عبد الله محمد بن إدريس العمراوى مار الترجمة، ثم المختار بن عبد المالك الجامعى المتوفى بمراكش فاتح سنة اثنين وخمسين ومائتين وألف، ثم أبو عبد الله محمد بن على الحاجى النكنافى الصويرى دفين القصر المتوفى سنة ١٢٦٦ ثم أخره ورجع وزيره الأكبر أبا عبد الله محمد بن إدريس المذكور، فلما مات ولى مكانه العربى الجامعى ولد المذكور، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار التطوانى وتوليته الوزارة الكبرى كانت سنة تسع وستين ومائتين وألف، وأبو عبد الله محمد غريط، وجمعهم كانوا من أهل الفقه والأدب والكتابة.

كتابه:

منهم الأديب الكاتب محمد غريط، ومحمد بن عزوز الجامعى ثم عزل، وأبو عبد الله محمد القويطى، ومنهم أبو الحسن على بن الطيب الأجناوى كاتب الدولتين السليمانية والعبد الرحمانية، ثم ولاه المترجم بعد الكتابة عمالة وجدة وما حولها، ومنهم المعطى الأوراوى، ثم ولى القضاء برودانة، وأبو حامد العربى

الجامعى استكتبه بعد وفاة والده، ثم استوزره، والحسين أغناج كان عاملا قبل على قبيلة حاجه ثم عزله وولاه وظيفة الكتابة، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان كان قبل كاتبا عند القائد محمد بن عبد الصادق بمراكشة ثم عند القائد الطيب الودينى برودانة ثم اصطفاه المترجم للكتابة بحضرته الفاسية، وأبو عبد الله محمد السطى، وأبو عبد الله محمد بن السعيدى وكان أيضا من جملة سراد الحديث الشريف كالبخارى فى الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان، وكان قبل الكتابة يتعاطى خطة الشهادة بسماط عدول مكناس، وأبو زيد عبد الرحمن بن محمد الشرفى استكتبه أولا القائد أحمد السرغينى نحو سنتين، ثم انتخب للكتابة بالحضرة الإمامية الهشامية أيام الوزارة الإدريسية، وأبو العلاء إدريس بن محمد بن إدريس انتظم فى سلك الكتاب برباط الفتح بعد قفوله من حجته التى حجها مع أخيه العباس، وأبو العلا إدريس مؤلف كتاب الابتسام حسبما قال ذلك عن نفسه.

قضاته:

منهم بفاس المولى أحمد بن عبد المالك السلجماسى، والمولى عبد الهادى ابن عبد الله العلوى المدغرى بفاس الإدريسية، وكان ينوب عنه بفاس أحمد بن السيد محمد الزعرى المباركى، والعربى الزرهونى، والتسولى، وأبو محمد التهامى الحمادى، والعباس بن كيران، وأبو عيسى المهدى بن الطالب بن سودة، والطيب بسير، الأربعة بمكناس وقد وقفت على رسالة كتبها القاضى الحمادى المذكور لصاحب الترجمة فى بعض القضايا ونصها من خطه:

«فى علم مولانا لازالت أعنة أوامره لكل جموح قائده، ولا انفكت همته العلية بالله على رعاياه زائدة، أن الرجال الثلاثة المدعى عليهم، أما واحد منهم فقد برأه أبو المدعى قائلا إنما هو محبوس فى أخيه وها رسم البراءة الآن بيده وأما

الآخران فإلى الآن لم تثبت التدعية فى حقهما لعدم معرفة شاهديها وقد كلف الشرع أبا المدعى أن يعرف بهما والنظر لسيدى فى المبرأ وغيره.

هذا وإن المدعى على القائد على ولد مجوط قد ظهر كذبه فى دعواه، وتحقق فجوره فى شكواه، إذ قد استظهر الطالب باسو برسم مؤرخ بربيع النبوى أن عقد الإجارة إنما كان معه بعشرة وقبضها، فلذلك حبسته لتجاسره على حضرة مولانا هذه مدة، وها هو الآن مريض فى السجن جدا يخاف عليه، فنطلب من سيدى أن يكشف لى القناع عن وجه أمره هل يسرح ويذهب لحاله، أو تأخذ منه الدراهم التى أمرنى سيدى بدفعها له معاملة له بنقيض قصده، وعلى الآخذ فلمن أدفعها، هل للقائد على أو السيد المعطى المزطارى، والسلام رقيق نعمكم محمد التهامى بن محمد الحمادى عامله بلطفه وأمده بجلائل الأيادى».

وقد وقع السلطان بخطه على ظهر الكتاب بما نصه بعد الحمدلة:

«القاضى العلامة الأديب الأريب الفهامة سرح الذى أبرأه ولى الدم واقبض ما قبضه المفترى وسرحه فى الحين وتصدق بما تقبضه كما تصدق صاحب الفرق الأنصارى، ولا شك أنك من القضاة الذين يفتقرون إذا زهدوا».

ومن قضائه بطنجة أبو عبد الله المجاوى، وأبو عبد الله محمد بن عبد القادر الكردودى، وبمراكش السيد محمد عاشور الرباطى الأندلسى، وبسلا أبو محمد زنيبر، وبالرباط بسير وابن فارس، وصالح الحكمى، والبريبرى الكبير.

قواد مشوره:

منهم القائد العربى بن العلام، والقائد الجيلالى بن موسى، والقائد الجيلالى ابن حم، والحاج محمد بن الهلالى.

قواد المسخرين:

منهم القائد بوسلهام بن السبع، والقائد الجيلالى البزارى، والقائد العناية بن حميدة، والقائد محمد خنيشيش.

عماله:

منهم القائد حمان الصريدى، والقائد محمد بن الشاهد، والقائد محمد بن العواد الكبير، والقائد الجيلالى بن بوعزة، والقائد الجيلالى بن العواد، والقائد المجذوب بن الغنيمى كلهم كانوا بمكناس، وهؤلاء القواد الستة يلقب جميعهم بالباشا وقفت على كثير من الظهائر السلطانية الرحمانية الصادرة لرابعهم الجيلانى ابن بوعزة.

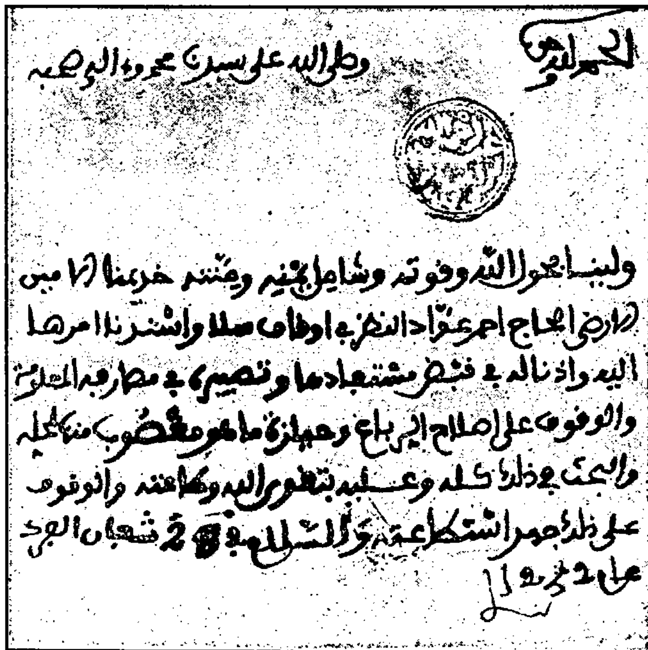
قال فى الابتسام: وأكبر عماله رتبة الباشا وهو الذى يكون رئيس الجيش فعنده فى مكناسة القائد الجيلانى بن بوعزة، وهو والله أعلم خامس البشوات من يوم تولى الإمارة إلى الآن، وعنده فى فاس وصيفه فرجى هو الباشا على الجيش الفاسى، وهو والله أعلم الثانى من يوم ولى إلى الآن، وعنده فى مراكشة القائد أحمد أموش هو الباشا على الجيش السوسى ولا أدرى من كان قبله.

ومن عماله الحاج أحمد بن محمد بن الهاشمى عواد السلوى على ثغر سلا، والشريف أبو عبد الله محمد بن الطيب بن السلطان سيدى محمد بن عبد الله على فاس، ثم ولاه على قبائل تامسنا ودكالة بأسرها، وأسند إليه النظر فى أمرها، ثم ولاه على وجدة وتازا وما حولها وإدريس بن حمان الجرارى على وجدة، وذلك أوائل سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف، والشيخ أبو زيان بن الشاوى الأحلافى على تازا وأعمالها، وكانت ولايته فى السنة نفسها، وأبو عيسى المهدى الشرادى مار الذكر، وأبو جمعة بن سالم مملوكه على فاس، والمولى

الشريف المولى مبارك بن على بن محمد بن عبد الله على مراكش، ويشو بن محمد بن يشو المالكى الغرباوى الزيانى على قبيلة زيان، والطيب البياز على فاس، وكذلك عبد السلام السلوى ولاه سنة ١٢٤٦، وأبو سلهام بن على أزطوط على طنجة والعرائش، والقائد محمد بن عبد الكريم الشرقى المدعو أبا محمد وإبراهيم يسمور اليزدكى بصحراء تافيلالت، والقائد المأمون الزرارى، والحاج محمد أشعاش، وولده الحاج عبد القادر على تطوان، ومحمد بن العامرى على وجدة، وحمان الصريدى على العرائش ونواحيها، ومحمد أميمون الكروانى على طنجة ثم عزله سنة ١٢٤٣، ومحمد بن عبد الصادق على مراكش، والطيب الودينى على تارودانت، ومحمد بن عزوز بآسفى، والقائد محمد السويس والأمين عبد الطيف فرج على الرباط.

قال فى الابتسام: وعماله على القبائل أكبرهم القائد محمد بن إبراهيم الدكالى البوعزيزى، مكث فى العمالة نحو ثلاث وعشرين سنة، ثم ثار عليه إخوانه فخربوا داره وهتكوا حريمه وبددوا أمواله فعزل عنهم، ثم القائد الصديق العمرانى لازال واليا على إخوانه منذ عشرين سنة، ثم القائد أحمد بن القائد السراغنى لازال واليا على إخوانه منذ اثنتى عشرة سنة، ثم القائد عبد الله المعروفى الشاوى مكث واليا نحو الإحدى عشرة سنة، فقام عليه إخوانه وهجموا عليه، وقاتلهم حتى قتل أخوه وقطعت أنامله فى قتالهم، وبددوا أحواله ثم عزل عنهم، ثم القائد عبد السلام بن عبد الكريم السفيانى مكث نحو الإحدى عشرة سنة، فقام عليه إخوانه وهجموا عليه، فلم يقدر على قتالهم، فلجأ بجبل صرصر بأولاده وأمتعته، وترك داره خالية فعزل عنهم.

ومن عماله القائد الحسين بن عبد الفاضل الجروانى ولاه على إخوانه وكان له عنده مزيد العناية والرعاية، والقرشى بن موسى، وعلى أحدار، ثم حم،



الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

وليعلم بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنته خديمنا الأمين
الأرضى الحاج أحمد عواد النظر في أوقاف سلا وأسندنا أمرها
إليه وأذنا له في قبض مستفادها وتصييره في مطارحه اللازمة
والوقوف على إصلاح الرباع وحيازة ما هو مغصوب منها لجلبه
والبحث في ذلك كله وعمله بتقوى الله وطاعته والوقوف
على ذلك بجهد الاستطاعة والسلام في 2 شعبان الأبرك
عام [illegible]

ظهير رحمانى بولاية الحاج أحمد عواد النظر فى أوقاف سلا

والجيلانى، والقائد أحمد الشبلى على بنى مطير والحاج عبد الله وولده بن عيسى على جروان».

أمناؤه:

منهم أمين الدار العالية الطالب بوعزة الفشار، وأمينا الصائر المدنى الحلو، والحاج عبد الرحمن النسب.

محتسبوه:

منهم أحمد اللب بمكناس، وسيدى عبد السلام بوعنان بفاس، ومحمد الزكى بالرباط. هـ.

نظاره:

منهم الأمين أبو العباس أحمد عواد السلوى، وقفت على ظهير توليته النظارة بثغر سلا بلده، وإليك نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطانى:

«ولينا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، خديمنا الأمين الأرضى الحاج أحمد عواد النظر فى أوقاف سلا، وأسندنا أمرها إليه، وأذنا له فى قبض مستفادها وتصييره فى مصارفه المعلومة والوقوف على إصلاح الرباع وحيازة ما هو مغصوب منها لمحله، والبحث فى ذلك كله، وعليه بتقوى الله وطاعته، والوقوف على ذلك جهد استطاعته، والسلام فى ٢٨ شعبان الفرد عام ١٢٥٢».

وإليك نص ظهيرين آخرين فيما يتعلق بمحاسبته وغير ذلك من أمور نظارته.

الأول:

«خديمنا الناظر الأرضى الحاج أحمد عواد السلوى، أعانك الله والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

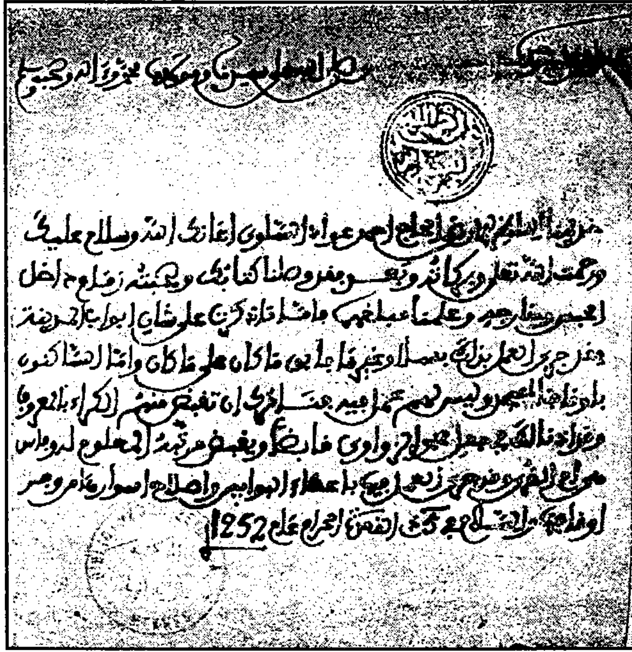
وبعد: فقد وصلنا كتابك وصحبته زمام داخل الحبس، وخارجه، وعلمنا مبلغهما فأما ما ذكرت على شأن أبواب المدينة، فقد جرى العمل بذلك بسلا وغيرها فأبق ما كان على ما كان، وأما الساكنون بأوقاف المسجد وليس لهم عمل فيه فنأمرك أن تقبض منهم الكراء بالمعروف، وقد أذنا لك فى جعل محمد الزواوى قابضا، ويقبض مرتبه المعلوم له، وفاس هى أم القرى، وقد جرى العمل فيها بإعطاء البوابين وإصلاح أسوارها من وفر أوقافها، والسلام فى ذى القعدة الحرام عام ١٢٥٢»

الثانى:

«خديمنا الناظر الأرشد الأرضى الحاج أحمد عواد، وفقك الله والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك مخبرا بامتثالك لما أمرناك به من إصلاح ماء سلا وأنك ابتدأت بإصلاح مواده فى المدينة فى فصل الشتاء، وحين أقلعت شرعت فى إصلاح عيونه خارج المدينة، وأنك مجتهد فى ذلك وطلبت المحاسبة لتتوجه إلى الحج أنت وولدك، فقد أذنا لك فى ذلك، فتلك وجهة لا يرد عنها أحد وها نحن كتبنا لخديمنا الأمين الحاج أحمد الحداد بأن يحضر محاسبتك مع القاضى السيد محمد زنيبر، وأذنا له فى أعمال الكسور الواقعة فى مستفاد الأحباس وأمرناهما أن يعينا من يقوم مقامك والسلام فى ٢١ جمادى الأولى عام ١٢٥٩».

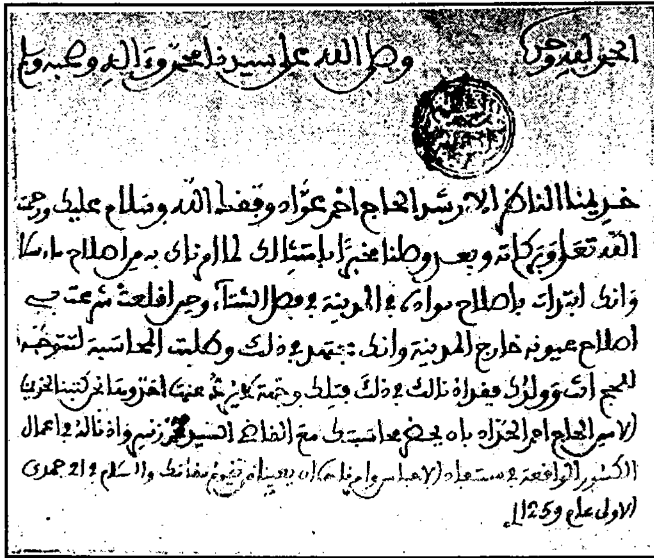
ومن نظاره بالرباط الحاج محمد السويسى ولى سنة ١٢٣٩، ثم الحاج محمد والزهرا، ومن نظاره أيضا السيد محمد بن الجيلالى الغسال أقامه ناظرا على زاوية الشيخ محمد بن عيسى بثغر طنجة، ونص ظهير ولايته بعد الحمدلة والصلاة والطابع:



خديمنا الناظر [illegible] الحاج احمد عواد السلوي أعانك الله وسلام عليك
ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد وصلنا كتابك وبطيه زمام الداخل
والخارج [illegible] وعلمنا مبلغهما وما اشتملت عليه [illegible] على شأن ابواب المدينة
[illegible] العمل [illegible] على ما كان وأما البنا كونه
[illegible] ان تقبض منهم الكراء بالمعروف
[illegible] وبقي من [illegible] المعلوم [illegible]
[illegible] باعطاء الابواب واصلاح اسوار [illegible]
[illegible] والسلام [illegible] الحرام عام 1252

جواب المولى عبد الرحمن لناظر سلا

عن وصول قائمة الداخل والخارج وغير ذلك



الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

خديمنا الناظر الأرشد الحاج أحمد عواد وفقك الله وسلام عليك ورحمة
الله تعالى وبركاته وبعد وصلنا مخبرا بامتثالك لما أمرناك به من إصلاح ما اسكا
وانك ابتدأت بإصلاح سواقي المدينة في فصل الشتاء وحين أقلعت شرعت في
إصلاح عيونه خارج المدينة وانك تتمم في ذلك وكلفت المحاسبة لتتوجه
للحج إن شاء الله وقد أذنا لك في ذلك فتهيأ لذلك ووجه كلا ممن ينوب عنك أحمد وما أمرنا كتبنا لخديمنا
الأمين الحاج أحمد الجزار بأن يحضر محاسبتك مع القاضي السيد محمد زنيبر وإذا نالك في أعمال
الكثير الواقعة في مستفادها الأعباء وأمرناه أن يدينا بتنوع منافعك والسلام في 21 جمادى
الأولى عام 1255

ظهير رحمانى بالإذن لناظر سلا فى الحج

بعد تقديم حساباته للقاضى، وغير ذلك

«يعلم من كتـابنا هذا أسماه الله وأعـز أمره، أننا ولينا النظر للطالب السـيد محمد بن الجيلانى الغسال فى زاوية سيدى محمد بن عيسى التى بثغر طنجة ليقوم بأمرها ووظائفها من كل ما تحتاجه لثبـوت أهليته لذلك، حسبما بموجب البينة التى بيده بأنه أهل لذلك، وأنه قـام ببنائها من ماله هو وأخـوه، ومن وفق من المسلمين احتسابا وأن أولاد الشيخ المذكور قدموه على أنفسهم لما ظهر لهم من صلاحيته لها وقيامه بها، فلذلك بسطنا له يد التصرف عليـها من غير منازع ولا معارض، ونأمر من يقف عليه من ولاة أمرنا أن يعـمل بمقتضاه ولا يتعداه، بهذا صـدر أمرنا المعتز بالله فى ٤ ربيع الثـانى الأبرك عـام ١٢٤٩ الحق بالطرة هو وأخـوه ومن وفق من المسلمين صح به فى تاريخه».

ولما مات الناظر المذكور انتـدب قاضى طنجة ولده للقيام مقـامه ونص تقديم القاضى بعد الحمدلة.

«لما بيد ماسكه الطالب الأرضى السيد المعطى بن السيد محمد الغسال رحمه الله، من الظهير الشـريف المعتز بالله من مولانا المقدس المبـسوط أعلاه من الولاية لوالده المذكور على زاوية القطب الواضح مولانا محمد بن عيسى بثغر طنجة، برد الله ضريحـه والقيام بأمورها وشـئونها اشهد إذ ذاك الـفقيه الأجل العالـم العلامة الأفضل البركة الأمـثل المدرس الأحفل النزيه الأعدل، قاضى ثغر طنجة وعـمالتها حينه ووقتـه وهو أحمد. . . أعزه الله وحرسـها شهيديه، أنه قـدم الطلاب السيد المعطى المذكور علـى الزاوية المذكورة والقيـام بشئونهـا وأمورها ووظائفهـا وكل ما تحتـاج إليه والحـيطة على رباعـها، وذلك لموت والده المذكـور، وأهليتـه للتقـديم المذكور بشهادة شـهيديه تقديما تاما مفـوضا مطلقا عاما لم يستثن عليـه فى حقها فصلا من الفصـول، ولا معنى من المعانى، إلا وأسنده إليه وقصر النـظر فيه عليه

حاشا تفويت أصل أو ما يؤدى إلى تفويته، فإنه لم يجعل له إلى ذلك سبيلا إلا عن موجب شرعى.

وعليه فى ذلك بتقوى الله العظيم، ومراقبته فى السر والعلانية امتثالا للأمر الشريف أعزه الله شهد على إشهاده دامت كرامته بما فيه عنه وهو أعزه الله بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر، وعلى المقدم المذكور بقبوله التقديم المذكور والتزامه القيام به جهده وهو بأتمه وعرفه وفى الثالث عشر من شعبان الأبرك عام ستة وتسعين ومائتين وألف عبد ربه على بن الدكالى الحسنى وفقه الله وعبد ربه سبحانه وتعالى محمد الفلوس الحسنى وفقه الله».

بناءاته وآثاره:

أما ماله بمكناسة الزيتون زيادة على ما أسلفنا ذكره فى الطلب الأول من هذا الديوان، فمن ذلك تجديد قبة ضريح الشيخ الكامل أبى عبد الله محمد بن عيسى، وذلك عام ثمانية وأربعين، وكان الذى تولى النظر عليها محتسب مكناسة بادو، والبرج المشرف على المرس المعروف ببرج الماء الذى بابه بأسراق(1) وذلك عام خمسة أربعين١٢٤٥، وسور قصبة أبى عثمان سعيد المَشْنْزَائى، واصلح الساقية المارة بالمقابر الكبرى جوار تربة أبى محمد بن عبد الله بن حمد المار الترجمة، وكل ذلك فى السنة المذكورة، وأصلح سورا كان بين عراصى الأشراف بالقصبة حسبما جاء فى كتاب محتسب مكناس للوزير العربى الجامعى ونصه:

«الأحب الأرضى الأود الأحظى، الفقيه الأسعد السيد العربى بن المختار سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير مولانا أيده الله ونصره وأدام عزه وعلاه آمين.

---

(1) فى هامش المطبوع: «أسراق بفتح الهمز والسين والراء المشبعة بعدها كاف معقودة سمى به المحج الممتد من باب الرئيس الشهير إلى البرج المذكور الواقع به بابا القصرين السلطانيين: المدرسة والمحنشة».

وبعد: فقد وصلنا كتابك على ما سقط بالسور داخل الستينية، وأمرنا مولانا أيده الله بإصلاح ما سقط ويكون مثل ما كان أولا أعلم أخانا قد أصلحنا ما سقط من السور كما أمر مولانا أيده الله، وليس هو من أسوار الستينية، وإنما هو سترة بين أعراصى الشرفاء والمحاج[1] الذى هو مرور للمقصورة لا غير وإنما بيناه لك حيث بلغ الخبر أنه سور الستينية، فإقلاب الحقائق يوقع فى المشكلات، ويصلك أيها الأخ صحبة هذا كتاب لحضرة مولانا أيده الله وعلى محبتكم وعهدكم والسلام فى ١٥ جمادى الأولى عام ١٢٦٤ .

أحمد اللب لطف الله به[2]».

قلت: والسور المذكور فى هذا المكتوب قد سقط اليوم وانكشفت تلك العريصات وتعذر على أربابها ما كانوا يستفيدون من غللها واستغلال عارضها لعجزهم عن البناء، وامتناع المكلفين من جانب الدولة من إعادة البناء.

وزاد فى ملاح اليهود محلا لدفن موتاهم عام خمسة وسبعين ومائتين وألف، وسوره لهم بالسور الموالى يمين المار من باب زين العابدين لباب الخميس إجابة لطلبهم ليأمنوا على أنفسهم، وقد وقع ذات يوم أن عصابة لقيت سور حارتهم، وكتب له باشا مكناس يومئذ القائد الجيلانى بن بوعزة بذلك فاستفظعه، وأمر بتتبع أصحابه كما ترى فى جوابه للقائد المذكور:

(١) فى هامش المطبوع: «(كذا)».

(٢) فى هامش المطبوع: «هذ الرجل كان الأمين الخاص والصدوق المخلص للمترجم ولم ينل أحد فى دولته ما ناله من ثقة الأمير به، وكان محتسبا فى مكناس فيذكر فى ولاة صاحب الترجمة وله ملف خاص فى مستودع الأوراق بالقصر السلطانى فى الأمور الشخصية المتعلقة بالجلالة وعائلتها وصوائرها الخاصة يتكون منه مجلد ضخم وذلك أكبر دلالة على مكنة الرجل المكينة فى الصدق والأمانة وكلها بخطه لم يطلع عليها كاتب وبيتهم فى مكناس من أشهر البيوت وأفخرها وأمجدها غير أنه اقشعر وصوح نبته وكل شىء هالك إلا وجهه».

«وصيفنا الأرضى القائد الجيلانى بن بوعزة، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه وعلمنا ما ذكرت من إتيان بعض فسدة البرابر بالفئوس بقصد جعل الأنقاب بسور حارة اليهود الموالى للرياض، وأنهم بعد ما شرعوا فى فتح ثلاثة مواضع منه شعر بهم العساسة وتضاربوا معهم بالبارود إلى أن تلاحق بهم من ذكرت من ساكنى بريمة، وممن وجهت لإعانتهم حين بلغك الخبر فهربوا حين رأوا الجد بعد ما قتلوا ذمية وجرحوا ذميين تركوهما مشرفين على الموت، وذكرت أن اليهود اشتكوا بتلاشى السور المذكور، وطلبوا إصلاحه وأنك كلفت القائد الحسين الجروانى بالبحث عمن فعل ذلك، فهذا الواقع شنيع لم نسمع بصدور مثله فلابد ابحث عن أصحاب الفعلة والطالب محمد الشبلى تجد خبرها عنده من غير زيادة ولا نقص، والسلام فى ١٨ ربيع الثانى عام ١٢٦٩».

ونص جواب ثان تعلم منه ما كان من المحافظة على النظام والأمن العام فى تلك الأيام ولاسيما أمن أهل الذمة:

«وصيفنا الأرضى القائد الجيلانى بن بوعزة، وفقك الله وأعانك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا ببحثك عن أصحاب الفعلة بالملاح، وأنك وجدتهم من زمور ومجاط وبعض فساد جران وأنك جاد فى الحراسة والعسة ولما بلغك اتفاقهم على العود لنقب سور الملاح فى الليلة التى عينوا زدت العساسة فى المواضع التى يظن إتيانهم منها فلم يأتوا ولازلت جادا فى العسة فذلك الذى ينبغى فلا تقصر، وما ذكرت من تلاشى السور المذكور وعدم نفع الترميم فيه وطلب أهل الذمة لبنائه وتجديده بناء متقنا ووقوف أرباب البصر عليه وتقديرهم ما يصير على

ذلك، حسبما فى الرسم الذى وجهت، فها نحن وجهنا من حضرتنا أرباب البصر بنائين ونجارين ينظرون ذلك ويخبرون بما عندهم فى ذلك بحضرتنا، حتى كأننا رأينا ذلك بعيننا، فقم بمؤنتهم مدة إقامتهم هناك، وسنأمرك بما يكون عليه العمل فى بناء السور إن شاء الله. . . واقدال إنما هو معد للخيل فإياك أن تدخل إليه بهيمة بقرة أو شاة أو معزا، وإن دخلت إليه فيتعين عليك اللوم وسراح ما ذكر يقصدون به المسارح خارج المدينة، وإن ظهر منهم عجز استبدلهم بغيرهم وقد كتبنا بهذا للطالب أحمد اللب والسلام فى ٢٨ ربيع الثانى عام ١٢٦٩».

وأما ما بناه فى غير مكناس فمن ذلك زيادته البلاطات الثلاث فى مسجد الضريح الإدريسى من الناحية الشرقية الموالية لقبة الضريح، يدل لذلك ما هو مرسوم بسلطانيه الرخامية ولفظه:

انظر بعينك شذور الذهب ... لابن هشام المنتقى المنتخب
مؤسس المجد شريف النسب ... مبارك الاسم أغر اللقب
من يده زهر المنى يجتنى ... فى وجهه بدر الهدى المرتقب

ورتب به مدرسا وواعظا وأحزابا، وكان ذلك فاتحة أعماله شكر الله سعيه، وجدد الشباك الذى بمزارة الضريح الإدريسى المذكور، وزاد فيه زيادة واضحة وذلك عام ١٢٤٠ أربعين ومائتين وألف، وقد أشار لتاريخ ذلك البناء العلامة أبو العباس أحمد بو نافع بقوله:

هذا مزار ومقام الاحترام ... قبله بالشفاه وادع للإمام
ابن هشام قطب من صلى وصام ... شيد من إحسانه هذا المقام
مؤسس البناء طال واستقام ... من زاره نال المنى حاز المرام
وقفت فى مزاره قصد استلام ... فراقنى البناء فى حسن انتظام

صنع كل صانع وشى التمام ... ما كان ذا البناء فى مصر وشام
ترى سنا للكل فى حين ابتسام ... تاريخه (دوام ملك ابن هشام)
(١٢٤٠)

فأجازه صاحب الترجمة على هذه القطعة بثلاثين مثقالا ووسق قمحا، وجدد أيضا سقاية السبيل الكائنة تحت الشباك المذكور عام أربعة وأربعين، يدل لذلك ما هو منقوش عليها من إنشاء العلامة ابن قدور الشرقاوى ولفظه:

من السعادة لاحت ... على شموس سعود
لم لا ونجل هشام ... على يديه صعود
أجرى لجينا زلالا ... فلذ منه ورود
كسا بهائى جمالا ... وزان وشم خدود
كساه ربى سناء ... وعز ظل البنود
يا ناظر الحسن منى ... أرخ (بوشى ورود)
(١٢٤٤)

ومن ذلك الخصة الرخامية التى بوسط المسجد الإدريسى، ونقل الخصة التى كانت به لجامع الأندلس، والتى كانت به جعلت بمدرسة الشراطين.

وبنى البرج الكائن بثغر آسفى المعروف ببرج المستارى، وربما قيل له برج بلاط الواقع بجنوبى القصبة البرتقالية هنالك، وذلك فى السنة المذكورة أيضا.

ومن بناءاته البرج الكبير بثغر سلا المعروف بالصقالة الجديدة[1] وكان

(١) فى هامش المطبوع: «وقفت على قائمة طويلة الذيل لطبجية سلا وتقسيمهم على أبراجها ومراتبهم: فالبرج القديم الذى بإزاء الولى الصالح سيدى أحمد بن عاشر المتقدم ترجمته=

الشروع فى بنائه زمن انتقاض الصلح مع فرنسا، وتم العمل فيه سنة ثلاث وستين ومائتين وألف ١٢٦٣ والبستيون (المعقل العظيم) بالثغر الواقع بالشاطئ البحرى منه شمالا، وكان تمام العمل فيه سنة تسع وستين ومائتين وألف ١٢٦٩، وقد جلب لهذا المعقل سبعة عشر مدفعا ومهراسين عظيمين من المعدن من بلاد الإنجليز على يد أبى محمد عبد الله فنيش السلوى، وكان وصول ذلك لثغر سلا رابع شوال من السنة.

وجدد بستان آمنة المرينية بالمدينة البيضاء فاس الجديد، قال أبو عبد الله أكنسوس: وكان - أى البستان - خرابا تألفه الوحوش بعد أن كان فى الدولة المرينية على هيئة بهية، فيه ظهرت زينة تلك الدولة وضخامتها، وفيه مقاعدهم ومنازلهم العالية ومجالسهم المشرفة على بساتين المستقى، إلى أن قال وبالجملة فقد كان زينة من زينة الحياة الدنيا، وجنة حائزة من البهجة المرتبة العليا ثم أناخت عليها الأيام بصروفها، ومحت من تلك الرسوم جميع حروفها، فرآها الملوك قبل مولانا المؤيد فلم يرقوا لحالها، ولا أنقذوها من أوحالها، مع أنها فى جوارهم، وعقود ديارهم،

=فى هذا الكتاب وعدد رجاله ٩٢. وسقالة الوسطى ورجالها ٩٣. والبرج الجديد رجاله ٩٣ كذلك. وقد ذكرت فى تلك القائمة أسماء أولئك الرجال وأوصافهم من طول وقصر وأشكال اللحى والحواجب والعيون وغير ذلك من الأوصاف المميزة لأصحابها وفيها تسعة أشخاص وصفوا بأنهم صبيان وفيها ألقاب معروفة بسلا لهذا العهد كزنيبر ولعلو واشمعو والمالقى وبوشعرة وفنيش وملاح وغيرهم وذكرهم فيها على هذه الأمثلة: (المعلم الحاج محمد حركات للطول ساقط بعض الأسنان. عبد الحق الصدراتى ربعة متصل اللحية كثيفها شيب. ج محمد لبريبرى أبيض بخده الأيمن زبيبة متصل النبات أسوده. أحمد بن الحاج العربى تازى مراهق بوجهه جدرى أزرق العينين. الطاهر الزواوى أشيب ساقط الثنايا برأسه ارتعاش. الصبى الهاشمى بن محمد الشلح مدور الوجه للحمرة غليظ الأنف. الفقيه سى محمد التيال وجيه متصل النبات واسع العينين».

فعطف الله عليها هذا السلطان المبارك فأعاد بعد الممات محياها، وأبرز من ظلمات العدم جميل محياها.

ومن بناءاته البيوت التى كانت معدة لسكنى جيش آل سوس بفاس المرينية على يد باشا المدينة البيضاء القائد فرجى، ومنها إصلاح ما احتيج لإصلاحه من القصور السلطانية عام ١٢٦٩.

وبنى جسر وادى مكس بسفح جبل زرهون، وذلك عام ثلاثة وسبعين ١٢٧٣، وجدد مسجد أبى إسحاق البلفيقى بمراكش، وجدد بها أيضا مسجد حارة الصورة، ومن ذلك بناء ما تهدم من مرسى طنجة والمبالغة فى تحصينها أكثر مما كانت، وأصلح أبراج تطوان لما دخلها عام ١٢٤٣ كما فى تاريخ الولاية للزيانى، وأسس البرجين العظيمين بثغر سلا وأشبار الكبير المقابل للبحر بها، والمارستان الكبير بضريح الشيخ ابن عاشر، والمنار الفاخر بالمسجد الأعظم منها حسبما هو مكتوب على بابه، وخزين البارود بالقلعة، وأشبار الفاخر برباط الفتح، وقصبة الصخيرة الشهيرة، وقصبة أبى زنيقة أيضا، وجدد المتلاشى من أبراج صغر الصويرة، وأجرى لها الماء فأدخله إليها وبنيت له القنوات واستراح الناس من نقله من النهر.

ومن بناءاته بتافيلالت قصر تغمرت الذى كان آية فى الإبداع، وجاء السيل فصيره فى خبر كان، ثم جدده ولده سيدى محمد، ومنها قصر أبّار[1] الحفيل المتسع الأكناف يشتمل على دور أنيقة، وكان تأسيسه له أيام سلطنته لأولاده وجعل به مسجدا جامعا تقام فيه الجمعة من يوم أسس إلى أن ثار الفتان بلقاسم الآنكادى السفاك لدماء الأشراف والعلماء، فعطلت فيه الجمعة من يومئذ، ونقل منبره لمسجد الريصانى الذى صارت تقام فيه الجمعة إلى .ن احـ‍نه فرنسا، وهو الآن سبه خزين مكتوب بأعلى باب هذا القصر جمل ملحونة لفظها:

---

(١) فى هامش المطبوع: «بفتح الهمزة وتشديد الموحدة تحت مشبعة».

يا داخل المنزل أبشر هناك   أبشر بما تريد الله قد أعطاك

ومنها قصر سيدى محمد بأولاد عبد الحليم من تافيلالت، وكان انتهاء العمل فيها على يد الفقيه الحاج محمد الزيانى فى ربيع الثانى عام ١٢٦٤ موافق ٢٦ مارس سنة ١٨٤٨.

وغرس أجدال الشهير بمراكش، بعد أن كان الدهر أخنى عليه وصيره حصيدا كأن لم يغن بالأمس، ذلك الجنان الذى لا يوجد له مثيل فى الديار المغربية طولا وعرضا، جعل فيه من أنواع الفواكه الصيفية والخريفية والأعناب والكروم وأشجار الزيتون ما لا يكاد يعد كثرة، جلب عددا من تلك الأشجار من الزاوية الشرادية كما تقدم، وجدد جامع المنصور بقصبة المنشية، وجامع الكتبيين من مراكش أيضا، وبنى بها مسجد أبى حسون، وجامع حومة القنارية، وأصلح قبة ضريح الشيخ أبى العباس السبتى برد الله ثراه.

وهو أول من أحدث العسكر من العلويين حسبما استفدت ذلك من دفاتر صوائر الحش إذ وجدت فى قائمة الخارج مرتب العسكر وذلك عام ١٢٦٥ وكان الذى أسندت إليه قيادته وتدريبه أبو الحسن على التونسى، ثم بدا له وأبطل عمله واقتصر على مطلق الجند كسلفه.

نساؤه الحرائر والشريفات:

السيدة علوى بنت البهلول، والسيدة علوى بنت البشير، والسيدة نجمة والسيدة فاطمة الأحلاقية كلهن حرائر، وكن من أزوج عمه المولى سليمان، ولما لقى ربه تزوج بهن المترجم، والسيدة البتول من آل الشيخ على بن إبراهيم.

وأزواجه من الشريفات لآل فاطمة، ولآل حليمة، ولآل رقية كلهن بنات عمه المذكور ولم أميز بين المطلقات وبين من مات وهن فى عصمته.

ما خلفه من البنين والبنات:

السلطان بعده سيدى محمد[(١)] وشقيقته لال[(٢)] خديجة وتدعى لال سيدى، أمهما لال حليمة بنت عمه المولى سليمان.

المولى عبد الملك تأتى ترجمته، والمولى عمر والمولى سليمان، ولال مليكة[(٣)]، أمهم لال فاطمة بنت مولاى سليمان تدعى لال بنت سيدى، وكلهم سكنوا مكناس، ومولاى سليمان بقصبته من تافلالت المعروفة إلى اليوم بالريصانى.

المولى عثمان وشقيقته لال أم الخير أمهما الصافية علجة.

المولى الطاهر المتوفى فى ٢٦ شعبان عام ١٣٢٢ دفين ضريح الغزوانى بقرب أخيه مولاى على، والسيدة مريم، والمولى بوعزة دفين مراكش بضريح الجزولى، والسيدة ربيعة أمهم المولاة طويموا.

المولى عبد السلام، وشقيقته لال الباتول، أمهما لال رقية بنت مولاى سليمان، سكناه كانت بأبار من تافيلات.

المولى العباس[(٤)] آتى الترجمة وأشقاؤه المولى بناصر والسيدة[(٥)] نفيسة والسيدة[(٦)] فخيتة السيدة الطاهرة وهى آخر بنيه وبناته موتا وتوفيت برباط الفتح وكانت من البهاليل صالحة معتقدة أمهم المولاة رحمة وكلهم كانوا بمكناس.

---

(١) فى هامش المطبوع: «خليفته بمراكش».

(٢) فى هامش المطبوع: «زوج قاضى فاس مولاى عبد الهادى».

(٣) فى هامش المطبوع: «زوج عم والدى مولاى عبد السلام توفيت فى عصمته».

(٤) فى هامش المطبوع: «كانت له مكتبة حافلة».

(٥) فى هامش المطبوع: «زوج مولاى عبد السلام الأمرانى».

(٦) فى هامش المطبوع: «زوج والد والدى عبد الرحمن آتى الترجمة توفى وهى فى عصمته».

المولى على، وقد كانت له مكتبة قيمة وحيدة فى نفاستها وتعدد مجلداتها فى شتى الفنون، وكان من أهل العلم، مات فى خامس شوال عام ١٢٦٧، ودفن بضريح الغزوانى، وشقيقتاه السيدة رقية، والسيدة مريم سكناهم بمراكش وبقرب ضريح المولى على هذا دفنت شقيقته السيدة مريم المتوفاة فى ١٧ ربيع الثانى عام ١٣٢١.

أحمد الخليفة بالرباط والموجه لنواحى وجدة وواقعة تطاوين والمهاجر للآستانة، وهو والد والدتى أمه المولاة الياقوت الصالحة المعتقدة:

المولى الطيب سكناه بمكناس، وبها كانت منيته، ودفن بالمباح الغربى من دويرية الضريح الإسماعيلى يسار الداخل إليها.

المولى إدريس بمكناس، سكناه ومنيته وقبره داخل قبة الضريح الإسماعيلى بالجهات الغربية.

المولى عبد القادر أمه مباركة الشاوية سكناه بفاس:

المولى الأمين الخليفة بالدار البيضاء، أمه الغالية شاوية، وهو آخر الإخوة موتا.

المولى الحسين كان نقله والده لبلاده تافيلالت، وبنى له قصبة بأبّار بفتح الهمزة وتشديد الموحدة تحت الذى كان أسسه لأولاده.

المولى عبد الله سكناه بأبّار أيضا.

المولى إسماعيل سكناه بمكناس.

المولى أبو بكر والمولى موسى، ولال فاطمة أمهم المولاة معتاها سكناهم بمراكش.

السيدة زينب أمها سليمة علجة.

المولى إبراهيم، المولى رشيد الخليفة برباط الفتح هو آخر خليفة بها، مات بمراكش، وداره بالرباط مشهورة قرب جامع القبة وكان من أهل العلم.

السيدة عاتكة، السيدة صفية، السيدة آمنة، السيدة زبيدة، السيدة زهور، السيدة ستى أم مولاى على بن الشاد آتى الترجمة، سكناها بتافيلالت وبها توفيت، السيدة لبابة.

السيدة هنية والسيدة كنزة أمهما المولاة زهراء البيضاء شاوية من أولاد حريز، والسيدة فضيلة والدتها الحرة السيدة البتول من آل الشيخ على بن إبراهيم.

السيدة بانى والسيدة أسماء والسيدة عائشة والسيدة حبيبة كلهن كن بتافيلالت وبها توفين.

السيدة أم الغيث، زوجها أبوها بالمولى العربى بن الصديق العلوى المتوفى فى سنة ١٢٨٨، وكان فقيها محدثا، وقد زوجه بعدها أختها السيدة صفية المذكورة.

قال صاحب الابتسام: وأولاده المرعيون المحفوظون، فأكبرهم الخليفة الأرشد سيدى محمد ولاه الخلافة العامة على جميع إيالته، وأقامه مقامه فى الولاية والعزل والعقد والحل تسافر معه الجنود، وتنشر عليه الألوية والبنود، ثم يليه أخوه أبو الربيع مولانا سليمان، ثم يليه أخوه أبو العباس مولانا أحمد ولاه عمالة رباط الفتح سنين ثم عزله، ويليه أبو العلاء مولانا إدريس أسكنه تازا سنين، ثم نقله لمكناسة، ثم يليه أخوه مولانا العباس بعثه للعرائش، فأقام فيها أعواما ثم نقله إلى فاس، ويليه أخوه مولانا عبد الله فهو مع أخيه العباس لا يفارقه، ويليه مولانا الرشيد فهو فى مراكشة منذ ولد إلى الآن وما بقى من أولاده غير هؤلاء فهم صغار لم يستعلمهم فى شىء من الأمر.

وقد كان له رحمه الله اعتناء كبير بتعليمهم وإقرائهم كما جرت بذلك عادة سلفه وخلفه، وكان يجعل لهم معلمين مختصين بهم ويحض على المثابرة والدأب على تفهيمهم وتلقينهم كما ترى فى هذا الكتاب الذى بعثه لولده الأكبر الخليفة سيدى محمد ونصه بعد الحمدلة والصلاة والسلام والطابع:

«ولدنا الأبر الأسعد سيدى محمد أصلحك الله والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك على شأن ما كتبنا لك به فى أمر طلب إخوانك بالدار البيضاء وأخبرت بحزمه وضبطه وأن معه من مقدمات العلم ما ينبغى لمثله وما قدمته لتعليمهم حتى تخيرته واختبرته، ولم تغفل عن تفقدهم غيبة وحضورا ذلك هو الظن بك أصلحك الله ورضى عنك، وما كتبنا لك بما كتبنا إلا عناية بتدريب الأولاد أصلحهم الله وحملهم على الجد فى القراءة والاطلاع على أمور الاعتقاد الذى هو أهم ما اعتنى به المكلف عموما وخصوصا الصبيان ليسبق ذلك إلى أذهانهم، ويمتزج مع دمهم ولحمهم، قال فى الرسالة: واعلم أن خير القلوب أوعاها للخير، وأرجى القلوب للخير ما لم يسبق الشر إليه، وأولى ما عنى به الناصحون ورغب فى أجره الراغبون إيصال الخير إلى قلوب أولاد المؤمنين ليرسخ فيها وتنبيههم على معالم الديانات وحدود الشريعة ليراضوا عليها وقد قال الأول:

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فلتؤكد على الطالب المذكور فى زيادة الجد والحَزْم والدأب على التعليم، وتعاهد الأسوار وحضه على تعليمهم الاعتقاد، وأن يقتصر على ما ذكر ابن عاشر فى كتاب أم القواعد وما انطوت عليه من العقائد، ويكلفهم بحفظ ذلك الباب وإتقانه وتفهيمهم إياه وتنزيله لعقولهم حتى يدركوا ذلك غاية الإدراك، ويرسخ



ظهير المولى عبد الرحمن لولده سيدى محمد فى التأكيد على معلم إخوته بالجد فى القراءة والتعليم

بالتكرار ويتقنوه حفظا وفهـما، ويكون ذلك فى هذه الأيام التى توصلنا لمراكشة إن شاء الله، فإن وجدناهم أتقنوه حفظا وفهـما وعلما وإدراكا، فإنا ننصف له بحول الله فليجعل ذلك أهم أموره وأولاها بالتقديم والسلام وفى ٢٣ ربيع الأول النبوى الأنور عام ١٢٦٢»، وصح من أصله الموجود بملف العائلة الملوكية الموجود بمستودع حفظ الوثائق الدولية بشريف الأعتاب من رباط الفتح.

ونص آخر كتبه لباشا مكناس:

«وصيـفنا الأرضى، القائد الجـيلالى بن بوعـزة، وفقك الله وسـلام عليك ورحمة الله:

وبعد: فيرد عليك الفقيه السيد محمد الريفى وقد عيناه لقراءة ولدينا مولاى بناصر، ومولاى إسماعيل، يقرئهم القرآن، وابن عـاشر بميارة الصغير، والجرومية بالأزهرى، والرسالة، وكلما ختم معهما ختمة يعيد معهما أخرى، والسيد العربى بصرى أرحناه، والطالب الملازم لهما لقراءة القرآن يذهب لحـال سبيله، ففى السيد محمد الريفى كفاية، وقد عرفناه لما ذكرنا، ونأمرك أن تعين قائدا من الجيش مُسنًّا ومعه مخزنيان يلازمان باب دار المخزن مـهما رأى السيد محمد الريفى من الولدين المذكورين تكاسـلا عن القراءة وأراد تهديدهمـا أو ضربهمـا يمتثلان أمـره، ونأمر خديمنا الطالب اللب أن يرتب للقـائد المذكور درهما فى اليوم، ولصاحبـيه درهما بينهما والسلام فى ١٦ شعبان عام ١٢٦٨».

ونص كتاب بعثه أحد ولاته للوزير ابن إدريس فى شأن مؤدب:

«حبنا الأرضى، أخانا المرتضى، كاتب الأوامر الشريفة العلامة الأديب الفقيه سيـدى محـمد بن إدريس، وفـقنا الله وإياكم لما يحبـه ويرضاه، وسـلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته بوجود مولانا المنصور بالله أدام الله لنا ولكم وجوده.

أما بعد: أخى، اعلم أنه أتانا الأمر الشريف على توجيه حامله مؤدب أولاد سيدى، وننظر من يستخلفه، فنظرنا فقيها أسأل عنه الحامل، فجلس مع سادتنا الشرفاء أياما وحامله معه وله نصيب من العلم الشريف، وفى غاية ما يكون من الوقوف والحامل قد ظهر لنا أن جلوسه بداره أولى، لأنه قد فتح عينيه ولم تبق عليه حرمة مع سادتنا الشرفاء، وهذا المؤدب الذى عملنا اليوم من عادته العزلة على الناس، وله حظ من العقل والمروءة، ونحن نحب أولاد سيدى يجتمع فيهم ما لم يجتمع فى غيرهم من كل شىء شىء، فنطلب الله أن يكمل غرض مولانا فى نجله الشريف آمين، وعلى المحبة وخالص المودة، بارك الله لنا فيك وطالب لدعائكم والسلام فى ٢٢ جمادى الثانية عام ١٢٥٤» ثم الختم نقشه: (عبد السلام السلوى لطف الله به).

ونص كتاب آخر كتبه السلطان لولده مولاى العباس باتخاذ فقيه بدل المتوفى:

«ولدنا الأبر الأرضى، مولاى العباس أصلحك الله ورضى عنك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد بلغنا أن الفقيه السيد مبارك الفيلالى صار إلى عفو الله، ولقد كان نعم الرجل تغمده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنته، فلابد انظر للشرفاء أصلحهم الله طالبا خيرا يكون على قدمه، ويكون يطلع لقراءتهم ويقبض ما كان يقبضه السيد مبارك والسلام فى ٤ ربيع الثانى عام ١٤٧٤».

بعض ما قيل فيه من المديح:

من ذلك قول الرئيس العلامة الوزير أبى عبد الله محمد بن إدريس الكبير العمراوى:

أهذه الزهر حـيـتنا أم الزهر ... وذى الدرارى انتظمن لى أم الدرر
وهذه نسمات النصر قد نفحت ... أم السعادة حيا نشرها العطر
وهذه أوجه التوفيق قد سفرت ... عن حسنها أم تبدى الشمس والقمر
أم الخلافة فى أعلى منازلها ... حلت فأشرق منها البدو والحضر
أحيا (أبو زيد) المولى معالمها ... وزانها من حلاه العقل والخفر
فهى العروسة تجلى فى منصتها ... وليس يعوزها حلى ولا حور
كانت زليخا فأضحى وهو يوسفها ... إذ عادها منه بعد الكبرة الصغر
واخضر بعد ذبول أروض بهجتها ... كأنما حلها من يمنه الخضر
أحيا لنا عمراً فى العدل أو حسنًا ... فى الفضل أو حاتما فى البذل إذ غبروا
بيت الخلافة (إسماعيل) شيده ... لكن (محمد) نادى الخلق فابتدروا
كلاهما (والأب) المحمود سيرته ... (والعم) كل بما قد حاز قد نشروا
على همة هذا مع شجاعة ذا ... وجود هذا وعلم ذا كما خبروا
هذى المفاخر لا قعبان من لبن ... هذى المئاثر لا كأس ولا وتر
كم أظهر الله من عز بدولته ... للدين إذ سامه الباغون وانتذروا
فرب مشهد صدق قد شهدت له ... كرائما فى الوجود ليس تنحصر
ورب يوم أغر قد نصرت به ... منهاج جدك قد شاعت به البشر
ويوم عز به الإسلام يفتخر ... لاحت به فى جبين دهرنا غرر
به تبسم ثغر الملك وابتهجت ... به الخلافة واعتدت بها البشر
وفاق حزب التقى حزب الشقا وبه ... قد اغتدت تضرب الأمثال والعبر

بوقعة دوخت غربا بموقعها | واهتز بالمشرق الأملاك واعتبروا
يوم تحزبت الأحزاب واتفقت | على الفساد وبعد العهد قد غدروا
أولاد فرج وعونات وتابعهم | عليهم. . .(الرحمن) ما ذكروا
دارت عليهم من الأسواء دائرة | وحاق مكرهم بهم لأن مكروا
فأصبحوا قد أباد الله نعمتهم | وحل ساحهم الأحداث والغير
صرعى على الأرض قد حاق المحاق بهم | وقد كساهم ثياب الذلة العفر
ياويحهم عمهم خزى بفانية | وسوف يعروهم من بعدها سقر
فى مأزق تدهش الألباب وقفته | به تواقفت الأجناد واصطبروا
وضاربوا كل قرن دون مهجته | فخلفوهم وهم على الثرى جزر
قد قام فيه خطيب السيف مفتخرا | فى منبر الراح والهيجاء تستعر
روى عن ابن أبى الهيجا وحدثه | أبو الزناد فصح فى الوغى الأثر
رأى الجيوش بها الأرماح ظامئة | فشمروا عن ذيول الحزم واتزروا
وعللوا بالدماء كل عالية | وأورد الخد منها الصارم الذكر
فكم رئيس على الخطى هامته | تبدو وكم بطل فى القب قد أسروا
ولم يزالوا بهم حتى انثنوا هربا | كأنهم فى سباريت الفلا حمر
طارت قلوبهم من بأسهم فرقا | إذا رأى الألف منهم واحدا نفروا
لو كنت شاهد نار الحرب كاشفة | عن ساقها وجنود الله تنتصر
أبصرت بحراً به الأبطال سابحة | كالموج فى اللج لا تبقى ولا تذر
سماؤه النقع والخرصان أنجمها | والوقد برق ورعد بندق مطر

وسـورة الفتح من بعـد القتـال أتت والعـاديات ضحى بالنـصر تفـتخـر
أبلى به الجـيـش والأعـراب مـثلهم والبـربر النصح فى الهيـجاء تعـتبـر
ولست أنكر لـلوصـفـان وقـفـتـهم فى حومـة الحرب والفرسان تشـتجر
جند لعـــمرى أنصـار مـهـــاجـرة لكنهم لصـفـات اللؤم قـد هجـروا
لا يعـرفون سـوى الإقـدام من خلق وليس يـعـروهم فـى شـدة خــور
سـعادة المـلك المنصور قـد ظهـرت به الجيـوش على الأعداء قـد ظهروا
لسـيـدى (عـبـد الرحـمن) مـالكنا مناقب فـى جـبــين الدهر تســتطر
ناهيك من ملك كـالشـمس فى فلك تزهو بـدولتـــه الأقطار والعـــصـــر
ومن يكن من (هشـام) أصل نبـعتـه يســمـو به الملـك والأخطار والقـدر
ما زال فـى حضر يسـمو علـى قدر للرشـد والآن عنـه أسـفـر السـفـر
الواهب الخــود والآلاف منبـــسطا والخـيـل جـردا فـلا مـنٌ ولا كـدر
فى صدره البـحر أو فى بطن راحـته كـلاهمـا طاب مـنه الورد والصـدر
ســر النبـــوءة يـبـــدو فى أســرته ونورها منـه فى الأكـوان مـنتـشــر
إذ دجـا الخطب وانسـدت مـسـالكه فــرأيه فـى ظلام ليـلة قـــمـــر
مـهذب الرأى يستـسقى الغمـام به وتـنـجلـى بسنـا آرائه الغـــيـــر
العـدل سيـرته والنصـر شـيـعـتـه والفـضل شـيـمتـه والحـزم والحـذر
بالحلم مـلتـحف بالـعلم متـــصف بالعـجـز مـعـتـرف بالله مـقـتـدر
رشـيـد أمـر عـلى الأسـرار مـؤتمن للـه منتـــقم بـالله مـنتـــصـــر
قـد صـاحـبـتـه مع الأيـام أربعـة الفـتح والنصـر والتـمـكين والظفـر

وســـاعـــدته مع الرحـــمن أربعـــة ... السـعـد واليمن والـتوفـيق والقـدر

كم من مـشـاهد بالتـمكين شـاهدة ... ومن مـواقف منهـا النصـر ينتـشـر

ومن مـواقع فى الأعـداء قد بهـرت ... سـارت بصورتـها الركـبـان والخبـر

فـسل (غـيـاثة) والأنذال جـيـرتهم ... وسل (دخـيسـة) إذ حلت بهم غيـر

وسلْ (دكـالة) إذ كلت عـقـولهم ... واعـتـادهم من أكـاذيب المنى غـدر

عمـوا وصموا فلم تبـصر بصـيرتهم ... ولم تنبــهــهم الإرشـــاد والنذر

ومن يكن عن سبـيل الرشد ذا حـيد ... فـلا البـصـيـرة تهـديه ولا البـصـر

جنوا فأمـضى الردى فيـهم عزيمـته ... حتى رقـاهم وكم أبدى الشفـا ضرر

ثم اغـتدوا بعـد مـا جنوا جنان ندى ... لولا الصـوارم لم يقـطف لهـا ثمـر

وكم يقـوم حـد السـيف من عـوج ... ويسـتـضىء به البـاغى فـيـعـتـبـر

ولم يزل مـلكه يســمـــو وعـــزته ... تنمـــو ودولـتـــه تعلو وتـنتـــشـــر

قـد أذكرتنا مـغازيه التى اشـتهـرت ... مـغـازيا قصـهـا الأخـبار والسـيـر

وغـير بـدع ظهور السـر فى عـقب ... فــرب مكـرمـــة عليـــاء تدخـــر

قـد يسـر الله مـا تـبـغـيـه من أمل ... وهيـــأ الله مـــا تـهـــوى وتنـتظر

قـاتل بسـعـــدك فـالأيام مـسـعـدة ... وأمـــر بما شـــئت إن الدهر مـــؤتمر

وانصر بسـيفك هذا الدين مـعتصـما ... بالله فــهـــو لأهل الحق ينـتـصـــر

ومن تكن فى سـبـيل الله نهـضـتـه ... يعنو له الصـعب أو يسمـو به الخطر

يا ابن الأكـارم من عـدنان من نزلت ... فى مدحهم مـحكمات الآى والسور

مطهـــرون نـقـــيـــات جـيـــوبهم ... تجـرى الصلاة عـليهم أينـما ذكـروا

من لم يكـن علويا حـين تنسبـه   فـما له فى قـديم الدهر مـفتـخر
قـوم إذا فـخـروا بذوا مـفـاخـرهم   إذ هم قـريش وإذ مـا مـثـلهم بشـر
مـاذا يقـول ذوو الأمـداح فى نفـر   عن مدحهـم تقصر الأشعار والـفقر
وكـيـف أدرك كنه القـول فى ملك   تكل عن وصـفـه الألـبـاب والفكر
خـذها إليك كمـا شـاء الثنا مدحـا   كـالدر فـصله اليـاقـوت والشـذر
فـريدة جـمـعت أسنـى شـمـائلكم   لكنهـا فى بسـيط القـول تختـصـر
هيـفـاء فـى حلل الأمـداح رافلة   فـلا قـصـور يشـيـنهـا ولا قـصـر
تروى عن العـدل ما أمـلاه ناظمهـا   وتنشـر الفـتح إذ تروى وتعـتـذر
شـاد ابن إدريس بالإتقـان كعـبـتهـا   فـحجـهـا نجبـاء الوقت واعـتمـروا
قـد ارتقت فى بنى عـمرو مـناسهـا   فـلا الفـرزدق يحكيـهـا ولا عـمـر
رضـيـعـة بلغت فى سنهـا مـائة   فاعجب لكبرى حبـاها وصفه الصغر
حـوراء عذراء لم تفـضض بكارتهـا   ولا تملـكهـا أنـثى ولا ذكـر
حارت عـقولهم فى وصف نسبتـها   للؤلـؤ نظمـهـا المنسـوق أم زهر
إن قلت در فـحـسن النظم رجحـه   أو قلت زهر فـعرف الحـمد يعتبـر
إن خـدمناك والآمـال ناجـحـة   كم مـن ثواب وعـز منـك ننتـظر
وخلف كـل فـتى منا فـراخ قطا   قـد وجـهـونا إلى عـليـاك وانتظروا
فـهم بعـزك فى نعـمى وعـافـيـة   ولا يفـارقـهم مـاء ولا شـجـر
رضـاك عندى أعلـى مـا نؤمـله   والنفس كـالطفـل للألطاف تعـتبـر
هديتـى لعـلاك الحـمـد أنشـده   والحـمـد أفـضل مـا يروى ويدخـر

وليس يمنع عبد من بلوغ منى ... وأبحر الجود من يمناك تنهمر
إنى لأفعل[1] فى وصفى شمائلكم ... ما ليس يفعله كأس ولا وتر
ختام مدحكم مسك نطيب به ... ونشره فى جميع الكون منتشر
لازلتم لنظام الملك واسطة ... وللمكارم عقدا ليس ينتثر
بجاه جدكم المختار من شرفت ... به الخلائق واختصت به مضر
عليه أزكى صلاة الله ما طلعت ... شمس النهار وما قد شعشع القمر
والآل والصحب والأتباع ما ذكرت ... أهذه الزهر حيتنا أم الزهر

وقوله:

مهور المعالى البيض والأسل السمر ... وأقصى أمانى السيد النهى والأمر
وما العز إلا للجهاد وأهله ... إذا زاغ أهل البغى أو نجم الكفر
وما المجد إلا همة علوية ... لها رتبة من دونها الأنجم الزهر
وفتكة بكر فى العدا تلبس الفتى ... ملابس حمد طرزها الحمد والأجر
وتكسبه حسن المساعى وأن ترى ... له العزمات البيض والنعم الغر
وما العيش إلا أن ترى وسط جحفل ... له كل حين فى سبيل الهدى ذكر
إذا ما غزا ترتاع من بأسه العدا ... ويهتز من أخباره البر والبحر
وإن خفقت فى الأفق راية نصره ... سرى من علاه الرعب فى الناس والذعر
هو البحر والأبطال فى الحرب موجه ... هو الليل والفرسان فى أفقه زهر
يحف بمنصور اللواء مؤيد ... شمائله زهر وأوصافه زهر[2]

(١) فى هامش المطبوع: «صدق ولا سيما هذه الرائية».
(٢) فى هامش المطبوع: «بفتح الزاى»

سرى حزمه فى جيشه وثباته ففى كل قلب من شجاعته قدر
له آية التمكين فى الأرض والعلا له العز والتأييد والفتح والنصر
له من سباع الطير والوحش عسكر يؤازره قد قاده الذيب والنسر
ويقدمه للحرب كل شمرذل حرام عليه فى وطيس الوغى الفر
وأسد على جرد كأن وجوههم - بأفق ظلام النقع - من بشرها فجر
تعاطوا على جرد حميا حمية فرنحهم حب المنية لا السكر
وباعوا نفوسا فى الجهاد نفيسة من الله سيماها التثبت والنصر
وما عمر الإنسان وقت حياته ولكنها الذكر الجميل هو العمر
وما هذه الأيام إلا صحائف لأعمال هذا الخلق فى طيها نشر
وأفضل أعمال الفتى نصرة الهدى وقتل العدا إن الجهاد هو الذخر
ولله فى هذا الوجود خلاصة هداهم(١) لهم فى كل صالحة ذكر
عساكر فتح عود الله رفعها إذا قوبلت يسرى لناصبها الكسر
نحت أرض زمور فأنحت عليهم دواه دواه صبها العسكر المجر
أقام بها الجيش اللهام مرابطا يباكرهم من خيله الفتكة البكر
يساقيهم شهرا كئوس منية فكان وباء فيهم ذلك الشهر
رماهم به المنصور لما تحزبوا ولم ينفع الإنذار فيهم ولا الزجر
فأغزاهم جيش الرسائل قبله طلائعه التذكير والنهى والأمر
فولوا عن الذكرى فرارا كأنهم فرا وكان ملء أسماعهم وقر

(١) فى هامش المطبوع: «بفتح أوله».

ومن شـأنه أن لا يبيح قـبيلة إذا لم تقـدم قبل غـزوتها النذر
ولا تنفع الذكـرى القلوب إذ قست وخامـرها الإعجـاب أو حلها الكـبر
ولا شيء مثل السيف أنفع للعـدا إذا لم تفـد فيـها المواعظ والذكـر
أحـاطت جيـوش المسلمين بأرضـهم وعـمـهم منهـا التسلط والقسـر
تنقب عن غـيب الخبايا فـتهتـدى كان قد هداها الكشف أو عندها السر
وتسـرى سراياهـا فتـغـدو وصنعهـا بفرسـانها التشريد والفتك والأسر
وتخـتطف الأبطال كـل مـدجج لديهـم ولا ينجـيـه كـر ولا فـر
تخط صفـاح البيض فيهم صحـائفا تفيد الهدى قد أشكلت خطها السمر
تعلـمت اللام البـلاغـة فـيـهم فللبـيض والمـران عند اللقـا شـعـر
إذا ما لقوا حـادوا عن الحرب وانثنوا وأجـسـامـهم نظـم وأرؤسـهم نثـر
كـان العـوالى فـوق خطيـة القنا طيـور لهـا أجـسـام أعـدائهم وكـر
كـأن سيـوف الهند شـهب معـدة لرجم شـيـاطين الضـلالة أن تعـروا
تعـصب هامـات العـداة وتارة طلاهم وطورا فـعلهـا القـد والهبـر
قلتـهم بلاد طـالما مـرحـوا بهـا عنادا وأذيال الـضـلالة قـد جـروا
ومـا زال داء البـغى يصـرع أهله ويعتـادهم من شؤمه الهلك والخسر
قد استنسـرت فيهم بغاث فأصـبحوا وقـد خـانهم منهـا المناسـر والظفـر
وغـرهم الإمـهـال فـازداد بغـيـهم وقـادهم الإعـجـاب للهلك والغـدر
وقـد منعـوا مـا أوجب الـله عندهم من الحق واستعصـوا جهارا وما بروا
وآووا فـريق المحـدثين وأحـدثوا بدائع لـلشـرع العـزيـز بهـا نكر

فلا أمن فيهم للسبيل وأهله ... ولا عرف إلا وهو عندهم نكر
إذا ما دعا داعى الفساد هفوا له ... وإن سمعوا داعى الصلاح دعا فروا
عموا عن سبيل الرشد وابتغوا الهوى ... وغرهم الشيطان والنفس فاغتروا
وأطغاهم طيب البلاد التى بها ... زكا الكسب والأولاد والغرس والبذر
ومن لم يقيد نعمة الله عنده ... بشكر فقد أودى بنعمته النكر
ومن عاند المنصور أصبح طعمة ... لأسيافه أو ساقه للردى القبر
فكم حاولوا من مكرهم رد بأسه ... فعاد عليهم بالردى ذلك المكر
وكم طلبوا نيل التكافؤ فى الوغى ... وهل يتساوى الصعو فى الفتك والصقر
وراموا التدانى فى المراتب ضلة ... وهل يتساوى التبر فى السوم والصفر
غدوا جزرا للمرهفات وطعمة ... تجاذبها وحش المهامه والطير
وضاق بهم من شؤمهم واسع الفضا ... وأصبح عرض الأرض وهو لهم شبر
وعقبى ذوى البغى العقاب وإنه ... ليزداد عظما كلما عظم الوزر
إذا أمة طال الصغار كبارها ... فإن قصاراها التذلل والصغر
ويضفو رداء الصون والحفظ بالتقى ... ويكشف بالعصيان عن أهله الستر
فقد طاولتهم بالحصار كتائب ... غزاهم بذاك الوعر من أجلها الذغر
ووافتهم فيه عساكر نقمة ... من الله والاها التضايق والحصر
تألف منها الجوع والضر والظما ... وأهلكهم فيها الترحل والحر
وما زالت الركبان تنسف زرعهم ... ويبدو لهم من كل خافية أمر
إلى أن غدت صفر إيبابا وأصبحت ... وعامرها من كل ما جمعوا غمر

وعم الردى أمـوالـهم وعـيـالهم وقد كـاد يستولى على الجـملة الضر
وجـاوزت الحـد العـقـوبة فـيـهم وعـمـهم مما عـرا الحـادث النكر
وجـاءوا عـلى حـال انكسـار وذلة يقـودهم عـظم العـقـوبة والجـبـر
ويقـدمـهم وصـف اعـتـراف وتوبة شفيعهم الصبـيان والشيب والخمر(١)
يضـجـون بالبـقيـا عليـهم ومـالهم إذا عـوتبـوا إلا الـتنصل والعـذر
فـرق أمـيـر المؤمنين لحـالهم وعـاد بحـلم أنه الراحـم البـر
عـفـا عنهـم مـولاهم عـفـو قـدرة وقـابلهم من فـضله الصـفح والبـر
وأبقى علـيـهم رحـمـة وذخـيـرة لصـالحـة ترجـى ونائلة تـعـرو
وراعى لهم فـضـلا سوابـق حرمـة أحـاديثـهـا فى كل حـين لهـا نشـر
وأرغم أنف الكفـر إذ فى هلاكـهم لشـوكـتـهم عن أن تنالهـم كـسـر
وأيقن أن النـصـر نعـمى هنيـئـة وأن ارتكاب العـفـو عنهم هو الشكر
وعـاد عليـهـم بالذى هو أهـله من العـفو والتـأمين فـارتفع العسـر
وعادوا بـأسباب الـنجاة فـأصبـحوا على نهجـها قد صـدق الخبر الخـبر
وما عن رضـا منها عـصيـة أسلمت ولكنهـا قـد قـادها للهـدى القـهـر
ولو عوقـبوا عدلا على قدر جـرمهم لأ خنى على دهمـائهم بالردى الدهر
ولكنـمـا المنـصـور فى الحـلم آية إذا جـهل الأقـوام أو عـظم الوزر
توارثـه عن كـابر بعـد كـابر وزاد فـزاد الحـمـد وارتفع الـقـدر
كـذا فليس أهل الريـاسـة ملـكهم فـهذى المعـالى المستـفيـضة والذكـر

---

(١) فى هامش المطبوع: «بضم الخاء».

تقـدم فى تخليـد كل فـضـيلة فـقل لملوك الأرض هذا هو الفـخـر

فـقـد نصـر الرحـمن بالحق عـبـده وحـاق بأهل الباطل الشـؤم والختـر

إمـام إذا قـابـلت غـرة وجـهـه يقـابلك الإقـبـال واليـمن والبـشـر

وإن نلت منه القرب أو فـزت بالرضا تدانت لك الآمـال وانشـرح الصـدر

وإن ذكـرت أوصـافـه بين مـعـشـر تـألق مـنه الـنور أو سـطع الـعطـر

ويحـتـقـر السـبع الزواخـر جـوده إذا ذكـرت يومـا أناملـه العـشـر

هو الفـرد أشـتـات المكـارم جـامع فـمـا فـاته منهـا عـوان ولا بكر

تدرع مـن صـدق التـوكل جـنة تدانت بهـا الآمـال وارتفع الـقـدر

وقـام بنـصـر الحق بالحق فـاعـتلى به ركن هذا الدين واعـتـصم الثغـر

ولم تلـهـه عن لـذة العلم إمـرة ولا عن طلاب المجد خـود ولا قصر

يقـاتل عنه سـعـده زمـر الـعـدا ويفعـل ما لا يفعـل البيض والسـمر

فـدولـتـه أمـن وأيامـه هـنا وسـاعـاته زهر وأوقـاتـه غـر

من النفـر الغـر الجـحـاجح من لهم مـراتب عـز دونها الشـمس والبـدر

بنى المصطـفى أحـفـاده أهل بيـتـه ومن لهم فى الفضل والشرف الصدر

لآل علـى فى الوجـود مـآثر على صفـحات الدهر من آيهـا سطر

هم القـوم كل القـوم أمـا جـنابهم فـرحب وأمـا جـارهم فلـه خطر

وهم فى اقـتناء الـعلم والحلم قـدوة إذا خـفت الأحـلام أو عظم الأمـر

إذا وعـدوا وفـوا وإن قدروا عـفـوا وإن سـئلوا أعطوا وإن عـاهدوا بروا

وإن مدحـوا أغنوا وإن نوزعوا سطوا وإن أنعموا أضفـوا وإن عطفوا سروا

إلى ابن هشـام انتهى إرث مـجدهم ... ومنه سـرى فى كل مكـرمـة سـر
ولا بدع فى أن يـعلو الفـرع أصله ... إذا مـا زكت منه المـغـارس والنجـر
هنيـئـا أمـيـر المـؤمنين بغـزوة ... تضعـضع منها الشرك والجبـر الكسر
وبشـرى بفـتح طبق الأرض ذكـره ... به اشـتد ركن الدين وارتفع الإصـر
وخـذها أمـيـر المـؤمنين خـريدة ... تروق ومـا غـير القـبـول لهـا مهـر
كـسـاها ثناك الحـر حلة سـعـده ... فـأشرق منهـا الجـيد بالحلى والنحـر
يفـوق فـريد الدر حـسن ثنائـهـا ... وينفح من أنفـاسهـا العنبـر الشحـر
هو الشـعـر يرتاح الكريـم لشـدوه ... ويطرب مـن إنشـاده المـاجـد الحـر
ويهـتـز ذو الطبـع الشـريف لمدحـه ... كما اهتز تحت البـارح الغصن النضر
وما السـحر إلا الشـعر أحكم نظـمه ... وناهيك من سـحـر به نفث الشـعـر
تتـيـه نحـور الحـور زهوا بعـقـده ... وتسـتبـشـر العليا ويبـتـهج العصـر
بقـيـت لهـذا الدين تحـمى ذمـاره ... ودام لك التـمكين والفـتح والنصـر
بجـاه رسـول اللـه جـدك من به ... سـمت ملة التوحـيد واتضع الكفـر
عليـه صـلاة الـله ثم سـلامـه ... وآله والأصـحـاب مـا عـبق النشـر
ومـا قـام نادى البـشـارة مـنشـد: ... مهـور المعالى البيض والأسل السـمر

ونقلت من خط العـلامة الأديب، حامل لواء التـرسيل والقريض، سـيدى الطالب ابن الحـاج السلمى المرداسى ما لفظه: لشـيخنا العلامـة القاضى بحـضرة مراكش أبى عبد الله محمد التهامى بن حمادى بن عبد الواحد الحمادى المكناسى:

زفت لربعك والسعود مهورها ووفت مقلدة الفتوح نحورها
يفتر عارضها عن اليمن الذى ظفرت به يمناه حيث ظهورها
عذراء تأبى أن ترام فلا الوفا يخطو إليها ولا الوداد يزورها
ضربت على قنن الهضاب قبابها وعلت على شم الجبال قصورها
كم غادرت من مغرم بوصالها رهن الحمام وما يقاد كسيرها
فاغنم مطارحة الخريدة برهة فلطالما أغرى الغرام نفورها
وارشف لما ماء الملام هنيئة يا حسن ما أملى لسمعك زورها
اهنأ ببشرى قابلت إقبالها فيها لأنفاس النفوس نشورها
كان الزمان قبيلها فى خجلة حتى سرى مسرى النسيم بشيرها
أكرم بها عتبى تجافى عندها ليل الكآبة واستطال سرورها
لو أنها بزغت بطرة دجية شابت غدائرها ودام سفورها
أهدت لأهل الدين كل مسرة وعدا على فئة العداء فجورها
قوم قد اعتادوا الشهادة جنة ونأت عن الطرق القويمة دورها
من آل عطة أسرة ما سامها كرم ولا هم فى الرجال صدورها
الغدر أكبر شيمة فخروا به سيان فيه صغيرها وكبيرها
بحضيض كل الملئمات ورودها وعن المكارم والمعال صدورها
إن يسمعوا داعى الفضائل أحجموا وإذا دعوا لرذيلة فهصورها
اتخذوا المحارم واجبا لو يعرفوا ما الواجبات وما تكون أجورها
ورثوا المناكر فاجرا عن فاجر والعرف لم تعرف حلاه صدورها

خلف قــفـــا خلـفـا وأنــى ترتجى | لهم النـجـابة واللعــين ظهـيــرها
جـعلوا بنـى الزهراء ســادات الورى | من هم شـــمـوس والـكرام بدورها
آل الرســـول المجــتـبـى وأجل من | كـشفت إليـه من السـمــاء ستـورها
غـرضــا ولو أن الخـوارج أنصـفــوا | مــا كــان إلا على الجـباه مـسـيـرها
فـاعــجب لأقــمار الهـدى منقـضـة | وغــدا بأقطــار البـسـيط عــبـورها
وعــهـدتــهـا بمبـانى أفــلاك العـلا | العـــز يكلأُ والمجـــادة ســـورها
ياويح قـــوم حـــاربوا من جـــهلهم | ربًّا إليـــه مـــآلهـــا ومـصـــيــرها
شنوا عـلى أولى الرســـالة غـــارة | شـعـواء عـاد على الرعـاع ثبـورها
خـالوا حـمى ذاك الجناب مـضامـة | وتوثقـــوا أن لا عـــزيز يجـيـــرها
فـاستـعـملوا مـا فيـه تمحيص لمن | بوجـودهـم أمن العـبـاد وخـيـرها
أملى لــهم مــولـى له فى خلـقـــه | أســــرار أحكام يشـــذ خـبـيــرها
فـرمت سهـام الفـتك فى سرواتهـا | حـتـى تناهى بغـيــهــا وشـــرورها
فـأتت إليـــه الصــافنات ســـوابحـا | تخـتـال والفـتح المـبـين سـفـيـرها
من فـتـيـة قد بيتـوا فـعل الهـدى | حـــمـدته آصـــال المســـا وبكورها
وأثارهـم بكفـــاح أعـــداء الورى | رحم النبى ومـــا حـواه ضـمـيـرها
فـتزاحـفـوا لبنى اللقـيطة واستـووا | بهم ومـــا نفع اللئـــام غـــرورها
غص العـــداة بثـــائر من عـــشيـــر | فـسـقـوا المنيـة والـسـيـوف تديرها
وعـــــزيمـــــة عـلوية علـوية | هبت عليـــهم من رباها عـبـيـرها
من كل قـــسورة الوغى مـســتلئم | قـد حنكتـه من الحـروب سعـيـرها

فـــتـراه يعــجم تارة حـــرف الكلا
متـشــابهــان ظهــورها وبــطونهــا

وبمرهف الصــمصــام أخرى مـشكلا
صـفحـات ما حـبل الوريد سطورها

قـــد غـادروا أشــلاءها تعلو بهـــا
عـــقـــبـان كـل ثنيـــة ونســـورها

لله فـــتـــيـــة نصــرة لجـناب من
خـــيـر البـــرية والإله نـصيـــرها

باعـوا النفـوس وإن غلت أثمـانهـا
من ربــهم لهـم الجنان وحـــــورها

ولهـم أجل مـكانـة من مــــالك
زان الخـلافـة واسـتــقـام سـريرها

ملك له الـسلف الذى طال الســمـا
وعـلا لعـزة. . . . . مـنيـرها

فـــروى المجـادة كـابرا عن كـابر
سندا صـحـيـحـا عـاليـا مـأثورها

ملـك له فى المـكرمــــات رواسخ
إن هز رضـوى فى الثـرى وثبـيـرها

ملـك إذا باع الملـوك كـــريـمـــة
فـهـو الحـقـيق بالابتـيـاع جـديرها

مـلـك يـود المزن يـمـنـاه الـتـى
جـادت سحـائبهـا وفاض بحـورها

مـا إن تحـــاكـيـه الســحـاب وإنما
تبكى المـدامع إذ عـراها قـــصـورها

هانت عليـه مـحـاسن الدنيـا فـمـا
يرضـيــه منهـا مـديـدها وخطيـرها

لو أن أمـــواج الـبــحـــار بكـفــه
أمــست وهن من العـطاء نهـــورها

يهـدى لوجـه الـصبح عـند نواله
مــا ليـس تمنحــه ذكـــاء ونورها

ملـك له بـعـــداه كـم من سـطوة
صـعـقت لهـيبتـه الكمـاة وطورها

تخـشى وقـائعــه وهبـهـا كـاثرت
. . . اللوى وذرى السحاب جسورها

لولا توقـع حلمــه لتــصـــدعت
فـرقا وصـار إلى المشيب صـغيـرها

نام الأنـام بظل كــــهف أمـــانه
واعـتـــاد دولتــه الهنا وحـبـــورها

أيامـــه أعـــيـــاد أيـام الألى ســاسوا وإن عـدلوا وطال عصـورها
أحـيـا مـعـالم للعلوم فـأصـبـحت وقـد استـقل فى الوجـود سـديرها
وتولـدت عن بـذل وبل يمـــيـنه آداب عـــز نظيـمـــهـــا ونثـيـــرها
إن المفـــاخـر والمحـــامـد والتـــقى وذرى المعـالى نديمـهـا وسمـيـرها
من مـبلغ صدر الخـلائف ما انتـهى لكمـــالـه هذا الإمـــام أخـيـــرها
لـك يـا (أبـا زيد) المـآثـر جـل أن تحـــصى وعـز فـى الملوك نظيـرها
يغـتـال البـاب الرجـال سمـاعـهـا مـا غالهـا عند الشـراب عـصيـرها
فـــخـــرا لدولتك الـسنيـــة دائمـــا إذ أنت يا فـــرد الملوك أمـيـــرها
ولهـا البـشـارة بـالسـعـادة إذ همى أصل الغـيـوث بهـا وفـاض نميـرها
وإليك يا فـخـر المـلوك أضـفـتـهـا غـيداء من فلـك الصدور صـدورها
قـصرت وطال حـيـاؤها إن لـم تكن بذرى البـيـان وبان مـنه ضـمـورها
وأتت بنـزر من حـــلاك ومن لهـــا أنى يقـــاس بـالبـــحـــار غـــديرها
لكنـهـــا تزهو بأكـــبـــر نسـبـــة لك والقـــبـول لما أتتــه غـفــورها
دامت تهـاديك الـبـحـور قـوافـيـا تمتـــار ســيــبك والأكف تميـــرها
وعلى عـــلا ذك الجناب تحـــيـــة يزرى بأنـفـــاس الرياض عطـيـــرها
مـا قـال منشـدها بـأكـمل مـجلس زفت لربعـك والسـعـود مـهـورها

قلت: وهذه القـصيدة أنشـئت بمناسبة انتـصار المترجم على الفئـة الباغـية العطاوبة الشـهيرة واجـتثات سـيوف عدله جـراثيم فسادهـا، وإرضاخ صناديدها، للطاعة قهرا، وذلك عـام واحد وسبعين بتقديم السـين على الموحدة تحت ومائتين وألف.

وقال العلامة الشيخ الطالب بن حمدون بن الحاج:

إلـيك وإلا لا تـزف خـــــريـدة ... وفـيك وإلا ليس يستـعـذب الشعـر
وفضلك لا فـضل الثريا علـى الثرى ... ووجهك لا الـشمس المنيـرة لا البدر
نظمـت لآل المجـد بـعـد انـدثارها ... وليس لـعـقــد أنت ناظمـــه نثـر
وقلـدت أهل الـعلم در نـفـــائس ... بهــا لم يقلد من مـهـفـهـفـة نحـر
وأخلصت فى طـاعـات ربك مـوقنا ... فطاعك كـل الخلق والبـر والبـــحـر
رقـا بك سعـد الدين فى عـلا منزل ... مـراقى مـجـد دونهـا الفلك والزهر
فصـرت (محـصل المقاصـد) والعلا ... يهـــيم بـتطريز المـديح لك الفـكر
فــمـــا أنت إلا منحــــة علـوية ... بنا خـصـصت ممن له الخلق والأمـر
أمـيـن ومـأمـون رشـيـد مظـفـر ... ومـعـــتـصـم بالله دام لك النـصـر
بمنتـــخب مـن آل بيت الرســول لا ... بمنتـخب من آل عـبـاس ذا الفـخـر
على أبى الأشـــراف ينبـــوع كـــوثر ... وبيت مـن العلم الغـــزيـر ولا نكر
وبـيـت ولايـة من المـلـك ظـاهـرا ... ومن كان ذا تـقوى يلين له الصـخر
وبـيـت ولايـة مـن الملـك بـاطـنـا ... ولله فـيـمـا اختـار من خلقـه سـر
سـجلماسـة طابت وفاحت شـذا به ... وأنبـت واديهـــــا ونم بـه الزهـر
ولم تـزل الأنوار لائحــــة بهــــا ... إلى أن قـضى والدين أفنانه خـضـر
وخلـف أقــمـــار تلوح لأعــــين ... أمـان لأهل الأرض دام لهـم فـخـر
صــــــدور أهـلـة بـدور أجلة ... غـيـوث ليـوث لا يفـل لهم فـخـر
ومـا المـلك إلا مـا حـــووه ومن له ... كـملك (أبى زيد) به اتضح الفـجـر

مليك حوى كل المفاخر والعلا فلم تشتمل شام عليه ولا مصر
مليك حباه الله كشف حقائق فلم يطلع زيد عليها ولا عمرو
مليك على الملك جر ذيوله ولكن به الملك استبان له الفخر
مليك له رعب يسير بسيره مسيرته ريح رخاء أو الشهر
ومنه أسود الغاب تنفض هيبة كما انتفض العصفور بلله القطر
(وآية عطا) لما أطغت وأفسدت وجارت على آل الرسول وقد سروا
أصيبوا برعب من جلال إمامنا فقاتلهم عرب وتجنيسهم سر
وقد صب من فوق جيوش عليهم ولم ينجهم من بأس وقعته وعر
وأظلمت الدنيا عليهم بأسرها وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر
وضاق عليهم غورها ونجودها كأن جميع الأرض مقدارها شبر
فذوقوا العذاب اليوم ياشر بربر ففى مثل هذا اليوم لا كر ولا فر
ونسوتكم يبكينكم بتحسر ولا مثل خنسا قد نعى لها صخر
أمولاى إن الله أعطاك حكمة فصل له وانحر لشانئك البتر
فلا زلت تاج لعصر فى مفرق العلا وما لحت إلا قيل طال لك العمر

فى ٨ شوال عام ١٢٤٢» من خطه فى كناشته مباشرة.

وقال محمد بن محمد بن سيدى عبد الله العلوى الحسنى الشنقيطى لما قدم إلى المغرب يريد الحج يمدح السلطان المترجم:

هل فى بـكا نازح الأوطان مـن باس أم هل لداء رهـين الشـوق من آس

أم هل مـعين يعـين المستهـام على ليل كـواكـبـه شـدت بأمـراس

آه لمغـتـرب فى الغـرب لـيس له جنس وإن كـان مـحـفـوظا بأجناس

أقـول والركب مـحـزون بوحـشـتنا صـبراً فكم وحـشة أفـضت لإيناس

إذا وضـعـنا بأرض الغـرب أرحلنا راح الرجـاء عـلينا طـارد اليـاس

عل الإمـام بفـضل اللـه يمنحـه رحـمى فـيكشف غم الآسف الآس

إنى كـفـيل بنيـل السؤل لى ولكم إمـا بمراكش المحـروس أو فـاس

إمـامنا فى كـلا المـصـرين نورهمـا إمـامنا المسـتـمـاح المطـعم الكاسى

خليـفة المـصطفى وهو ابن بضـعتـه ثوب من المجـد لم يعلـق بأدناس

فـضـيلة لبنـى مـروان مـا سلفت ولا الخـلائف أبنـاء ابن عـبـاس

وسـيلة الناس فـى نيل الوصـول لمن هو الـوسـيـلة بيـن الله والـناس

ضـمـان غـرم عليـه أن يروح به حلف الثراء من أمـسى حلف إفلاس

مـولاى لا بـرحت أيام دولتـك الـ ـغـراء أيام أعـيـاد وأعـراس

الله مـنك حـقـوق الناس قـلدها يقظـان لا غـافل عنـهـا ولا ناس

عمرت عـمرت من عهد الشـريعة ما باض الـنعـام بدور مـنه أدراس

داركـتهـا بعـد ما مـالت دعـائمهـا فاسـتحكمت واطمأنت فـوق آساس

وافـاك ركب تعـاطوا من نعـاسـهم على مـتـون المطايا قـهـوة الكاس

حـتـوا جلاس المـطايا لا يرون على منابر المـيس عنهـا غـيـر جـلاس

طواهم طى مـا تـطوى وضـرسـهم طول السـفـار بأنيـاب وأضـراس

دعـاهم شوق أرض الهـاشـمى إلى … حمل الـنفوس على الضـراء والباس

فـواسنا بلقـا مـا اعتـيـد منك ومـا … فــضـل المقـالة إلا قــولنا واس

وحـقـق الظن منا أن ســتـحــملنا … على مـجـوفــة الحـيـزوم كـالراس

لهـا دخـان حريـق الغاب أزعـجـه … مــر الجنوب بأنفــاس فــأنفــاس

واسـمح لـنا بدعـاء منك صــالحـه … بيـمنه يسـهل المسـتصـعب القـاسى

لولاك ما طاف من طافوا أو اقـتبسوا … من نور طيـبـة من فـاروا بمقـبـاس

هذا ومــــدحك لا يأتـى به قـلم … يلقى مـجـاجـتـه فى بطن قـرطاس

هل هو إلا ركـام المزن أو كـحـصى … مـركومـة من لوى يبـرين مـيعـاس

لازلت لا زلت يا ركن الـعـدالة من … جـيش العناية مـحـروسـا بحـراس

ولا عــدتك صــلاة اللـه كــاملة … من خص بالفضـل من أبناء (إلياس)

وله أيضا يمدحه:

ألمت بـنا أهلا بـهـــا أم ســـالم … على بـابهــا أم تلك أحـــلام نائم

ألمت بنا وهـنا وقـد ضـرب الـدجـا … علينا خــبـاء فى مـتــيـه المخـارم

ألمت بشــعث فى الفـلاة تـوسـدوا … مـرافق خـوص كـالسـهـام سـواهم

ألمت وقـد مس الوجى دون أرضهـا … خفـاف خفـاف الراقصـات الرواسم

نضـونا على أنضـائـهـا من عـزيمنا … صـوارم أمضى من شـفار الصـوارم

وجـبنا عليـها مـهـما بعـد مـهمـه … إلى (ابن هشـام) كى نزور (ابن هاشم)

إلـى أن أنخـناهـا لـديه ولـم نكـن … كمن عـاقه عن ذاك ضـعف العزائم

عــهــدنا إليـه نـرتجى أن نرى الذى … تخـلف عنـا قــارعــا سـن نادم

خليفة مصباح الهدى وحفيده ومحيي عافى ربعه المتقادم
غيور على بيضاء سنته التى أبيحت لها لولاه كل المحارم
حماها حماه الله أن يستبيحها من أعدائها دهم الدواهى الدواهم
فكم غض عنها طرف من رام طرفها بغض وكم قد كف من كف ظالم
أنام عيون الناس تحت عدالة وقت رجل سارى الليل لدغ الأراقم
فأصبح ثغر الأرض سوقا وأصبحت مآسدها مرعى المخاض السوائم
غدا وافرا عرضا ودينا وماله يقسمه العافون قسم الغنائم
مليم لإفراط النوال ولم تكن كمن عاقه عن ذاك ضعف العزائم
أمولاى لازالت مدى الدهر منكم حصون المعالى عاليات المعالم
ولا برح التقبيل شغل أكفكم وأقدامكم تحذى أديم الجماجم
تعاظمنا هول الطريق ومنكم عظام اللهى تعتاد دفع العظائم
وثقنا برى حين أمت ظماؤنا موارد طامى بحرك المتلاطم
وبشرنا أن سوف تأتى ركابنا أبا فاطم إنا أتينا ابن فاطم
على جده فى كل بد ومختتم مباد صلاة مالها من مخاتم

وله فى بعض رجال دولة المترجم وهو ابن أبى ستة، وبعض الناس يقول: إنها فى غيره، وهو يريد منه التوسط بينه وبين السلطان مولاى عبد الرحمن بن هشام:

أثار من التذكر ما أثارا خيال من أميمة حين زارا
سرى بعد الهدو فما أعيرت قلوب العاشقين كما أعارا

وكم بعث الخيال لذى انتزاح نزرعا للأحبة وادكارا
ألا زارت أميمة إن فى ذا لأرباب البصائر لا اعتبارا
أتسمح إن تزور بجنح ليل وقد حمت المزار ولو نهارا
ومن عاداتها لم تخط إلا إلى أدنى البيوت خطى قصارا
طوت أجواز كل فسيح خرق ولا طى المهار ولا المهارى
ألا أهلا بها ولو استحالت على قرب زيارتها ازورارا
لئن أنأى أميمة ما اعتسفنا رواحا بالنجائب وابتكارا
فقد أدنت مبارات المطايا نوافخ فى البرا من لا يبارى
أزارتنا الفقيه فأنصفتنا من أيدى النأى إذ مطل المزارا
وغادر طيها نشر الموامى إليه طى حاجتنا انتشارا
قد أبدى الدهر إذا أهدى إلينا لقاه من إساءته اعتذارا
إلى مثل ابن أحمد فليسافر أخو العزمات أو يدع السفارا
همام سل صارمه ليحمى من الحق الحقيقة والذمارا
أبى نور الهداية من لديه لمحيار الضلالة أن يحارا
أدار على الشريعة منه حصنا حصينا أن تضام وأن تضارا
وشيد للحقيقة من زوايا تعاط الذكر أرفعها منارا
له خلق يدير مدى الليالى عليها من معارفه عقارا
أشقاء المحبة قد أقاموا شعائر دين ربهم شعارا
سرى لمحمد فى الأرض حمد يسير به المسافر حيث سارا

حكمنا فيه بالخبر امتداحا إلى أن أصبح الخبر اختبارا
فأبصرنا شواهد ما سمعنا كمفتوق الصباح إذا استطارا
أمتخذ الهدى خذها هديا بدت فى زى فارهة العزارى
تغض الطرف من خجل وتدنى عليها من مهابتك الخمارا
أسيدنا النبيه ومن تحلى بما فضح الجواهر والنضارا
نتيجة فكرتى وثمار ذهنى نتيجتها أن أجتنى الثمارا
قد أكسبها فخارك حين زفت إليك على نظائرها فخارا
مدحتك أستجير بها ويرجو جزيل الخير من مدح الخيارا
ودارك بالنجاة ذماء غرقى قد اقتحموا بما اقتحموا بحارا
أطاعوا أمر غيهم ولجوا غرورا فى عمايتهم سكارى
فإنهم وإن شطت نواهم لجارك فارع حق من استجارا
رعاك الله من راع نصيح رعاية من قد أودع واستعارا
وبارك فيك ربك من خديم قد أحسن فى أوامره ائتمارا

وقال أيضا لما وصل مراكش ونزل عند المذكور فلم يبلغ خبره إلى السلطان:

هل حامل أسنى السلام كله لحامل الملك وعبئى كله
ومتولى عقده وحله وواضع الأمر على محله
من لا يجود زمن بشكله ولا يرى عدل عديل عدله
من شاء ذكر فضله وعدله إلى مضاء نبله ونبله
مأوى الغريب ومحط رحله وملتقى نزوله ونزله

قضى له الله بجمع شمله ... ووطء من خالفه بنعله

ودام خفض العيش تحت ظله ... وعز الإسلام وعز أهله

موجبه لازال فوق سؤله ... ما يرتجى سائله من بذله

إنا نرجى من جميل فعله ... ما ترتجى أمثالنا من مثله

وقد سعى له بعد ذلك فى الحضور بين يدى السلطان، فأنشده قصيدتيه السينية والميمية المتقدمتين، فقال له: هاتان أحسن من المعلقات، وأجازه بجائزة حسنة، وأمر عامل طنجة بتوجيهه ومن معه للحج ففعل، وقد مات بين جدة ومكة بعد حجه، ولما كان فى السياق قال معزيا رفاقه:

نجب الليالى بالبرية تعنق ... نحو المنون فسابقون ولحق

من أخطأته إلى سواه سهامها ... فله تراش سهامها وتفوق

وقال الوزير ابن إدريس المتقدم ذكره من مولدية:

حيى منازل من أهوى وأحياها ... هفافة كفتيق المسك رياها

وجادها الغيث تمريه شمائله ... على العقيق إلى أعلى مصلاها

إلى اللوى ثم ذى سلع فكاظمة ... فرامة فالكثيب الفرد سقياها

تزجى البروق على ابن ركائبها ... تعم بالرى أدناها وأقصاها

والرعد مثل هدير الأرحبى إذا ... أتت أوائلها يستاق أخراها

فحل فى عقدات الجزع حبوته ... فأفعم الشعب والجزعاء أمواها

وفجرت فى مذينب مذانبه ... وسال مهزور مذحورا بمجراها

حتى تمج نطاق الرى طافحة ... تلك العراص اللواتى حول بطحاها

وتغــتــدى غب ذاك النوء لابســة أفــواف زهر يكل الـطرف مــرآها
يا جــيــرة نزلوا أكناف كــاظمــة تهنـيكم الدار دار نعم عــقــبــاها
دار تبــوأها المختــار من مــضــر واختــار دون جمـيع الأرض سكناها
دعــا وبرك فــيــهــا ثم حــرمــهــا وطيـبــة كــان يدعــوها وســمــاها
فــيهــا تشعــشع نور الحق وانفتــحت مــغــالق الــرحــمــة العظمى فنلناها
ما أومضت نحـوها فى الدجن بارقة إلا وشب ضــرام الشــوق ذكــراها
وراح فــى قــلــق قلــبــى وفــى أرق طرفى يحــاكى نجــو ما بات يرعــاها
شــوقــا إلى روضــة حل الـنبى بهــا يجنى بهــا الوافـدون العــز والجـاها
حــيث الرسالة قــد لاحت مطالعهــا حــيــث النبــوءة أعــلى الله مــبناها
حــيث الجلالة قــد ألقت مــراسيهــا حــيث السيــادة قــد راقت سجــاياها
حيــث السعــادة قد مــدت شوارقــها على الوجــود حــيث المجــد والاها
هنالك الــوحى روح القــدس بلــغــه لخــيــرة الرسل أزكــاها وأوفــاها
روح الوجــود حيــاة الكون رحــمتــه ســر الخليــقـــة أولاها وأخـــراها
ذاك الذى بشــرت كــتب الســمــاء به من قــبل مبـعـثه يا حــسن بشــراها
وألزم الــله كل الرســل طاعـــتـــه وعاهدت حــين أخذ الإصــر مولاها
حــتى إذا ظهـــرت للـكون غــرته فى ليـلة مـــا عـــرفنا اللـه لولاها
فى ليـلة المولد الميــمـــون طالعـــه على الــبــرية أخـــراها ودنيـــاها
فــأبصـــر الناس نورا يســتــضــاء به من بعــد مــا طبــق الآفــاق ظلمــاها
وأصــبح الدين قــد قــامت دعــائمــه ودعــا أعلى مبــانى الكفــر سفــلاها

وخر ما حول بيت الله من صنم وضل من أمم الطاغوت مسعاها
كذلك الشهب فى ميلاده نزلت تود أن الثرى قد كان مثواها
يا خاتم الأنبياء وهو أولهم يا حاشر الأمم الماحى خطاياها
يا من له انشق بدر التم معجزة وانشق من فارس إيوان كسراها
وغاض بحر فغاظ أهله حزنا لما بدا نوره والنار أطفاها
يا من له ليلة الإسراء مرتبة علياء فوق نطاق العرش يرقاها
أن يمنع الكفر أهل الكفر من حسد شهادة الحق أن يشدوا بمعناها
فقد أقرت لك الأحجار مفصحة ما احتجن فى ذلك الإقرار أفواها
يا سيدا ما حكاه فى محامده مقرب ذو مكانة ولا ضاها
أنت الذى خلق الله الوجود له من نوره وبك الأملاك قد باهى
فمن جمالك جنات النعيم بدا ومن جلالك نار الخلد أبداها
أنت الذى شرفات العرش قد شرفت لما بدا اسمك مكتوبا بأعلاها
لك اللواء لواء الحمد ترفعه لك الوسيلة تعطاها فترضاها
حاشا مزاياك يدرى المادحون لها قدرا ويدركها الإحصاء حاشاها
مولاى والخير يرجى من معادنه وأنت أجدى الورى كفا وأنداها
وقد مدحناك والأمداح ذمتنا حاشاك يا سيد الأرسال تنساها
إنا لنرجوك للدنيا وضرتها حاشا يمينك ترجى من ترجاها
نشكو إليك بأحوال مروعة نشكو إليك من الأيام أسواها
نشكو إليك جسوما دأبها كسل قد غالها العرض الفانى وألهاها

نشكو إليك قلوبا حشوها ظلم ... تحكى من الحجر الصفوان أقساها

فامنن علينا بأمن يا ابن آمنة ... من كل نائبة فى الدهر نخشاها

واعطف على ابنك ظل الله عصمته ... أسمى الملوك (أبى زيد) وأسناها

فما له يا عظيم الجود معتمد ... إلا لحضرة عز منك والاها

فابعث إليه جنود النصر تصحبه ... حتى يزيل من الأوغاد طغواها

واجعل يمينك ذات اليمن صارفة ... عنه الصروف فلا ينفك يكفاها

فالدين دينك أضحى فى كفالته ... يذود عنه العدا دأبا ويلقاها

والناس قد ضربوا للعدل فى عطن ... من حسن سيرته المورود سقياها

ولم تزل ملة الإسلام فى كنف ... عالى الذّرا من علاه فيه منجاها

أنامها فى مهاد من سياسته ... على أرائك للإحسان تهواها

وشردت كل باغ الزيغ صولته ... فأصبحوا للنعام الربد أشباها

أولى فللسيف أو للسبى غايتها ... لا أسعد الله قتلاها وأسراها

ما زال يركض فى آثار أسرته ... يحمى مآثرهم حتى تعداها

فما تهيب بحر الهول يركبه ... ولا تجنب نار الحرب يصلاها

ولا استراحت وقد نالت له همم ... مداركا كان فوق النجم أدناها

يا بن الأُلى زان قطر الغرب دولتهم ... فأصبح الشرق صبا فى مزاياها

يكفى ملوك الورى فخراً ومنقبة ... أنا نعدك منها إن عددناها

والدر يحسبه العداد من حجر ... هيهات أين ثراها من ثرياها

علمت دهرك ما قد حزت من شيم ... فصار من ذلك التعليم تياها

ما أنت يا (بـن هشام) غيـر معـجزة ... جل الذى من صـفـاء النور أنشـاها
مــا أنت إلا جـمـــال الله أظهـــره ... ونعــــمـــة لجـمـــيع النـاس أهداها
تهنيك ذى الليلة الغـراء تشـهـدها ... وغـــرة مـنك يهنيـنا شــهـــــدناها
وليـهنك الموسم الـبـاهى تفـيض به ... مـواهبًا منك صـوب القطر حاكـاها
لازلت فى دولة لـلسعـــد مـــذعنة ... لهـــا الورى أبدا طوعـــا وإكـــراها
والنصـر والعـز والتـأيـيـد يكنفـهـا ... تزداد من حـــسنات الدهر حـــسناها
يا نسـمة الروض مـخضـلا كمائـمه ... حى بقـــاعــا رســـول الله وافـــاها
ويا سـحاب الرضا والجـود فانسكـبا ... بســاحـة حل فـيـها المـصطفى طاها
وأنت يا ســـامـعـا أمـداحـــه طربا ... صل علـيـه لـكيـمـــا ترضـى الله
وعم آلا وأصــــحـــابـا وتاليــــهم ... وكل من نـال قـربـا منه أو جـــاها

وله أيضا وسـترى من بين أبياتها أنها وجهت لمـأوى سيد الكائنات ﷺ على لسان السلطان المترجم، يبث فيها شكواه ويشكو ذنبه وما اجترحه، ويستمد الإعانة على صروف الدهر وحدثانه:

أقـول لـركب شـام برقـــا يمـانـيـا ... ليـــهنكم إنا بلـغنا الأمــــانيـــا
تـائق فـى ظـلمـــــائـه فـكأنـه ... مـبـاسـم تحكى فى سناها اللئـــاليـا
حـــزرنا به آمـالـنا فـتـــبـســمت ... وضاءت كما أضـحى يضىء الدياجيا
وروع أحــــشــــاء تحن لمـعــــهـــد ... قـضـــينا به قـبل المـشـيب ليـــاليـا
ألا حى مـغنى لـلحـبـيب وإن نأى ... ومـاذا علـى صب يحـيى المغـــانيـا
ومـا زال هذا الـبـين يوقـــد لوعـة ... أبت فـى فـــؤاد الـصب إلا تمـاديا

فؤاد دعاه الحب من بعد كبرة   فما للهوى بعد المشيب وماليا

ولكن أدواء الهوى إن تمكنت   فلا يجد المضنى لهن المداويا

ونحن وقد جف الكتاب معاشر   رضينا الهوى فليقض ما كان قاضيا

رعا الله أهل الحب من كل حادث   ولا راعهم عذل لمن لاح لاحيا

ترد على الأعقاب صوب مدامع   حذار رقيب ليس يبرح واشيا

ولولا عين الكاشحين لخلفت   مدامع تجريها الغمام الغواديا

وهيهات إطفاء الجوى بجوانح   تذوب إذا ما الركب أصبح غاديا

يهب الصبا إن هب من نحو حاجر   كوامن أشواق تزيل الرواسيا

هدير غدير فى الهوى لعبت به   صبابة ذكراه الربوع القواصيا

إذا غردت فى الأيك وهنا حمامة   تذكر نجدا والنقا والمطاليا

وبيتا عتيقا فى أباطح مكة   رفيعا من الديباج ما زال كاسيا

إذا مادنا الركبان منها تجردوا   وطافوا بها شعثا ظماء بواكيا

وأيقن كل أنه ببلوغه   لذاك الحمى نال المنا والتهانيا

وأضحى أمينا من عذاب إلهه   ومن بعد سخط يستبيح المراضيا

هنيئا لقوم ناظرين لحسنها   عكوفا لديها يحمدون المساعيا

قضوا تفثا بعد الإضافة وانتهوا   لطيبة يزجون القلوص النواجيا

وراحوا على إثر الوداع وحصبوا   علىً فرح يطوون تلك الفيافيا

وما فصلوا حتى تراءت بعيدة   من الغور أنوار تنير المحانيا

وهبت رياح عاطرات بليلة   كما فاح ورد بالأزاهر حاليا

يحـــدث عن أين الركـــاب وهنيت ... ركـــائبـهم كـــيــمـــا تنال الـتناديا

ولما دنا مـــأوى الحـــبـــيب تـرجلوا ... وأظهـرت الآمـاق مـا كان خـافـيـا

وعـفـر كل فى الـتـراب وجـوهـهم ... تراب به خـيـر الورى كـان ماشـيـا

وخـرت ملوك الأرض فـيـه جـلالة ... لمن بان فـيـه يسـحـبـون النواصـيا

ألا يا بقـــاعـــا بالـبـُـقـــيع ووديا ... به خـيـرة الأرســـال حـمـيت واديا

فـــوالله لا أنسى زمـــانا قطـعـتـــه ... بمغناك حـيث السـعد كـان مـوافيـا

ويا وافـــدا قـــد أنزلتـــه سـعـــادة ... هناك فـأضـحى بـالكرامـة راضـيـا

لك اللـه مـا أهـنا وأكــرم مـــوطنا ... ثويـت به حــــيــــــاك ربى ثـاويا

فـــعنى لخـــيـــر الرسل أدِّ رســـالة ... وإياك تنـسى أو ترى مـــتنـاســـيـــا

فـقـل بعـد إهداء الـسـلام تحـيـة ... تعم ضـجـيـعيـه الكـرام المواليـا

إليك رسـول الله من أرض مـغـرب ... عن المذنب الجـانى أتيـتك شـاكـيـا

عن (ابن هـشـــام) المقــر بـذنبـــه ... وأهوائه يـبـــغى لديك الـتـــفـــاديا

عن (ابن هشـام) الذى قد تقـاعدت ... به عنك أشـــغـال أصـارته عـــانيـا

عن (ابن هشـــام) الذى ليـس يرتجى ... سواك فـحقـق فيك مـا كان راجـيا

يحـاول إصـلاحـــا لأمـــتك التى ... رجـوناك تكفـيهـا الردى والأعـاديا

رجـــونا تكفـــينا المخـــاوف كلهـــا ... فـما زلت من كل المخـاوف كـافيـا

رجـونا لديك النصـر فى كل حـالة ... على من غـدا بالغى فى الناس باغيـا

رجـــوناك تـرعـــانا من الفـتن التى ... غـدا أهلها فـيهـا الأسود الضـواريا

فليس لهـذا السـرح غـيـرك حـافظا ... فكن يا رسـول الله للسـرح راعـيـا

وليس لنا إلا بأمة أحمد دعاك إذا ما الغى قد صار داعيا
وحاشاك من ينمى إليك تمله وتسلمه إن أصبح الهول داجيا
وحاشاك تعيا بالمسىء وإن أتى وثوقا بنيل العفو منك، المساويا
وحاشا ندى كفيك وهو مفجر على سائر الأكوان يترك صاديا
ألا يا رسول الله إنى خائف وأنت مجير الخائفين الدواهيا
ولى رحم موصولة بك أبتغى لها صلة تولى لديك التراضيا
ومثلك للأرحام يرعى ذمامها فلا شك أن ترعى كذاك ذماميا
فرحمك للرحم القريب وعطفة وأولى بعطف منك من كان دانيا
وعونا لنا من صولة الدهر إننا بغيرك لا نرجو من الدهر واقيا
فقد أحكمت فينا المقادير حكمها سياسة أقوام تحاكى الأفاعيا
وقد ألزمتنا أن نعاشر معشرا يسرون أمرا غير ما كان باديا
على قلة الإنصاف والخير فيهم وكثرة أقوال تطيل التناجيا
سوابق للأطماع ينتهبونها كواسل عند الروع تخشى التلاقيا
عزائمهم فى نيل ملء بطونهم فتدعوهم روبى بطانا بواطيا
فلا عون إلا من عنايتك التى بها نتقى هذى الذئاب العواديا
ولا ملجأ إلا إلى عزك الذى نلوذ به حصنا من الضيم عاليا
بجاهك يا قطب العوالم كلها ويا منبع الأمداد نرجو الأمانيا
فوجه من النصر الإلهى عاجلا لنا مددا ما دام عزك باقيا
وصلى عليك الله فى كل لمحة بكل صلاة لا تنال التناهيا

وقال فى موضوعها على لسان السلطان كتلك:

سلام يفوق الورد فى الطيب والزهرا ... ويفضل فى إشراقه الأنجم الزهرا
سلام يفوق الطيبات ذكاؤه ... ويملأ من أنفاسه البر والبحرا
سلام يعم الكون حسنا وبهجة ... ويستوعب الآناء والدين والدهرا
سلام يكل الفكر دون انتهائه ... ويستغرق الإحصاء والعد والحصرا
سلام كريم وافر متواثر ... به تملأ الغبراء بالطيب والخضرا
سلام كأسلاك الجواهر فصلت ... وزانت من المجد المقلد والنحرا
سلام امرئ أهدى إلى حضرة الهدى ... تحية مشتاق تهيجه الذكرا
من المذنب العاصى المؤمل عطفة ... من المصطفى تمحو الإساءة والوزرا
من السائل اللاجى إلى باب فضله ... يؤمل فى الدنيا الشفاعة والأخرا
من الضارع الجانى الذى حسن ظنه ... دعاه إلى جذواه فاستمطر الخيرا
من الخائف الراجى بحسن قبولكم ... أمانا يوليه العناية والبرا
من المسرف العافى المؤمل منكم ... عوائد بر تملأ البحر والبرا
دعاك ونار الشوق بين ضلوعه ... يروم ولو بالروح زورتك الزهرا
دعاك غريب الدار بالغرب عاقه ... عناه عن استجلاء روضتك الغرا
دعاك وأحداث الزمان تنوشه ... ولا يرتجى إلا بعزتك النصرا
دعاك لما قدها له من ذنوبه ... وأثقل منه حمل أوزاره الظهرا
دعاك دعاء المستجير بجاهكم ... وأمل من علياكم الحفظ والسترا
ومد يد المسكين يرجو نوالكم ... وحاشا علاكم أن ترد له صفرا

وآمل من جــــذواك كل كــرامــة تبــوئـه العليـــا وتسكنـه الســرا

وحط بيـــاب الفـضل منـك رحـاله وناداك مـشبوب الجـوانح مـضطرا

ومــــثـلك من واسـى وآسى نزيـله وأمل مـذعــورا وعـامل معــتـرا

شكا لك يا خـيـر الوجود جـرائمـا توالت فـأولتـه الـقـسـاوة والنصـرا

ورانت على القلب القسى فـأصبحت جـوارحـه فى قـيـد ظلمـتـه أسـرا

وأمــارة بالســوء تسـرع للهــوى وتثـــقل عنـى إن أردت بهـــا برا

وأهل زمـان قد غـدوا من فسـادهم سواسـية والجـهر قـد خالف الـسرا

غـدا منـكراً مـعـروف سنـتك التى لديهم وأضـحى العـرف بـينهم نكرا

وعــــادوا ذيابا فى ثـيـــاب تنـسك وقد أظهروا الإسلام واستبطنوا الغدرا

وإنى قـد اسـتـرعـيت منهم رعـيـة وحـملت من أعـبـاء أمـرهم إصـرا

أروم لهـا التوفـيق والرشد والهـدى وأرجو لهـا الإسعاد والحفظ واليـسرا

وآمل مـن جـــــدواك كل عـنايـة ونصــرا عزيزا يهـدم الشرك والكفـرا

فلى ذمــة أرجـو الوفـاء بعـــهـدها ومـثلك يا خيـر الوفـا بالوفا أحـرا

ولى نســبــة أدلـى بهــا وقــرابة وأنت ولى المـنتــمــين إلـى الزهرا

أعـيـــذك أن يشـقى كـلانـا بجـاره وأنت مـلاذ الكل إن خـشـو الضـرا

فكن يا رســول الله غـــوثا لأمــة تمت إلى عليـــاك بالنسـبـــة الكبـرا

فـــمـــا أنزلوا إلا ببـــابك رحـلهم ولا اتخـذوا يوما سـواك لهم دخـرا

ولا استنصروا إلا بجاهك فى الوَغَى ولا قصدوا فى الخلـق زيدا ولا عمرا

ولا قــصــروا إلا عليك رجـــاءهم وما قصروا لو خـالفوا النهى والأمرا

وقد جاروا من عصبة الكفر أمة تريد بنصب الماكرين لها الجرا

وعندهم جزم برفعك من لجا إليك ومن ناواك تكسبه كسرا

فقد قصرت علياك دولة قيصر وقد كسرت أشياع دير الهودى كسرا

أجرنا فنعم الجار أنت لمن لجا لبابك واستكفى بهمتك الإصرا

وغر يا رسول الله عزما لأمة دعوك ولب صوتهم واحبهم جبرا

وأظهر لها من عز جاهك نصرة ترد على الأعقاب من سامها ذعرا

وتخلى ديار المسلمين من العدا وتكسبها من بعد نجسهم طهرا

وتتركهم صرعى بكل ثنية وتملؤها دينا كما ملئت كفرا

فلا جاه إلا جاه عزك يرتجى ولا نصر إلا من علاك لهم يدرا

فأنت الذى لا يلحق الضيم جاره ولا يخش من يلمم بساحته ضرا

فإن كرام العرب تحمى ذمارها وترفع عن جيرانها الضيم والذعرا

وأنت كريم العرب وابن كريمها ومنك استمد الكل أوصافها الغرا

وإنك يا خير الوجود ملاذ من هفا ولك الجاه الذى قد سما خطرا

ألست الذى قد أرسل الله بالهدى فعم الورى بالأمن واليمن والبشرا

ألست لهذا الكون فاتح رتقه وخاتمه والموله المدد الغمرا

ألست الذى أسرى الإله بذاته إلى حضرة ما نال عبد لها نشرا

وخصصه رب الأنام برؤية وقرب وفضل لا يطاق له حصرا

وكنت نبيئا قبل خلقة آدم ووصلته للعفو إذ خشى الوزرا

وجلبت أحلاك الظلام بصارم من الحق هام الشرك من عزه الصغرا

وفى الحشر أنت المستغاث بجاهه إذا اشتد كرب الخلق واستشفعوا طرا
تقول إذا عز الشفيع أنا لها وتنشر من أعلام عزتك الكبرا
وجد بالرضا والعطف والفتح والهدى وأول العلا والصون والحفظ والذخرا
لعبد إلى الرحمن صح إضافة ووال له الحسنى ويسره لليسرى
وأصلح به أمر الرعية واكفه تغلبهم وارفع له فى العلا القدرا
وسن له أمنا ويمنا ونعمة ويسر له الأسباب واشرح له الصدرا
وحط بعلاك سرب أمتك التى بجاهك تستكفى وتستدفع الشرا
وصن حزبه واحفظ علاه وآله وأبق العلا فى النسل والمجد والذكرا
عليك صلاة الله ثم سلامه وآلك والأصحاب والمقتدى طرا

ولو تتبعنا ما لهذا الوزير وغيره من الأماديح فى جانب المترجم لجاء ذلك فى دواوين.

وفاته: توفى قدس الله روحه يوم الاثنين تاسع عشرى محرم فاتح عام ستة وسبعين ومائتين وألف، ودفن بعد العشاء من يومه بضريح جده الأكبر أبى النصر إسماعيل، وكان الذى تولى الصلاة عليه قاضى البلد العلامة أبو عيسى المهدى ابن سودة مار الترجمة، رحم الله الجميع بمنه.

ومن خطه فى كناشته: خرج المولى عبد الرحمن لزمور فى رمضان عام ٧٥، ثم رجع شوال عامه، وبه مرض فتوفى وصليت عليه رحمه الله.

وقال أيضا: استفتانى المنصور بالله وهو ببلاد أزمور نازل عليهم فى ٢٦ رمضان عام ١٢٧٥ بواسطة وزيره عن أمر صلاتهم العيد هنالك، فأجبته بما حاصله أن الذى لسند واللخمى وعليه ذهب ابن شاس وابن الحاجب والمازرى، وصححه

في الشامل، واعتمده الأمير، هو أنهم يصلون جماعة. وذهب عياض وابن عرفة متعقبا على من تقدم بأن الأصح صلاتهم إياها أفذاذا، والقولان معا في المدونة، ولا خطبة لها حتى على القول الأول على الأرجح، هذه زبدة ما في الزرقاني ومحشيه والحطاب والأمير هـ من خطه.

ومن الغد بويع لنجله خليفته أبي عبد الله سيدي محمد حسبما قرأته بخط المولى العباس نجل المتوفى وصنو المبايع.

وقد رثاه غير واحد من أدباء الوقت وعلمائه منهم أبو عبد الله أكنسوس ومطلع مرثيته:

هذي الحياة شبيهة الأحلام ... ما الناس إن حققت غير نيام
حسب الفتى إن كان يعقل أن يرى ... منه لآدم رؤية استعلام
فيرى بداية كل حي تنتهي ... أبدا وإن طال المدى لتمام

٤١٣ - عبد الرحمن الكَاوَاني - بفتح الكاف مشبعة ثم واو مشبعة كذلك بعدها نون مكسورة مشبعة أيضا.

حاله: إمام في أصول الدين والفقه، فرض حيسوبي، حسن المشاركة، متضلع مطلع، نقاد فهامة، اتخذ مكناسة دار استيطان، وأكب على نشر العلم وبثه في صدور رجالها، درس الرسالة، وفرائض التلقين علما وعملا، والمدونة، وابن الجلاب تدريس تحقيق وإتقان.

قال تلميذه ابن غازي: قدم علينا لمكناسة فأوطنها، ودرس فيها، وقرأت عليه الرسالة قراءة تحقيق وتدقيق، وقرأت عليه ختمتين في فرائض التلقين تفقها وعملا وبعض الألفية، وسمعت عليه بعض المدونة وبعض تفريع ابن الجلاب،

---

٤٩٣ من مصادر ترجمته: كفاية المحتاج ١/ ١٩٨، نيل الابتهاج ١/ ٢٨٠ .

وكان إماما فى أصـول الدين، فتح بصائرنا فيها، وفى أصول الفـقه قال: وحدثنى عن أبى يعقوب الأغصاوى أحد شيوخه، أنه لازم خزانة سبتة ثمانية أعوام[1]:

مشـيخته: أخـذ عن السيتانى، والعـكرمى، أخذ عنه الأصلين، وأدرك من شيوخ فـاس الحاج أبا يعقوب الأغـصاوى، وأبا حفص الرجراجى المـتوفى سادس قعـدة سنة عشـر وثمانمائة، وأبا وكيل المتـوفى بمجاعـة سنة ست عشـرة وثمانمائة بفاس، سـمع عليه بمدرسـة الصهريج مـن فاس الألفيـة ينقل عليهـا كلام المرادى ويباحثه، وأبا زيد المكودى المتوفى فى حادى عـشر شعبان سنة سبع وثمانمائة، وأبا مهـدى عيسى بن عـلال المصمودى المتـوفى سنة ثلاث وعشـرين وثمانمائة، ودفن خارج باب عيـسى أحد أبواب عاصمـتنا المكناسية، ورمز لوفـاته صاحب الإعلام بوفيات الأعلام بلفظ صرخ من قوله:

إن أبا زيـد الكـوانى صـــرخـا إذ مات صاح فى حدود (صرخا)

٤١٤ - عبد الرحمن بن أحمد بن أبى القاسم القَرْمُونى القيسى.

حاله: فقيه صالح زاهد عاقل، دين موقت، مقرئ عارف بالقراءات السبع، مـدرس نفاع، مـتواضع كـامل فاضل جليـل، رئيس خيـر، من بيت خيـر وعلم وتصوف.

قال تلميذه ابن غـازى: جالسته كثيرا واستفـدت منه وحضرته فى الرسالة. قال: وحدثنى - يعنى شيخه المترجم أنه ارتحل من مدينة فاس إلى مكناسة الزيتون للفقيهين الصالحين أبى محمد عبد الله بن حمد، وأبى عبد الله محمد بن عمر بن الفتوح، وأقام معهما بمكناسة تسعة أعـوام يتعبد معهما ومن ثَمّ عرفه والدى رحمه

---

(١) نيل الابتهاج ١/ ٢٨٠.

٤١٤ - من مصادر ترجمته: موسوعة أعلام المغرب ٢/ ٧٦٩.

الله تعالى، وكانت بينهما صداقة، وكان يكرمني لأجل ذلك شكرا لله تعالى له، وكان متوليا خطة التوقيت بالمدرسة العنانية من طالعة فاس.

مشيخته: أخذ عن أبى حفص الرجراجى، وشيخ الجماعة أبى مهدى عيسى ابن علال، وأبى القاسم التازغدرى، وأبى مهدى عيسى المغراوى، والأستاذ المعمر، وعنه أخذ القراءات السبع، وأبى محمد عبد الله بن حمد وأبى عبد الله ابن محمد بن الفتوح.

الآخذون عنه: منهم الإمام ابن غازى وجماعة.

ولادته: قال الإمام ابن غازى ولد عام واحد من القرن التاسع فيما ذكر عنه ولده.

وفاته: توفى عام أربعة وستين وثمانمائة، وروضته بدرب السلاوى من الحومة المنسوبة للمترجم المعروفة بزقاق القرمونى، وبذا تعلم ما فى قول من قال من الأعلام: إن مدفنه بفاس من التسامح، رحم الله الجميع، وفسح له فى عدنه.

٤١٥ - عبد الرحمن بن الشيخ الولى أبى السرور عياد بن يعقوب.

دفين الربوة فوق القنطرة المعروفة بالمهدومة الكائنة بين فاس ومكناسة الزيتون، وهو ابن سلامة بن خشان الصنهاجى ثم الفرجى الدكالى، المعروف بالمجذوب دفين مكناسة.

حاله: كان جامعا بين الجذب والسلوك، سمح الأخلاق، كريم الشمائل كثير الإيثار والبذل فى حالتى الشدة والرخاء، حتى إنه ربما لقيه المحتاج فلا يجد ما يواسيه به فيقسم كساءه الذى عليه نصفين ويعطيه النصف، وربما تزوج امرأة فقيرة غير مرموقة ولا منظور إليها، لا يحمله على التزوج بها غير كفالتها وضمها إلى عياله لشدة الوقت، فإذا أعقب العسر اليسر طلقها.

---

٤١٥ - من مصادر ترجمته: دوحة الناشر فى موسوعة أعلام المغرب ٢/ ٩٢٠.

وبالجملة فـهو شيخ إمام، عـارف كامل، شأنه القيـام على الوظائف الدينية والرسوم الشرعية وتأدية الحقوق وعدم الإخلال بشيء منها، لا فى جانب الحق ولا فى جانب الحـقيقـة، وكان له زوجات وأولاد وزاوية يطعـم فيهـا الطعام للواردين عليهـا من الغرباء وأبناء السبـيل وغيرهم، تقام فـيها الصلوات الخـمس، مواظب عليها وربما باشر الأذان بنفسه إن لم يحـضر من يؤذن، وإذا اجتمع أصحابه للذكر على عادة الـفقراء ذكـروا جلوسا، فـإذا انزعج أحدهم وقام أو رقص أسـكتهم، وفرق ذلك الجمع.

نشأ بتـيط ساحل بلدة آزمور، وهى كانت مـأوى سلفه، ثم رحل والده إلى نواحى مكناسـة الزيتون، ونزل بموضع يقـال له إِرُجّان بكسـر الهمـزة وضم الراء وتشديد القاف المعقودة.

مشيخته: أخذ عن شيوخ لا يحصون كثرة، منهم أبو الحسن على الصنهاجى المدعـو الدوار المتوفى فى ثانى جـمادى الثـانية سنة سـبع بتقـديم السين وأربعـين وتسعـمائة. قال فى ابـتهاج القلوب: والأقـرب الذى يصح أنه توفى فى أول سنة إحدى وأربعين أو فى تمام السنة التى قلبهـا، وسيدى عمر الخطاب هو الذى تولى تربيته وترقيته وتدليته فى المقامات.

الآخذون عنه: منهم أبو المحـاسن يوسف الفاسى، والمعمـر أبو الحسن على القنطرى الأندلسى القصرى، وأبو زيد عبد الرحـمن المدعو رحو الجبلى من شرفاء العلم، وأبو على النيار الأندلسى، وأبو الجمال الطليقى يعرف بصكوك، وأبو سالم النيار، وأبو سرحان المعروف بالدراوى وخلق.

ولادته: ولد فى رمـضان سنة تسع وتسـعمائة بتـقديم المثناة فـيهـما بالمحل المعروف الآن بتيط من ساحل بلدة آزمور.

وفاته: توفى بوطنه مرشاقة من بلاد الهبط ليلة الجمعة، ووافق ليلة عيد الأضحى، وحملت جنازته بإذنه على فرسه الذى كان يركبه، ودفن خارج باب عيسى، وذلك يوم الأحد الثانى عشر من ذى الحجة عام ستة وسبعين وتسعمائة بتقديم السين فيهما، وقد صار ضريحه اليوم داخل حرم المشهد الإسماعيلى كما تقدم، والذى بنى قبته هو وارث سره أبو المحاسن سيدى يوسف الفاسى بعد أن كان لم يحضر موته، وإنما لحق حاملى جنازته أثناء الطريق، وسار معهم حتى وقف على دفنه بمجله، وشرع فى بنائها عليه إثر الفراغ من دفنه ثم فى عام خمس وخمسين وألف أضيف لضريحه المسجد الذى كان حذاءه، وهو التربيعة التى صارت مقبرة الكائنة عن يمين الداخل للضريح المذكور، وتوجد صفة أسفل من ضريحه وقبل الوصول إليه يقال: إنها مدفن فرسه الحامل لجنازته كما تقدم ذلك فى الكلام على الضريح الإسماعيلى.

٤١٦ - عبد الرحمن بن أحمد الوقاد المكناسى الدار، المعافرى النجار.

حسبما قال فى إمضائه بعض فتاويه.

حاله: من صدور أعلام زمانه الممتازين بالتحقيق والإتقان، كان بقيد الحياة سنة أربع وثلاثين وتسعمائة، وهو من جملة الأعلام الذين حوت نصيحة المغترين فتاويهم بجواز استعمار الممنون عليهم بالإسلام من أهل الذمة بقيسرية فاس، والتنديد على المخالف فى ذلك، ودحض حجته بالبراهين السمعية والأدلة القطعية، وقول المترجم فى إمضائه المعافرى، هو - بفتح الميم وتخفيف العين المهملة وكسر الفاء - نسبة إلى معافر بن يعفور، أى حى باليمن، الإشْبيلى بكسر الهمزة وسكون الشين نسبة إلى إشبيلية المدينة العظيمة الشهيرة بجزيرة الأندلس.

٤١٧ - عبد الرحمن بن قاسم بن محمد بن عبد الله آعراب - بهمزة مفتوحة بعدها ألف ساكنة ثم عين مهملة ساكنة فموحدة.

حاله: ذو سمت حسن، وصلاح وورع، بارع فى النحو، مشتهر به أخذه عن مشايخه، أصله من مكناسة الزيتون.

مشيخته: أخذ عن شيخ الإقراء والنحو أبى عبد الله محمد بن أحمد بن مجبر المسارى المولود سنة ثمان وتسعين بتقديم المثناة فوق وثمانمائة المتوفى فى المحرم سنة خمس وثمانين وتسعمائة، وأبى العباس أحمد المنجور كما بفهرسة أبى زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى فى سنده فى النحو وعن غيرهما.

الآخذون عنه: منهم أبو الحسن على بن الزبير السجلماسى.

ولادته: ولد عام اثنين وستين وتسعمائة.

وفاته: توفى سنة ثلاث وألف، ودفن خارج باب عيسى من مكناسة الزيتون، رحمه الله ورضى عنه، ترجمه صاحب المطمح وغيره.

٤١٨ - عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن عزون - بالنون - المكناسى، أورده صاحب الإعلام.

حاله: فقيه علامة مشارك، هين لين، لزم داره آخر عمره على حالة مرضية وكرم نفس ودين قويم ونهج مستقيم إلى أن لبى داعى مولاه.

مشيخته: أخذ عن أبى محمد عبد القادر الفاسى، وكان له كأخيه استفاد منه كثيرا.

وفاته: توفى يوم الاثنين حادى عشر محرم سنة خمسين وسبعين وألف.

---

٤١٧ - من مصادر ترجمته: نشر المثانى فى موسوعة أعلام المغرب ٣/ ١٠٧٥.

٤١٩ - عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الإدريسى المكناسى الحسنى.

نزيل مكة شهر بالمحجوب.

حاله: ولى صالح له الكشف الصريح، شفيق على عباد الله، كان تأتيه أحوال وواردات أذعن له أهل البصائر، وحج سنة ثلاث وأربعين وألف، وجاور بمكة، ثم رحل إلى اليمن، ثم رجع إلى مكة واستوطنها، وصار مرجعا لأهلها، والواردين عليها، وكان فى الكرم غاية لا تدرك، وكان يعمل الولائم العظيمة للخاص والعام، وكانت الهدايا تأتيه من المغرب والهند والشام ومصر ويصرفها للفقراء، وكان مقبول الكلمة عند جميع الناس، وكان فى ابتداء أمره رحل من المغرب فدخل مصر والشام وبلاد الروم ولقى السلطان مراد، ووقع له كرامات خارقة، ودخل الإسكندرية، ثم ركب البحر، ودخل القسطنطينية، فانتشر له بها صيت، وخضعت له رقاب الأمراء، ثم رجع إلى مكة فاستوطنها عام خمسين وألف، فطار صيته، وأقبل الناس على زيارته، وألحقه الأمراء بالهدايا، وحصلت له بمكة وجاهة عظيمة، ومع ذلك لا يتمسك من الدنيا بشىء، وما اقتنى ملبوسا ولا مركوبا ولا تزوج ولا تسرى، وله خدمة من الرقيق.

وكثر الازدحام عليه فصار لا يشهد ولا جمعة، واغتفر ذلك له من له خبرة بطريق القوم، وأقاموا له أعذاراً شرعية.

وقد غلبت عليه الشفقة على عباد لله فى كثرة شفاعاته المقبولة عند الأمراء، وكان له فى كل يوم مصروف نحو مائة قرش فى أهل مكة فمنهم ذو الدرهمين إلى العشرة إلى العشرين إلى أكثر، سوى ما يكون للغرباء.

---

٤١٩ - من مصادر ترجمته: خلاصة الأثر ٢/ ٣٤٦.

وصار أكثر المتسبين بمكة عيالا عليه، وربما يقل ما بيده فيستدين، وربما بلغ الدين الذى عليه إلى خمسين ألفا وإلى مائة ألف، فيؤدى الله ذلك عنه.

وأخبر بعض ثقات أصحابه أنه عذله مرة فى كثرة ما عليه من الدين، فقال له: إن الله وعدنى أن لا أموت حتى لا يبقى على درهم واحد.

ولما علم أبناء الدنيا ذلك من حاله صاروا يبيعون عليه ما يساوى المائة بأضعافها فيربحون عليه وهو لا يبالى، وكان لا يلبس إلا ثوبا واحدا صيفا وشتاء، وقلنسوة على رأسه، ويلبس سراويل، وكان يحث من يجتمع به على ملازمة ما يناسبه من صنوف الخير من تلاوة قرآن وصلاة على النبى ﷺ وكثرة استغفار وأوراد حسان، ويحض من رأى فيه علامة خير على اعتقاد الصوفية المحققين وتصديق كلامهم وعلومهم وأحوالهم.

مشيخته: لقى بفاس سيدى يدير، وسيدى موسى دفين حومة جرنيز، وأخذ بالقصر عن سيدى محمد القجيرى، وأخبر أنه أخذ بمكة عن سيدى على الغمارى، عن عبد الرحمن الفيلالى، وعن أبى عبد الله محمد الكومى بالمغرب، وكلاهما عن أبى العباس أحمد الفيلالى، وعن السيد الغازى، وأخذ أيضا عن أبى العباس أفندى باصطنبول، وعن الصفى القشاشى وعن خلق.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو سالم العياشى، وترجمه فى رحلته، والشيخ الكامل الفاضل مصطفى بن فتح الله، وأبو العباس أحمد النخلى، والشيخ عبد الله البصرى، فمما أخذ عنه الأخيرَان: دلائل الخيرات، قال الشيخ الكوهن فى فهرسته: وهو يرويه عن والده عن جده السيد عبد الرحمن بن أحمد عن مؤلفه وغير هؤلاء.

ولادته: قال المحبى فى خلاصته: ولد بمكناسة الزيتون من أرض المغرب

الأقصى فى سنة ثلاث وعشرين وألف. وقال العياشى: نشأ بمكناسة، وأصلهم من تامسنا وطن زناتة، ولذلك كان يعرف كأسلافه بالزناتى.

وفاته: توفى يوم الأربعاء سابع عشر ذى القعدة سنة خمس وثمانين وألف، ودفن بزاوية الشيخ سالم شيخان اشتراها من أولاده، وأوصى أن يدفن بها رحمه الله تعالى. ترجمه أبو سالم فى رحلته وبالغ فى الثناء عليه، والمحبى فى خلاصته.

٤٢٠ - عبد الرحمن بن الحسن اليازغى.

الملقب الشبر، دفين حومة جناح الأمان قرب زواية مولاى التهامى الوزانى من الحضرة المكناسية.

حاله: ولى صالح كبير دال على الله، مستغرق فى محبة آل بيت رسول الله، بذل نفسه وماله فيما يرضيهم، تقى نقى، من أصحاب سيدى محمد ابن مولانا عبد الله الشريف البركة الشهير، كان فى ابتداء أمره كاتب القائد على بن يش الزمورى يشهد عنده على دفع أعشار القبائل بمكناسة بباب هرى سيدنا الجد السلطان الأعظم مولانا إسماعيل، ولم يزل على ذلك إلى أن لقى الشريف أبا عبد الله محمد بن الإمام مولاى عبد الله الشريف دفين وزان فى حكاية طويلة شرحها صاحب الأزهار الندية، تركتها اختصاراً، فعند ذلك ترك الخدمة مع القائد المذكور وأقبل على الله واشتغل بما يقربه إليه زلفى.

ثم قدمه الشريف أبو عبد الله المذكور على أصحابه بمكناسة الزيتون، فأظهر الله على يده كرامات وخوارق عادات، واشتهر ذكره وعظم صيته، وألقى الله محبته فى قلوب خلقه، فصارت تفد إليه الوفود من كل ناحية وصوب وتهاديه الولاة، ثم أنشأ زاوية لاجتماع أصحابه والوافدين عليه على ذكر الله فى كل بكرة

وعشى، وصارت زاويته كعبة للوفود ومرتعا للواردين، تفاض عليهم فيها الموائد والفوائد، وكان له اعتناء زائد بالضيف وموالاة الغريب ومواساته وبالأخص آل البيت النبوى الطاهر، حتى وشى به بعض الحسدة الأغمار للسلطان مولانا إسماعيل وأمر بإحضاره لديه فلما مثل بين يديه استفسره عن مراده فقال له: إن مالى ورقبتى لأهل البيت، وإنما يدى فى ذلك يد نيابة عنهم ومحبة آل البيت وإكرامهم واجب عليك وعلى، فقال له السلطان: إلى من تنتسب فى الطريق؟ فقال: لأهل وزان، فخلى سبيله وأقره على فعله الصالح.

ثم إن مولانا عبد الله نجل السلطان أصابه رمد فخافت أمه أن يطول به ذلك، فأرسلت للمترجم طالبة صالح دعائه وابتهاله إلى الله فى أن يشافى ولدها المذكور عاجلا، فقال المترجم لأصحابه هذا الرجل شفاه الله، وأنا أدخل قبرى فعوفى المرمود من حينه ومرض المترجم إثر ذلك.

ثم قدم مكناسة مولاى الطيب الشريف اليملاحى نزيل وزان وقال لأصحابه جئت لأحضر جنازة هذا الرجل وأمنعكم من دفنه بداخل الزاوية لئلا ينبش قبره بها ويخرج منها، فتوفى المترجم من غده ودفن بدار جوار زاويته، وبنيت عليه روضة.

ثم إن مولاى على بن السلطان مولاى إسماعيل لما جلس على منصة الملك أمر بإخراجه من قبره وهو روضته محتجا بأن الدفن بين دور السكنى والبناء على القبور بدعة، ولما أخرج من قبره وجد على الحالة التى دفن عليها، لم يقع به أدنى تغيير، ثم لما رجع الأمر لمولاى عبد الله أمر برد المترجم لقبره الأول والبناء عليه قائلا: إن عمل الناس شرقا وغربا صار على اتخاذ المقابر بين دور السكنى، والبناء على الصلحاء من أهل الفضل والدين، وسرد لهم قول الحاكم فى المستدرك، فحفروا عليه وأخرجوه من ضريحه الثانى، فوجد كيوم مات لم يتسنه، ورد لقبره الأول رحمه الله.

وقد تعرض لذكر المترجم فى تحفة الإخـوان، ولم يوفه حقه، غاية ما قال: الولى الصالح عـريف إخواننا الفـقراء وكبـيرهم من قبـل ساداتنا أهل وزان، وهو سيدى عبد الرحمن بن الحسن هـ.

وقال فى حـقه أبو عبـد الله محـمد بن الطيب العلمنى فى أنيـسه المطرب، فيمن لقيه من أدباء المغـرب، عند تعرضه لوفاة شيخه أبى عبد الله مـحمد بن عبد الله بن إبراهيم بن موسى بن الحـسن بن موسى بن إبراهيم بن عمـر بن أحمد بن عبد الجبار بن محمد بن يملح بن مشيش بن أبى بكر بن على بن حرمة بن عيسى ابن سلام بن مزوار بن حيدرة بن محـمد بن إدريس بن إدريس بن مولانا عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على وفـاطمة بنت رسول الله ﷺ ما نص الغرض منه، فـاتفق أن لقينى هنالك يعنى فى جـنازة الشيخ المذكور تلمـيذه التقى الأشـهر، النقى الأطهر، أبو زيد عـبد الرحمن بن الحسن اليـازغى المعروف بالشبر رعاه الله، فأقسم على أن أُنشده قصيدة على ذلك الضريح، وأملأ الأسماع باللفظ الفـصيح، والرثـاء الصريح، فلم يسـعنى إلا الطاعـة، فأنشـدت فى تلك الساعة:

غـاب حبى ولاشـتـياقى ابتـداء ... فـأنا اليـوم مـا لحـرقى انقـضـاء
ولدمـعى على الخـدود انهـمـار ... ولقلـبى على الجـمــار اصطلاء

هـ الغرض وعلى خشب دربوز ضريح المترجم مكتوب ما نصه:

هذا ضريح رضـا جلت مفـاخره ... قد عمت الصحب وانهلت ذخائره
فـاضت زواخـر سـر الله كـامنة ... منه فـمن ذا الـذى ترى يفـاخـره
أنواره مـشـرقات مـن بشاشـتـه ... وكـفـه الوكف لا غـيـث يناظره
قد نال من آل خيـر الرسل مرتبة ... عليـاء ما مـشتـرى فيـها يسـايره
ناده يا عـابد الرحـمن زائره ... تلقـاك عـزمـا بما تهـوى بشـائره

ابن الرضا الحسن الشبر الذى كومت أخلافه وازدهت طيبا عناصره

تحية الملك المولى ورحمته ما سح غيث وما نارت زواهره

مشيخته: منهم أبو عبد الله الشريف الوزانى المشار له، ومولاى الطيب بن محمد الشريف الوزانى وغيرهما.

وفاته: توفى عام خمسين ومائة وألف حسبما بالأزهار الندية لأبى عبد الله محمد بن الطيب القادرى.

٤٢١ - عبد الرحمن كدران.

أحد كتاب دولة سيدى محمد بن عبد الله.

ذكره الزيانى فى خاتمة البستان من جملة الكتاب أهل الطبقة الرابعة.

٤٢٢ - عبد الرحمن بن النقيب الأشهر سيدى عبد القادر بن عبد الله الشريف الإدريسى الشَّبِيهِىّ.

حاله: فقيه علامة نسابة لسن، رد على صاحب الدر السنى، وصاحب درة التيجان فى مسائل وشنع عليهما، وله فى ذلك أرجوزة، وقد رد عليه فى ذلك الحافظ الدراكة أبو عبد الله محمد بن الطيب القادرى فى أرجوزة سماها الصوارم الفتكية مشتملة على ستمائة بيت وثلاثة وستين بيتا ذكره الشيخ الطالب ابن الحاج فى الإشراف وغيره.

٤٢٣ - عبد الرحمن بن محمد الفاسى لقبا، المكناسى داراً ومنشأ وقراراً، الشاوى أصلا المعزاوى.

من أولاد عمارة أحد أولاد السيد يش بن حمدون.

---

٤٢٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٣٨٨.

حاله: فقيه صالح ناسك، خير دين فاضل، زكى نزيه، أريحى ماجد، له يد طولى فى التوقيت والتعديل وما يتبع ذلك، أسندت إليه رياسة التوقيت فى العصر الإسماعيلى بالمسجد الأعظم، ورشح لذلك دون غيره حتى صار يدعى مزوار المؤذنين، وقفت على ظهير سيدنا الجد مولانا إسماعيل بترشيحه لما ذكر نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما عن الأمر العلى الإمامى المؤيد المنصورالإسماعيلى أمير المؤمنين المجاهد فى سبيل رب العلمين، الشريف الحسنى إسماعيل بن الشريف أيد الله تعالى أمره، وأعز بحوله وطوله نصره؛ وأطلع فى سماء المعالى شمسه المنيرة وبدره، آمين. يستقر هذا الظهير الكريم، والخطاب الجسيم، والأمر المحتم الصميم، بيد حامله الرجل الصالح، الناسك المرابط الخير الدين الساعى للناس فى المصالح، أبى زيد السيد عبد الرحمن ابن السيد محمد الفاسى لقبا المكناسى دارا ومنشأ وقرارا، الشاوى أصلا المعزاوى من أولاد عمارة أحد أولاد السيد يش بن حمدون، الموقت مزوار المؤذنين بالجامع الأعظم الكبير من حضرتنا العلية بالله مكناسة الزيتون حاطها الله تعالى، وجعلها محفوظة ملحوظة مقصودة، وبعين الله التى لا تنام منظورة مرصودة، آمين؛ يا رب العالمين.

يتعرف من يقف عليه أننا جددنا له حكم ما بيده من ظهائرنا الشريفة، الطاهرة المنيفة، وأقررناه على وظيفه الشريف، الغنى بشهرته عن التعريف، وبسطنا يده على أمور وظيفه وتكليفه الدينى على عادة الموقتين والمزاوير قبله، ليجتهد فى شئونه غاية الاجتهاد مستغرقا فى العبادة والطاعة نهاره وليله، جاريا فى ذلك على قانون النقباء والمزاوير السالفين؛ فى رعى الأوقات وإقام عمد الدين ونعهد له

ونطلب أن لا يخلى أوقاته من الدعاء الصالح لنا ولذريتنا بالخير والسداد والتوفيق، والهداية إلى سواء الطريق.

وبسبب قيامه بهذا الوظيف الكريم، والمنصب العظيم، وملازمته موضعه المجبل الجسيم، ومنصبه من المسجد العظيم، وما علم من صلاحه ودينه وأمانته وخيره وثقته أسبلنا عليه وعلى أولاده أردية التوقير والاحترام، وحملناه على كاهل المبرة والإكرام، وحاشيناه عما يتطرق للغير من سائر العوام، فلا سبيل لمن يصل جنابه بوظيف، أو مغرم أو تكليف، قوى أو ضعيف، رعيا لوجه الله تعالى الذى ألهمه رشده للقيام بالوظيف المذكور، فهو موقر محترم على مر الليالى والدهور، ومن قرب جانبه بسوء أو مكروه لا يلومن إلا نفسه، ولا يضرن إلا رأسه.

ونعهد إلى خدامنا وجميع ولاتنا المتصرفين فى هذه الحضرة العلية بالله عن أمرنا، أن يوقروا هذا الرجل المبارك فى نفسه وأولاده، بحيث لا يناله ولا يعمه شىء مما عسى أن يعم أو ينال أهل بلاده، وأن يعملوا بمقتضاه، ولا يتعدوا ما أبرمه الأمر الشريف وأمضاه، والسلام فى الثالث عشر من ذى الحجة الحرام عام ثلاثة وعشرين ومائة وألف هـ».

فالناظر بعين العبرة والادكار، المولع فكره بحل عويصات الأسرار، يلوح له بدلالة ألفاظه العذبة، ومعانيه التى يقال لكل يتيمة منها نخبة، أن لهذا الإمام الهمام، الغاية القصوى فى شئون الدين وكمال المراعاة والذمام، وأن بصيرته النافذة النظر، فى توجهها لحياطة المبتدأ والخبر، وأن كل من له أدنى انتساب لحرمته، قد أقامه تحت ظله ومنعته، وأنزله من مكانة الأمن والاحترام، بكهف لا يطرق إذ يرام؛ فهكذا هكذا تعرف الهمم والعزائم، والذهن السقيم من فكر اليقين الحازم، لا غرو أن الاهتبال بالمعابد ومن ألزم نفسه احترامها، صيرته العلياء أمامها

وإمامـها، فلذلك كـانت ألويته للنصـر لازمة، ولمعاندها أبدًا عـهدة جـازمة، إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم.

فانظر لتعلية احترام المترجم وخاصـته وحواشيه، وملاحظته بمقلة الكرامة مع ذويه، هل كان لغـير مثـابرته على حفظ وقوت الصـلاة، واعتبـارها بذا فى سره ونجواه، لا رغـبة فى عمل آخر من المصـالح العامة، أو الشـئون التى هى فى فكر الملك هامة، أدام الله عهد ضريحه منه فى اعتزاز، ما تعاقب على الجمل الإطناب والإيجاز.

٤٢٤- عبد الرحمن بن أحمد دادى الزرهونى.

حاله: شيخ عالم قدوة إمام، كثير الحفظ، متقن متفنن نقاد، ذكره فى عناية أولى المجد.

مشيـخته: أخذ عن أبى عبد الله مـحمد بن عبد السلام الفـاسى وغيره من الأعلام.

٤٢٥- عبد الرحمن بن محمد فتحا بصرى المكناسى.

حاله: فقـيه مدرس نزيه، علامة مشـارك، ماهر معدل، موقت حـيسوبى، نحوى منطقى، بيانى أصولى، إمام فى كل فن بحر زخار، لا يجارى ولا يبارى.

مشيـخته: أخذ عن عـلماء بلده مكناسة الزيتون، ارتحل لفـاس، وأخذ عن مهرة جلة شيوخه كالفقيه ابن عبد الرحمن الحجرتى ومن فى طبقته.

الآخذون عنه: أخذ عنه السـيد فضول بن عزوز، والسيـد فضول السوسى، والسيد محمد بن سميه فرمـوج، والسيد الطاهر الرغاى، والسيد محمد بن يشو، والسيد محمد بن عبو، والسيـد الجيلالى الرحالى وغيرهم، وزاد الأربعة الأخيرون عمن قبلهم فى الأخذ عنه علمى التوقيت والتعديل.

وفاته: توفى أواخر ربيع النبوى عام ١٢٦٨ ثمانية وستين ومائتين وألف.

٤٢٦- عبد الرحمن بن على بن محمد بن عبد المالك بن زيدان بن إسماعيل الأكبر.

جد العائلة العلوية المالكة صانها الله.

حاله: بقية السلف هديا وصلاحا وسمتا، أبيض مشرب طويل القامة، حسن الخلق والخق والمعاشرة، لا يمد عينيه لزخرف الدنيا وزينتها، راض بالقليل مقبل على شأنه، صلب فى دينه، لا تأخذه فى الله لومة لائم، ورده تلاوة القرآن والتهجد بالأسحار، فقيه نزيه عدل، مبرز ذو حزم وعزم وجد واجتهاد وهيبة ووقار وتواضع، يباشر قضاء ضرورياته بنفسه، ويسعى فى قضاء حوائج الخلق لدى ذوى الجاه والوجاهة، محبوب عند الخاصة والعامة، قضى نفيس أنفاسه فى تأديب الصبيان وتعليمهم القرآن العظيم وحسن التلاوة ومبادئ علوم الدين، وتخرج عليه عدد عديد من حملة القرآن ومجوديه من بنى عمه الشرفاء وغيرهم، حتى كان لا يعرف إلا بالفقيه الكبير.

صاهره السلطان المولى عبد الرحمن بكريمته المصونة السيدة فخيتة شقيقة المولى العباس بن عبد الرحمن آتى الترجمة، وكان يجله ويبجله، وكان الإمام الراتب بضريح جده المولى إسماعيل، وولاه السلطان سيدى محمد النقابة بعد وفاة صنوه أبى العباس أحمد بن زيدان، فحمدت سيرته فيها.

ونص ظهير الولاية بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير:

«يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره، أننا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنته، قدمنا ابن عمنا الأرضى مولاى عبد الرحمن بن على بن زيدان على أبناء عمنا الشرفاء العلويين بمكناسة الزيتون، وجعلناه نقيبا عليهم، وأسندنا له النظر فى أمرهم، وفوضنا له فى تنبيههم وإرشادهم إلى أحسن الأحوال. وكفهم عن قبيح الأفعال. تقديما تاما. وإسنادا عاما.

فعليه بتقوى الله العظيم فيما أُسند إليه، ورعاية ما قدم عليه، وأن يجرى أموره معهم على أحسن المسالك وأرضاها ويقوم أحسن قيام بهذا الوظيف، ويعتنى فيه بجانب المشروف والشريف، والقوى والضعيف، فالله يتولى توفيقه وهدايته لما فيه رضاه، والسلام فى ثالث ذى القعدة الحرام عام ١٢٨٨».

ولما بلغه ظهير الولاية كتب لحاجب السلطان وهو يومئذ موسى بن أحمد لينوب عنه فى إبلاغ السلطان قبوله الخطة وامتنانه من صنيعه ونص الكتاب من خطه بلفظه:

«محبنا الفقيه العارف بربه، الناصح الأمين للحضرة العالية به، السيد موسى ابن المرحوم السيد أحمد، زادك الله من الفضل الجزيل وسلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير أساس الشرف الباذخ وينبعه، ومناط الفضل الشامخ ومجمعه، مولانا، ونعمة الله التى أولانا، لا زالت أعلامه منصورة. وأيامه على الأمن والأمان والعز مقصورة، هذا وقد وافانا ظهير مولانا الشريف، مختوما باسمه العفيف، بالتقديم على أبناء عمه الشرفاء العلويين بمكناسة الزيتون على يد الخديم الأرضى الباشا القائد محمد بن أحمد وفوض لنا مولانا أعزه الله فى تنبيههم وإرشادهم إلى أحسن الأحوال، وكفهم عن قبيح الأفعال، ودعا لنا فى ذلك أطال الله بقاءه، بالهداية والتوفيق لما فيه رضاه، فقبلنا وقبلنا، وعلى سواد العين أوضعنا، وتبركنا بارك الله فى عمره وقواه، وبلغة من خير الدارين أمنيته ومتعنا بحياته ورضاه؛ آمين وبالفضل منك النيابة بالسمع والطاعة كما يليق بقدر مقامه الشريف جعلنا الله وإياك من المتحابين فيه والمحبوبين لديه بمنه آمين، والسلام فى ٧ قعدة الحرام عام ١٢٨٨.

عبد الرحمن بن على بن زيدان لطف الله به».

ولما تولى السلطان المولى الحسن بن محمد أقره على ولايته بظهير شريف نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الحسنى الكبير:

«جددنا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، لماسكه ابن عمنا الشريف الأجل الأرضى مولاى عبد الرحمن بن على بن زيدان على ما بيده من ظهير مولانا الوالد طيب الله ثراه، وأكرم فى الفردوس مستقره ومثواه، بتقديمه نقيبا على أبناء عمنا الشرفاء العلويين بمكناسة الزيتون وفرهم الله وأسندنا له النظر فى أمورهم وفوضنا له فى تنبيههم وإرشادهم ودلالتهم إلى سواء الطريق، وكفهم عما لا يجمل بنسبتهم الطاهرة مما لا يليق فعليه بتقوى الله العظيم فيما أُسند إليه، ورعاية ما قدم عليه، وأن يجرى أموره معهم على أحسن المسالك وأرضاها، وأقوم الطرق وأهداها، ويقوم أحسن قيام بهذا الوظيف، ويعتنى فيه بجانب المشروف والشريف، والقوى والضعيف، والله يتولى هداه، ويوفقنا وإياه لما فيه رضاه، والسلام صدر به أمرنا الشريف المعتز بالله فى ٢٤ صفر الخير عام ١٢٩١».

وبنفس التاريخ أصدر له ظهيرا آخر فى الاستمرار على ما كان عليه العمل من إسقاط كل من تزوج من الأشراف العلويين بغير بنات عمه العلويات من زمام الأشراف، ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الحسنى الصغير:

«ابن عمنا الشريف الأرضى، النقيب مولاى عبد الرحمن بن على بن زيدان، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فما كان كتب به مولانا المقدس بالله لأخيك النقيب مولاى أحمد رحمه الله من أن الشرفاء يتركون بنات عمهم ويتزوجون بالعاميات، وأمره أن كل من تزوج منهم بعامية فليسقطه من زمام الشرفاء، نأمرك أيضا بمثله واقرأ عليهم كتابنا هذا ليكونوا من أمره على بصيرة والسلام فى ٢٤ صفر الخير عام ١٢٩١» وبعده بخط بعض القضاة: استقل.

وفى هذا الظهير الإشعار بعلة المنع من التزوج بالعاميات، وأنها هى بقاء الشريفات بدون تزوج، وفى ذلك من الضرر ما لا يجهله مميز لرغبة العوام ولو كانوا أكفاء عن التزوج بالشريفات لإملاقهن، أما رغبة الشرفاء فى التزوج بغير بنات عمهم فلأجل ثراء العوام غالبا، ولم يتزوج قط شريف بعامية لغير العلة المذكورة، ومما يؤيد العلة المشار لها عدم إقبال العوام على التزوج بالشريفات بعد ما رفع الحجز الذى قرره الظهير، وقد تقدم لنا الكلام فى هذا الموضوع والاحتجاج له من كلام الفقهاء فى ترجمة السلطان المولى الرشيد.

ونص ظهير حسنى آخر للجد المترجم فيما يرجع لأمور النقابة بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«ابن عمنا الشريف النقيب مولاى عبد الرحمن بن على بن زيدان وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد ورد على حضرتنا العالية بالله حامله الشريف مولاى الزين بن الصديق العلوى مشتكيا بحسب النيابة عن زوجه لال هنية بنت مولاى لحسن وأيتامها من زوجها قبله، كان مولاى الطاهر بن أحمد ترك دويرة فى حمام الجديد فتزوج أخوه مولاى الفاطمى بعده بزوجه المذكورة، وتعدى على الدويرة ففوتها بالبيع لمولاى عب المسجون، وقبض ثمنها ثم طلقها، ولما تزوجت بالشاكى تكلم على الدويرة حتى ردها وسكن بها مع زوجه المذكورة مدة، وصار يراوده المشترى المذكور على قبض ثمنه من البائع لتنحسم مادة النزاع فيها وتخلص للمحاجير وأمهم، فأبى من قبضه فثقفت الدار وأحلته على الشكوى لحضرتنا العالية بالله، فنأمرك أن تصرف النازلة للشرع وما حكم به فيها فنفذه والسلام فى ٢٤ شوال عام ١٢٩١».

وفى هذا الظهير أن المسائل الشرعية الواقع فيها النزاع بين الأشراف كانت ترفع للقاضى على يد النقيب، وأن التنفيذ بعد حكم القاضى فى النازلة يكون للنقيب، ولا يد للقاضى فيه ولا لغيره.

مشيخته: منهم والده العلامة المشارك أبو الحسن على المترجم فيما يأتى، وشيخ جماعة الأساتذة والمقرئين السيد اليزيد آتى الترجمة وغيرهما من جلة العلماء والمقرئين.

الآخذون عنه: منهم أولاده البررة عمنا أبو محمد عبد القادر آتى الترجمة، ووالدنا المقدس أبو عبد الله محمد، وعمنا مولاى الطاهر، وصنوه المولى على، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الطاهر العلوى، والأستاذ المولى الحسن بن الحسن العلوى، وأبو عبد الله محمد بن الطاهر، وأبو محمد عبد القادر بن المأمون، وأبو الحسن العربى بن على بن المتوكل، والشريف المولى سليمان بن العباس وغيرهم ممن لا يعد كثرة، إذ عدد خصوص من تخرج به من الشرفاء العلويين بالخصوص يزيد على المائتين.

وفاته: توفى قدس الله روحه فى أوائل محرم فاتح عام ١٢٩٢، ودفن حذاء والده بروضة أبى زيد عبد الرحمن المجذوب، خارج مبنى ضريحه وضريح الشيخ عمران الجناتى مستقبل الترجمة بأصل الجدار الشرقى من الأولى.

٤٢٧- عبد الرحمن بن التهامى بن الفقيه العلامة سيدى يحيى بن عبد الواحد الشريف الحسنى الإدريسى الزرهونى.

إمام الضريح الإدريسى بزاوية زرهون.

حاله: فقيه أستاذ معمر ناسك، بركة فاضل جليل، من أهل الخير والدين

وملازمة الضريح الإدريسى والإمامة به على سنن وهدى سلفه الصالح مشتغل بما يعنيه.

مشيخته: أخذ علم القراءات بفاس عن مولاى إدريس البكراوى، وصحب الولى الجليل القدر عبد القادر العلمى آتى الترجمة، وإليه ينتسب فى طريق القوم.

وفاته: توفى ببلده زاوية زرهون عام اثنين وثلاثمائة وألف.

٤٢٨- عبد الرحمن القرشى دفين بطحاء خارج باب بريمة، ولم أقف له على ترجمة.

٤٢٩- عبد الرحمن التاغى دفين حومة حمام الجديد، ولم أقف له على ترجمة.

٤٣٠- عبد الرفيع بن مسعود بن عبود المكناسى الأصل.

حاله: فقيه علامة فاضل ماجد نزيه، تولى القضاء بثغر سَلاَ حسبما استفيد ذلك من رسم عليه خطابه بتاريخ ثمانين ومائة وألف، وكتب لى فى شأنه صديقنا المؤرخ الأديب الواعية الأكتب سيدى محمد بن على الدكالى السلاوى، أن السلطان سيدى محمد بن عبد الله وجهه لمدينة سَلاَ بصفته قاضيا نائبا عن السلطان فى بيع أملاك بنى فنيش، وذلك عام ألف ومائة وثمانين، واتصل قضاؤه بالعدوتين إلى عام أربعة وثمانين ومائة وألف، وأخبر أنه رأى ببعض رسوم بسلا التعريف بشكله أنه عزل عن القضاء بعد ثمانين ومائة وألف، وعدلا الرسم رباطيان محمد بن أحمد الغربى وعبد الله بن محمد بنانى والقاضى محمد المهدى ابن محمد مرين بتاريخ جمادى الثانية عام أربعة وثمانين ومائة وألف، وأخبر أن بعض الرباطيين هجاه بقصيدة مطلعها:

أمكناســة الزيتــون جرت فــراقــبى		إلهًــا شـــديد البطش ليس بـغــافل
رمـيت رباط الفـتح ظلمــا بأشــأم		عريض القــفا ناءٍ عن الرشــد جاهل
كــريه المحيــا مــائل الشدق أخــرق		عــتل بــحكم الشــرع ليس بــعــامل
مزيح لأهل الفضل والدين والحجا		مــقــرب نذل ســيئ الأصل ســافل

ومنها:

بلينا بــوغــد يجــمع المال من رشــا		عــلى يــد أوباش لــئـــــــام أراذل
أرح ربــنــا مــنه الــربــاط وأهــلــه		وفــرج عليــهم عــاجــلا غــيــر آجل

قال وقـفت عليها بخـط أبى عبد الله الضـعيف نسبـها لبعـض الرباطيين، ورأيت تحليتـه بالعلم والجلالة فى وثائق سلوية، وذكره الزيانى من علمـاء مجلس السلطان سيدى محمد بن عبد الله فى الفهرسة السليمانية رحم الله الجميع.

٤٣١- عبـد الكريم بن محمـد بن أحمد بـن عبد المالك بن مـحمد بن عـبد العزيز بن عبد الواحد أبى الغيث الحسنى العلوى.

حاله: شـريف أصيل، وجـيه نزيه، جليل أثيل، فقـيه نبـيه، باقعـة زمانه وأوحده نبلا وفضلا وسياسة وجوداً وشجـاعة وإقداما، استوزره إمام وقته السلطان مولاى عبد الله بن إسماعيل فأحسن السيرة فى مأموريته.

وفاته: توفى بمكناس الزيتون على ما فى الشجرة الـزكية فى حدود الخمسين زمن الوباء.

٤٣٢- عـبـد الكريم بن الرضى بن مـحـمـد بن على بن أحـمـد اليلمـحى الشريف الوزانى.

نزيل زاوية جبل زرهون، ودفين مكناس.

حاله: مجذوب سالك، ذو أحوال خارقة، وكرامات باهرة ظاهرة، وسريرة منورة طاهرة، كثير الانتقال، سكن أولا وزان ثم فاس ثم مكناس ثم زرهون، وبه طاب له القرار مدة، ثم انتقل منه آخر عمره إلى مكناس وبه كانت منيته.

أخبرنى العلامة الثبت ابن عمنا سيدى محمد بن أحمد، أنه أخبره صهره الشريف الفقيه البركة منور الشيبة والوجه المنعم مولاى الفضيل بن الأمين العلوى المتوفى فى عام أربعة وعشرين وثلاثمائة وألف، أن أول قدوم المترجم للزاوية من فاس كان صحبته، وأنه لما قدمها كان استقراره بأحد الأقواس التى كانت قديما بالبيبان المحل المعروف بالزاوية بين الحرم الإدريسى والسوق، وتلك الأقواس هى محل الحوانيت الآن بالمحل المذكور، وأنه ربما كان طبخ ما يأكله هناك، ومما طبخه فى بعض الأيام مدة مقامه هناك بصارة الجلبان، وفيها فراخ الحمام، وأنه ذكر له عنه فى ذلك قصة مضحكة غابت عنه الآن، وأنه أخبره هو أو غيره أنه بعد ذلك صار ينتقل تدريجا للاستقرار بأماكن الحرم الإدريسى إلى أن صار استقراره منه قرب الخصة الأولى الكائنة أمام المدرسة، وأنه كان ربما خرج بعض طلبة المدرسة فى جوف الليل فيجده واضعا رأسه أسفل الخصة وأنبوبها يصب عليه، يستمر على ذلك برهة من الزمن، هذه كانت بداية حاله هناك، ثم بعد ذلك صار له الظهور التام، وكثر غاشيه ومعتقده وزائره، وبنى داره خارج الزاوية أعلى عين وليلى، تشتمل تلك الدار على مسجد وأماكن للأضياف والخدم، زيادة على أماكن سكنى الأهل والعيال، ولا زالت أطلالها شاخصة بالمحل المشار، عششت فيها الأفاعى والحشرات وباضت وفرخت، وكان ينزل منها للزاوية راكبا فرسا مسرجا وحوله وأمامه حشمه من العبيد وغيرهم حاملين للسلاح، ومعهم بعض الكلاب مقلدة الأعناق، هذه كانت صورة موكبه.

وكان يكثر من الذبائح على الضريح الإدريسى، وكان يدخل السوق على

هذه الصورة ويقف على الحوانيت فيأخذ من أربابها من قماش ونحوه ما يحتاج إليه إما لنفسه وعياله، وإما لمن استعطاه وتعلق به، ثم تارة يدفع لرب الحانوت فى ذلك ما يساوى أضعاف ثمنه، وتارة يعده بالدفع فى وقت أخر، ثم قد يحصل ذاك وقد لا يحصل، فلهذا صار كثير من أرباب الدكاكين إذا أحسوا بموكبه أغلقوها قبل وصوله، فكان إذا وجد الدكاكين مغلقة يقول سيأتى أهل فاس ويعمرونها ودور أهلها، فكان الأمر كما قال وليس الخبر كالعيان.

وقد اتفقت مسغبة فى وقته، فلما اشتد أمرها بالناس اتفق رأى جماعة عامة الزاوية الزرهونية على جمع هدية وتقديمها للمترجم وطلب الشفاعة منه إلى الله تعالى ففعلوا فبينما هم أثناء الطريق لداره وإذا هو قد نزل إليهم وأمرهم برد الهدية إلى الضريح الإدريسى لينتفع بها ضعاف الأشراف، ثم سار معهم إلى أن حلت محلها ثم التفت إليهم، وقال أين فلان؟ لرجل مجذوب هناك فلم يجده معهم فأمرهم بالإتيان به، فذهب بعضهم وجاء به إليه، فلما قابله المجذوب صار يستغيث منه ويقول له: أنت فضحك الله وأردت فضيحتنا، والمترجم لا يقبل له شكاية، بل أمر الجماعة بالإتيان بقميص ونعل فأتوا بهما فأمرهم بإلباسهما لذلك المجذوب ففعلوا جبرا عليه، وبعد ذلك أمرهم بإطلاقه فذهب ذلك المجذوب من ليلته تلك ميتا.

قال مخبرى وبلغنى عن المترجم أنه أتى فى بعض الليالى لبعض معتقديه من أهل الزاوية وطرق بابه بعنف، فلما خرج إليه أمره بإخراج أهله فورا، فبمجرد خروجهم لباب الدار سقطت الأماكن التى كانوا بها، قال: ولقد أدركته أنا فى صغرى ولا زالت صورته وموكبه بين عينى، إذ غالب مروره كان أمام درب سكناى هـ.

وكان زائرو المترجم والمكثرون التراداد عليه لداره يجدون عبيداً سوداً حمر

الأعين ذوى هياكل مفزعة بسجونه فى سلاسل وأغلال لا يكلمون ولا يكلمون، ولا يعرفون فى الخارج، ثم لمادنا أجله انتقل من زرهون إلى مكناسة الزيتون، وفيها أدركته منيته، وبالجملة آثار المترجم وأحواله الخارقة وكراماته الباهرة لا تكاد تنحصر.

مشيخته: منهم ابن عمه سيدى الحاج العربى الوزانى المتوفى ليلة الأربعاء أول ليلة من المحرم عام سبعة وستين ومائتين وألف كما فى بلوغ القصد والمرام تأليف البركة الصالح سيدى العربى الوزانى التهامى الرباطى.

الآخذون عنه: أخذ عنه العلامة المجتهد البركة السيد الحاج أحمد اعبابو، والمجذوب الساقط التكليف السيد محمد المدعو منصور آل السيد سعيد المَشَنْزَائى المتقدم الترجمة فى المحمدين وغيرهما.

وفاته: توفى بمكناس سنة خمس وتسعين ومائتين وألف، ودفن بزاوية أسلافه من حومة باب البراذعيين قرب جناح الأمان، وضريحه ثَمَّ من أشهر المزارات.

٤٣٣ - عبد المالك بن فخر الملوك أبى النصر إسماعيل.

حاله: إمام عدل، شهم سخى، ذو ثبات وأصالة فى الرأى، بهذا وصفه أبو محمد عبد السلام بن الخياط القادرى، ووصفه بعض السفراء الإنجليزيين بما ترجمته: ولهذا الإمام خلق مخالف تماما لخلق مولاى أحمد الذهبى، مقتنعا زاهدا لا يشرب إلا الماء، وكان متدينا شديد التمسك بشريعة محمد ﷺ، وكان من أكثر الجنود بسالة وشجاعة، ولكن من شدة تعصبه للدين أنه كان لا يثير معركة فى يوم عيد ولو كان فى ذلك ما فيه من الأخطار على المملكة كلها، ويقال: إنه تحت ستار الصلاح والتقوى كان جبارا سفاكا للدماء، وكان أشياعه يرون فى ذلك تنفيذا للعدل الإلهى وقد استولى على العرش لخروج أخيه عن الجادة المستقيمة وتعاطيه للخمور هـ.

ووصفه الزيانى ومن تبعه بالبخل والشح، والظاهر أن المترجم لم تكن يده مغلولة إلى عنقه ولا مبسوطة كل البسط كأخيه أبى العباس أحمد الذهبى الذى أفضى به جوده إلى حد التبذير المذموم من اتصف به على لسان الشارع، وقد بلغ جيش عبيد البخارى ومن فى حكمهم من الشره ما صير الاقتصاد المحمود فى نظرهم شحا وبخلا، يدل لذلك ما يتلى عليك مما بذله من العطاء لوفود البيعة وغيرهم.

وقد كان عقد له والده قبل على درعة وأعمالها، وأنزله بقصبتها، ورتب معه ألف فارس، وذلك سنة إحدى عشرة ومائة وألف، ولما كانت سنة أربع عشرة حاربه صنوه أبو النصر وشرده من محل مأموريته، ففر لضريح أبى العلاء إدريس الأكبر بزرهون، واستولى أخوه أبو النصر المذكور على درعة، فبعث السلطان والده ولده المولى الشريف إلى درعة واليا عليها، ثم ولى صاحب الترجمة على سوس.

قال ابن الخياط ما ملخصه: لما قبض الله والده إليه بايعه أهل مراكش وبلاد السوس، إذ كان عاملا لوالده على تلك البلاد، وكان محل استيطانه بتارودانت، أما عبيد البخارى الذين كانوا بمكناس ومشرع الرملة فبايعوا لصنو المترجم أبا العباس أحمد المعروف بالذهبى خليفة والده المرحوم بتادلا، ثم وقع بين المترجم وصنوه المذكور قتال وحروب انجلت بظفر العبيد وانهزام صاحب الترجمة، فرجع لتارودانت، ثم بعد مدة خلع العبيد أبا العباس المذكور، وبايعوا لصاحب الترجمة ووجهوا له بيعتهم لتارودانت واستقدموه فقدم، ولما حل بمكناسة وفدت عليه وجوه فاس ببيعتهم على منبر جامع القصبة، وكانت البيعة من إنشاء الشيخ أبى مدين الفاسى وقفت عليها بخطه فى مسودتها وإليك نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد المصطفى الكريم، وعلى آله وصحبه أولى البر والتعظيم، أفضل الصلاة وأزكى التسليم،

بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا، الحمد لله الملك الفتاح، بحده فى كل الأمور يحمد الاستفتاح، فتح لنا أبواب السعادة من فضله وارتضى لنا الإسلام دينا قويما، وشرع لنا منه منهاجا واضحا وسبيلا مستقيما، وأسبغ علينا بسابغة كنتم خير أمه أخرجت للناس فضلا عميما، عجزت العقول عن كنه ذاته فضلت فى بيداء الأوهام، وحارت الأفكار فى باهر صفاته فأصبحت طائشة السهام. وسددت الأفهام الثاقبة إلى محيط علمه فكان القصور قصارى تلك الأفهام، ووقفت توقف الانقطاع عن بلوغ ذلك المرام، لا تستطيع تأخيرا ولا تقديما، تقدس فى ربوبيته عن الشبيه والنظير، والشريك والمعين والظهير والوزير، وتنزه فى وحدانيته وكبريائه عن لواحق المحدثات، وأحاط علما بالكائنات، على تباين الأنواع وتنافر الأضداد والمشابهات، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات والأرض إنه كان عليما حكيما، وتبارك الله الذى خلق الخلق أطوارا، وأودعهم من حكمته لطائف وأسرارا، وأحسن خلقهم تقويما، وأودع قلوبهم من هداية العقل نورا، وألهمهم طريق النظر والاستدلال فعلموا بسواطع البراهين أن لهم صانعا قديرا، يسر لهم المآرب تيسيرا، وتمم لهم المصالح تتميما، وجبلهم على التمدن والائتلاف، ولم يجعل من سجاياهم التنافى والتباعد والاختلاف، وبوأهم من عصممة النفس والمال حرما أمينا، وأهلهم ليسلكوا من رفقه ولطفه سبيلا مبينا، وألزمتهم وظائف التكليف مفروضا ومسنوبا، ومحظورا ومحتوما.

والحمد لله الذى لا تحصى ضروب نعمه المترادفة، ولا تنفذ خزائن رحمته مع اتصال سحائبها الواكفة، ويعطى من لجأ إليه وتوكل عليه فضلا جسيما، فبأى مواهبه العميمة نغرى لسان التحميد، وفى أى باب من الأبواب آلائه الكريمة نحط

ركاب التمجيد، أبنعمة الخلق، أم بنعمة الرزق؛ لقد بهرت آلاء ذى العرش المجيد، خصوصا وعموما، ومن عنايته جل جلاله بهذا النوع الذى فضله بالعقل على كثير من خلقه، وشرفه لما عرفه طرق القيام بحقه، وجعل له بمقتضى لطفه حدوداً يقتفى آثارها ورسوما، واصطفى منه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبعث منهم رسلا لبيان تفاصيل الأحكام، وكان فضل الله عليه عظيما، وخصنا سبحانه بهذا النبى الكريم الذى تأخر بالزمان. وتقدم لديه جل وعلا بشرف الحظوة والمكان، تشريفا لنا وتكريما، وأطلع شهب هدايته المنيرة، وأخمد به نار الشرك المستطيرة، فاتسق نظم الدين به خير اتساق، واستقر الحق محوطا بأمره ونهيه من اضطراب وافتراق، حتى تكامل الدين بأقصى كمال، ومد الإسلام على البسيطة أورف ظلال، وأينعت أدواح الرشد بعد أن كانت هشيما.

نحمده تعالى حمدا نستوجب به المزيد من نعمائه، ونستجلب جزيل مواهبه وآلائه. ونستنشق من أنفاس عطاياه الجليلة نسيما، ونشكره سبحانه على أن ألهمنا شكره المستدعى المزيد من الإنعام. والمولى من الآلاء أوفى الحظوظ والأقسام. شكرا يكون بتضاعف الجود والكرم زعيما.

ونشهد أنه الله الذى لا إله إلا هو وحده لا شريك له شهادة لا يحوم حولها الالتباس، وإنما تتأرج منها رياض الصدق عاطرة الأنفاس، وتطلع وجه التحقيق لأبصار البصائر(١).

ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمداً عبده ورسوله النبى العربى القرشى الهاشمى الذى اختاره واصطفاه، ووفاه من حظوظ اختصاصه واعتنائه ما وفاه. وأزاح به عن الوجود علله وشفاه. وأثنى عليه فى محكم كتابه الحكيم وكفاه فخرا

---

(١) فى هامش المطبوع: «خرق بالأصل ويناسبه أن يقال وسيما».

عظيمـا، انتخـبه من سلالة إبراهيـم وإسماعـيل، وأنزل بشارة مبـعثـه فى التوراة والإنجيل، وكـرم بولادته الذبيح والخليل، وجعله أزكى الخلائق عنصـرا وأطهرهم خيما.

النور الذى تضاءلت الأنوار لطلوعه، وتفجرت ينابيع الخيرات والبركات من ينبوعه، واحتفل الشرف الغض بين أصوله الطاهرة وفـروعه، حديثا وقديما، ختم الله به النبـوة والرسـالة، ومحـا بنور الحق الذى جـاء به ظلم الظلم والضـلالة، وأوضح المذاهب عن الله تحليلا وتحريما، فكان مما جاء به ﷺ من دين الله وجوب نصب الإمام، لإقامة الحدود والأحكام، وليحصـل الاجتماع والالتئام، على كلمة الحق وشرائع الإسلام فتظافرت الدلائل الشرعيـة منطوقا ومفهوما، وأشار ﷺ إلى خلافة أفـضل هذه الأمة على التحقيق، وأهله لحـمل تلك الأمانة وهو الخليق بها والحقيق، صاحبه وخليفتـه سيدنا أبى بكر الصديق، فكان على أهل الباطل شديدا وبأهل الحق رحيما.

ونصلى ما لاحت الزواهر فى أفلاكها، ونـظمت الجواهر فى أسلاكها، على أشرف الخلق وسيد ملوكها وأملاكها، ونسلم تسليما، ونرضى على آله وصحابته، وأوليائه وأنصاره وعـصابته، المستوجـبين من الله عز وجل بنصرته وإجـابته، مزية قوله تعالى: ﴿... وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [سورة النساء آية ٣١] ما ركضت جيـاد الألسن فى ميادين ثنائهم، واقتـدت الأمة فى الأمور الدينيـة والدنيوية بآثار علمائهم انتفاعا وتعليما.

أما بعد: هذه الفاتحة التى فـتحت من النجح كل باب، واستمسكت من الله ورسوله بوسائل وأسبـاب، فإن من المتقرر فى القواعد السنية. أن كل مـا نتعبد به فمرجعه إلى الدلائل الشرعـية، وأن العقل إذا سدد حكما من الأحكام عند تناوله قبولا وردا فحقه أن يعرض على سلطان الشرع توقيعه، ويلقى فى يد ذلك المسيطر

الناقد جميعه، فما كتب بإمضائه أنفذ وأعمل، وما لم يجزه طرح وأهمل، ولا خفاء أن نصب الإمام مما اقتضاه الشرع والعقل، وتعاضد فيه السمع والنقل، إذ به تحفظ رسوم مصالح الدنيا والدين، وتخفض رقاب المعتدين المتعدين، وترفع لهيبته المظالم، وتعلو بكلمته للدين مشاهد ومعالم، وتصان به الحرم والأموال، وتزول الفتن وتدفع الأهوال، وأن طاعته واجبة وجوبا محتما، وجنابه الجليل حقيق أن يكون لدى الخاص والعام محترما معظما، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ... ﴿٥٩﴾﴾ [سورة النساء آية ٥٩] وقد جاء فى الأثر: أنه لا ينبغى لمؤمن أن يبيت ليلة وليس عليه إمام، وقال عليه السلام: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلته جاهلية، ومن خرج على أُمتى يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى مؤمنها ولا يفى لذى عهدها فليس منى ولست منه. رواه مسلم.

وقال عليه السلام: إذا مررت ببلدة ليس فيها سلطان فلا تدخلها إنما السلطان ظل الله ورمحه فى الأرض. أخرجه البيهقى.

وقال عليه السلام: السلطان ظل الله فى الأرض يأوى إليه الضعيف وبه ينتصر المظلوم ومن أكرم سلطان الله فى الدنيا أكرمه الله يوم القيامة أَخرجه ابن النجار.

وقال عليه السلام: السلطان ظل الله فى الأرض فمن غشه ضل ومن نصحه اهتدى. أخرجه البيهقى.

وقال عليه السلام: السلطان العدل المتواضع ظل الله ورمحه فى الأرض يرفع إليه عمل سبعين صديقا. أخرجه أبو الشيخ.

وقال سهل بن عبد الله رضى الله عنه: من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق، ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع، ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل، وقال: إن لله سبحانه فى كل يوم نظرتين نظرة إلى سلامة أموال الناس ونظرة إلى سلامة أبكارهم فيطلع فى صحيفته فيغفر له ذنوبه.

وقال عليه السلام: الولاية فى قريش ما أطاعوا واستقاموا. ولا شك أن أهل بيت سيد المرسلين، أعظمهم موقعا فى قلوب المؤمنين، وأكرمهم منزلة عند رب العالمين، أنالهم تعالى فى خلقه فضلا كبيرا، وكان جنابهم الكريم بالتفضيل والإكبار جديرا، ومنحهم إجلالا ورفعة وتكبيرا، وأولاهم بين الأنام تعظيما وتوقيرا. ونور بهم العالم تنويرا، وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وأمر أن تعتقد حرمة شرفهم النبوى، وأن يقدر قدر منصبهم الشريف المصطفوى، وكفاهم شرفا ومجدا، أن كان أشرف خلق الله لهم جدا. أكرمهم سبحانه فى سابق أزله، بأن أهَّلهم للقرب من أكرم رسله فأكرم بذلك الإكرام إكراما وبذلك القرب قربا، وأحبهم تعالى وجعل من حق نبيه أن يحبوا فقال جل ثناؤه: ﴿ ... قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ... ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الشورى: آية ٢٣] قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى، قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: على وفاطمة وولداهما أخرجه الطبرانى وغيره، ابن حجر باطل موضوع.

وقال عليه السلام: أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لحب الله وأحبوا أهل بيتى لحبى أخرجه الترمذى.

وقال عليه السلام: لا يدخل قلب امرئ إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتى، أخرجه النسائى.

وقال عليه السلام: من أبغضنا أهل البيت فهو منافق أخرجه ابن عدى.

وقال أبو بكر رضى الله عنه: ارقبوا النبى ﷺ فى أهل بيته، رواه البخارى.

وقال عليه السلام: النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتى أمان لأمتى أخرجهُ الطبرانى.

وقال عليه السلام: إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وعترتى أهل بيتى ولن يفترقا حتى يردا على الحوض.

وإن مما امتن الله به علينا من أهل هذا البيت الشريف، الذى أولاه الله أشرف التعظيم وأعظم التشريف، من قدمه الله تعالى لسلطانه العزيز، ورفعهُ المولى جل وعلا على منصة التبريز، شريف السلاطين وسلطان الشرفاء، ومن بجده عليه السلام له الاتباع والاقتفاء، الإمام الذى ألقت إليه الإمامة زمامها، وقدمتهُ الأفاضل لما اختص به من الفضائل أمامها، فأحيا الله به ما كاد أن يسلب من الأمن الأثر، وأقال به عثرة الدهر بعد ما عثر، وأقام به سوق العدل وأوضح معالمه، وأشاد مفاخر الفضل وأضحك مباسمه، وسعدت بوجوده وجوده الخلافة، واندفع عن الدين به كل آفة، عميد المجد الذى لا يتناهى فخره، ووحيد الحسب الذى تسامى قدره، فرع الدوحة المحمدية التى عم خيرها الإسلام، وغصنها الناعم الذى فى روض أمنه أنام الأنام، بضعة الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التحيات وأنمى البركات وأطيب التسليم، إمامنا المنصور بالله المظفر المؤيد المعتمد على الله المستعين بالله الخاضع المتواضع لله المتوكل على الله المفوض أمره إلى الله المحلى بحلية الطاعة والتقوى، المستمسك من سنة جده عليه السلام بالحبل الأقوى السالك من سبل المعالى أسنى المسالك، أمير المؤمنين أبو المفاخر مولانا (عبد المالك)، ابن السلطان الأظهر، الهمام الأطهر، الملك المعظم الأفخم الأشهر، الحائز قصب السبق فى ميادين التفضيل، أمير المؤمنين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، مولانا إسماعيل، ابن سيدنا شمس فلك السعادة، وينبوع الملك المنوط

بمجد الشرف وشرف المجادة، الذى تدرع بدرع التقى والورع، وجمع من محاسن المعالى ما جمع، المستغنى شرفه الصريح عن الإيضاح والتعريف، ذو المواهب اللدنية، والفتوحات الربانية، مولانا الشريف، ابن مولانا على ابن مولانا محمد ابن مولانا على ابن مولانا يوسف ابن سيدنا علم الأعلام، كعبة الزائر وركن الاستلام، باب الفضائل ومفتاحها، ومشكاة البركات ومصباحها، ذى العناية السابقة والأنوار البارقة، من أصبحت تربتهُ مزورة، وكراماتهُ مشهودة ومشهورة، الإمام البركة الولى، مجاب الدعوة مولانا على، ابن مولانا الحسن ابن مولانا محمد ابن مولانا حسن ابن مولانا قاسم ابن مولانا محمد ابن مولانا أبى القاسم ابن مولانا محمد ابن مولانا الحسن ابن مولانا عبد الله ابن مولانا أبى محمد ابن مولانا عرفة ابن مولانا الحسن ابن مولانا أبى بكر ابن مولانا على ابن مولانا حسن ابن مولانا أحمد ابن مولانا إسماعيل ابن مولانا قاسم ابن مولانا محمد ابن مولانا عبد الله ابن مولانا حسن المثنى ابن مولانا الحسن السبط ابن مولانا أمير المؤمنين على بن أبى طالب ومولاتنا فاطمة بنت سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعلى آله الأكرمين، وأصحابه الجلة المكرمين، وبجاههم نسأل الله بقاء وجود مولانا نصره الله فى العز المكين، وتأييده بكمال التأييد والتمكين، وأن يديم دوام الدهر سعادة أيامه، ويجعل البسيطة فى قبضة يده وطوع أحكامه، ولا برحت كواكب سعوده فى السعادة زاهرة المطالع، ومواكب جنوده فى ميادين الظفر ظاهرة الطلائع، وعدله سائرا فى الليالى والأيام، وفضله ناشرا أعلام إحسانه على الخاص والعام.

فانعقد الإجماع على أنه خلد الله نصره المتعين لاختصاصه بهذه المزية العظيمة، لما اشتهر من استكماله شروط الإمامة المباركة الجلية الكريمة، ولطالما كانت تستشرف إليه، لتتشرف بقبوله إياها وحلولها لديه، إلى أن حظيت منه بالقبول، وفازت من مجادته ببلوغ المأمول، فلو رام غيره أن يسلك هاتيك

المسالك، لقالت يأبى الله والمسلمون ذلك، ولانعقاد الإجماع على استحقاقه لها، ولكونه أحق بها وأهلها، بايعته بالحضرة الإدريسية حرسها الله بوجوده شرفاؤها وعلماؤها وصدورها وأهل الحل والعقد منها على طاعة الله وسنة رسوله ﷺ وعلى ما بويع به الخلفاء الراشدون المهديون رضى الله عنهم، وعلى السمع والطاعة فى المنشط والمكره، والعسر واليسر بيعة مباركة صحيحة قرت بها نواظرهم، وشهدت فى ذلك على صفاء بواطنهم ظواهرهم، وأعطوا بها مع الإفصاح بالكلام صفقة إيمانهم، وجعلوها أُسا يبنون عليه صالح أعمال أديانهم، وتقلدوا من طاعته طوق الحمامة، معتقدين أن سلامة الأمة إنما هى باتباع هذه الإمامة، وزادوا عندها توثقا وتأكيدا، حين أشهدوا الله به على أنفسهم وكفى بالله شهيدا.

وهم فى اجتلاب مرضاة الخلافة المباركة ساعون، وفى أعقاب صلواتهم وأوقات خلواتهم لها داعون، اللهم كما أسعدتنا بخلافة وليك الميمونة، واخترته لإقامة شرائع دينك المفروضة والمسنونة، وجعلت طاعته بين أيدينا وبأيماننا نورا، وشرحت لفهم آيات فضله منا صدورا، فانصره اللهم نصرا مؤزرا، واجعل نصيبه من عنايتك جزيلا موفرا، وعرفه فى كل مرام فتحا مبينا وظفرا ميسرا، اللهم واصنع له خير ما صنعت، واجمع على طاعته ومحبته القلوب كما جمعت، وارفع ذكره فى الأذكار، ودرجته فى أئمة العدل الأبرار، فوق ما رفعت.

اللهم إنك قلت وقولك الحق هل جزاء الإحسان إلا الإحسان، فجازه عنا بإحسانه، واحرس أمره العلى بأكرم حفظته وأعز أعوانه، واجعله اللهم على رعيته شفيقا، وبجميعهم مدى الدوام رفيقا، وأبقه ملاذا للمؤمنين، وحصنا حصينا لجميع المسلمين، فى هناء متصل شامل، وفرح وافر وسرور كامل، إنك يا مولانا على ذلك قدير، وأنت نعم المولى ونعم النصير، وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين، وآله وأصحابه أجمعين وسائر الأنبياء والمرسلين، وآخر دعوانا

أن الحمد لله رب العلمـين، وفى ثامن شعبان المبارك عـام أربعين ومائة وألف» هـ من خطه.

ثم إن المترجم وصل شرفاء الوفد الذى أتى له بالبـيعة بألف دينار ذهبا، كما وصل الطلبة والأعيان مثل ذلك، وأعطى الراتب للرمـاة، فنال كل فرد منهم سبعة مثاقيل ذهبا، ثم أصدر أوامره برد المظالم،وشدد فى اجتناب المحرمات، فكبر ذلك على العبـيد وأبوا أن يردوا ما اغـتصبـوه للناس من عقار ومـال، ولما رأى المترجم ذلك صرح لهم بأنهم أحرار فليـذهبوا حيث شاءوا، وأنه لا حاجة له بخـدمتهم، وأعلن النداء فى جـميع البلاد التـى دخلت تحت طاعته بأن مـن أراد الدخول فى الجندية فليأت إليه، فوفـد عليه سرعان الناس، ولما تحقق عبـيد مشرع الرملة بذلك خافوا سطوته لما يعلمونه من شهامتـه فأجمعوا أمرهم ونهضوا يطوون المراحل فلم يشعر المترجم حتى دهموه وكانوا سبعين ألف مقاتل، فجمع أتباعه ومن كان داخل ديوان العسكر من الأحرار الوافدين عليه، وخرج لقتالهم بظاهر العاصمة المكناسية وأمر بغلق جميع أبواب المدينة ومع قلة جيشـه إذ كان لم يبلغ عشرة آلاف مقاتل، ووفور جيش العبيـد فقد قاتلهم قتالا لم يعهد له مثـيل بالبلاد المغربية، يقال: إنه مات فى هذه الواقعة ما يزيد على ثلاثين ألفا.

وكانت النصـرة لصاحب الترجـمة على العبـيد ولكن بكل أسى وأسف أن بعض زوجات والده أمرت بفـتح أبواب البلد، فامتثل أمـرها، ولما فتحت الأبواب دخل العبيد القصبة المولوية وعمروها ولا علم للمترجم بذلك، ولما اتصل به الخبر فـرّ إلى فاس، ولما وصل إليـها أغلق الودايا الـذين بفاس الجـديد أبواب البلد فى وجهه.

فتـوجه لبـاب الفتـوح أحد أبواب فـاس الإدريسيـة، واستدعـى أهل فاس فخرجوا إليه، ثم اختلفوا فى نصـرته، فأجابه قوم وامتنع آخرون، ومع ذلك دخل المدينة ونزل بدار القيطون منها.

أما العبيد فإنهم لما فتحت لهم أبواب العاصمة المكناسية ودخلوها على حين غفلة من صاحب الترجمة عثوا فيها ونهبوها وما حولها، وارتكبوا كل مخجل للمروءة، وأعادوا البيعة لأبى العباس الذهبى، ونهضوا به يقتفون أثر صاحب الترجمة، وانضم إليه كل من كان على شاكلتهم من القبائل، وساروا إلى أن نزلوا على فاس فى مائة ألف مقاتل على ما قاله ابن الخياط القادرى، ورموا المدينة بالأنفاض من جميع جهاتها، وجاءوا بالسلاليم للتسور عليها من الأسوار، وشددوا الحصار وكثر القتل والجرح واشتد الحال وغلت الأسعار وعدمت الأقوات والمقومات التى تأتى من خارج البلد كالحطب والفحم، فاضطر الناس للصلح بتسليم صاحب الترجمة لأعدائه الناكثين بيعته المحاربين له.

ولما شعر المترجم بذلك استجار بالضريح الإدريسى، فدخل عليه عبد النبى ابن الباشا سعود الحيانى أحد عسكر البخارى وكان باشا على ثمانية عشر ألف فارس، وسالم الدكالى البخارى وكان إلى نظرة اثنان وعشرون ألف فارس وانضم إليهما زعانف الغوغاء ومن لا خلاق لهم وأخرجوه، وذلك زوال يوم الخميس الواحد والعشرين من جمادى الأولى عام واحد وأربعين ومائة وألف، ووجهوه مع الباشا مساهل بن مسرور.

ومن الغد نهضت محال العبيد وسارت إلى مكناسة، ولما وصلوا إليها سجنوا بها صاحب الترجمة، ولما كان الغد توفى أبو العباس أحمد الذهبى، ثم أمر العبيد أخاه محمد ولد الطليقية وآخر فدخلا عليه، ومعهما زعانف الخدم والحرس وأمسكوا على جميع أطرافه وحجزه، وجعل أخواه مجدولا فى عنقه من حرير وخنقاه وأعضاؤه تضطرب إلى أن مات رحمه الله، وفى غده جهز وصلى عليه عوام الناس وأهل الدين المتين، هذا ملخص ما فى مؤلف ابن الخياط القادرى فى الإمام محمد النفس الزكية وبنيه.

والذى للزيانى فى البستان والروضة والترجمان المعرب: أن أهل فاس لما صالحهم أحمد الذهبى على أن يسلموا له صنوه المترجم وأجابوه لذلك، كتب إليه بالتخيير بين أن يتوجه لسجلماسة وبين أن يبقى بالحرم الإدريسى، فاختار الأخير، ثم إن السلطان أحمد أصدر أوامره لأهل فاس بأن لا يكلم أحد المترجم ولا يجتمع به ولا يبايع ولا يشارى هو ولا أصحابه، ومن خالف الأمر يعاقب، فضاق الفضاء بالمترجم، ووجه ولده للعبيد يطلب منهم أن يؤمنوه، ثم لما خرج مكنوا منه صنوه أبا العباس، ولما مثل بين يديه أمر بتوجيهه لمكناسة ليسجن بها، فسجن بدار الباشا مساهل.

ولما أحس السلطان أحمد بالموت أمر بخنق المترجم، فخنق ليلا ليلة الثلاثاء أول يوم من شعبان العام، ومات الذهبى ليلة السبت الرابع من شعبان المذكور.

وتبع الزيانى أكنسوس وصاحب الاستقصاء، وزاد الأخير أنه رأى بخط جده للأم الفقيه الأستاذ أبى عبد الله محمد بن قاسم الإدريسى اليحيوى الخيارى عرف بابن زروق، وكان حيا فى هذه المدة أن المولى عبد المالك بويع فى الآخر من رجب سنة إحدى وأربعين ومائة وألف وهو بالسوس الأقصى بمدينة تارودانت، ثم ورد على دار المملكة بالحضرة المكناسية ليلة السابع والعشرين من رمضان المعظم من السنة المذكورة، ثم ثار عليه أخوه المولى أحمد المخلوع فى عاشر المحرم فاتح سنة اثنتين وأربعين، واقتحم عليه دار الملك من مكناسة عنوة، ووقع فساد كبير بالمدينة المذكورة، وهلك بشر كثير فى الحرب، ومنهم من قتل صبرا، وفر المولى عبد الملك ناجيا بنفسه إلى فاس، ثم حاصره بها المولى أحمد نحواً من أربعة أشهر حتى خرج إليه على الأمان، فأمر بسجنه بمكناسة، ثم قتل المولى عبد الملك صبرا مخنوقا فى أواخر رجب المذكور أيضا هـ باختصار يسير.

وفى درة السلوك أن المولى عبد الملك المترجم ظل يوم قتله صائما، وأن

العبيد لما هجموا عليه ليقتلوه بعد ما أفطر وجدوا المصحف بين يديه، وأنهم بمجرد الفراغ من قتله حملوه ليلا إلى مقبرة الشيخ محمد بن عيسى فدفنوه بها ليلا، وأن خلافته دامت ستة أشهر هـ.

وقد وقفت فى بعض التقاييد أن المترجم لما خنق غسل بمَيْضَأَة جامع الزيتون بالماء البارد.

اعتباره لمن يشار له بخير: وقد عثرت له على ظهير أصدره لسيدى أحمد بن الطاهر الخطاب يتضمن الإنعام عليه بما سيذكر، ونص ذلك من أصله بعد الحمدلة والصلاة والطابع نقش داخله: (عبد الملك بن أمير المؤمنين الله وليهُ ومولاه) وبدائرته: ومن تكن برسول الله البيت:

«عن أمر عبد الله المعتصم بالله، المفوض أمره إلى خالقه ومولاه، أمير المؤمنين، وناصر الدين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، الشريف الحسنى أيده الله بعزيز نصره وأمده بتوفيقه وتسديده ويسر له أسباب الفتح المبين بمنه، يستقر هذا الظهير الكريم، المتلقى بالإجلال والتعظيم، أسماه الله وأعز أمره، وخلد فى الصالحات ذكره، وأشرق فى سماء المعالى شمسه المنيرة وبدره، آمين بيد حامله المرابط الخير البركة الدين الولى الصالح أبى العباس سيدى أحمد ابن سيدى الطاهر الملقب بالخطاب أحد حفدة الولى الصالح والقطب الواضح سيدى عمر الخطاب، نفعنا الله به وسقانا من بحر مدده، يتعرف من يقف عليه بحول الله وقوته، وشامل يمنه وبركته، أنا أعطيناه ديار أولاد بن لمو كافة وديار أولاد بن قدمير كافة.

فأولاد بن لمو المكرم محمد وولد أخيه المكرم إبراهيم اللذان كانا بمدشر بنى مرعاز، وكذا كل من قطن واشتمل عليه مدشر خيبر وما حوله ممن هو محسوب على الولى الصالح ذى السر اللائح، وفوضنا له فى هذا التفويض التام، المطلق العام، منه إليهم فى زكاتهم وأعشارهم وسائر وظائفهم المخزنية والمغارم السلطانية

من حيث هى سواء قلّت أو جلّت، وقد أمرناه يولى ممن يظهر له من الفقراء هنالك ليفصل بين الناس فى المنزل المذكور وعزل من يرى عزله هنالك.

وقد جعلنا مقامهم حرما من دخله كان آمنا وشفاعته عندنا لا ترد، ومكانته لدينا لا تحد، فمن احترم به وَلاَذَ بحرمه سامحناه وعاملناه، ومن لم يعظمه ولا يكون فيه على مذهبنا ويقتفى فيه آثارنا وأخرق عليه عادة، وأحدث له نقص (كذا) وزيادة، ينتقم الله منه أشد الانتقام.

والواقف عليه من خدامنا وقوادنا وعمالنا وولاة أمرنا يعمل به ولا يتعداه والسلام، عاشر شوال المبارك عام أربعين ومائة وألف وكذلك ديار أولاد بدوش كافة، وديار أولاد الشوهب كافة، وديار أولاد العربى كافة، وقرناهم له وحررناهم إليه، وزدناهم له يتصرف فيهم كيف شاء بما شاء، ويقبض زكاتهم وأعشارهم وسائر كلفهم قلّت أو جلّت فمن قربهم له أو حام حول حماهم يخاف منا على نفسه والواقف عليه يعمل به والسلام صح بعد تاريخه».

كما وقفت على ظهير آخر كتبهُ لأولاد أبى زيد بن القاضى بالتوقير والاحترام نصهُ بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله: (عبد الملك بن أمير المؤمنين الله وليهُ ومولاه) وبدائرته: ومن تكن برسول الله البيت:

«كتابنا هذا أسماه الله تعالى وأعز أمره، وأطلع فى سماء المعالى شمسه المنيرة وبدره، يستقر بيد حملته أحبائنا الآجلة الأخيار أولاد محبنا الفقيه العلامة، الأستاذ الفهامة، المشارك الداركة البركة سيدى عبد الرحمن بن القاضى رحمه الله ونفع به يتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه وبركته أننا جددنا لهم بعون الله تعالى على ما بأيدهم من ظهائر مولانا الوالد قدس الله روحه، وعمنا مولاى الرشيد رحمه الله، ومن قبلهما من الملوك المتقدمة المتضمنة توقيرهم واحترامهم، وإجلالهم وإعظامهم، وزدناهم نحن بحمد الله توقيرا واحتراما وإكراما فى جميع أحوالهم وجميع من هو منهم أو يحسب عليهم من خدامهم وأصحابهم، وألقينا

دارهم المحفوظة بالله مزارة للصادر والوارد كما كانت وزيادة، ونحن على مذهب السلف فى أثرتهما وتعظيمها وإجلال من فيها تبعا لهم ولا خير فى الخلف، إن لم يتبع السلف.

ونطلب الله تعالى أن يعمرها وأن لا يخلى بركة منها تجديدا تاما مطلقا عاما، ونعهد لمن يقف عليه من الخدم والعمال أن يعرف حق هذه الدار المباركة وأن يقرها على ما أقررناها عليه، ويعرف حق من فيها من أهلها وذويها، ومن قصر فى حقها فالله حسيبه وسائله، ومتولى الانتقام منه، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وبعبده كفيل، والسلام وفى أول ذى الحجة الحرام مكمل عام أربعين ومائة وألف».

وهذا يدلك على مبلغ اعتباره واحترامه لمن اتسم بدين أو صلاح أو أشير له بخير وفلاح.

علائقه السياسية:

وقفت له على ظهير بعثه إلى ملك فرنسا لويس الخامس عشر يخبره بأن طائفة من قومه وردوا على أعتاب أخيه المولى أحمد الذهبى، ولما وجدوه قد بويع مكانه التقوا به فى مشوره على العادة، ولكنهم كانوا لا يحملون كتابا من ملكهم، وأنه قد ردهم بعد ما أنعم عليهم باثنين من الأسارى الفرنسيين، ونصه من أصله المحفوظ بوزارة خارجية فرنسا:

«بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، عن أمر عبد الله الغالب بالله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، (ثم الطابع بداخله عبد الملك ابن أمير المؤمنين الله وليه وبدائرته ومن تكن برسول الله البيت) أيده الله ونصره وظفر جنوده المباركة وعساكره، وحفظه وكان له ومعه فى جميع الحركات والسكنات، آمين يارب العالمين.

إلى طاغية الفرنسيس وكبير قومه وأهل جنسه الوس كنز، السلام على من اتبع الهدى.

أما بعد: فاعلم أن حملته الفرائلية من جنس الفرنصيص كانوا جاءوا لحضرتنا العلية بالله للملاقاة مع أخينا مولاى أحمد، ووجدوه وقع ما وقع من نصر الله عبده المعترف بإحسانه ونواله الطالب من المولى جل جلاله، أن يعينه على القيام بحق عباده، تلاقوا بنا فى مشورنا السعيد فطالبناهم فى كتابك الذى كتبته لعلى مقامنا بالله على العادة المعروفة، فلم نجد بأيديهم مكتوبا نتكلم به معهم، فما أمكننا إلا أن أنعمنا عليهم بزوج نصارى من الفرنصيص، حيث وقفوا بأبوابنا العلية بالله، ضيفناهم بهما وإن أرادوا الكلام معنا فليأتوا بكتابك على عادة السلاطين، والسلام على من اتبع الهدى وفى الثامن عشر من شوال عام أربعين ومائة وألف».

وفاته: توفى شهيدا يوم الأحد ثامن عشرى رجب عام واحد وأربعين ومائة وألف ودفن بضريح الشيخ محمد بن عيسى على الأصح وقيل بضريح أبى عثمان سعيد المشنزائى.

٤٣٤ - عبد الملك البوعصامى نزيل مكناسة.

حاله: كان قاطنا بمكناسة الزيتون، وكان شيخا مربيا ذاكرا قانتا متقشفا خاملا خاشعا خاضعا، ذا همة عالية، وتؤدة وجد هيبة وسكينة ووقار، عارفا بالله، محبا فى رسول الله ﷺ، ذا أخلاق كريمة، وأحوال ربانية تجده فيها كالأسد.

مشيخته: أخذ عن الشيخ أحمد السوسى بواسطة ولده سيدى أحمد العباس.

---

٤٣٤ - من مصادر ترجمته: موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٤١١.

الآخذون عنه: أخذ عنه كثير من الناس ونفع الله به أقواما.

وفاته: توفى سنة إحدى وتسعين ومائة وألف.

٤٣٥ - عبد الملك بن محمد الحسنى

قاضيها، وقفت على رسم بخطابه مثبت بالجزء الأول من حوالة الأحباس الكبرى بمكناسة صحيفة ١٩٥ ورسم ١٢٠ بتاريخ ٢٤ محرم عام ١٢١٤م، ولم أقف على شيء من أطوار حياته زائد على ما ذكر.

٤٣٦ - عبد المالك بن عبد السلام بن السلطان محمد بن السلطان مولاى عبد الله بن السلطان الأعظم مولانا إسماعيل.

حاله: عاقل سياسى، ماهر فاضل، نبيل شجاع، ذو جاه ووجاهة، وتدبير مصيب، كان يندبه عمه السلطان مولانا سليمان لكل مهم، ويعقد له على الجيوش، ويسند إليه رياستها، وكان ولاه عمالة مرسى أكادير فأحسن السيرة، ثم سعى بالوشاية وإفساد ذات البين بينه وبين عمه السلطان المذكور بعض الحسدة من أهل الأغراض، حتى أوغر عليه صدر عمه، فهم السلطان بتوجيهه للصحراء فكلمه فى شأنه والده المولى عبد السلام أخو السلطان المولى سليمان، فأخر توجيهه، ثم شمر الواشى عن ساق فى إيغار صدر السلطان، ولم يأل جهدا حتى وجه أخاه المولى عبد السلام لمراكش، وأمر بترحيل عياله للصحراء، وبعد مراجعة طويلة خير المولى عبد السلام أخاه المولى سليمان بين توجيه ولده المترجم للصحراء وإبقائه بفاس، فاختار السلطان توجيهه، فوجهه بعياله وانمحى بسبب ذلك ما كان بصدره على أخيه والد المترجم، فاصطفاه وقربه إليه وجعله محل سره يستشيره فى المهمات ولا يبرم أمرا إلا بعد المفاوضة معه، وخابت مساعى الواشى ورد الله كيده فى نحره.

---

٤٣٦ - من مصادر ترجمته: موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٥٦٧.

وكان خروج المترجم من فاس للصحراء بعياله وعيال أبيه يوم الأحد سادس عشرى قعدة عام خمسة عشر ومائتين وألف، وبعد خروجه من فاس أقام بدار الدبيبغ ثلاثة أيام ينظم فيها أمور سفره، ولم يمكث بالصحراء غير أيام قلائل، حتى رجع فى مأموريته، ثم عاد إليها ثانيا، ثم رجع منها مؤمنا طاغية آيت عطا، وكان السلطان قد هم بقتلهم جزاء لهم على سوء فعلهم، فحماهم بشفاعته إذ شفعه السلطان فيهم وعفا عنهم ثم آب للصحراء.

ثم لما تفاحش عيث بنى مطير، وكانوا أكثر القبائل البربرية مالا وماشية وخيلا وقوة وعدة وعددا، وهمّ السلطان بتأديبهم، أصدر الأمر للمترجم بالقدوم من الصحراء لما يعلم من شهامته ومعرفته بالحروب وإبلائه فيها البلاء الحسن بسيفه ورأيه، فورد عليه فى تاسع عشرى حجة عام ستة وعشرين ومائتين وألف، عقد له الرياسة على الجيوش المراكشية والشاوية وعبدة ودكالة وسوس كما بتاريخ الضعيف، وقد زاده السلطان المولى عبد الرحمن حظوة على حظوته فكان يعقد له على الجيوش ويصدره للمهمات إلى أن استشهد رحمه الله.

وفاته: توفى قتيلا منتصف تسع وخمسين ومائتين وألف، قتله أخواله زمور الشلح غدرا عندما غزاهم السلطان المولى عبد الرحمن فى السنة المذكورة، وأوقع بهم شر وقعة على ما أخبرنى به حفيده، أى المترجم الشريف النبيه مولاى الحسن ابن العربى بن الصديق بن عبد المالك المذكور، ودفن بضريح الولى الشهير أبى عثمان سعيد المَشَنْزَائى دفين خارج بأبى الخميس، ووجه العروس من الحضرة المكناسية وقبره ثَمّ ترياق مجرب للداء الذى يصيب الأطفال المعروف بالعواية[1] يطرحون المصاب عليه ويمرون مفتاح عود على عنقه فلا يقوم فى الغالب إلا كمن نشط من عقال.

---

(١) فى هامش المطبوع: «الفواق وهو تصاعد الريح من الجوف حتى يكاد يذهب بالنفس».



مولاى عبد المالك بن عبد الرحمن

٤٣٧ - عبد المالك أبو المفاخر بن السلطان عبد الرحمن بن هشام.

حاله: فقيه نبيه، مهذب نزيه، أحد أعيان أفراد البيت الملوكى فضلا وجودا وشمما ومروءة ومتانة دين وجاها ووجاهة، كثير الرماد، رفيع العماد؛ محب فى الصالحين وأهل الفضل والأشراف، مواس للضعفاء والأرامل والأيتام، لا تخلو مجالسه من العلماء ظعنا وإقامة، غدوا ورواحا.

كم عَقد له ابن أخيه السلطان المقدس مولاى الحسن وولده السلطان مولاى عبد العزيز على الجيوش لقضاء المهمات فى السهل والجبل، فحمد عقباه بما رزقه من السياسة ولين العريكة والبشاشة وإطعام الطعام، ما هزم له لواء قط، ولا جرح عاطفة أحد، ولا كشر فى وجهه، وقفت له على بعض الظهائر السلطانية التى كانت توجه إليه فى مهماته الرسمية نص أحدها بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله (عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه):

«عمنا الأرضى، مولاى عبد المالك وفقك الله سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فبوصوله إليك نأمرك أن تنهض بحركة الصحراء التى معك ولا تبيت بالمحل الذى أنت فيه، وتتمادى على جد السير ليلا ونهارا حتى تلحق بركابنا الشريف، وها نحن وجهنا حاملهُ قائد الرحى لاستنهاضكم حين وصوله إليكم والإتيان صحبتكم بجد المسير والعزم، والسلام فى ٢ جمادى الأولى عام ١٣٢١».

ونص آخر فى موضوع سابقه وبتاريخه للاستعجال:

«عمنا الأرضى، مولاى عبد المالك سددك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد قدمنا لك أمرنا الشريف بالتعجيل بالقدوم لحضرتنا الشريفة

بحركة الصحراء التى معكم، وزدناك هذا تأكيدا لتجد السير وتعجل بالقدوم لمصاحبة ركابنا الشريف دون مهلة، والسلام وفى ثانى جمادى الأولى عام ١٣٢١».

ونص ثالث:

«عمنا الأرضى، مولاى عبد المالك وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فقد أمرنا الأغا الحسين البوعمرانى بالركوب بحرا من مرسى الدار البيضاء بجميع من معه من عسكر طابوره خيلا ورماة واصلا لطنجة حاطها الله من غير تأخير، وأمرنا أمناء المرسى المذكورة بإركابه، وأعلمناك لتكون على بال، وتزعجه لذلك الغرض مهم اقتضاه، والسلام فى ٢٤ ربيع النبوى عام ١٣٢٢».

ونص رابع وفيه قبول إشارته والعمل بها:

«عمنا الأرضى، مولاى عبد المالك سددك الله، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: وصل كتابك بأن أولاد حريز يرومون نقض الصلح الواقع بينهم وبين قبيلة مزاب والأعشاش بتعرضهم لهم بطريق الدار البيضاء وقبضهم الخفارات منهم ونهبهم بعض أمتعتهم، وعاملهم غاض الطرف عنهم فى ذلك، وقد أكثر مزاب والأعشاش من التشكى بالضرر الحاصل لهم، ولم يصدهم عن مقابلة المذكورين بمثل فعلهم إلا ما يرقبونه من عقوبة جنابنا الشريف، مشيرا بالتعجيل بصدور أمرنا الشريف لعامل أولاد حريز بالمتعين قبل تحديد الفتنة بين الفريقين إلخ وصار بالبال، فقد أصدرنا له أمرنا السامى بالله بتدارك ذلك والوقوف فيه والسلام فى ٧ ربيع ٢ عام ١٣٢٢».

ونص خامس وفيه إشارة لقيام الولى عبد الحفيظ بمراكش ومبايعته وكان ذلك سادس رجب المؤرخ به الظهير:

«عمنا الأرضى، مولاى عبد المالك سددك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك معلما بوصولك للرباط وسماعك به يوم الوصول ما ذكرته عن مراكش، وعرفنا ما أشرت به من الكتابة للخديم ابن العروسى بالكون على بال من بنى حسن، لما رأيته من أحوالهم التى لم تعجب، وصار بالبال، فقد كتبنا له بذلك، وقد زرنا يوم تاريخه أولياء فاس زيارة السفر على العادة، ونحن ناهضون للرباط فى فاتح شعبان المقبل بحول الله لتكون على بال من ذلك، والسلام فى ٢٥ رجب عام ١٣٢٥».

ونص سادس فى الاحتياطات المتخذة لمواجهة الحالة الجديدة فى معنى ما قبله:

«عمنا الأرضى، مولاى عبد المالك سددك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فقد بلغ لشريف علمنا أن ولد عمنا مولاى الرشيد بصدد الخروج من مراكشة للشاوية، ويتوجه منها لثغر الرباط فأصدرنا أمرنا الشريف لعامل هذا الثغر وأهله بأن يكونوا على بال منه إذا ورد، وأن لا يقبلوا منه كلاما، وأن يمنعوه من الدخول للمدينة منعا كليا بكل ما أمكن لهم.

وأصدرنا أمرنا الشريف للعلاف الطالب محمد الجباس بأن يقدم من طنجة للرباط بحرا، ويصحب معه مددا من العسكر ويقيم بالبلد حتى يحل ركابنا الشريف بها أو يقدمه قبل وروده من طنجة بقصد شد عضد أهل المدينة.

كما أصدرنا أمرنا الشريف للخديم القائد قاسم الأودى وقبيلته بشد عضد أهل المدينة على منع المذكور من الدخول لها وطرده، فكن على بال، وشد

عـضدهم على ذلـك بكل ما أمكنك سـددك الله، ونحن على نـية النهـوض يوم الخميس الآتى الذى هو الثالث من شهر شعـبان القابل كما قدمنا لك الإعلام به، والسلام فى ٢٩ من رجب عام ١٣٢٥».

مشيخـته: أخذ عن أبى العباس ابن سودة، والمفـضلين ابن عزوز والسوسى وغيرهم.

وفاته: توفى بعـد زوال يوم الأحد ثانى قعـدة الحرام عام خـمسة وعـشرين وثلاثمـائة وألف بالمحل المعروف بيط من بـلاد بنى حسن، وحـمل لمكناس بلده، ودفن به بقبة ضريح أبى حفص عمر الحصينى يسار الداخل إليها عشية يوم الاثنين ثانى يوم وفاته رحمه الله، وكان الذى تولى الصلاة عليه شيخنا أبا عبد الله محمد ابن عبد السلام الطاهرى مار الترجمة.

٤٣٨ - عبد النبى الشاوى.

وقفت عليه فى زمـام العلماء الذين يقبضـون المرتب العلمى بمكناس بتاريخ أوائل جمادى الأولى عام خمسين ومائة وألف، ولم أقف له على ترجمة.

٤٣٩ - عبد العزيز أبو فارس.

شاعر الدولة المرينية، الملزوزى الأصل، المكناسى الدار، المعروف بعزوز.

حاله: أديب شـاعر مجـيد، نابغة زمانه، وباقـعة أهل عصـره وأوانه، كان حامل لـواء الأدب فى دولة السلطان يعقـوب بن عبـد الحق المرينى، وفى مقـدمة شعرائه.

مؤلفـاته: من ذلك قصيـدته البائية الـوافرية التى ذكر فـيها سـيرة السلطان يعقوب المذكور وغـزواته وغزوات بنيه وحفدته، وامتدح قـبائل مرين ورتبهم على منازلهم وذكر فضلهم وقـيامهم بالجهاد، وذكـر قبائل العرب على اختلافـها، وقد

أنشدت هذه القصيدة بين يدى الممدوح بها فى حاشيته فأمر لمنشئها بألف دينار وخلعة، ولمنشدها بمائتى دينار، وأورده فى الاستقصاء تحت ترجمة وفادة طاغية الإصبان بأحواز الجزيرة وعقد الصلح بينهما.

٤٤٠ - عبد العزيز بن محمد اليفرنى.

المكناسى الأصل، الفاسى النشأة والدار والوفاة.

حاله: فقيه علامة له مهارة كاملة فى الفرائض والحساب.

وفاته: توفى بفاس سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة.

٤٤١ - عبد العزيز بن محمد بن محمد بن قاسم بن على بن عبد الرحمن ابن أبى العافية الشهير بابن القاضى الزناتى المكناسى.

حاله: كان عارفا بفرعى ابن الحاجب علامة متقنا فاضلا نبيلا.

مشيخته: أخذ عن الشيخ أبى المحاسن الفاسى وغيره.

ولادته: ولد بعد خمسين وتسعمائة.

وفاته: توفى مطعونا سنة ست وألف. قال فى المطمح: كان الطاعون العظيم فى هذه السنة بلغ الموت فيه كل يوم من الألفين إلى الخمسمائة بفاس، مات فيه من الشرفاء والفقهاء وأعيان فاس ما يزيد على الستة آلاف.

٤٤٢ - عبد العزيز المكناسى المدنى.

حاله: علامة أديب: ماهر كبير، ذكره الكاتب البحاث جرجى زيدان فى تاريخ آداب اللغة العربية فى الجزء الثالث منه صحيفة ثلاثين وثلاثمائة. كما ذكره غيره.

---

٤٤٠ - من مصادر ترجمته: وفيات الونشريسى فى موسوعة أعلام المغرب ٢/٧٥٨.

٤٤١ - من مصادر ترجمته: نشر المثانى فى موسوعة أعلام المغرب ٣/١٠٩٦.

مؤلفاته: منها أرجوزة فى العلوم الإسلامية توجد منها نسخة بالمتحف البريطانى كما بالتاريخ المذكور.

٤٤٣ - عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن عبد القادر بن عبد الواحد بن أحمد الشبيه الجوطى الحسنى.

نقيب أشراف المغرب فى عصره، ورفع نسبه إلى الجناب المصطفى، تقدم.

حاله: صدر أوحد، ركن معتمد، فريد عصره ونعته، فقيه فاضل، نبيل كريم، وجيه نزيه، بركة شهير، جليل مبجل، منظور إليه بعين الإكبار والإجلال، بهى السمت، وقور صموت حسن السيرة، طاهر السريرة، ممن يشار إليه، ويعتمد فى مهمات الأمور عليه، مقتصد فى ملبسه ومركبه له الحظوة التامة والمكانة الشماء لدى الملوك فمن دونهم.

ولاه خطة النقابة السلطان المولى الرشيد الحسنى العلوى سنة ثمانين وألف، ولم يزل قائما بما رشح إليه من هذه الخطة الشريفة أتم قيام إلى أن لبى داعى مولاه. قال فى السر الظاهر إنه أحكم نظام النقابة وأجرى على مقتضى الشريعة أحكامها؛ وخطاباته فيما وقع بيده من الرسوم، تؤذن بعراقته فيما يتعلق بها من العلوم؛ هـ وهو أول من ولى النقابة من هذا الفرع الشبيهى الشريف، ولا زالت النقابة فى بيته إلى الحين الحالى.

وهو الذى بنى أولا قبة جده فاتح المغرب مولانا إدريس عام سبعين وألف، إذ كان قبره الشريف قبل ذلك عاريا بلا بناء غير أنه يدور عليه حائط، ولعله من بناء السلطان أبى سعيد المرينى بن يعقوب المرينى كما فى الأزهار العاطرة الأنفاس، قال: وهو أول بناء وقع عليه ونبتت شجرة عظيمة من التين فى أصله أى جوفه

---

٤٤٣ - من مصادر ترجمته: نشر المثانى فى موسوعة أعلام المغرب ٤/ ١٦٩٧.

وكانت متدليـة عليه ومظللة له كالقبة مدة طويلة، ثم إنـه قطعها شخص لأجل أن يبنى مكانها فلم يتم له ذلك.

وفاته: توفى ربيع الأول سنة تسع وتسعين وألف.

٤٤٤-عبد القادر بن العربى المنبهى المدغرى المعروف بابن شقرون المكناسى.

كذا وجد بطرة بخط العلامة المحقق السيد محمد بن جلون صاحب حواشى المكودى.

حاله: فقـيه نحوى، أديب أريب لغوى، حكيم طبيب، ماهر خـير، فاضل علامـة مشارك كامل، مـدرس نفاع، رحل إلى الحج وزيارة خيـر رسول، ودخل الإسكندرية ومصر وغيرهما من البلاد، وأفاد واستفاد.

قال فـى حقه أبـو عبد الـله محـمد بن الطيب الشـريف العلمى فى أنيـسه المطرب ما نـصه: شاعـر مصـيب، رتع من البلاغـة بمرعى خصـيب؛ وأحرز من الدراية أوفر نصـيب، ودخل بيوت العربية من أوضح المسـالك؛ وطرز فى حديث السنن نحو ابـن مالك، بفقـه مالك، واخـتار الوحدة؛ وانفـرد بالخمـول وحده؛ ورغب عن الولدان، واعـتزل الإخـوان والأخـدان، وضم إلى علم الأديان؛ علم الأبدان؛ فركب الأدوية؛ وانتـشرت له بين الحكماء أى ألوية، وعـرف الأمراض، وأرسل سهام الرقى فأصابت الأغراض.

رحل إلى المشـرق فأدى فـرضه؛ ثم رجع قـاصد أرضـه، فناهيك من علم اجتلب، ومن در نظم ودر احتلب؛ قال: ولقيتـه بمسجده من مكناسة الزيتون عند ضريح ولى الله تعالى أبى العباس أحمـد بن خضراء رضى الله عنه فتلقانى بوجه وسيم؛ ومر لى معه حديث أروى من التسنيم، واستنشدنى فأنشدته للمحلى:

ولما أن خـــلا المـغنـى وبتـنا ... جـمـيـعـا بالـعـفـاف مـؤزرين
قـضينا الحـج ضمـا والتـماسـا ... ولم نشـعـر بما فى المشـعـرين

إلى غير هذا من رقيق الأشعار، قال: وحضرت يوما مجلس إقرائه؛ لأخبر كنه ذكائه ودهائه، فوجدته يتكلم فى التيمم ويقول: اعلم أن من تيمم للفرض لم يجز له أن يصلى بتيممه سوى ذلك الفرض المتيمم له ما لم يكن جنازة غير متعينة أو سنة، فالإباحة بعد الفرض، وكما تصلى السنة فما دونها بعد الفرض فكذلك بعد النفل، وفى النوادر عن ابن القاسم: لا بأس أن يوتر متيمم النفل، والمراد بالنفل ما يقابل الفرض أعم من أن يكون سنة أو غيرها، وفى سماع أبى زيد: ويشترط فى الجميع الاتصال. الحطاب وانظر هل مراده اتصال الفريضة بالنافلة أو اتصال النوافل فى أنفسها الظاهر الأول، وكلاهما منصوص عليه، وفى سماع موسى الفصل اليسير لا يضر.

وفى السماع أرأيت لو تيمم للنافلة وصلى ثم لم يزل فى المسجد فى حديث ثم أراد أن يقوم ليتنفل بذلك التيمم، قال: إن تطاول ذلك فليبتدئ تيممه وإلا فأرجو أن يجزئه، وصرح باشتراط الاتصال صاحب الطراز والمنتقى والتوضيح وابن عرفة وغيرهم. ابن رشد: الأصل أن لا يصلى صلاتين بتيمم واحد فريضة ولا نافلة. انظر بقيته، وفى التوضيح: وشرط ابن رشد أن تكون النافلة منوية عند تيمم الفريضة، وإن لم ينوها لم يصلها، ونحوه للشامل وابن فرحون وبهرام. ابن عبد السلام: إذا قصد الفرض جاز له ما شاء من النفل وهو تابع فى ذلك لابن الحاجب، الأجهورى: ظاهر المدونة أنه يفعل النفل بتيمم الفرض وإن كثر، وقيده التونسى بأن لا يكثر ونقله فى النوادر عن مالك رحمه الله.

وللشافعية أن يفعله إلى أن تدخل الفريضة الثانية واستظهره فى التوضيح تبعا لابن عبد السلام، قال: لأن ما يفعله من النوافل إنما هو بالتبع للفريضة ولا معنى للتابع عند فقد المتبوع، قيل: وهو موافق لكلام التونسى، إذ يمكن حمله عليه.

إذا علمت هذا فاعلم أنه يصح إيقاع السنة بتيمم النافلة كما مر، وعليه ابن

القاسم فى المجموعة، سند: وإذا قلنا بمنع الجمع بين فرضين، فهل يجمع بين فرض وسنة أو فرض عين وفرض كفاية؟ المذهب أنهُ يجمع إذا قدم المكتوبة.

وفى الواضحة: من تيمم للعتمة له أن يوتر بتيممها ويصلى من التنفل ما شاء ومثله لابن الحاجب والتوضيح، ثم إذا جاز إيقاع السنة بتيمم النافلة فلأن تجوز السنة بتيمم السنة أولى وأحرى. الحطاب: ووقع فى التوضيح ما يوهم خلاف ذلك، فإنه قال لما تكلم على مسألة من صلى بتيمم واحد ما نصه: فرع قال ابن سحنون: وسبيل السنن فى التيمم سبيل الفرائض الوتر، وركعتا الفجر والعيدان والاستسقاء والخسوف يتيمم لكل سنة كما فى الفرائض نقله اللخمى.

قال: وسألته - يعنى صاحب الترجمة - عن أشياء من الأطعمة والأشربة وأى شىء أنفع للإنسان أن يأكله أو يشربه؟ فأدلى بأشياء نافعة، رافعة للأمراض دافعة، قال لى رعاه الله:

دماغ الجمل: من شرب منه مثقالا بخلٍّ وعسل نفعه لغشاوة البصر.

ألبان الإبل: تدفع وجع الأسنان.

دم الثور: إذا قطر على الجراحات التى يسيل منها الدم حبسه وإذا قطرت مرارته فى الأذن مر الطنين.

شعر العنز: إذا بخر به البيت طرد الهوام.

ورق الزيتون الأخضر: إذا طبخ بالماء ورش به البيت هرب منه الذباب.

ورق الأترج: من جففه وسحقه وعجنه بدهن زيت ولوز وأطعمه من شاء أحبه حبا شديدا وكذلك:

ورق التفاح: إذا سحق مع السكر الأبيض واللوز وأطعمه من شاء ملك قلبه.

عظم الكبش: إذا حرق وسحق وعجن بلبن النساء وجعل فى قطنة ووضع على نهش الهوام وعلى القروح الردية الخبيثة أبرأها وألحمها من غير ألم.

البابونج: يبرئ من وجع الكبد.

الحلبة: إذا طبخت بالعسل وشربت أخرجت ما فى الأمعاء من الأخلاط الردية.

دهن اللوز الحلو: ينفع للحصى ويسهل خروجها.

الحبة السوداء: إذا شربت بماء وعسل فتتت الحصاة.

أغصان الفجل: بلا ورق إذا شرب من عصيرها أوقية فتتت الحصاة كبيرها وصغيرها هـ الغرض من أنيسه بخ.

مشيخته: أخذ بفاس عن جماعة من الشيوخ، منهم: أبو العباس أحمد بن الحاج، أخذ عنه الربع من مختصر الشيخ خليل، وأبو عبد الله محمد القسمطينى أخذ عنه المقدمات الكبرى للشيخ السنوسى، وأبو عبد الله محمد بن المسناوى أخذ عنه الألفية من أولها إلى آخرها، وأبو زيد عبد الرحمن بن عمران أخذ عنه الألفية واللامية لابن مالك من أولهما إلى آخرهما، والشريف أبو محمد عبد السلام بن الطيب القادرى أخذ عنه نصف الألفية، والشريف القاضى سيدى عبد الواحد أبو عنان أخذ عنه بعض مقامات الحريرى، والطيب أبو العباس أحمد بن الطيب أبى عبد الله محمد أدراق، أخذ عنه مسائل كثيرة من الطب.

وأخذ ببلده مكناسة الزيتون عن جماعة من الشيوخ، منهم: القاضى أبو مدين السوسى أخذ عنه رسالة ابن أبى زيد ومختصر السنوسى، والقاضى سعيد

العميرى التادلى أخذ عنه البخارى حضر مجلسه فى إقرائه من أوله إلى آخره مرارا وكذا الألفية، وأبو العباس أحمد بن يعقوب الولالى أخذ عنه التسهيل من أوله إلى آخره، وأبو محمد عبد السلام البيجرى أخذ عنه الألفـية ومختصر السعد ومختصر السنوسى والخزرجيـة، والطبيب الماهر أبو إسحاق إبراهيم بن القـائد على الطبيب الأندلسى المراكـشى ثم المكناسـى، وهو من أطبـاء الجد الأكـبـر السلطان مـولانا إسماعيل أخذ عنه مسائل كثـيرة من الطب، وأخذ بمصر عن الشيخ أحمد الزيدانى مسائل كـثيرة من كتـاب ابن النفيس الذى اختصـر فيه القانون لابن سيـنا ومسائل كثيرة من كتاب الإرشاد لابن جميع.

الآخذون عنه: منهم أبو القـاسم العميرى ترجمه فـى فهرسته وصرح فـيها بأخذه عنه، وحلاه بالفـقيه النحوى الأديب، اللغـوى البليغ الأريب، قال: قرأت عليه الفقيه ابن مالك والآجرومية، وعليه كانت بداية قراءتى هـ.

ومنهم الشيخ صـالح بن المعطى الشرقى حسبـما صرح ذلك نفسـه فى قوله مخاطبا للمترجم:

أشـيـخـنا النحـرير حلـو المنطق ... المتـــــزيـى بمزايـا المشـــــرق

يا من عـــلا الأتراب والأقـــرانا ... كـــمـــا سـمـــا الدهـر به وزانا

يا نجل شـقـرون الجـليل القـدر ... ومن غـــدا بحـــسـنه كـــالبــدر

قـيـد لنا فى الطب مـا للأغـذية ... أرجـــوزة مــــفــــيــدة سنـيـــة

من نظمك العذب البليغ الأشهى ... فـهـو من العـقـد النضـيـد أبهى

فى غير هذا.

والعلامة السيد محمـد الخياط بن إبراهيم المشنزائى - بنون فزاى - أخذ عنه أرجوزته فى الطب، وذاكره فى مسائل منها، واستفاد منه كثيرا حسبما وقفت على

تصريحه بذلك بخط يده، ومؤلف منحة الجبار حسبما صرح بذلك عن نفسه فى منحته، قائلاً: وهو الآن بقيد الحياة سمعت عليه نظم لامية الأفعال وأماكن من الألفية والتوضيح هـ.

شعره: من ذلك قوله من قصيدة مدح بها سيد الوجود، مولانا محمداً الحامد المحمود:

أسقيانى كئوس بنت الدوالى إن عرانى السقام فهى الدوالى
بنت كرم ربت عناقيدها السو د بمهد الغصون تحت الظلال
رنحت مهدها الرياح وناغتـ ـها البلابل من غصون عوالى
رضعت من لبان سلسل نهر وسقاها الجلا سلاف الزلال
ربها المزن فوق عرش عريش فتكلل عرشها باللآلى
حجب الفرس بكرها فى دنان ضمخوها بعنبر وغوالى
مزجت برضاب ظبى لماه خندريس ختامها مسك غالى
بين ورد وياسمين وآس قد تمايل قده فى اعتدال
فى رياض زهت بثوب نضار من أصيل مرونق بالجمال
هزت النفحات فيها غصونا شربت من شمول ريح الشمال
غرد العندليب فيها خطيبا فى منابر قضب سرو طوال
كم ليال قطعتها فى نعيم حفظ الله عهد تلك الليالى
بت متبعا بها سنة الوصـ ـل وبات الرقيب حلف اعتزال
بين راح وشمعة ومغن وظباء قنصتها باحتيال

إذ نصـبت لهـا حـبـائل حـفت   بزخـارف من غـرور المحـال
أذعنـت للشـراك بعـد نفـار   واسـتكانت لسـحر كـيـد حـبـالى
كـل ظبـى يـفـوق بدر تمـام   غـيـر أن جـبـينه كـالهـلال
مـاس مـنعطفـا وسل من اللحـ   ـظ صـوارم أُرهفت لـلقـتـال
جـمع الـغى والهـدى وصـفـه من   صـبح غـرتـه وليـل الدلال
فـرقـصت مـسـرحـا طرف طرفى   بين جـيـد المهـا ولحظ الغـزال
واغـتنمـت الوصـال منتـهـز الفـر   صـة والليل سـجـفـه فى انسـدال

إلى أن قال:

ليت شـعـرى فـهل يعـود زمـان   قـد مضى مـسـرعًا كـطيف الخيـال
صـرت من بـعـد أنسـه ذا سـقـام   أشـتـكى هم عـيلة وعـيـال
ولبـست سـرابيل الضـر حـتى   سـامـنى كل مـفلس من هـزالى
كـل يوم يـجـدد الكـرب ثوبـا   كم جـديد لبـسـتـه فـوق بال

إلى أن قال:

وتنازع عـامل السـهـر الجـفـو   ن وعـامل دمـعـه المتـوالى
واشـتـغلت بمضـمـر الكرب حـتى   ذبت بـين تنازع واشـتـغـال

إلى أن قال:

لى من الطب فـى الورى بعـد صـيت   وأنا أشـتـكـى بفـرط اعـتـلال

إلى أن قال:

إنما اشـتـكـى لمن يـكشف الـضـ   ـر ويسـدى المنى بـغـيـر سـؤال

ضـقت ذرعـا وما رجـوت سـوى ر ب الورى المتكبـر المتـعـال
غـافر الذنب قـابل التـوب ذى الطو ل شـديد الـقـوى مـفـيض النوال

إلى أن قال:

رب يسـر لعـبـدك الفـتح واشـرح صـدر من صـدره مـن العلم خـال
عـاقـه الكسل المطاع فـأمـسى للـبطالـة وهو طوع الـفـعـال
وأعن عـبـدك الفـقـيـر وأذهب ضـر جـسم قـوامـه فـى انحـلال

إلى أن قال:

فـإليك وسـيلتى صـفـوة الخلـ ـق سـراج الهـدى وشـمس المعـالى
هو أفـضل شـافع هـو أوفى مـسـتـغـاث به لدفـع الوبال
رحـمـة عـمـت الوجـود وغـاضت من لـدن منعـم شـديد المحـال
نسخ الغـى عـامل الـرشـد إذ جـا ء فـلاح الرشـاد بعـد الضـلال
خـيـر من وطـئ التـراب وأزكى من مـشى من ذوى حـفى وانتـعـال
خـيـر من جـاءه الأمـين بآى أعـجـزت كل صـائـل بالمقـال

إلى أن قال:

يا رسـول الله إنـى ضـعـيف فـاكـفنى شـر كـل باغ وقـالى
يا رسـول الله ضـاق خنـاقى فـتـدارك بحل عـقـد اعـتـقـال
يا رسـول الله كن لى جـارا إن أنيـخت مطيـتى لارتحـال
الغـيـاث الغـيـاث يا خـيـر من أمـ ـدحـه بتـأملى وارتجـال
أنت مـدخرى ومـا لابن شـقـرو ن سـواك لهـول يـوم المآل

الصلاة عليك ما ناحت الور ق صباحا وما تلا الذكر تالى
والرضا عن شوامخ المجد دأبا آلك الأكرمين أشرف آل
وعلى الصحب كلهم غرر المجـ ـد نجوم الهدى بدور الكمال

وقوله:

دعنى وشوقى للإسكندرية هل أبصرت مثل رشا فى ثغره الزاهى
إن كنت ملتمسا طيب المعاش فلا تسكن سواها ففيها نعمة الله

وقوله متغزلا:

سلا لبى بأرض سلا حميم فشربى مذ شغفت به حميم

وقوله معميا فى التمر المجهول:

ما أحمر اللون حلو الطعم معسول يعزى لذات عقاص زانها طول
قد شاع معروفها بين الورى كرما فاعجب لمعروف أم وهو مجهول

وقوله معميا فى اللفت:

ما أبيض فى خده حمرة يرفل فى ثوب من السندس
قد بيع فى السوق على حسنه مظلمة بالثمن الأبخس
(ألفت) فى أوصافه جملا معجبة للحاذق الأكيس

وقوله مخاطبا لابن الطيب المنقول من أنيسه:

حياك رب العرش يا ابن الطيب وسقاك منهمر الغمام الصيب
يا من نفائس شعره بل سحره نسخت نفائس كل قول مطرب
شمس لمطلعها بفاس آية فاعجب لمطلع مشرق فى مغرب

وقوله وذلك عام أربعة ومائة وألف أو فيما يقرب منه كما أخبر بذلك عن نفسه:

أسر الفؤاد فبات فى أغلاله ... قمر تشعشع فى سماء جماله
سلب الكرى عن ناظرى لما درى ... أنى أعلله بطيف خياله
قد حام قلبى حول بانة قده ... فرماه من لحظاته بنباله
فغرقت من بحر الهوى فى لجة ... وصبرت محتسبا على أهواله
وقطعت ليل صدوده حتى بدا ... صبح الوصال ولاح فى أذياله
فجنيت زهر جماله متمتعا ... بعقيق مبسمه وعذب زلاله
ورشفت من در الثنايا سلسلا ... كالراح مختوما بعنبر خاله
أرخى على خديه فرعا فاحما ... فقطفت غض الورد تحت ظلاله
يا حسنها من ليلة فى جنحها ... ظفر الفؤاد بمنتهى آماله
غفل الوشاة فنلت ما أملته ... من وصله والسعد فى إقباله
وشكوت ما قد فات من زمن الجفا ... وأريته صبرى على أفعاله
وسقيته خمرا حكت شمس الضحى ... تسلى فؤاد المستهام الواله
يا قلب دونك فانتهز فرص الرضا ... من قبل أن يصغى إلى عذاله
فعليه منى ألف ألف تحية ... ما لاح فى أفق ضياء هلاله
وتسربل الروض الهتون بسندس ... فبدت عقود الطل فى سرباله

وقوله:

يا طالب الطب لدى عصبة ... تطلب مجانا سماع المجون

لست طبيبا ماهرا عندهم | إن لم تقل للشيء كن فيكون

وقوله:

كلمات حق نقشها حسن | فى فضة تسبى نهى الخلق
تقضى حوائج كل ذى أمل | الله حق ناصر الحق

وقوله:

وذى سمن على خديه ورد | وحول الخد منه ياسمين
وهبت له على خطر فؤادى | وقلت ارفق برقك ياسمين

وقوله:

وشى روض البنفسج ثوب روض | به النمام دب على الحواشى
فلمت طيوره لما أثارت | خصاما قبل وقت الفجر فاش
فقالت كيف أسلو عن خصام | وإنى بين نمام وواش

وقوله فى فتى منزله بمكناسة بحومة قاع وردة:

أهدى إلى وردة | ظبى ثوى بقاعها
كناسه مكناسة | يسرح فى بقاعها

فائدة: وهذا النوع يسميه النحاة المعمى، والفقهاء الألغاز، وأهل الفرائض المعاياة، واللغويون الأحاجى. والأصل فيه حديث البخارى أن رسول الله ﷺ قال: إن من الشجر شجرة لخ قاله ابن فرحون فى كتابه درة الغواص فى محاضرة الخواص.

مؤلفاته: منها شرحه على البسط والتعريف للشيخ المكودى، والأرجوزة فى

علم الطب المعروفة بالشقرونية نظمها بإشارة من الرجل الصالح، المنور الفالح، أبى المعالى الصالح بن المعطى الشرقاوى العمرى لما قدم على مكناسة الزيتون عام ثلاثة عشر ومائة وألف، فطلب من المترجم فى أبيات رجزية أن يقيد له فى الطب أرجوزة تتضمن مسائل مخصوصة منه، عينها الشيخ المذكور فى أبياته المذكورة، فلم يجد بدا من موافقته ومساعدته على ما طلب، كذا أخبر المترجم عن نفسه، ولم أقف على تاريخ وفاته غير أنه كان حيا يرزق سنة أربعين ومائة وألف.

٤٤٥ - عبد القادر المدعو الجيلانى(١) السحاقى.

من آيت إسحاق، إحدى قبائل آيت أو مالوا النازلين ببلاد ملوية.

حاله: قال فى حقه أبو عبد الله محمد بن الطيب بن عبد السلام القادرى فى الأزهار النادية ما لفظه: الكاتب الأرفع، والبدر الأسطع، الأديب اللبيب اللغوى النسابة المؤرخ، كان يحسن الترسيل والإنشاء، ناظما ناثرا مطلعا، ألف رحلة وصف فيها رحلة السيدة الجليلة خناثة بنت الشيخ الجليل الوجيه سيد قومه بكار المغفرى أم أمير المؤمنين مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل الحسنى لما سارت إلى المشرق بقصد الحج، فحجت ورجعت إلى المغرب، وكان من جملة من سافر فى رفقتها.

مؤلفاته: منها رحلته المشار لها.

وفاته: توفى بعد أوبته من أداء فريضة الحج بعد الخمسين ومائة وألف رحمه الله.

---

٤٤٥ - من مصادر ترجمته: موسوعة أعلام المغرب ٦/٢٥٥٨.

(١) فى الموسوعة: «الجيلالى».

٤٤٦ - عبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد الملقب الفاسى.

الشاوى أصـلا، المعزاوى نسبا، مـن أولاد عمارة أحد أولاد السـيد يش بن حمدون.

حاله: فاضل جليل القدر صالح فالح ذو كرامات واضحة، وأسرار لائحة، مما تواتر عنه من ذلك عند من أدركته من الشيوخ المسنين الذين ترضى أمانتهم، أنه أدركه وقت الفجر فى يوم من الأيام وهو على غيـر وضوء للصلاة، وخاف فوات الفجر إذا نزل للوضـوء، فمد يده من سرجم المستودع إلى صـحن المسجد، وأخذ الماء وتوضأ والحال أن بين محـل الماء والمحل الذى مد يده منه ما يزيد على ثلاثين مترا.

ومنها أن بـعض أصحابه من مـؤذنى المسجـد الأعظم مرض مـدة وصادف مرضه زمن الخـريف، فلم من الله عليه بالشفاء جاء إلى المتـرجم بالمستودع المحل المعد للموقت فهنأه بالشفاء وسأله عن حاله، فقال المؤذن للمترجم: ما أسفت على شىء فاتنـى فى مرضى أسفى عـلى عدم أكل التيـن الرطب، فأجابه بـقوله: قم لداخل المسـتودع وكل ما قـدرت عليه من التـين واترك الباقـى، والحال أن الإبان يستحيل وجـود التين الرطب فيه لفوات إبانه بكثير، فـدخل للمحل الذى عين له فوجـد آنية مملوءة تينا رطبا من أحسـن وأعلى ما يكون، فأكل حتى شـبع، وأخذ شيئا أخـفاه قاصدا إخراجه مـعه فلم يهتد للباب، فنادى المترجـم فقال له: رد ما أخذت ينفـتح لك الباب، فرد مـا أخذ فانفـتح له الباب، إلى غـير هذا مما يطول جلبه، وهو غيـر مستغرب فى جانب كرامـات الأولياء الثابتة كتابا وسـنة وإجماعا ممن يعتد بإجماعه.

مشيخـته: أخذ عن والده محمد المترجم فى المحمـدين، وسيدى العربى بن عبـد السلام الفـاسى بن العربى بن أبى المحـاسن يوسف الفـاسى أخذ عنه بغـية الطلاب للحـباك، وكـتب ابن البنا، وعـدة أبواب من الزيج الموافق، وأخـرى من

الزيج القديم، ومن اصطلاحات ابن جندور، ومقالات ابن عزوز، ورسالتى الربع المجيب والكامل إلى غيـر ذلك، وأجازه عامة حسبمـا وقفت على ذلك فى تقرير إجازة للمـترجم مكتوبة فى رق غزال عـدد فيها مـا أخذه عن شيخـه المذكور من المؤلفات العديدة فى هذا الفن العالى الشأن، تفنن فى أفـانين الإنشاء فيها ما شاء، بتاريخ أوائل ذى القعـدة الحرام عام أربعة وثلاثين ومائة وألف عقبـها بخط الشيخ المجيز ما لفظه:

الحمد لله ما قـاله السيد الأرضى، الفقيه النحـرير الأحظى، الفاهم اللبيب المرتضى، سيدى عبـد القادر بن الفقيه النحرير العدل المرتضى الحيـسوبى الميقاتى، سيدى محمد بن الفقيه البـركة الموقت الراصد، سيدى عبد الرحمن الفاسى رئيس الموقتين ومحقق الراصـدين بالحضرة المولوية الهاشمية محـروسة مكناسة صحيح، وقد أجـزته فى ذلك وفى غيره من المؤلـفات التوقـيتيـة والآلات الفلكية والأزياج التعديلـية وغير ذلك، والله يوفقنـا وإياه لما يحبه ويرضاه بمنه وكـرمه، وأسأل من المجاز المذكـور أن لا ينسانى من صالح دعائه، وفى التـاريخ أعلاه كتب عبـيد ربه وخادم أوليائه، العـبد الفقيـر إلى رحمة مولاه، الغنى به عمـن سواه، العربى بن عبد السلام الفاسى، وأصل هذه الإجازة من محتويات المكتبة الزيدانية.

الآخذون عنه: أخذ عنه ولده سعيد آتى الترجمة وغيره.

وفاته: توفى شـهيـدا تحت الردم بالزلزلة فى صفـر سنة تسع وسـتين ومائة وألف مع والده السابق الترجمة فى المحمدين.

٤٤٧ - عبد القادر أبو مـحمد القاضى الأعدل بن مـحـمد بن عبد المالك بن العـربى بن على بن مـولانا مـحمـد بن مـولانا على الشـريف الحـسنى السجلماسى.

---

٤٤٧ - من مصادر ترجمته: موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٤٠٠.

حاله: حافظ ضابط، فقيه علامة، دراكة فهامة، مشارك نحرير، نقاد متقن، فاضل ماجد جليل، متضلع نبيل، مدرس نفاع، صلب فى أحكامه، لا تأخذه فى الله لومة لائم، كان السلطان العادل فخر دولتنا العلوية سيدى محمد بن عبد الله يعظمه ويجله ويقدره قدره ويفاخر به، وعلى عهده تولى القضاء والإفتاء بالحضرة المكناسية الهاشمية المولوية، وإمامة جامعها الأعظم، وكان لا يسميه إلا بقاضى القضاة.

ولم يزل المترجم على العدل فى أحكامه والوقوف مع الحق إلى أن نقله الله إليه، وقفت على عدة رسوم مسجلة عليه منها رسم بتاريخ سابع عشرى جمادى الأولى عام اثنين وثمانين ومائة وألف، وآخر بتاريخ ستة وثمانين، ترجمه غير واحد وأثنى عليه، منهم: القاضى العدل السيد الطالب ابن الحاج المرداسى المتوفى سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف فى كتابه الأشراف ووصفه فيه بأوصاف عالية كغيره من المحققين الأثبات.

الآخذون عنه: منهم ابن أخيه القاضى الشريف المولى أحمد بن عبد الملك المترجم فيما مر، وناهيك به.

مؤلفاته: منها شرح على همزية البوصيرى فى أربع مجلدات أبدأ فيه وأعاد، وأبدى ماله من الباع المديد فى المعقول والمنقول، وشرح على تحفة الحكام القاضى ابن عاصم.

وفاته: توفى على القضاء بمكناس أوائل جمادى الأولى عام سبعة وثمانين ومائة وألف، ودفن بروضة أبى على لحسن بن مبارك الشهيرة، وقد رمز لتاريخ وفاته تاج الأدباء أبو الربيع سليمان الحوات بقوله:

قاضى القضاة السجلماسى حيث مضى ... مضمخا بعبير العفو تضميخا

استخرجت فكرتى فى الحال أن له ... الآن غاب هلال العدل تاريخا

٤٤٨ - عبد القادر بن الحران الحسنى الإسماعيلى.

حاله: فقيه أستاذ نبيل، عدل رضى مبرز من صدور الأشراف وأعيانهم الجلة، ذو مروءة ومتانة دين، كان يتعاطى خطة الإشهاد بسماط عدول العاصمة المكناسية، ولم يزل على ذلك إلى أن لبى الداعى، وانتقل لوطن الرحمة محمود المساعى.

وفاته: توفى بعد الخمسين ومائتين وألف.

٤٤٩ - عبد القادر بن عبد الرحمن بن سعيد.

الفاسى لقبا المكناسى نشأة ودارًا، الشاوى المعزاوى أصلا.

حاله: فقيه ميقاتى مقتدر، ماهر متقن، عارف بفن التوقيت، محقق لأصوله وفصوله، تولى رياسته بالمسجد الأعظم بمكناسة بعد وفاة جده، وقفت على ظهرين سلطانيين متضمنين إسناد الخطة المذكورة بالمسجد المذكور إليه؛ وقصرها عليه؛ أولهما للسلطان الأعدل مولانا سليمان، وثانيهما لسيدنا الجد السلطان عبد الرحمن بن هشام. نص الأول:

«الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم (سليمان بن محمد بن عبد الله غفر الله له وتولاه) كتابنا هذا أسماه الله وأعلى أمره يستقر بيد حامليه الطالب الموقت السيد عبد القادر بن عبد الرحمن بن البركة المرحوم السيد سعيد الفاسى وأخيه، ويعلم منه أننا بحول الله وقوته أبقيناهما على ما كان عليه أسلافهما مع أسلافنا الكرام؛ من التوقير والاحترام، والرعى المستدام؛ وأفردناهما بالتوقيت فى المسجد الأعظم من محروسة مكناسة لمعرفة عبد القادر المذكور بقوانينه وقدرته على القيام بهذا الوظيف، وما شاركناه مع الغير حين مات جده إلا لأجل صغره، أما الآن فيذهب من كان يشاركه إلى حال سبيله ويختص

٤٤٩ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٥٦٢.

به وحده، ويقبض التسعين أوقية المعدة لذلك كاملة، فنأمر ناظر الأحباس أن يدفعها له عند استهلال كل شهر يستعين بها على هذا المقصد الأحمد، وعليه بالمحافظة والاحتياط والتحرى، فإن هذا المقام الذى أقمناه فيه هو عمود الدين، وعليه مداره بحيث لا يقبل عذر من فرط فيه، والله يتولى رشده وينفعنا بأجرهما آمين، والسلام فى ثامن شوال عام خمسة وعشرين ومائتين وألف».

ونص الثانى بعد الحمدلة والصلاة على رسول الله: (عبد الرحمن بن هشام نصره الله) يستقر هذا الظهير الكريم؛ والأمر المحتم الصميم؛ بيد ماسكيه الطالب الأرضى الميقاتى، السيد عبد القادر بن عبد الرحمن بن السعيد سعيد وأخيه الفاسى لقبا المكناسى قرارا الشاوى نجارا، من أولاد سيدى يش بن حمدون المدعو أبو معزة يتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، أننا جددنا لهما حكم ما بيدهما من ظهائر أسلافنا قدس الله أرواحهم، من اختصاص الأول بالانفراد بالتوقيت بمنار المسجد الأعظم من محروسة مكناسة الزيتون لمعرفته بقوانينه وأصوله، وإتقانه لفروعه وفصوله، وأقررناه على قبض التسعين أوقية المرتبة له من الأوقاف على ذلك فى كل شهر، وعليه بتقوى الله وطاعته، والقيام بذلك جهد استطاعته، والمحافظة والتحرى فى ذلك، والله يوفقه لأفضل المسالك، والواقف عليه من ولاة أمرنا يعمل بمقتضاه ولا يتعداه، والله يوفقنا لما يحبه ويرضاه؛ صدر به أمرنا المعتز بالله فى ثامن شعبان المبارك عام واحد وأربعين ومائتين وألف».

قلت: وقد كان المرتب المذكور إذ ذاك له بال وشأن فيه ما يكفى لسائر الضروريات اللازمة مع ترفه[1].

مشيخته: أخذ عن والده وجده وغيرهما من محققى أعلام وقته.

وفاته: توفى عام ثمانية أو أواخر سبعة وخمسين ومائتين وألف.

(١) فى هامش المطبوع: «كان إذ ذاك قيمة شاة لا تتجاوز فرنكا وعلى هذه النسبة فقس».

٤٥٠ - عبد القادر بن محمد بن أحمد بن بلقاسم الإدريسى العلمى الحمدانى.

كذا وقع هذا النسب فى رسم كتب قيد حياته مؤرخ بثامن عشرى جمادى الثانية عام واحد وستين ومائتين وألف.

الولى المشهور المعروف بسيدى قدور العلمى نسبه لجبل العلم[1] الطالبى العبد السلامى نسبه لجده الأعلى مولانا عبد السلام بن مشيش، دفين جبل العلم الشهير مقر سلفه - أى المترجم - وهو من أولاد حمدون، وعليه فقول الرسم الحمدانى غير سديد وصوابه الحمدونى.

حاله: نشأ فى صيانة وعفاف بمكناسة الزيتون فى حجر والده بالدار التى اتخذها زاوية بعد وفاة والده، وبها أُقبر كما يأتى، وكان رحمه الله من أهل المقامات العالية والأحوال السنية السنية، لا يعرف لعبا ولا لهوا ولا ما يرجع لزخرف الدنيا وزينتها، كثير التطوف على أضرحة الصالحين وزيارة الأحياء منهم والأموات.

قال أبو عبد الله محمد الأمين الصحراوى المراكشى فى مقدمة الارتجال فى مشاهد ومشاهير سبعة رجال: قال لى الولى سيدى عبد القادر العلمى: إنه مكث بضعا وعشرين سنة وكان بمراكش، وكل يوم يزور سبعة رجال، أو يزور الأربعة المتقاربة: سيدى أبى العباس السبتى، وسيدى محمد بن سليمان الجزولى، وتلميذه سيدى عبد العزيز التباع، وتلميذه مولانا عبد الله الغزوانى، أو يقتصر على زيارة أبى العباس السبتى هـ

وقد لازم دهرا طويلا زيارة ضريح الإمام إدريس الأكبر، وبالأخص يوم الجمعة لم يتخلف عن صلاتها بمسجده فى صيف ولا شتاء مدة من ثلاثين سنة،

---

(١) فى هامش المطبوع: «بفتح العين واللام، حيث مدفن المولى عبد السلام بن مشيش».

وكـان ذهابه لزرهون كل جـمعـة على أتان له، وكـان يتطارح على شـريف تلك الأعتاب ويتضرع إلى مولاه فى تنوير سـريرته وصفاء باطنه وتطهيره من الرعونات النفسانية، ثم بعد مدة لازم داره، وصار لا يخرج منها إلا يوم الجمعة.

وفى آخر عمره لما كبر سنه ووهن عظمـه واعتراه ما اعتراه من الجذب وذلك قبل انتقاله لدار النعيم بنحو أربعة أعـوام كما صرح بذلك تلميذه الملازم له العلامة السيـد محمد فتـحا غريط الطبـيب الشهير فى رجـزه الموسوم برياض أنس الفكر والقلب حيث قال:

والجنب مـعـه نحـو أربع سنين | وبعـضنا به من المسـتـيـقنين
ومع ذا بسـائر الأذكـار | يصـدع بالـليل وبـالنهـار
حتى قـضى بقرب فـجر الاثنين | ليلـة يوم سـاس وعـشـرين

ترك فى الجمعة، وكان يتحرى صلاتها بجـامع الزيتونة أحد المساجد الشهيرة بمكناس المؤسسة على عهد سيدنا الجد الأعظم السلطان مولانا إسماعيل.

ومن عادته شراء الخبـز والتمر وتفريقه على الصبيـان كل يوم جمعة، وربما ندب لذلك بعض الخاصة من معتقديه، حـتى رتب سيدنا الجد السلطان المولى عبد الرحـمن بن هشام على شـراء قدر من ذلك كل جـمعـة جراية، فـصار يشـترى ويفرق، واستمر الأمر على ذلك بعد وفاة المترجم فى دولة السلطان المذكور وبعدها إلى آخر الدولة الحسنية أو أول العزيزية.

وكان السلطان المولى عـبد الرحمن من خـاصة محبـى المترجم ومعتـقديه، يذهب لزيارته كلما حل بالحضرة المكناسية، ويستشيره فى كل مهم عنّ له، ويقف عند حد إشـارته، وقد شاهد له كرامات وخـوارق عادات، ولما قبضـه الله تعالى

وبلغ خبر نعيه إليه، كتب على الفور لعامله على مكناس القائد الجيلانى بن بوعزة بما نصه بعد الحمدلة والصلاة:

«وصيفنا الأرضى القائد الجيلانى بن بوعزة وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فغير خاف عنك ما كان بيننا وبين الولى البركة، مولاى عبد القادر العلمى، نفعنا الله ببركاته، من صفاء المحبة، وخلوص المودة، فى ذات لله ولأجله، وقد بلغتنا وفاته رحمه الله ورضى عنه، وانتقاله لدار الكرامة والسعادة، فبوصول كتابنا هذا إليك توجه لتعزيه أقاربه وحشمه بنفسك نيابة عنا، وقل لهم: نحن وإياهم فى مصيبته سواء، آجرنا الله فيها، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولله ما أخذ وله ما أعطى، وكلٌ بأجل مسمى، فليس إلا الصبر والاحتساب والرضا، والتسليم لما جرى به القضا.

وإياك ثم إياك أن يمد أحد يدا فى متروكه من أقاربه أولاد مولاى عبد السلام أو غيرهم أو يخرج الأمر بعده عمن قدمه قبل وكان يتصرف حال حياته، فالناظر الذى كان متوليا أمر زاويته يبقى على حاله فيها من غير منازع ولا معارض، فهو الذى يخوض فى متروكه ويختص بالتصرف فيه خاصة، وقد عضدناه وشددنا أزره بخديمنا الأرضى الناظر الطالب الطاهر بن عثمان ليعينه فى ذلك، وظهير صدور أمرنا به يصلك فى إثره، فأطلع على هذا خديمنا الأرضى الطالب أحمد اللب، وجميع خدامنا كالأمناء والمحتسب ليعملوا بمقتضاه، وأولاد مولاى عبد السلام تعرف حالهم فمن تقرب إليه منهم ورام الخوض فى أمر الزاوية ومتاعها، كفه عن ذلك بالزجر البليغ، حتى لا يتطاول أحد إلى ذلك، فإن أبناء الزمان لا يردهم إلا الجد، والسلام فى سادس عشرى رمضان المعظم عام ستة وستين ومائتين وألف هـ».

والمتروك المشار إليه فى هذا الظهير الشريف اشتمل من النقد الناض على اثنى عشر ألف مثقال وزيادة، وقد أنكر ذلك بعض الناس لما سمعه قائلاً: كيف يكون من يترك مثل هذا القدر وليا؟ فرأى فى نومه كأن قائلا يقول: لو لم يأذن المترجم للشمس أن تطلع ما طلعت أو كلامًا نحو هذا، فلما أفاق استغفر وتاب.

وقد قدمنا فى الكلام على المساجد ظهيرين آخرين للسلطان المذكور، فى أولهما التصريح بأن المترجم إنما خلف ذلك لأسرار كما قدمنا هناك، وأن من ذلك المال أتم بناء مسجد زاوية المترجم، ومنه اشتريت الأصول المحبسة على مصالح ذلك، ولا زالت قائمة إلى الآن، ولو لم يكن من أسرار ذلك إلا هذا القدر لكفى.

وقد كان المترجم سيدا حصوراً، لم يحتلم قط، ولا عرف معنى الالتذاذ كما أخبر هو بذلك عن نفسه لا فى صغره ولا فى كبره، ولا يأكل دسما، جُل قوته الخبز والزيتون، وقد كان لا يمكن أحدا من تقبيل يده حتى قدم إلى مكناسة الشريف سيدى المختار البقالى وأذن له فى إطلاقها للتقبيل ففعل إذ ذاك، وصار لا يمنع من تقبيلها أحدًا، كما أخبر بذلك بعض الخاصة من أصحابه.

وقد ظهرت له رضى الله عنه كرامات وأسرار، وقصده وفود الزوار من سائر الأقطار، ومن ذلك أن بعض الناس حضر بين يديه فذكر المترجم أمرًا وقع فى نفس الحاضر المذكور تكذيبه فيه، فاطلع المترجم من طريق كشفه على ما حدث الحاضر المذكور به نفسه، وقال: والحاضر المذكور يسمع من كذبنا يعمى هـ فعلم الحاضر المذكور أنه هو المقصود بذلك وانصرف، فبعد مدة عمى واستمر كذلك إلى أن توفى أعمى، نسأل الله العافية وهذه القصة ثابتة أرويها مفصلة بسند صحيح.

ومن ذلك ما حدثنى به شيخنا العرائشى أنه حدثه شيخه السيد فضول بن عزوز أنه كان يزور المترجم ويلازمه كثيرا ويصلى معه صلاة الجمعة بجامع

الزيتونة، ويراقب أحـواله، ففى بعض الأيام قال فى نفسه: إن هـذا السيد الجليل العظيم القدر منذ رأيته وصـحبته ما رأيت منه أمراً يخالف الشـريعة، غير أنه يرفع رأسه من السـجود قبـل الإمام، قال: وكـان فى قلبى من ذلك حزازة ثم سـاقتنى المقادير إلى مطالعـة كتاب الشعـرانى الميزان الكبرى فوجـدته ذكر فيه أن العـارفين تتجلى لهم عـظمة الله تعالى فى السـجود، فخـفف عنهم ورخص لهم فى الرفع لئلا تتفطر قلـوبهم فى ذلك التجلى، قال: فلما وقفـت على ذلك حصل لى فرح وسرور حتى صرت أضرب على صدرى، وأقـول: يا فرحى وياسعدى، ثم قمت فى الحين وذهبـت إليه، فلما جلست بـين يديه قبض على أذنى وقـال لى قبل أن أكلمه: ما رأيته صحيح، ولعله كرر هذه المقابلة مرتين هـ.

ثم راجعت الكتاب المذكور فى المسألة فوجـدت ذلك صحيحا ودونك نصه: وربما استحضر الساجد عظمة الله تعالى فانهدت أركانه، فلم يستطع كمال الرفع، وربما استـحضر بعض الأصـاغر عظمة الله تـعالى فى الركوع أو السـجود فكادت روحه تزهق منه، فـبادر إلى الرفع من الركـوع أو السجود بـسرعة من غـير بطء، فمثل هذا ربما يعذر فى عدم إتمامه الطمأنينة وهو فى السجود أكثر عذرا كما جرب هـ.

قلت: ولا محذور فى ذلك شرعا فإن الله لا يكلف نفـسا إلا وسعها، وقد أباح سبحانه لمن عجز عن القيام فى الصلاة الجلوس، ولمن عجز عن الصلاة جالسا الصلاة مضطجـعا، ولمن عجز عن أدائها مـضطجعا أن يصليهـا إيماء، وللضرورة أحكام.

وأخبرنى أيضا مـحدثى الشيخ المذكور عن شيخـه المذكور أنه كان فى ابتداء طلبه يقرأ يوما مـصنف الألفية فى لوح، فصعب عليه حـفظه فرمى به مع حائط، وقـام من حينه وذهب إلى المتـرجم، فلما جـلس بين يديه قال له: لا تعـجل ها

مجلسك بين يدى انظر إليـه، فكان كما قـال رضى الله عنه، قال مخبـرى: فإنى قـرأت عليه يعنى شـيخـه المذكور فى زاوية هـذا السيـد الجليل المرشد المعـين بين العشائين من أوله إلى آخره ثم الشمائل النبـوية كذلك، ثم طرفا وافراً من صحيح الإمام البخارى هـ.

وما ينسب للمترجم من الأزجال هو له حقـيقة وقد كان له رواة يتلقونه منه ويكتبونه عنه، منهم: العلامـة السيد محمد غريط، والسيـد الحاج قاسم بن المير، والسيـد الحاج أحمـد الدقيوق وغـيرهم، حيث إن المتـرجم كان أميـا لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك قد ضمن تلك الأزجال من أنواع فنون البلاغة ودقائق المعانى ما أخرس الفصحاء وأخجل البلغاء وأودعها من الحكم والمواعظ والأمثال ما حير أولى الألباب، وألزم المعاند الحجة.

أما تغزلاته فقـد أزرت بنسيم الصبا ووسيم الصباح، وكلهـا إما فى الحضرة العلية أو النسمـة النبوية، أو الأكابر من الأولياء والصالحـين شنشنة فطاحل العرب والصحابة والتابعين وسلف الأمة وخلفها المـتقين فى تغزلاتهم فى أشعارهم الفائقة الرائقة، لا فيما يفهمه بعض الأوغاد من أنه فى معين لا يحل، حاشا أهل الفضل والدين من ارتكاب ذلك.

والحوم حول ولوج وخيم تلك المسالك.

ولو دُوِّن جميع ما قال من الأزجال لجاء فى عدة أسفار، ولكنه منه ما لعبت به أيدى الإتلاف، ومنه ما مـات بموت حفاظه، ومنه مـا حرق على عهـد المترجم بإذن منه، وما بقى إنما هو قُلٌّ من كُثْر.

مشـيخته: أخـذ عن الولى الصالح، العارف الفـالح، السيد الحاج المخـتار البقالى المتـوفى سابع أو ثامن عشرى صفر عـام خمسة وخمسـين ومائتين وألف،

وسيدى على بن عبد الرحمن المعروف بالجمل دفين فاس المتوفى عام أربعة وتسعين ومائة وألف لازمه وانتفع بصحبته، وكذا عن شيخ أفاقى اسمه بدر الدين، ومولاى الطيب الوزانى، وسيدى محمد بن أحمد الصقلى المتوفى عام اثنين وثلاثين ومائتين وألف وغيرهم، وكان كثير الزيارة لأبى الأسرار حمادى الحمادى المكناسى المترجم فيما مر.

الآخذون عنه منهم: السيد فضول بن عزوز، والسيد فضول السوسى، والسلطان مولاى عبد الرحمن بن هشام، والسيد محمد غريط، والعارف الكبير أبو عبد الله محمد بن عبد الحفيظ الدباغ، والإمام أبو عبد الله محمد صالح الرضوى الذى صح عنه أنه قال: قد هان على سفر ثمانية أعوام بملاقاة رجلين بالمغرب سيدى قدور (بالكاف المعقودة) العلمى، وسيدى عمر بن المكى الشرقى، والبركة الصالح أبو زيد عبد الرحمن بن التهامى الإدريسى الزرهونى، وأبو حامد العربى بن السائح الشرقى دفين الرباط لازمه سنين وانتفع به، حدثنى من وثقت بخبره من الأعلام أنه حدثه بقية السلف فى الخلف أبو المواهب عبد الكبير بن محمد الكتانى، أنه حدثه سيدى العربى المذكور برباط الفتح عام سبعة وثلاثمائة وألف، وقد جرى ذكر حديث: إن لله عباداً من نظر إليهم سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا: أنا سمعته من مولاى عبد القادر بمكناس بلفظ إن لله عباداً من نظروا إليه نظرة سعد سعاد سعادة لا يشقى بعدها أبدا هـ.

قلت: وليس مراده ورود هذا اللفظ عن الرسول، وإنما مراده التعريف بسعة فضل الله واعتنائه بخاصة عباده المتقين، وأنه يؤتى فضله من يشاء، وفى الصحيح إن لله عباداً لو أقسموا على الله لأبرهم.

ومن الآخذين عنه أيضا: الشريف العلامة سيدى محمد بن هاشم العلوى الحرونى وخلق كثيرون.

أزجاله من ذلك قوله متغزلا:

قسم

الخال غلام عساس فروض منعما فيمين حربة إلى أوما

كينوا درغام من حاده يترك رميم

صنع العلام نقط فى روض منعما حكمت ربى رافع السما

ما نزلت بقلام كون الله الدايم القديم

وجعاب أروم وكوابس للطعن رايما فمكاتب كفار ظالم

ما تقبل تدمام مولوع بالقتل والهجيم

والجيد رام قدام جليب وهايما على العف والطيب قادم

شرادت لوهام ما نقر الأمان ما تقيم

زين العجم العين الشهلا النيما وحروف الزين المسقما

والبياض تمام وصف الزين فصنعت حكيم

قامت لعلام جبين وغر مبسم وخدود كورد ناسما

حسن بغير وشام صنع الله المالك العظيم لخ

وقوله:

راح الوقت ولا بقا إلا وقت المعانقة كب وراورخى وراق

والأشجار الباسقة والأطيار الناطقة عمرت بلغاها أسواق

كب الصهبا الخارقا فى كيسان بنادقا من زاج بلاد العراق

تظهر خمر بارقة فالأوانى شارقة كلون سحيق الرهاق لخ

وقوله من إدريسية طويلة:

بوجودك يا سراج محفل هل اليقين
أسعد الغرب بعد كان فبرج نحيس

انتصرت ملى النبى وتشهر الدين
والحق سقام منهج بعد التنكيس

وقطع سيف الهدى أرقاب المرتدين
بالقهر ولا بقى رهيب ولا قسيس

نبنات مساجد العباد للمبين
وفنون العلم بالتلاو والتدريس

بوجودك يا لغوث أمولاى إدريس لخ.

وقوله فى المديح النبوى:

ببر كتابك نجا الله من فيضه نوح
وبل أيوب تعافا من أسقام القروح
وبك ارتقا ادريس مكان صدق موضوح
وبلك سليمان تولى الملك مشهور
على الجن والإنس وساير الوحوش منصور
الصلاة والسلام على النبى المبرور
بك استجاب الإله لدعوة المسيح
وبك عزم ربنا ليوسف بسراح

ورد عن يعقوب النبى ضيا الماح
وبك عز الله صالح واتشهر صلاح
ربك موسى غلب أحبار اليهود دجاح
وفات لقمان وقيصر وملوك كسرا
وكل من درجت به الروح فوق الترا
عدد ما خلق الله ميات ألف مرة

وبك تفـدا النبى إسـمـاعـيل الذبيح
وبحـــقك نال هودعـــز ونجـاح

وبك نال حكمـت داوود الفـصـيح
وســخــر بك صنع زرد وســلاح

وطفا الجـمر اللهيب بعد كـان وقيح
عن إبـراهيـم حق وبرد تـلحـــاح

حجب جبريل من لظاها بجناح

قسم

أنت سبب وجود الارسـال يالمرسول
من على شانك دركت الأنبيا المعالى
أنت المامن وأنت مفتـاح باب القبول
وأنت الطود المانع وأنت البـحر المالى
أنت المؤيد بالحـسـن الزهى المكمـول
وأنت السراج الـناير فبصـاير الموالى
لبـسك ربى حلة من محـاسن النور
فايق الشـمس بهاك وزين من القـمر
والأدرار والنجـوم الشـارقة والبـدور
والهـلال بحسن كـمـال فليلة عشـر
الصـلاة والسـلام على النبى المبـرور
عـدد ما خلق الله مـيات ألف مـرة
خلق آدم فـيك ولسـان إسـمـاعـيل
وبهـا يوسف عطاك ومـحبـة دنيـال

وزهد عـيـسى الصـابر وخلة الخليل
وشجـاعة نوح هابهـا لك ذو الجلال

وشدة موسى الكليم ورضى إسرافيل

وفصاحة لوط وصوت داوود فالتمثال

وطاعة يونس وعصمة أيوب الفضيل

وعلم شيت وزهد يوشع على الكمال .

وعلوم السابقين والآتى ما زال

قسم

عـرفت وتحقـقت ويقنت بالمحبـوب
بيـن أنت كنز الأسـرار والمـواهب

من عظم شأنك نزل فى مقام مهيوب
ومن فضلك جاهك نلت القصد والمراغب

الخير فيك وفـامتك يا طبيب القلوب
حـديث هذا ظاهـر يدريه كل راقب

لك شهدت الوحوش الهايمة والطيور
كـيف نطقت بك البكم فكل قـفـرا

وعليك صلات فغمق الماء دواب البحور
وكلمـا فـالأرضين تلوهـا وصحـرا

الصـلاة والسـلام على النبى المبـرور
عـدد ما خـلق الله ميـات ألف مـر

من كثـر معزتك عـلى الحق المجيب
شرف بوجـودك أمتك عـاتق لرقاب

ورفع المسخ ونبطل سـحر التـرهيب
وصنام الجـاحدين خـرت عل لجناب

وخرب سـيف الإيمان ملك أهل التكذيب
بوجـودك يا همـام العـجم والعـرب

سعـدت مكة وصلحت مدينـة يثرب
والديلم والسـودان وسـاير لنسـاب

وأصبح دين الإسلام متايد غلاب لخ

وقال:

هكذا سعفت بصبرى سرور لأيام — قل دى وقواصمتى وصنت فمى
ما قدرت على الصلح ولا نجمت لخصام — وشغلت مع الدنيا الفانيا فهمى
من لغانى يحسبنى من جملة الكرام — ومن بغضنى ما يعرف غير دى شتمى
اخترت قصيد مرسوخ فرق قرطاس — مديح عجمى ما يدرى فاللغا نغيم
كغزالة حضرية من بنات أهل فاس — معنقة شى عبد من ضنايت الصماصم
(آش ما عار عليكم أرجال مكناس — مشات دارى فحماكم يا أهل الكرايم)

يا سر فالناس من بغ لى فى الجليا
وفرح قلب على محانى وكدارى

وياسر فالناس من عطف قلب ليا
واشفق من حالتى وبكاه أغيارى

وياسر فالناس من ضحك وظنز فيا
يوم فراقى مع أحبابى ووكارى

وياسر فالناس من فتا الرى عليا
وزين لى فالخروج من عتبة دارى

وامشيت فليلتى من الساعة كارى

(قسم)

من كثرنى يحبانى إلى نكون فى الخير — يضل وكرى ويبات بجمعهم عامر

شحال من صاحب نوجد وكمن عشير
براطل الدار حدير غير تنقت لطير
هكذاك أصحابى دار جميع فالكاس
من لقانى من عشرانى يهز لى الراس
(آش ما عار عليكم أرجال مكناس

إلى يكون طعامى فكل وقت حاضر
كيف حوت المشرع يجرى على السنانر
يوم أصبحت لا مال لا مراسم
تقول عمرهم ما كناونى بئاسم
مشات دارى فحماكم يا أهل الكرايم)

لحباب إلى كنت نعتادهم يحشم
ولى ننحاز لهم يرفد عارى

أعتاد يخيطو مراى ويشتم
بكلام أفصح من مزارق ليبارى

ونحس بديهم فيا ونكتم
ونزين بشرتى ونضحك وندارى

وطويت القلب الحزين على هم
وصبرت لما قضى وقدر ليا البارى

حد حومة وحد عز فى دارى

(قسم)

الله يرحم لأشياخ الفايزين لحبار
ما أحلى الضيق إلى يوريك طبع لعشار
النكد يتفاج ويفوت جمع لغيار
يستهل من يبنى سور بغير تلساس
ويستهل من يدخل للبحور دون رياس
(آش ما عار عليكم أرجال مكناس

كل شى خلاوه للحادثين مجهور
تعود بحبيبك ولى هو عدوك مخبور
ولا يفاد تغنم بها سنين وشهور
ويستهل من ينزل للبحور دون صارم
ويستهل من يسمك لطواد بالسلاقم
مشات دارى فحماكم يا أهل الكرام)

أواه أواه خاب لى الظن فالأصحاب
إلى بهم كنت نفخر ونفايش

فيا خلاو سم لظفار ولنياب
بعد نيح وهرنو مثل الهوارش

بقلوب أقصح من الحديد ووجوه صلاب
أقفال الهند ما تنطرش بمطارش

لسون تقول مرحبا بمجى لا حباب

وقلوب مكسر ما تحمل غاوش

والله مابقات حرم لدراوش

(قسم)

لسونهم يجرح وعيونهم يكويو   وصاعهم يشير للخصم والدعاوى

يقيل ويبات مثل الذباب يعويو   ملوكهم يطلع دغيا بغير جاوى

من تدوق عنهم يبداو فيه يدويو   ويقطع لحم فالساعة بلا جناوى

عرفتنى هذا الحز بسيرت الناس   ويح من لا عتد فمخازن دراهم

صحبت فلس زلاغى من قوارط نحاس   خير من صبحت شر الخلق من بنادم

(آش ما عار عليكم أرجال مكناس   مشات دار فحماكم أهل الكرايم)

أواه أواه وين لولاف العشران

وين أصحابى وين هما صدقانى

لا وحد منهم يوم الحز بان

غير تدرق على بلعانى

ما عرفونى ما تفكرونى بحسان

كينى جيت للمدينة يرانى

شى منهم ماتلا يلاغنى بلسان

وشى منهم كل ساعة يلقانى

ويفاقدنى الخسيس عنوة فمكانى

(قسم)

كيف ننسا تلطامى فى دروب مكناس
وغـربتى ومـباتى فـدكـاكن المدارس

أعياو بيا الحـوانت فى سواق لبخاس
والفنادق وبيــوت وسـاير المجـالس

عدت فالليل نبات على الحـبال عساس
وفـالنهار نظـل بباب الدراز جـالس

امنين حس بـيـاتم اصطبت لجـلاس
رادف عنى بالـقـهـرات والنقـايم

المبـات بالجـوع ولا طعـام لكناس
الفـقر والـغربة ولا صـحـبة شـاتم

(آش مـا عار عليكم أرجـال مكناس
مشات دار فـحماكم يا أهل الكرايم)

فإن أعداى وقصدهم خلاص رشيت

مـا عـرف بين صرخـة الله مـعـايا

فسوق أهل الله بعت بنظامى واشتريت

وابلغ قـصـدى مـع ضـراغم الولايا

وبر بعـد السـقـام ضرى وتعـافـيت

وكـملت مـراغبى وقـصـدى ومنايا

وقنعت من الزمان بالقسمة وارضيت

وفــرح قلـبى بما أعطـانى مــولاى

وهنيت ولا بقات غمرة فحشايا

(قسم)

من وقف للمسعى يـسعى الديور الكبار
الكريم يضـايف من لابغـاه البخـيل

الحـــلاوة بالمنـة كـــتـــدير المرار
يالطامع فـمــودة من ارباو فـالويل

المغطس فـالعـر مـا يزول العـار	والموتـى بالعلـة مـا يـطب العلـيل
فـلافـسى دهقـانى رباوئى الكيـاس	مـقـر مختـبـر شـيخ حكيم ناجم
القضى صـرفت أحكام وصرت لاباس	أحمـدت بى وشكرت سابغ النـعايم
(آش مـا عار عليكم أرجـال مكناس	مشات دار فـحماكم يا أهل الكرايم)
والله مـاضـرنى ولا عـذب قلبى	
غير اشـفايت الحباب إلى ظنـيت أصحاب	
	أمـا أنا فـين مـشـيـت لى ربى
	فى كل مكان صـرخت لى تصـاب
بدل رب الـكريـم بالراح تـعـبى	
من دار تكل فـالله عمـر ما يخـاف	
	مـاحـد الحـاسـدين تتـمـنا كـربى
	واللـه يزيدنى الأجـر والثـواب

ويكثر عن عداى الحساب والعقاب

(قسم)

هكذا الدنيـا الحـارة كـتـدير للقـوم	وهكذا الدهر مشـتت جمع كل لامة
يوم شلـوق ويوم حلو ويـوم زقـوم	ويوم مسـتعدل بين الـطيب والزهامة
يبات شمل المرو فـحفظ الكريم ملموم	ويصبح الدهر مشـتت الطالب السلامة
من مدعلى راس أعداه لا تقول فياس	يضرب ضربة وبالأخـرى يعود عادم
يلتقى المرو نشاشبها من كباد القواس	ولا يلتقى دعـوت مظلوم من الظالم

(آش مـا علر عليكم أرجـال مكناس مشات دار فـحماكم يا أهل الكرايم)

الخـيـر إلى يكون فـتـبـاع الجـمـيل

فـالجـوف مـدت تورث العـلايل

أصل البخل كثـير وأصل الجود قليل

واحـد فمـيـات ألف توجد فـاضل

كمـن عز تبان لـك فى وجه جمـيل

وعلى راس الشـان المشـرقى شـامل

قـومـان تدرك بشـيـاب التـفـضـيل

وضحـات الناس عندهم قاع حـتايل

ما لازمنى بقربهم نبقى نازل

(قسم)

كيف يتـهدا من يرجاه سـيف عزريل وضـيق القـبر وملكين يـوم لسئـال

وكيف تعلى يامن ما زال ترجع ذليل يالى قـالتل نفـس أنت المفـضـال

آش مـا قـاسك يابنادم تـرجع عطيل شوف تمغاطك فـوق النعش يلذومال

بدوك الأول نطفة من مـا هطيل نسناس واخـرك للـتـربة والدود يالـظالم

شوف ما تحت لبـاسك يا كير لدناس من العجب لولا الثوب مسـتر الحشايم

(آش مـا عار عليكم أرجـال مكناس امشات دارى فـحماكم يا أهل الكرايم)

إلى غـير هـذا من الأزجال المشـتـملة على لطائف التـسل والحكم ومـديح الأولياء والعارفين الأصفياء.

ولادته: ولد بمكناسة الزيتون سنة أربع وخمسين ومائة وألف.

وفاته: توفى عن مائة واثنى عشر سنة بداره الكائنة بقعر درب ابن العواد من مكناس، فى البيت يمين الداخل قرب فجر يوم الاثنين لـيلة سادس عشرى رمضان المعظم عام ستة وستين ومائتين وألف، كـما صرح بذلك تلميذه غريط المذكور فى رجزه بقوله:

حـتى قـضى بقـرب فـجـر الاثنين ليـل يوم ســادس وعـــشـــرين

من رمــضـــان ســتـــة وســتـــين وألف إثـر مـــائتـــيـن ثنتـــين

وصلى عليه بجـامع الزيتونة ودفن بدار والده التى صـيرها زاوية قيد حـياته بحومة أبى الطيب.

وهذه الدار هى التى يحكى أن الشيخ كـان وكل بعض اللائذين به المظهرين له صـدق الولاء من مسلمـة بنى إسرائيل، فـعمـد هذا الوكيل المذكـور إلى الدار المذكورة وباعـها بغـير إذن من المتـرجم، فلما شعـر بذلك أقلقه وأنشـأ قصـيدته المذكورة ثَمَّ التى يقول فيها: امشات دارى فحماكم يا رجال مكناس لخ

ثم ردها الله عليه بعد ذلك، فـصيرها زاوية يجتمع فيهـا مع أصحابه للذكر والعبـادة، وكان يلقنهم فى أول الأمـر قراءة دلائل الخيـرات، ثم صار الورد الذى يلقنه هو سورة يس، والصلاة المشيشية صباحا ومساء، وعلى ذلك استمر عملهم، وللمْترجم بهذه الزاوية ضريح جليل له بهاء ومهابة، ومـعه فيه ضريح أخته السيدة خديجة كانت توفيت قيد حياته فدفنها ثمة.

أما دار سكناه التى قـدمنا موته بها فـلا زال فراشه بها قـائما إلى الآن وهو لبدتان كـبيرتان من صوف تحـتهما حـصير والكل فـوق طبلة من خشب تعلو من

الأرض بنحو شبـر وكذا فراش أخته المذكورة لا زال قـائما بمحل سكناها منها وهو على نحو الصفة المذكورة.

٤٥١ - عبد القادر زين العابدين.

عرف بنعبـد الله اسما مركبا، وهو اسـمه الحقيقى على قاعـدة أهل معسكر والحشم، وعـرف بسقط لضرب سبع له وهو راكب على فـرس، فسقط مـجروحا فعرف بسقط من يومئذ.

حالـه: علامة مـسند راوية، قـال فى فهـرس الفهارس والأثـبات ومعـجم المعاجم والمشـيخات والمسلسـلات فى حق المترجم ما لفظـه: هذا الرجل هو مسند المغرب الأوسط فى وسط القرن المنصرم، له عدة إجازات من المشارقة والمغاربة، لو جمـعت لخـرجت فى مجلد، ومع ذلك ضـيعـه الناس، ولا يحفظ أهل المـغرب الأوسط من شيوخه إلا الشيخ أبا راس المعسكرى.

قال عنه الحـاج العربى بن عبـد القادر المشرفى فى ياقـوتة النسب الوهاجة: كان حـافظا حجة فى السـيرة النبويـة، لا يفوته فيـها سؤال وإن أعـضل، يحفظ البخـارى متنا وسندا، وكذا صـحيح مسلـم، أعرف أهل زمانه بالتـاريخ وأنساب العرب وشيوخ المذهب، طأطأت له العلماء الرءوس ولقى أشياخًا أخذوا عنه وأخذ عنهم وفهرسته تشهد له بذلك هـ.

ورد أخيراً على سلطان المغرب سيدنـا الجد من قبل الأم المولى عبد الرحمن ابن هشام، وكـان يحضر معـه مجلس الصحـيح، حدثنى بذلك من كان يحـضر معـهم إذ ذاك وهو العالم المعمـر أبو العلاء المولى إدريس بن عبـد الهادى العلوى دفين طيبة الطيبة المتوفى عام تسعة وعشرين وثلاثمائة وألف.

مشيخته: أخذ عن الشيخ مـحمد بن محمد بن عرب البنانى المكى المالكى، وعلى بن محـمد الميلى، ومـحمد بن مـحمد صـالح الشعـاب الأنصارى المدنى،

والهادى بن محمد الحسنى ومحمد حسن الميقاتى الإسكندرى، ومحمد سعيد الملقب بدرويش القادرى، وعمر بن عبد الرسول العطار المكى، والشيخ الشنوانى، ومحمد صالح رئيس الزمزمى المكى والقويسنى، وأحمد الدواخلى. قال الشيخ عبد الحى المذكور: وعندى إجازات مشايخه هؤلاء.

الآخذون عنه: أخذ عنه إجازة بفاس أبو العباس أحمد بن الطاهر الأزدى المراكشى، وأبو زيد عبد الرحمن بن أحمد الشدادى الفاسى عامة ما له مطلقا بتاريخ سبع وأربعين ومائتين وألف، أخبرنى الشيخ عبد الحى أنه وقف عليها بخطه فى كناشة الأول بالمدينة المنورة قال فيها إجازة عامة تتناول من وجد منهما من الأولاد ومن سيوجد منهم من الأحفاد وكل من استجازهما.

شعره: من ذلك قوله فى مطلع قصيدة مدح بها السلطان المولى عبد الرحمن المذكور:

إن المليحة فاس لا يقاس بها   إيوان كسرى ولا صرح لذى شرج

كلها رقائق وحكم وأمثال سر بها الممدوح وأجزل جائزته عليها.

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون بعد السبعين ومائتين وألف، ودفن بروضة الشيخ أبى عبد الله محمد فتحا ابن عيسى الفهدى المختارى خارج باب السيبة أحد أبواب مكناس.

٤٥٢ - عبد القادر شقيق والدنا ابن عبد الرحمن بن على بن محمد بن عبد المالك بن زيدان بن فخر الملوك إسماعيل.

حاله: فقيه عدل رضى، أستاذ مجود نحوى، لبيب نبيل فاضل، وجيه محاضر، لطيف طريف، لسن كاتب، له خط بارع نسخ عدة كتب فقهية وحديثية

٤٥٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٣٣.

وتاريخية، وكان الإمام بالضريح الإسماعيلى، ثم أسند إليه السلطان العظيم الشان المولى الحسن التقديم عليه، وقد رشحه قبل ذلك لقضاء مأمورية سلطانية بالقطر السوسى فقضاها وفق ما منه يرام، ثم انتقاه لنسخ بعض المهم من الكتب لجنابه الشريف، وأجرى عليه لذلك جراية ضافية، وكان يؤدب الصبيان فى أولية أمره، فتخرج على يديه عدد وافر من حملة القرآن، وكان يتعاطى خطة الشهادة بسماط العدول، ثم رغب عن الجلوس فى السماط والتعاطى إلا فى النادر، وعلى ذلك دام إلى أن لبى الداعى؛ وانتقل لوطن الرحمة محمود المساعى.

مشيخته: أخذ عن والده، وعن السيد فضول السوسى، والسيد محمد بن عزوز المدعو الهويج، والسيد الطاهر بوحدو، والسيد أحمد بن سودة، وأجاز له والسيد الحاج المختار بن عبد الله، والسيد فضول بن عزوز وغيرهم.

الآخذون عنه: منهم شقيقه والدنا رحمه الله، والعدل الشريف مولاى إبراهيم بن عبد الله وجماعة من حملة القرآن، وختمت عليه سلكا من القرآن، وقرأت عليه أوائل الآجرومية وبعض المصنفات العلمية.

وفاته: توفى أواخر جمادى الثانية عام واحد وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن حذو أخيه والدى يسار الداخل لضريح أبى زيد المجذوب برد الله ضريح الجميع بمنه.

٤٥٣ - عبد القادر بن على الحسنى العلوى.

نزيل زاوية زرهون.

حاله: فقيه مدرس، عدل رضى، كان أحد صدور عدول بلده المبرزين وأحد المنتخبين لقراءة الشفا بالضريح الإدريسى الأنور، عن الأمر السلطانى العزيزى.

---

٤٥٣ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/٢٨٤٨.

مشيخته: أخذ عن أبى عبد الله بن التهامى الوزانى، وشيخنا ابن الخياط، وشيخنا أبى عبد الله القادرى، وشيخنا أبى العباس أحمد بن الجيلالى وغيرهم.

وفاته: توفى عشية الاثنين ثانى جمادى الأولى عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن ضحوة غده بالظهير(١) خارج الإدريسية بلده.

٤٥٤ - عبد القادر بن المعطى بن العناية

الغرباوى أصلاً السفيانى المعتكى من أولاد علال المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: فقيه معدل موقت حيسوبى، له المهارة الكاملة واليد الطولى فى ذلك، أستاذ مجود يتقن القراءات السبع، وكان يتعاطى خطة الإشهاد بفاس الجديد مدة، ثم استخدم ميقاتيا فى خلافة السلطان المنعم مولانا يوسف على المحلة التى عينت للنزول على قبيلة الشراردة فى دولة السلطان السابق مولانا عبد الحفيظ عام ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف، ثم بعد ذلك رجع لبلده مكناس، وتصدر لتعاطى الشهادة إلى أن أخر عنها فى نيف وثلاثين وثلاثمائة وألف، فأقبل على التدريس وتعليم الصبيان.

وكان فى أول أمره جنديا فى العساكر المغربية، وبقى فى جملة من بقى من الحرس العسكرى بآية باعمران إحدى القبائل السوسية الشهيرة، ثم تفلت ناجيا بنفسه لبلده مكناس، وانحاش إلى الباشا القائد العربى بن حم، فأجلّه واحترمه، ثم بعد ذلك أقبل على التعلم والأخذ عن الشيوخ بجد واجتهاد، ثم لما عين السلطان مولانا الحسن من نجباء طلبة جيوشه المولوية من يقرأ التوقيت وتوابعه،

---

(١) فى هامش المطبوع: «بالتصغير المقبرة الشهيرة بزرهون».

٤٥٤ - من مصادر ترجمته: موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٩٣٧.

كان المترجم من جـملة من انتخب، فلازم بعزم وحزم، وقريحـة وقادة، حتى نبغ وبرع.

مشيخته: أخذ عن أبى العباس أحمد العرايشى روضة الأزهار وغيرها مما له تعلق بعلمى التوقيت والتـعديل كما أخذ عنه النحو والفقـه، وعن سليمان الرغاى المقنع والربع المجيب، وعن مـحمد شاطر روضة الأزهار، وعن الأسـتاذ علال بن صالح القـراءات السبع، وعن الشيخ الطاهر بوحـدو، والشيخ محمـد بن حلام، والشيخ الغالى السنتيسى العربية.

وفاته: توفى ليلة الجمعة منتصف حجة عام اثنين وأربعين وثلاثمائة وألف، ودفن صبيحته قبل الخطبة.

٤٥٥ - عبد السلام ابن العلامة الشاذلى بن محمد بن أبى بكر الدلائى.

حاله: فقـيه علامة، مفتى حـافظ حجة، مدرس نفاع، صدر نحـرير، حبر نقاد فاضل، مـاجد أديب أريب، ناظم ناثر، ولد بزاويتهم بالدلاء وبهـا نشأ وقرأ وأقرأ، ثم خـرج مع والده واستقـر بفاس، ثم رحل لمكناس وأقـام به مدة وتولى الإمامة والخطبة بجامعها الأعظم، وانتصب للتدريس والإفتاء وتخرج به جماعة.

ترجمـه فى البدور الضاويـة بما لفظه: هو الفقيـه الجليل، العلامـة النبيل. الماجد الأصيـل، أبو محمد سيـدى عبد السلام بن الـشيخ الإمام العلامـة سيدى الشاذلى بن الولى الكبـير، العارف الشـهير، شيـخ الإسلام أبى عبد الله سـيدى محمـد بن سيدنا الشيخ الشـهير، القطب الكبير، العلم الـراسخ، شيخ المشايخ، سـيـدى أبى بكر الدلائى أبقى الـله بركـتهـم، وجعـل التـوفيـق يلازم سكونهم وحركتـهم، ولد رضى الله عنه ببلادهم بالدلاء وبها نشـأ، وأخذ العلم عن والده

---

٤٥٥ - من مصادر ترجمته: نشر المثانى فى موسوعة أعلام المغرب ٤/ ١٦٣٠.

وجماعـة من أقاربه، ودس هناك ونفع وانتفع، ثم خرج مع والده واستـقر بفاس، ثم ذهب لمكناسة الزيتـون، فأقام بهـا مدة مديدة. وسنين عديدة. وتولى الإمـامة والخطابة بجامـعها الأعظم، وانتـصب للتدريس والفتـيا وتخرج به جمـاعة، وله رحمه الله أنظام كثيرة؛ وأنثار أدبية أثيرة هـ.

وأشار إليه صاحب حدائق الأزهار الندية عند تعرضه لأولاد الشاذلى فقال:

ومنهم عـبد السـلام الصـدر ... العـالم الأعلـى الهـمام الحـبر

الحـافظ البـحر الفـقيـه الحجـة ... الطـاهر المكيـن فى المحـجـة

قد صـار مسـتورا بثـوب اللطف ... فى عـام تـسـعين بـعـد الألف

ولم يخـلف من وليـد يذكـر ... وللمـهـيـمن البـقـا مـقـرر

مشيـخته: أخذ عن والده، وجمـاعة من أقاربه، وعنه جمـاعة ببلده وفاس ومكناس.

وفاتـه: توفى مطعونا ثالث مـحرم الحـرام من عام تسـعين وألف بمكنـاسة الزيتون، قـال فى البدور الضاوية: وحمل لفـاس ودفن بها مع أهليهم بروضـتهم المذكورة، يعنى المحل المعروف بالكغادين، قال: وكان والده حيا حين وفاته.

٤٥٦ - عبد السلام أبو محمد قاضيها ابن محمد الدلائى البكرى المسناوى.

حاله: فقـيه عالم علامـة، محقق دراكة فـهامة، خطيب مصـقع بليغ نابغة عصـره، ويتيمـة مصـره، تولى خطة القضاء بـالحضرة الهـاشميـة العلوية المولوية المكناسية ودرس بها وأفاد، ونفع الله به كثيرا من العباد، وقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ ثلاثة وعشرين ومائة وألف، ولم أقف على تاريخ وفاته، وغالب ظنى أنه هو الذى قال فيه صاحب حدائق الأزهار الندية ما لفظه:

عـبـد السـلام الطيب الأخـلاق	كـالزهـر عند فـجـأة الإشـراق
وهو فـقـيـه فى المراقـى سـام	لخـطـة الأحـكـام ذو إحـكـام
قـام بخطة الـقـضـاء فـحـمـد	كل طريق صنعـه ومـا جـحـد
وهو شـهـيـر فى الحـيـاة يذكـر	ونجـلـه الـطـيـب بـدر أنـور

٤٥٧ - عبد السلام البيجرى المكناسى.

حاله: فقيه عـلامة، بحر زخار، ناقد فاضل مهذب مـتقن متضلع، قال فى حقه صاحب منحة الجبار ما نصه: شـيخنا وبلدينا الإمام، الطود الهمام أبو محمد البيجـرى سيدى عبد السـلام، شيخ حسن التقرير، جـيد التعبيـر، يلحق المبتدى بالمنتهى فى الزمان القـصير، والأمد اليسير، لازمتـه نحو الست سنين أخذت عنه فيها السلم والمختصر المنطقيين، وكان يسرد شرح الشيخ السنوسى على المختصر فى ختـمتين، أخـذتهمـا عنه ويوشح ذلك بحاشيـة شيخ الجمـاعة سـيدى أبى على اليوسى، وفـوائد أخر من كتب غـريبة، ومسـائل بخطوط بعض الأئمة المعتـبرين عجيـبة، وأخذت عنه شرح العـلامة المحلى لأصول التـاج السبكى أخذًا عجـيبًا، وكـان يحضـر جمـيع الحـواشى وينقل المسائل الغـريبـة من شروح ابن الحـاجب والمنهاج، وأخـذت عنه مختـصر السعـد أخذًا حسـنًا، وأخذت عنه كبـرى الشيخ السنوسى، وتوفى وقـد بقى من الشرح ورقـات، وأخذت عنه نظم الخـزرجى فى العروض، وسمعت عليه أماكن من الألفية لابن مالك منه مباشرة.

الآخذون عنه: منهم أبو حـامد العربى بن محـمد البصرى صـاحب المنحة المنقول منها.

وفاته: توفى بمكناس آخر صفر عام اثنين وثلاثين ومائة وألف.

٤٥٨ - عبد السلام بن أبى يعزى حركات السّلاوى.

حاله: آية محكمة فى التحصيل والإدراك وجودة التعبير، واسع العارضة، فقيه نوازلى، مفت مرجوع له، علامة جليل، مشارك فاضل، محقق لبيب ألمعى، مهذب أريب، ورع خاشع مثيل، تصدر للإفتاء بالعدوتين بلده سلا والرباط، فأحيا بهما ما اندرس، وحل منهما محل السواد من العيون، وأخصبت به البلاد بعد المحول، وولى قضاء مكناسة الزيتون وثغر الصويرة ودرس فيهما وفى غيرهما من البلاد، ونال مكانة شماء لدى الخواص والعوام.

ولا سلف لى فى كون المترجم ولى قضاء مكناس غير ما جزم به بلديه العلامة المؤرخ الثبت صديقنا أبو عبد الله بن محمد بن على السلاوى الدكالى الأصل فى نظمه الآتى، ولم أر ذلك لغيره، ولا وقع لى عثور على خبر ولا أثر ببلدنا بعد البحث الشديد مع قرب زمن المترجم، وحفظ من ولى تلك الخطة القعساء بعاصمتنا المكناسية منذ أعصر خلت قبل زمن المترجم وبعده، وتواتر خطاباتهم والتسجيل عليهم بين طبقات أهل البلد عدول وغيرهم.

وقد كان المترجم من جلة الأعلام الذين كانوا بدولة فخر الدولة العلوية بعد جده الإمام الأعظم السلطان سيدى محمد بن عبد الله المنتخبين لحضور مجالسه العلمية، وعرض مؤلفاته العزيزة المنال عليهم، حسبما أومأ إلى ذلك أبو القاسم الزيانى فى خاتمة البستان الظريف، وقال فى حق بلديه صاحب إتحاف أشراف الملا ما لفظه:

ومنهم العلامة المفسر ... عبد السلام حركات الأشهر
ابن أبى يعزى النزيه الأورع ... الفاضل المشارك المتبع
قاضى مكناس ومفتى العدوتين ... وواحد القطر اعتبارا دون مين

مـجـالس السلطان فـى أقـرانه ذوى المعـارف من أهل شـانه
ومـعـمل الأفكـار فـيـما ألفـا برسـمـه فى كل وضع عـرفـا
كـان جليل القـدر عـالى المنزلة رقـيق قلب خـاشـعا مـا أفـضله
صـحب شـيخ وقـتـه الصـقلى مـولانا أحمـد الشـهـير الفـضل
وظهـرت عليـه مـن أنواره مـا طبق الآفـاق من أخـبـاره
ونشـر الأوراد عنه بـسـلا وبضـريـح للشـريشـى نزلا
وبهـرت أحـوالـه عـرفـانا وجل علـمـه فـعـز شـانا
كـان مـدرسـا فـصـيحـا لسنا وأتقن التـفـسـيـر درسـا حـسنا
لقـيـه الشـيخ أبو إسـحـاق عـالـم تونس سـنا الـرفـاق
وحـضـر الدرس لـه بفـاس فـأورد الإشـكال فـى ائتـناس
عن آية هل نسـخت أو محكمـة أجـابـه فـورا بما قـد أفـهـمـه
فـيـما لكل أمـة شـرعـا يخص بأنهـا مـحكمـة حـجـة نص
قـضى بصـدر ثالـث المئـينا بعـيـد ألف بـسـلا دفـينا
وولى القـضـاء فى مـكناس وبـالصـويـرة بـلا تنـاس

قلت: الشيخ أبو إسحاق المذكور فى النظم، هو الشيخ القدوة الحجة المحقق إبراهيم بن عبد القادر بن إبراهيم الرياحى الطرابلسى شيخ الجماع بتونس المولود عام ثمانين ومائة وألف المتوفى فى سابع عشرى رمضان عام ستة وستين ومائتين وألف، كان هذا الشيخ ورد سفيراً لسلطان المغرب عام ثمانية عشر ومائتين وألف للامتياز، والسلطان إذ ذاك بحاضرة فاس وحظى لديه بما هو أهل له من التكريم

والإعظام والإجلال والإكبار، ووجهه لزيارة كلية القرويين والاجتماع والتعرف بقادتها المهتدين، فوجد الشيخ المترجم فى درسه يُقْرِئ التفسير.

قال سيدى إبراهيم المذكور: وهو - أى صاحب الترجمة - بحر زاخر ويقول: ألم يتقدم لنا كذا ألم أقل لكم كذا ألم تسمعوا منى كذا من سورة البقرة إلى أن وصل إلى قوله تعالى: ﴿... **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ... ﴿٤٨﴾﴾ [سورة المائدة: آية ٤٨] قال: فتقدمت إليه وقلت له: يا سيدى هذه الآية محكمة أو منسوخة فقال لى: محكمة، فقلت له: ربما تكون دليلا لأهل الكتاب فى عدم عموم بعثة النبى ﷺ، فأجابنى بجواب غير مقنع فسكت لأنه رجل مهيب هـ بنقل حفيده صديقنا أبى حفص عمر الرياحى فى كتابه تعطير النواحى، وإلى هذه القضية أشار صاحب إتحاف الملا بقوله: وحضر الدرس الأبيات الثلاثة.

وأقول تتميمًا للفائدة: الخطاب فى الآية يحتمل أن يكون للأنبياء المشار إليهم فى الآية قبل، والمعنى عليه جعلنا لكل نبى شريعة ومنهاجا لا يتعداها لغيرها، وهذا الاحتمال لابن عطية واستبعده الشهاب الألوسى، وعليه لا إشكال فى الآية بحال، ويحتمل أن الخطاب للأمم الموجودين حال النزول، وهم أهل الكتاب المعاصرون له ﷺ، وفيه احتمالان: أحدهما لكل أى جميعكم جعلنا شرعة واحدة، وهى ما تضمن القرآن تشريعه لهذه الأمة، وكذلك غير القرآن مما جاء به نبيها ﷺ فالجميع مخاطب باتباعه، ولا إشكال أيضا على هذا الاحتمال، وبه فسر مجاهد، الثانى لكل أمة على الأمم الموجودين بانفرادها جعلنا شرعة أى شريعة ومنهاجا، وبهذا فسر الجمهور، واستظهره الشهاب الألوسى، لكن يرد عليه أن ظاهر هذه الآية يقتضى أن كل أمة كلفت بشريعتها فلا تتعداها إلى غيرها، وهذا غير صحيح، إذ جميع الأمم الموجودين حال الخطاب مكلفون باتباع شريعة واحدة، وهى شريعة نبينا محمد ﷺ، وعلى هذا الإشكال دندن الشيخ أبو إسحاق

فى سؤاله للمترجم عن الآية، هل هى محكمة أو منسوخة؟ وإن كان فى سؤاله قلق لأن الآية سيقت مساق الإخبار الدال عليه لفظ جعل لا الإنشاء.

ومن المقرر المعلوم أن الأخبار لا يطرقها النسخ، وإذا كان كذلك فكيف يتوهم نسخها: اللهم إلا أن يقال إن ذلك بالنظر إلى جزء الجملة، أعنى شرعة، لا بالنظر إلى كلها.

ويجاب عما فى هذا الاحتمال من الإشكال بأن الآية وإن كان ظاهرها ذلك فغيرها يدل على بيان المراد كقوله تعالى: ﴿ ... لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ۝١ ﴾ [سورة الفرقان: آية ١] وبأن الآية سيقت للإخبار بما مضى كما أشرنا إليه آنفا، أما الآن فلا شريعة إلا الإسلام ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه، ولا يدفع كون السياق لما مضى لفظ منكم، لأن الخطاب به للناس، وهو جنس، فالجنس هو المخاطب والله أعلم.

ويحتمل أن الخطاب لغير الموجودين كالموجودين، وفيه تغليب المخاطب على غيره، والمعنى عليه لكل من الأمم الماضين والموجودين شرعة، لكن باعتبار الماضى الشرائع المأمور باتباعها مؤقتة، وباعتبار الوجود مؤبدة.

مثلا شريعة سيدنا موسى التى هى ما تضمنه التوراة منتهية بشريعة سيدنا عيسى، وشريعة سيدنا عيسى التى هى فى الإنجيل منتهية بشريعة سيدنا محمد ﷺ التى هى القرآن، وكل ما جاء به عليه الصلاة والسلام.

مؤلفاته: منها تقييد فى مسألة جلسة الحوانيت عنونه بمذاكرة الفضلاء المشاهير فى ذكر وجوب تغيير المناكر، فى خمس وخمسين صحيفة، وهو موجود بمكتبتنا. وأخبرنى قاضى مكناسة سابقا السيد أحمد بن أبى بكر عواد السلوى أن له حاشية على الزقاقية.

وفاته: توفى ببلده سَلاَ، بعد السنة الثامنة عشرة بعد المائتين وألف.

٤٥٩ - عبد السلام الرامى الزرهونى أصلا الفاسى النشأة والدار.

حاله: فقيه عـلامة مجود، تعرض لذكره صاحب جمهـرة التيجان فى عداد تلامذة السلطان مولانا سليمان.

مشيخته: أخذ عن السلطان مولانا سليمان وغيره من الأعلام.

٤٦٠ - عبد السلام بن الحاج محمد بن عمرو.

الصنهاجى الأصل، المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: فقيه علامة، محـصل مدرس نفاع، جليل فصيح، حلو العبارة، لين العريكة، له اليد الطولى فى النحو، حسن الإلقاء، بحاث نقاد، متضلع فى العربية مع مشاركة ما فى غيرها من الفنون، رحل لطلب العلم بالحضرة الفاسية وأقام بها مدة حـتى حصل على معـلومات وافرة، وملكة كـاملة، ثم آب لبلده وأكب على التدريس، ثم تولى النيابة فى نظارة أحباس الكبرى عن والده.

مشيخته: أخذ عن الشيخ الحاج محمد جنون مختصر حاشية الرهونى وغيره ممن هو فى طبقته.

الآخذون عنه: منهم: أبو المحـاسن العربى بن عبـد السلام بادو، وأبو زيد عبد الرحمن حـميش، وأبو العلاء أحمد بن المهدى الأجراوى، وأبو محـمد عبد القادر بن أحمد العرايشى، وأبو عبد الله محـمد بن إدريس الشبيهى، وأبو محمد عبد القادر بن المكى الشريف الأمرانى فى آخرين.

وفاته: توفى ببلده مكناسة الزيتون قـيد حياة والده المذكور، وذلك فى ثامن حجة الحرام عام عشرين وثلاثمائة وألف.

---

٤٦٠ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٣٠.

٤٦١ - عبد السلام بن محمد التازى الرباطى.

أمين الأمناء، ورد أبوه من فاس للرباط وبها ولد المترجم.

حاله: نشأ بالرباط، وكان فى أول أمره ممن يتعاطى التجارة بأروبا، ثم ببلده بعد ذلك، ولما مات أخوه الأكبر السيد محمد التازى سنة ١٣٠٧ - وكان من المحظوظين عند السلطان المولى الحسن لسابق معرفة بينهما إذ كان أمينا بالصويرة والسلطان لا زال مستخلفا من أبيه على بعض الجيوش بسوس - أسند له المولى الحسن خطته التى هى أمانة الأمناء، ووظيفتها الإشراف على أمناء الثغور والأملاك المخزنية، والمستفاد كما أومأنا لذلك فى الترجمة الحسنية فسار فيها سيرة حسنة، وحمد عمله فيها، وكان يرافق السلطان كسائر كبار رجال الدولة فى تنقلاته يقيم لإقامة ركابه ويظعن بظعنه بين عواصمه الكبرى مراكش وفاس ومكناس، وكان إذا حل مكناسة سكن بروض العلامة مولاى العباس بن السلطان المولى عبد الرحمن ابن هشام آتى الترجمة الواقع بدرب حمام السلطان إسماعيل جوار الدار التى كانت بها سكنى والدى هنالك، وصار بعد مكتبا لقبض الموظف البلدى على الملاك والزراع والمحترفين من الأهالى والأجانب وغير ذلك، وقد كان بين المترجم ووالدى صفاء حب رحم الله الجميع.

ولما توفى السلطان وبويع للمولى عبد العزيز وانقلبت الأحوال بالوزير الجامعى وأخيه، وتولى الوزارة أحمد بن موسى، بقى على وظيفه غير منازع فيه ولا مدافع، واستمر التعاون بينهما على تسيير شئون الدولة، ذاك فى صدارته وداخليته، وهذا فى مراسيه وماليته، والمسفيوى على عدليته وشكايته، إلى أن توفى الوزير المذكور بمراكش والمترجم مريض بها، فلما أبل من سقمه ورأى أمارات الاختلال وسوء الأحوال؛ وتصدر الإعجاز؛ والتباس الحقيقة بالمجاز؛ فضل

---

٤٦١ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٤٨.

الانسحاب معتذرا بالعجز والضعف وكبر السن، وقصد الحج الواجب فقبل السلطان عذره وأعفاه مع الإكرام والاحترام واعتباره كأنه لا زال قائما بوظيفه راعيا لسالف خدمته.

ونص ظهير الإعفاء بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطانى الكبير بداخله (عبد العزيز بن الحسن بن محمد):

«يعلم من كتابنا هذا أسمى الله قدره، وأعز أمره، أننا بحول الله وقوته، وجزيل منته، أعفينا ماسكه خديمنا الأرضى الأمين الطالب عبد السلام التازى من الخدمة بأعتابنا الشريفة وأرحناه منها لما اعتذر به من العجز والضعف وكبر السن، وقبلنا عذره، وأبقيناه مسربلا بسربال التوقير والتعظيم والإجلال والتكريم، وأقررناه على ما عهد له حالة تلبسه بالخدمة من المراعاة والاعتبار؛ والملاحظة بعين الاحترام والوقار؛ كأنه لا زال قائما فيها وملتبسا بها أو أكثر، رعيا لسالف خدمته، وصدقه ونصيحته؛ وألحقنا به فى ذلك كله قرابته وأصهاره وأصحابه فلا سبيل لمن يريد التوصل إليهم بمكروه، أو يمد لهم يد الترامى والتعدى فى وجه من الوجوه، ونأمر الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا بأعمال عوامله وإجرائه على مقتضاها وعدم مجاوزة أحكامه إلى ما سواها، والسلام صدر به أمرنا المعتز بالله فى ٢٠ ربيع النبوى عام ١٣١٨».

وقد جاء هذا الظهير بما اشتمل عليه من الرعاية بعين الاعتبار مجددا ومؤكدا لظهير شريف عزيزى منيف تقدمه، نصه:

«يعلم من هذا المسطور الكريم، المقابل أمره بالإجلال والتعظيم، أبقاه الله فى إكليل المعالى درة، وفى جبين الدهر غرة؛ أننا بحول من لم يزل مسدلا جلباب الامتنان والإفضال، مسبغا أياديه على التوال، أسدلنا على ماسكه خديمنا وخديم سيدنا قدسه الله الأمين الأرضى الأنصح الأفلح الأنجح، الطالب عبد السلام بن

الحاج محمد التازى الرباطى أردية التوقير الضافية؛ وأوردناه من معين التعظيم والاحترام المناهل الصافية، ولاحظناه بعين الاعتبار، وأرتعناه فى رياض الاصطفا والتقريب فى سائر الأطوار، وأجرينا أولاده أصلحهم الله وأخويه الحاج محمد والحاج محمد وابن أخيه الحاج محمد بن أحمد وأصهاره مجراه فى جميع ذلك، وسلكنا بجمعهم تلك المسالك؛ فلا يطالبون بجليل ولا حقير، ولا نقير ولا قطمير.

وزدناهم من التخصيص والتقريب ما يدل على علو مكانتهم، وسمو منزلتهم، ومنحنا بناءهم الوثيق بمحبة جانبنا العلى بالله، وانقطاعهم لخدمتنا الشريفة تأسيسا، ووهبناهم من مزيد الحظوة ما تكون لهم به آية على ممر الدهور تنويعا وتجنيسا، فلا يروع لهم سرب، ولا يكدر لهم شرب، ومن حام حماهم بما ينقص، نال منا بحول الله ما ينغص، رعيا لخدمتهم، وصدقهم فى أمانتهم، وانقطاعهم إلى على جنابنا بكليتهم، فنأمر الواقف عليه من سائر عمالنا؛ وولاة أمرنا، أن يعلم ذلك ويجريهم على مقتضاه، ويقف عند حده ومنتهاه، صدر به أمرنا المعتز بالله تعالى فى ٤ ربيع النبوى عام ١٣١٢».

وفى نفس السنة توجه لأداء فريضة الحج وسنة الزيارة ولما رجع لمستقره عاد لمحل تجارته مستقرا فى بلدته، إلى أن دعاه السلطان لفاس فى جمادى الأولى سنة ١٣٢٢، وقلده النيابة عن جنابه الشريف بثغر طنجة مقر السفراء الأجانب بدلا من الطريس الذى كتب له ظهير الإعفاء لحالته الصحية، ولفظه كما بكناش بمكتبتنا الزيدانية:

«خديمنا الأرضى الحاج محمد الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فإننا على يقين من إنفاقك نفائس عمرك فى صدق خدمة جنابنا الشريف منذ سنين، وتمسكك فيها بحبل متانة الدين، واستفراغك طاقة وسعك بجد وصفاء طوية وحسن يقين، كما أننا على بال من تشوفاتك السابقة غير ما مرة بالرغبة فى إراحتك من مشقة التكليف برياسة دار نيابتنا السعيدة بطنجة، حرسها الله معتذرا بكبر السن ووهن العظم وضعف القوى عن تحمل أعباء ذلك المنصب الأهم، وكان يصدر لك الجواب بما يسليك عن مكابدة تلك المشاق، ويحملك على الصبر ولزوم القيام بذلك الواجب، الذى هو أهم ما تطوق به الأعناق، والوعد بمساعدتك فى الإبان الذى يقتضيه الحال، ويترجح فيه من يكون بدلا عنك فى رياسة تلك الأشغال.

وقد اقتضى نظرنا الشريف الآن إجابة طلبتك، وإسعاف رغبتك، وفاء بوعدنا السابق، وشفقة عليك من تحمل ما لا يطيقه تزايد الضُّعف اللاحق، ومجازاة لك باغتنامك جمع شملك فى بلدك، وتفرغك للزيادة فيما يرضى الله ورسوله بقية عمرك، فأرحناك من ذلك التكليف، عن رضى من خاطر جنابنا الشريف، وعينا الخديم الأرضى الحاج عبد السلام التازى الرباطى بدلا عنك فى القيام بذلك الوظيف، فنأمرك أن تمكنه من جميع ما على يدك من الشروط والأوفاق والضوابط والمكاتب والكنانيش والتقاييد وجميع ما راج على يدك فى مدة تكليفك من أشغال دار نيابتنا السعيدة ومتعلقاتها، وأن تبصره كل ما يقتضى الحال اطلاعه عليه، وأن تبين له القضايا التى لا زال الكلام يروج فيها، وما آلت إليه المباشرة سى كل واحدة منها، وما يتعلق بها ليكون على بصيرة فى إتمام مباشرتها على الوجه المتعين فيها، وأذنا لك بعد ذلك فى التوجه لبلدك مثابا مأجورا متفيئا فى ظلال رضا الله ورسوله ورضانا ملحوظا مسرورا، والسلام لخ».

وعاد المترجم للرباط للنظر فى أموره الشخصية والاستعداد للتوجه لمقر

مأموريته الرسمية، فدخله فى موكب رسمى حيته فيه مدافع العدوتين، مملوء العيبة بالظهائر السلطانية المخاطب بها أمناء المراسى والعمال والقواد والقضاة وغيرهم من الولاة، إعلاما لهم بنيابته ليسيروا معه سيرتهم مع سلفه، ثم تطورت الأحوال وتتابعت الحوادث والمؤامرات بعضها خارجى أجنبى وبعضها داخلى مغربى مما قدمنا بعضه فى ترجمة الوزير أحمد بن موسى، كل ذلك والمترجم مقيم ببلده إلى أن اخترمته المنية، وإليك أمثلة من الظهائر المتعلقة بنيابته ما خوطب به الطريس:

«خديمنا الأرضى الحاج محمد الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فنأمرك أن تدفع لخديمنا الأرضى النائب الحاج عبد السلام التازى سائر أملاك المخزن بطنجة المحروسة التى من شأنها أن تكون على يد المكلف بوظيف النيابى حتى يتمكن من جميعها ويتبصر فيها على القاعدة فى ذلك، أعانك الله وأنابك والسلام فى ٣ رجب عام ١٣٢٢».

ونص آخر:

«خديمنا الأرضى الأنصح الحاج محمد بن العربى الطريس، وفقك الله، سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فنأمرك أن تمكن الخديم النائب الحاج عبد السلام التازى المعين مكانك من التصرف فيما كنت قائما به من التكليف بشؤون النيابة السعيدة، وتسلم إليه جميع ما تحت يدك من المكاتب الشريفة، وشروط الأجناس والكنطردات والكنانيش وخطوط اليد، وعقد الطرفاية، ومنار اشغار، ومحل عسة البابورات، والمراكب وما راج فى قضية جزيرة جبل المعدنوس وغير ذلك مما تصرفت فيه مدة خدمتك، وكذا مما حزته من النائب قبلك الخديم الطالب محمد بركاش رحمه الله، كما نأمرك أن تدفع للنائب المعين المذكور تقييداً ببيان الدعاوى التى لا زلت

تباشر أمرها، وما راج فى كل منها، ليبنى عمله فيما كلف على يقين، وينتهج فى ذلك مناهج الاقتداء بسيرتك المحمودة ونصحك المبين، والسلام فى ٥ رجب الفرد الحرام عام ١٣٢٢».

وهناك ظهائر شريفة أخرى مما خوطب به قاضى تطوان السيد محمد أفيلال، وقاضى طنجة السيد محمد بن عبد القادر بن سودة، وقاضى العرائش السيد إبراهيم الصقلى، وقاضى الرباط السيد أحمد بنانى، وقاضى الدار البيضاء السيد محمد بنانى، وقاضى أزمور السيد إدريس بن بوعبيد، وقاضى الجديدة السيد محمد الدويرى، وقاضى آسفى السيد محمد بن سليمان، وقاضى الصويرة السيد محمد بن الطالب الفاسى، وكذلك ما خوطب به أمناء مراسيها وعمالها كالسيد عبد الله بن سعيد، والسيد أحمد السويسى، والحاج محمد بن يحيى الجديدى، والقائد حمزة بن هيمة، والحاج الوعدودى الأزمورى وخليفة عياد القايد المنبهى بالصويرة، وعيسى بن عمر العبدى، وقدور بن الغازى، ومحمد بن قاسم المختارى، وأحمد بن العربى المديونى.

وقد كان المترجم له من أمثل أهل عصره وأنقاهم سيرة، وأنصحهم وأكثرهم اهتماما بمصالح المسلمين عموما وخصوصا، مع التفانى فى الإحسان والبذل للمحتاجين والضعفاء، والتغالى فى حب آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، وتعظيم العلماء، ومراعاة ذوى البيوت، والسعى فى نفعهم بقدر الإمكان.

ويكتفى هنا بشهادة العلماء والأعلام من جنوب المغرب وشماله ووسطه بل وبعض الأجانب من الفرنجة له بحسن السيرة والصدق والإخلاص، فمن الأول شيخ الجماعة العلامة السيد محمد بن إبراهيم السباعى مفتى مراكش المتوفى سادس رجب عام ١٣٣٢ فإنه قال فى كتابه: البستان الجامع لكل نوع حسن الذى ألفه بأمر من السلطان المولى الحسن لما ذكر أخبار سنة ١٣٠٧ وإقامة السلطان بفاس:

«وفى مدة هذه الإقامة وأثنائها توفى أمين الأمناء ورئيسهم القاعدة العظمى الذى عليه المدار فى معظم الأمور، وإليه مرجع مهمات تدبير خراج الملك، وعن أمره فى جميعها الإيراد والصدور، الأمين السيد محمد التازى المُوخَى، يُعْرَف. توفى فى غرة رمضان من تلك السنة وكان لتشييعه ورمسه ودفنه مشهد عظيم، وجمع حفيل جسيم؛ ودفن بالزاوية الصقلية من فاس.

وفى يوم دفنه دخل لحضرة فاس أخوه الأمين الأنصح، الكيس الأفلح، ذو التدبير الحسن والرأى الأنجح؛ والخلق الأفسح؛ السيد عبد السلام التازى فأقيم مقامه؛ ورفع السلطان مقامه، لما علم من خلوص تلك الشنشنة الأخزمية، وخالص صفاء تلك السريرة، وكونهما فرسى رهان فى حسن السيرة، فكل منهما فى جانب ما أسند إليه وغيره من مهمات أمور الملك على غاية ما ينبغى من النصيحة، من حسن التدبير وصالح السياسة والآراء الصحيحة، على ما بلغنا من طريق التواتر مع متانة الدين، وصلاح القصد والاقتصاد المتين، إلا أن الذى بلغنا أن الأمين السيد عبد السلام أوسع صدراً أو أكثر صبراً، من أخيه وفاقه فى سعة الخلق وحسن الخليقة، وأكثر منه تحملا وألين طبيعة وعريكة، هذا على ما نقل إلينا بالتواتر الذى هو أعلى مراتب الشهادة، وإلا فالعبيد صاحب هذا التقييد ما رآهما قط ولا رأياه، ولا عرفهما ولا عرفاه؛ إلا بالسماع نعم:

فالناس أكيس من أن يحمدوا رجلا   من غير أن يجدوا آثار إحسان».

هـ بلفظه مع ما عرف عنه من المعارضة وعدم المبالاة بالولاة وذوى النفوذ بل وذمه لوزراء عصره غير المسفيوى وموسى.

ومن الثانى المشرفى فى الحلل البهية، فإنه قال لما ذكر وفاة الوزير أحمد بن موسى والانقلاب الحادث بعدها: إن وزير المالية الحاج عبد السلام موخى التازى الرباطى لما رأى ما صار إليه الأمر بعد موت الوزير من ارتكاب المجون والموافق

عليها ناصح ملحوظ، والناكر غاش فى زوايا الإهمال مسجون، طلب من السلطان الإقالة من توليته معتذرا بذهابه لبيت الله الحرام، فأقاله لذلك السبب الظاهر وذهب بسلام؛ وهو من كمال عقله وديانته، وسديد رأيه ومروءته، ونتيجة صدقه وأمانته هـ منه.

ومن الثالث قول الأديب الكبير العلامة أبى العباس أحمد جسوس الرباطى فيه من قصيدة:

ذاك العقول إذا كبت آراؤهم   أضحى العويص برأيه مفتوحا
إن عدت الأمثال كان أجلها   بل نورها وسواه كان الشيحا
أس الوقار ومنبع المجد الذى   تلقى مكان الحمد فيه فسيحا

وقال الدكتور (فيسربر) خليفة مدير البنك المخزنى والمراقب المدنى تشريفا من محاضرة ألقاها فى نادى دروس الضباط عام ١٩٢٨ موضوعها (المغرب منذ ثلاثين سنة):

«إن أمين الأمناء السعيد عبد السلام التازى جاب كثيرا أقطار أروبا، وكان معجبا بنفسه يلفت الأنظار بهيئته، وله شعر على صدغيه، ويجعل على إحدى عينيه زجاجة[(١)]، فكان بهذه الهيئة يشبه بكيفية عجيبة للمسيو جول فيرى، فهو الذى كنت أخاطبه فى أداء راتبى ولم ألق فى ذلك أدنى صعوبة منه، بل أرسل إليه التواصيل فيبعث إلى أكياسا فيها ريالات».

وفاته: توفى ليلة الخميس ٢٧ صفر عام ١٣٢٥، ودفن بالزاوية الناصرية من بلده رباط الفتح، وله فيها ذكر جميل وثناء عاطر طيب.

---

(١) فى هامش المطبوع: «بل عليهما معا عند القراءة».

٤٦٢ - عبد السلام بن محمد فتحا بن عبد الله بن الطاهر الأَمْرَانى.

وقد تـقـدم رفع عمـود نسبـه فى ترجمـة والده وأخويه فى حَـرْفَىِ الكاف والميم.

حاله: فقيه أديب، دين خير فاضل، وجيه نزيه، صدر رئيس سياسى مذاكر مطلع على أخبـار من مضى وسيرهم وأحوالهـم، له اعتناء كبير بمطالـعة التواريخ والسير وكتب الأدب، لا تجـد فى كتبه كتابا من الكتب المذكـورة الأغانى فما دونه إلا وهو مملوء الهوامـش بالتوقيـفات والتنبيـه على المهمات، كـاتب بارع، لطيف الإنشاء، جزل المعانى، جواد كريم مفضال معظم محبوب.

صاهره السلطان سيـدى محمد بأخته ثم بعـد أن لبت داعى مولاها صاهره نجله السلطان المقدس مولانا الحسن بأخته أيضا، وكـان يرشحه للمهمات ويعقد له على الجيـوش، وقدمـه فى البعوث وبالأخص للقـبائل البـربرية لما يعلمه فـيه من السياسة وحـسن التدبير، والتنازل مع الكبير والصغـير، وكان لا يرجع إلا منصور الراية من غير إيقاد نار فتنة ولا إيثار هرج ولا مرج، وكان يرافق ركابه فى حركاته وتنقلاته، وقـد حضر وفاته بدار ولد زيدوح حـسبما وقـفت على ذلك فى رسالة كتبـها لأخيه المولـى الكامل سابق الترجمـة، يصف فيها مـرض السلطان ووفاته، وبيعة المولى عبد العزيز، رأيت إدراجها هنا إذ كان صاحبها شاهد عيان ونصها من خطه:

«حفظ الله بمنه أخى مولاى عبد الله الكامل الأمرانى ورعاه، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: عظم الله أجرنا وأجركم فى مولانا أمير المؤمنين مولانا الحسين قدس الله روحه، وأسكنه من الجنان فسيـحه، فيالها من مصيبة مـا أعظمها، وبشارة ما

---

٤٦٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٥٧.

أمرها، إنا لله وإنا إليه راجعون، توفى قدس الله روحه ليلة الخميس ثالث الحجة بدار ولد زيدوح، وذلك أننا لما خيمنا بها يوم الثلاثاء ٢٣ قعدة كان محسوسا، ثم خرج يوم الأربعاء على المادة ثم أقام الخميس والجمعة لم يخرج، ثم خرج صبيحة السبت بكرة وصبيحة الأحد وصبيحة الاثنين كذلك، وما قطع الخروج بكرة حتى لقى الله، غير أنه يمكث نحو نصف ساعة أو ربع ساعة ويتلاقى بالمكلفين ثم يرجع لمحله إلى يوم الأربعاء ثانى قعدة (كذا بخطه والصواب حجة ليلتئم مع ما قبله) خرج قبل الشروق وجلس بالصوان ربع ساعة واشتد به الحال ودخل، وظل كذلك إلى الحادية عشر من ليلة الخميس قضى عليه، وقدم على ربه أكرم الأكرمين رحمه الله وألحقنا به مسلمين تائبين آمنين.

ثم كتم المكلفون موته، ولم يعلم به أحد إلا خاصة الخاصة، واجتمعوا ليلا واتفقوا على الرحيل والنهوض من بلاد بنى موسى والخروج من القطر التادلى، فأدخل رحمه الله المحفة، وأغلقت عليه وحملت على القاعدة المعلومة، وأحدق بها من كان يحاذيها على العادة ورجعنا القهقرى، وعبرنا وادى أم الربيع من مشرع ترماست، وجددنا فى السير إلى البروج خيمنا بها عند الزوال، ونصبت الأخبية واستقر القرار بالمحلة ريثما استرحنا واجتمع الناس، فبعث خلفنا وخلف غيرنا من أعيان المحلة شرفاء وفقهاء وكتاب وعمال الجيوش والقبائل والرؤساء واجتمع الكل بالجامع، فتصدى للكلام الفقيه الحاجب السيد أحمد، وقائد المشور القائد إدريس ابن العلام، والوزير الحاج المعطى، والسيد محمد الصغير، والسيد على المسفيوى وغيره، فأعلنوا بموت السلطان رحمه الله، وعزى الناس بعضهم بعضا فى مصابهم به، وأعلنوا بنصر نجله الأسعد مولاى عبد العزيز حفظه الله.

وأذعن الجميع لبيعته، وضربت الطبول والأبواق والموسيقى، وقام المنادى يبرح فى المحلة وغيرها بنصره وتأييده، وأول من بايع إخوانه مولاى الكبير،

ومولاى حفيد، ثم أعمام والده منهم مولاى الأمين، ومولاى عبد القادر، ومولاى عبد المالك ثم أعيان دار مولاى عبد الله، منهم: سيدى الكبير بن خالنا مولاى عبد الرحمن، وأخيه مولاى المصطفى وغيره، ثم العبيد المذنبين، ثم سائر الأعيان والقواد والقبائل أسعد الله به الأمة وشد أزره وأعانه على ما ولاه.

وعليه أوصيك بالسمع والطاعة والدخول فيما دخلت فيه جماة المسلمين، والزم قعر بيتك، ولا تخض مع من خاض حتى يجمعنا الله بالسلامة والعافية، ومولانا عبد العزيز من قد علمت، ولنا فيه من الحظ الأوفر ما ليس لغيرنا فالله يسعد المسلمين به ويجمع كلمتهم عليه والسلام».

وبظهر الرسالة: ثم اشتغل الناس بتجهيز أمير المؤمنين رحمه الله، وبعد الفراغ يحمل لمراكشة بل لرباط الفتح مع المحلة وبها يدفن تغمده الله بالرحمة والرضا والرضوان، وساعته كان أخونا حفظه الله بباب أفراق، فبعث البطاقة الواصلة إليك طيه، يحضنى على الكتابة إليك بعد المشافهة بضمنه والعاقل لا يعقل، والنبيه لا ينبه، وأما العزائب التى بسائس فلا تترك فيها ما يخشى عليه من ذوات الأربع والماشية وغير ذلك، ومن بها من الإماء كجوهرة وغيرها ابعثهم لمكناس، أو عندكْ بفاس، واترك بالدار من يدخل ويخرج ويجدد المزراك مع البرابر والجيران من الأعراب، وما فى الرزق يصل وما ضاع خلفه على الله والأمر لله، وأرح نفسك من التدبير واطلب من الله السلامة والعافية، واحمد الله عليها، نطلب الله أن يجمع الشمل بكم فى قريب جمع سلامة وعافية، إنه سميع مجيب، وأسلم على سيدتنا الشريفة الجليلة وأعزيها فى مولانا أمير المؤمنين والسلام عشية الخميس ثالث قعدة[1] متم ١٣١١

عبد السلام لطف الله به».

---

(١) فى هامش المطبوع: «كذا وتقدم صوابه».

وكان المولى عبد العزيز يقدمه على الجيوش ويبعثه للقبائل كما كان والده يرشحه لمثل ذلك، ومن الوثائق الدالة على ذلك ظهير شريف كتبه المولى عبد العزيز إليه بإمضاء أمانه لبنى مستارة بعد الإيقاع بهم، ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الصغير بداخله (عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه):

«ابن عمنا الأرضى مولاى عبد السلام الأمرانى، سددك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك بما فتح الله به من الظفر بفساد جبالة بنى مستارة وهم بنو يمل وبنو قيس، وقضاء الغرض فيهم واستئصالهم وتخريب حصونهم وتفريقهم فى الأوعار مذمومين، وعلمنا ما عزمت عليه من الأخذ فى استئصال الباقين لما بينته، وما أخبرك به كبير الزاوية عندهم السيد محمد بن الطاهر من بلوغ العقوبة فيهم حدها، وتشوف باقيهم للفرار من البلاد لما خامرهم من الرعب وما أجبته به من الأمان عليهم، ورفعك العسكر عنهم ليعمروا بلادهم كما بكتابه الذى وجهت وصار بالبال، أصلحك الله وأعانك، وما حل بهم كله بسبب ما اقترفوه، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وقد صادف البلاء فيهم محله، وقد أمضينا تأمينك عليهم لأجل تعمير بلادهم، ونأمرك أن تجد فى مطالبتهم وغيرهم من القبائل بأداء الموظف عليهم وإزعاجهم لذلك، ثم ما اقتضته المصلحة بعد تنصيص الموظف يكون الإقدام عليه إذ التربية والزجر لذوى الجرائم مطلوب والسلام فى ٢٢ محرم الحرام عام ١٣٢٠».

ونص آخر فى الربط على الأخماس:

«ابن عمنا الأرضى مولانا عبد السلام الأمرانى وفقك الله، سلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتـابك بأنك بصدد الربط على فساد الأخماس والتـضييق بهم واخترت المرور على طريق بنى زروال لسهولتها وقربها، والتخييم عليهم ببنى قاسم من بنى زروال، على أن لا تكـلفهم بشـىء ليكونوا لكم إعـانة عليـهم، وطلبت تأخير عـاملهم الحسن بن الطاهر لما شرحـته من حاله وتولية الحسـن الأكتامى، لما وصفـته به من النجـدة وصار بالبـال، فحـيث ترجح عندك المرور على طريق بنى زروال، فلا تعدل عن الراجح إلى المرجوح، والأكتامى قد وليناه على إخوانه وهو على سفر، والسلام فى ١٥ جمادى الأولى عام ١٣٢٠».

ونص ثالث فى قضية محمى:

«ابن عمنا الأرضى مـولاى عبد السلام الأمرانى، وفـقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فقد رفع لأعتابنا الشريفة الـتهامى السلوى أصلا القصرى دارا محمى المركان شكايته بهجـوم المذكورين طرته على صاحبه المخالط مـحمد بن بوسلهام، ولد الرحلة ونهبـهم له ثمانية وعـشرين رأسا من البـقر، وعليه فنأمـرك أن تعمل البحث عن الواقع بمحل النهب، وإن صح الهجوم فحقق بيان المنهوب عددا ونوعا والفعال لذلك، وبيان ما هو للشاكى من ذلك، وما هو لمحمد بن بوسلهام، والزم كل واحد من الـعمال اسـتخراج مـا ناب إخوانه ودفع ذلك لأربابـه وإيقاع الإبراء بالعدول، وقد أصدرنا أوامرنا الشريفـة للعمال المذكورين بالتنفيذ، وها هى تصلك طيـه والسـلام فى ٢٣ جمـادى الأولى عـام ١٣٢٠» صح من أصله كـسابقيـه.

والأشخاص المشار إليهم بالطرة هم: سلام الكبوس القيطونى، والقريش الزواكى، وولد الغيائى المستارى، وأحمد اليملى، وبوشتى المعضاضى.

ونص رابع فى قضية أبى حمارة:

«ابن عمنا الأرضى، مولاى عبد السلام الأمرانى، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فقد أخبر أخونا مولاى الكبير بأن الفاسد الفتان قد عاد للدخول إلى تازا، وتحقق لنا أن ذلك إنما هو من التراخى الواقع منه ومنك، لكون المحلتين اللتين معكما موفورتين وفيهما أزيد من الخمسة آلاف من العسكر، فكيف يتصور معهما إقدامه على تازا وجرأته عليها مع كونكم بمرأى منه ومسمع، فلو لم يظهر للفساد الذين معه التراخى لما تجرءوا على ذلك، وعليه فنأمرك أن تقوم على ساق الجد فى محاصرة الفاسد المذكور، وانتهاز فرصة الظفر به، والتشمير عن ساعد التيقظ والحزم فى أمره حتى يقضى الغرض فيه، ويقع الظفر به بنفسه، فلا يقبل منك بعد هذا تعلل بشىء فى تحصيله، لأن العدد معكم مقوم موفور.

وقد أصدرنا أمرنا الشريف لأخينا مولاى الكبير، بأن يكون عند إشارتك فى كل ما تشير عليه به، ووجهنا لك خديمنا الأنجد القائد عباس بن المعروفى مع خمسمائة من الخيل صحبته، ردءا لكم وتعضيدا، وأمرناه بالكون عند إشارتك أيضا بحيث لا يبقى عذر لمعتذر، فلتأخذ بالحزم، وشمر عن ساعد العزم أعانكم الله وقضى الغرض بكم، وها نحن فى انتظار ما يبلغنا عنكم والسلام فى ١٨ شعبان ١٣٢٠» صح من أصله.

وكان أول أمره يتعاطى بالعدالة بالعاصمة المكناسية والخطبة بجامعها العتيق مدة، ثم تخلى عن ذلك كله، ثم لما خلع أهل فاس ربقة طاعة السلطان مولاى عبد العزيز من أعناقهم وكثر الهرج والمرج، وكان المولى عبد الحفيظ قد دعا لنفسه وبايعته القبائل الحوزية، واشتدت عصبيته، ومالت قلوب الناس إليه، قام المترجم فى ذلك على ساق، حتى قلد بيعته الأعناق، بعد أن خلع المولى عبد العزيز،

وكتب بذلك لعامل عاصمتنا المكناسيـة وسائر القبائل البربرية وندبهم لمبايعة المولى عبد الحفيظ والدخول فيما دخل فيه أهل فاس وغيرهم من القبائل الحوزية، وأبدى ما استوجب به المولى عبد العزيز خلع بيعته من الأعناق، وأن الأولى بالقيام بالأمر من بعده هو المولى عـبد الحفـيظ لجمـعه لشروط الإمـامة ولمبايعـة أهل الحوز له، ولاشتداد عـصبيته، ولما فى المسـارعة لذلك من حقن الدماء، وإخـماد نيران الفتن المضرمـة تحت التقاعس عن ذلك لتـحفز الغيـر للوثوب فلم يسع أهل مكناس إلا المسارعة للدخول فيما دخل فيها الناس.

ثم لما تم الأمر على مـا سنورده فى محله بعد بحـول الله، اجتمـعت كلمة أهل فاس على إزالة الشـريف البركة مولاى عـلى بن السلطان سيدى محـمد عن منصب الخـلافة عن السلطان، حـيث كان الولى عـبد العـزيز رشحـه لذلك عند نهوضـه من فاس، قاصـدا رباط الفتح، عندمـا تحقق لديه قيـام أخيه المولى عـبد الحفيظ ونهوضـه عن عاصمة الجنوب مع زعمائها من القـواد والرؤساء والأعيان، ووجهتهم عاصمتا فاس ومكناس.

وبعـد نزع المولى على عن منصـبه تولاه المتـرجم، وهو الذى كان يسـوس الأمور ويدبرها مع الحواضر والبوادى من بربر وعرب، وكان للكل به الثقة الكاملة لما علموه من صدقه وأمانته ومحبته الخير للقوى والضعيف والمشروف، ولما يعلمون من صدق ولاء البربر له، وأنهم لا يتعدون إشارته، ولم يزل قائما ومدافعا ومسكنا للروعات إلى أن وصل المولى عبـد الحفيظ مؤيدا منصوراً فـأبقاه ظاهرا على حاله يتربص به الدوائر، وصـاهر أنجاله الثـلاثة أبا العلاء إدريس، وأبا عثـمان سعـيد، والمولى بناصر بأخـواته، والمترجم مع ذلك كله لم يغـتر، بل يتيـقين أن السم فى ذلك العسل إذ قديما حنكته التجارب وحنكها.

مشيخته: أخذ عن مختصر الرهونى، ومولاى محمد القاضى، والمولى عبد المالك الضرير، والسيد أحمد بنانى كلا وغيرهم من محققى الأعلام.

نثره: من ذلك ما وقفت عليه بخطه ومنه نقلت وإليك لفظه:

إلى خديم حاجته، وأسير شهوته، من ليس له فى البسيطة ود من قاص ودانى، محمد بن حم الزيانى، سلام تتوالى نفحاته؛ ورحمة الله وبركاته على من بالعهود وفى، وسلك فى سره وجهره سيرة الحنفا، وبعد فقد ملأ الأذهان، بعد ما طرق الآذان، أنك عزمت على شق العصا، فويلك ثم يا ويل من حواليك إن بلغ ما ثقل عنك هنالك، أما علمت أن هفوة العامة كغصة الطعام، وهفوة الخاصة كغصة الماء، لا دواء لها، ولعمرى لقد تصديت لمقتك، وسعيت بظلفك لحتفك، وأيم الله لقد زلت أقدامك، وطاشت سهامك، شعر:

وقل للذى سامى الملوك تعاندا فهل تعبر اللجات ويحك بالسبح

وعما قريب يتلى عليك وعلى رهطك قوله سبحانه (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة) الآية ولنا موقف بين يدى الله مع من قرأها إن لم يقرأها عليه قراءة إفهام، لعله يتذكر أو يخشى والسلام» هـ.

ولادته: ولد بفاس سنة خمسين ومائتين وألف.

وفاته: توفى بفاس عام سبعة وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بروضتهم الشهيرة ثمة.

ومما يتعلق بترجمته ما كتب له به أبو إسحاق إبراهيم السوسى يعزيه بموت والده سابق الترجمة ولفظه:

لكاتبه إبراهيم بن إدريس السنوسى الحسنى، أحسن الله عاقبتهما بمنه، معزيا الشريف الفقيه مولاى عبد السلام بموت والده العلامة الصالح مولاى محمد الأمرانى، رحمه الله وأعاد علينا من بركاته آمين.

استعن بالصبر يا خل الوفا وتمسك به واقرأ ما نزل
ما عسى يغنى التشكى والأسى أيردان قضاء حيث حل
إن أذكى الناس من يرضى بما قدر الرحمن قدما فى الأزل
وتجمل إن عرى خطب ولا تشكون حالك للخلق تجل
واحتسب أجر أب صار إلى جنة الفردوس يزهو ذا جذل
بجوار المصطفى خير الورى جده الهادى إلى خير الملل
فلقد كان ورب العرش ما له فى المجد وفى الفخر مثل
عالما حبرا تقيا عاملا فاضلا مقتفيا نهج الأول
فاز من خلف نجلا مثلكم تابعا سيرته ثم ارتحل
فاتق الله وكن خير امرئ لأياد الله بالشكر عقل
لم يسد من ساد إلا بالتقى وحياء وبعلم وعمل
ولقد ذكرتكم ممتثلا أمر رب منعم عز وجل

٤٦٣ - عبد السلام بن محمد بن عبد السلام بن عبد الله.

يدعى سيدى عب طلاق النساء لكثرة تطليقه - إذ تزوج بمائتين اثنتين وسبعين بتقديم السين على المثناة امرأة - بن محمد الحبيب المعروف بسيدى حبيبى ابن محمد فتحا بن زين العابدين بن فخر الملوك مولانا إسماعيل الحسنى.

حاله: شاب نجيب، حامل لواء الأدب فى زمانه، رقيق الطبع، حلو الشمائل، لطيف المعاشرة، ممتع المجالسة، شريف النفس، فقيه نبيل، لوذعى نبيه،

عالى الهمة، له اليد الطولى، والعارضة العريضة، والاقتدار الكامل فى النظم والنثر، ذهب فى شعره مذهب القاضى الفاضل، وابن نباتة وغيرهما من أكابر الأدباء، استكتب فى الدولتين العزيزية والحفيظية، فكان أكتب أهل طبقته وأبرع جلهم خطا، وكان يقيد بإقامة الحضرة السلطانية، ويظعن بظعنها، ولما ظعن المولى عبد الحفيظ من فاس إلى الرباط كان من جملة من تخلف عن الظعن معه، ثم لحق به وأعيد لمحل خدمته، ولم يزل مقرا عليها إلى أن اخترمته المنية.

شعره: من ذلك قوله:

أشجى فؤادك بأرق الأنواء ... أم ذكر رامة أم نسيم قباء

أم ذكر وجرة أم جآدد جاسم ... والمنحنى أم ساكن البطحاء

سقيا لهم معاهدا وملاعبا ... لمهى محجبة وعين ظباء

لله أيام لنا سلفت بها ... جاد الزمان بشربها بصفاء

جاريت فيها إلى الصبابة والصبا ... رخو الأعبة أصهب الصهباء

سكران سكر مدامة وصبابة ... خلع العذار أجر فضل رداء

قضيتها أحلام صب موله ... قد أيقظته إشارة الرقباء

يا عاذلى لو كنت تدرى ما الهوى ... أبدلت لامك عاذلى بالراء

دع عنك تحذير (المحب) فإنما ... يزداد بالتحذير فى الإغراء

أأروم إخفاء المحبة والهوى ... والدمع سال ولات حين خفاء

كم ذا التعلل بالإشارة والكنى ... متردداً كتردد الفافاء

ما العشق من خلقى ولا فعلى بأفـ ... ـعال المغازل ليلى أو أسماء

بل طيبة الغرا مناى ومقصدى ... عين الوجود وسيد الشفعاء

ختم النبوة صفوة النور التى ... قد أودع الأجداد للآباء
والنخبة العظمى التى قد بشرت ... بمصون سرها سائر البشراء
لله ليلة كان ساطع نورها ... بتوارد الأنباء والأضواء
يا زاجر الوجناء يقصد طيبة ... رفقا بقلبى زاجر الوجناء
بالله إن عرجت نحو مقامه ... وحللت بالأكناف والأرجاء
عفر خدودك عن عبيد مسرف ... ولتسع بين مخافة ورجاء
يا خير من وطئ الثرى ماذا عسى ... يجدى لديك تمدحى وثنائى
هل بعد مدحك فى المثان يروم مد ... حك معشر الخطباء والشعراء
يا متعب الأقلام بالتعداد ما ... لخصائص المختار من إحصاء
صلى عليه الله أزكى صلاته ... والآل والأتباع والصحباء

وقوله وأجاد:

لمع البرق فأورى كمدى ... شمته ليلا كسيف مغمد
مومضا من رامة أو أضم ... باسما عن حبب أو برد
وأرانى من سناه ابرا ... ترفأ السحب بخيط أسود
خفق الجنح ولولا برد ما ... كان من ريح لحاكى كبدى
أيها البرق الذى أحبابنا ... لم يزالوا مثله فى الموعد
هل لأيام مضت من عودة ... على أن ما مضى لم يعد
سمحوا بالوصل حتى لم نكن ... نتقى فى قربهم من مبعد(١)

(١) الوزن مضطرب فى الأصل، والمثبت رواية المؤلف.

ثم شحـوا وافترقنا بددا هل ترى من جامع للبدد
هل ترى أحظى بوصل أهيف ساكنا قلبى بعيش أرغد
رشأ يرنو بعينين فكم قتلت أجفانه من أسد
قلت قلبى ما له من مخلص غير مدح المصطفى محمد
ودوائى وشفائى ذكره ليس لى فى غيره من مقصد
خير مبعوث لخير أمة النبى العربى السيد
شهد الظبى مع الضب له ولمن من قبله لم يشهد
والحصى قد سبحت فى كفه وبكى الجذع له بالمسجد
ورجوع الشمس لما أن دعا واضطراب قد بدا من أحد(١)
وانشقاق البدر منه آية نورها ذو بصر لم يجحد
معجزات كالنجوم ما لها فى سماء فضله من عدد
حبذا ليلة فيها وضعه مثله فى مثلها لم يولد
خرت الأصنام فيها وبدا لجميع الخلق مالم يعهد

وقوله يرثى والده الولى الصالح أبا عبد الله محمد المحب المتوفى ليلة الأحد سابع عشرى محرم الحرام عام واحد وعشرين وثلاثمائة وألف:

سل الدار عن سكانها أين يمموا وأين ثووا بعد الرحيل وخيموا
إذا وردت ماء النعيم مطيهم فقد لفحت قلبى الكثيب جهنم
فعذرى فى جف المدامع واضح وأين يسيل الماء والنار تضرم

(١) الوزن مضطرب فى الأصل، والمثبت رواية المؤلف.

أتانى كتاب ناعيا بفراقهم ... فعاد نهارى داجيا فهو مظلم
أجيل به طرفى فتزاد لوعتى ... كما ازداد سما من به عض أرقم
وقد كان قلبى بالرزية مخبرى ... فصار بيانا ما له أتوهم
هو الموت مر فى المذاق وشربه ... على كل حال واجب متحتم
أرى الدنيا بحرا زاخرا وهو ساحل ... وبعض الورى غرقاه والبعض عوم
وما هذه الأعمار إلا سفائن ... مجاذفها الأيام تمضى وتصرم
أباد الردى آباءنا وجدودنا ... وكل تساوى آخر ومقدم
عجبت لمن يبنى القصور جهالة ... وقبره ما تحت الثرى متهدم
أغرك من دنياك حسن ابتسامها ... حذار حذار عطرها فهو منشم
أتلهو ضلالا فى أمان وهذه ... طيور المنايا فوق رأسك حوم
تروح وتغدو لا لديك تفكر ... ولا عبرة كأنما لست تعلم
وما فات فى الدنيا كمثل محمد ... وقد صار للدار التى هى أدوم
لقد عاش لا شىء يخاف عقابه ... ومات ولا شىء له يتندم
مضى غير صاح من هواه وسكره ... ألا إنه هو (المحب) المتيم
ومذ جذبت أيدى الحبيب بضبعه ... غدا بلسان الحال عنه يترجم
ولو كان كل ميت كمحمد ... لهان على الناس الذى هو أعظم
فياليتنى لو كنت عند احتضاره ... أقبل ذاك الكف منه وألثم
وياليتنى لو كنت عند محمد ... إذا ما هم صلوا عليه وسلموا

وقوله مقرظا تأليف العلامة الجليل صاحب التآليف العديدة، والمقيدات المفيدة، حامل لواء الإفتاء والمرجوع إليه فى النوازل بالديار الفاسية، مفيدنا ومخلص ودنا أبى عيسى المهدى الوزانى، فى الرد على ابن المهنا القسمطينى:

سلا هل على ضوء النهار دليل ... وهل لابن مهنا فى الضلال مثيل

وهل مثله من أنكر الشمس من عمى ... وقد كر منها بكرة وأصيل

ولا عجب أن ينكر الشم ضلة ... ويرتد منه الطرف وهو كليل

فلن ينظرن شمس الظهيرة أرمد ... ولن يقذف الماء الزلال عليل

يجادلنا فى الطاهرين ومن زكت ... فروع علاء منهم وأصول

وقد جادل الجهال فى الله قبله ... وكذب فى الدعوى إليه رسول

يجادلنا فى الطاهرين ومن لهم ... بكل قتام غرة وحجول

ومن جاهدوا فى الله حق جهاده ... وقاموا بعبء الدين وهو ثقيل

أتنقم مس (إدريس) أن كان طالبا ... حقوقا بهم الشهم (الحسين) قتيل

وقد كان فى قتل (الحسين) وأهله ... لظلم وعن نهج الهدى لنكول

وللأرض منه والسماء لعبرة ... وللخلق فيه رنة وعويل

فإن له والله فيه لأسوة ... ومنحى لعمرى واضح وسبيل.

فكيف ترى فى الأرض [إدريس] باغيا ... وقد بايعته عامر وسلول

وكيف نرى (إدريس) للحق نابذا ... وقد بان عنه إذخر وجليل

ولن يرتضى العباس لو كان باقيا ... فعال بنيه فيهم و(عقيل)

فمذ قتلوا إدريس قلت عروشهم ... وصار وذاك الرعى وهو وبيل

وعاد على ابن خالد شؤم قومه ... وأمسى عزيز القوم وهو ذليل

أعـد نظرا فـيمـا احـتجـجت فـإننا عليـك به حـقـا عليـك نصـول
كـحـاطب ليل ليـس يدرى بما أتى وحـاطبـة عـشـواء وهى حـمـول
وباحـثة بالظلف عـن حتف نفـسهـا فـخـرت وشـيكا والنـجـيع يسـيل
أتنسب (إدريسـا) إلى غـير عـيصـه وتحـسب أن الشـبل ويك دخـيل
ومن قال إن الشمس مطـلعها الدجى تكـذبه أبصـارنا وعـقـول
ولم يتـخـذ إدريس عند مـسـيره سـوى (راشـد) مـولاه فـهـو خليل
وإن خليـقـا باسـمـه وصـفـاته وعن عـهـدهم والله ليـس يحـول
وهل تصحب الآسـاد غير شـبيهـها وهل يصطفى غـير الفـحول فـحول
لك الويل ثـم الويل منهـا مـقـالة بنفـسك منهـا للبـلاء حلول
فنشـهـد أن الله لا رب غـيـره وأن ابـن إدريـس لـطـه سـلـيـل
ونشـهـد أن الممـتريـن جمـيعـهم يمـيل مع الجـهـال حـيـث نميل
دعـا المغرب الأقـصى بدعوة صـادق فلبـى دعـاه وعـره وسـهـول
وأمـسى بـه الإسـلام يعلـو مناره وأصـبح والإيمـان فـيـه يجـول
فطابت بـه منه البـقـاع وجـددت رسـوم عـفت من أهلـه وطلول
كفى المغـرب الأقصى بذلك مفـخرا وفـرع بـنى الزهراء فـيـه أثـيل
كـثيـرون فى أنحـائه وشـعـوبه وهم فـى سـواه نادرون قـلـيـل
فلم يخل من أسـمـائهم عـود منبـر ولـم تخل منـهم عـصـبـة وقـبـيل
ولم يحـتكم فى نفسنا غـير أمـرهم فكل سـمـيع أمـرهـم وفـعـول
فـجـورهم والله عـدل ورحـمـة وصـرصـرهم عند الهـبوب قـبـول

أتنكر فضل المغرب الأقصى جاحدا بزوغ نجـوم مـا لـهن أفـول
تواترت الأخبـار طرا بفـضله وما كان فى نقل الثقات فضول
ومنهم سيوف نحو نحرك شرع مواض قواض ما لهن فلول
ومنها بحور قد تفجر بعضها فـأرداك منهـا وافـر وطويل
وهل نحن إلا الصخر توهى بنطحه قرون وعول إن أتته وعول
ومن تاه فى البيداء من غير مرشد فليس له غير الضلال قفول
ألم يكفك التاريخ بالحق شاهدا وعدلا رضيا ليس عنه عدول
لقد مر قرنا بعد قرن وفضلنا يزيد وجيل قد تقضى فجيل
أما سلفت فينا ملوك خضارم لفيلقها فوق السماك مقيل
تسير بهم للمكرمات سوابق فيخلف من بعد الرعيل رعيل
يخوضون فى نيل العلا كل غمرة فلا يعتريهم فى العظيم ذهول
ويقتحمون الموت والموت أحمر وللبيض والسمر العوالى صليل
لهم كل يوم للوغى ورجالها نزال وللضيف الملم نزول
رعى الشادن السرحان من حسن عدلهم وعاد يسوق الكركدن لفيل
عطاؤهم قصد وعقلهم هدى وأخلاقهم مثل الزمان فصول
ذكاؤهم بالمبهمات موكل وحدسهم للمعضلات كفيل
أما سلفت فينا ربوع أواهل من العلم أعناب بها ونخيل
ثمار جناها دانيات قطوفها وظلهم للرائدين ظليل
صحائفهم للشاردات حبائل وأقلامهم عند الهياج نصول

أنافوا على الشعرى العبور نباهة ... فصار لها بين النجوم خمول
فلو فاض فى بحر المحيط مدادهم ... لما شربا بعد الفرات ونيل
بهم ملة الإسلام ألقت ثقالها ... فما ناء منهم بازل وفصيل
وما غرهم بالله والدين زخرف ... ولا فتنتهم قينة وشمول
ولا نبذوا عهد الرسول وراءهم ... ولا جرفتهم عن حماه سيول
وفى الملة السمحاء لم يتلونوا ... كما تفعل الحرباء فيه وغول
وفينا لعمر الله منهم بقية ... بها طرف أعيان الفخار كحيل
بزاة لهم فى العلم كل طريدة ... لتهوى ولو أن الجناح بليل
شمائلهم لم يبد فيها تصنع ... وأوراقهم لم يعتورها ذبول
وقد تخلف الأزهار بعد ذهابها ... لطيبا وبعد النخل ينحو فتيل
ولا عيب فيهم غير أن جسومهم ... بها من هموم المشكلات نحول
وأنطقهم فى فاحش القول ألكن ... وأفطنهم فى المحدثات غفول
ضوالعهم يوم الرهان سوابق ... وأطفالهم عند اللقاء كهول
أصاغرهم عند المقال أكابر ... ونزرهم عند النوال جزيل
وقد كان فى الإعراض عنك لغنية ... فإن به وجه السكوت جميل

إلى أن قال:

فدونكها كالشهد أما حجاجها ... فرجم وأما نظمها فحفيل
قواف لها يغدو الحطيئة صاغرا ... ويمسى جرير وهو منها ضئيل
تسير مسير الشمس فى كل بلدة ... فتخضر آكام بها وحقول

لها فى جدال الخصم من كل مصنف لقاض ومن أهل النهى لوكيل
وناتجها مثل الدلاص مسرد وبرهانها مثل الحسام صقيل
بغايتها تجرى الفحول جيادها وتضحى لأقداح السباق تجيل
ينم بها نشر الحجا عند نشرها فيمسى عليها الناشقين يحيل
وما روضة غناء باكرها الحيا وغنى على الأغصان منها هذيل
وراح لها قيل الربيع بجيشه فاضحى لديه للنسيم مثول
ومات بها الجعل الغبى لحينه فلم يك فيه من شذاها حصول
بأطيب منها نظرة ونضارة إذا ما تنيط زهرها وتنيل
يطيب سليم الشم من شم طيبها وليس لمزكوم إليه وصول
يؤرخ مسكا فاح عند ختامها لسان مجيب سرمدا وسئول
٣٨١ ٥٥ ٥٤٥ ٣٤٣

ج: ١٣٢٤

وقوله راثيا شيخنا الفقيه العلامة الحافظ أبا عبد الله محمد بن عبد السلام كنون رحمه الله تعالى:

الكون أصبح ظاهر الأوصاب والدهر جرعنا كئوس الصاب
بأشد رزء فى الزمان وحادث وأجل خطب فى الورى ومصاب
فبكل قلب حسرة وتأسف وبكل عين عبرة كعباب
هل هو إلا الموت قصاب الورى ما حيلة الأغنام فى القصاب

أبدا يفجعنا بأفضلنا فكم ... أخذ الرءوس وشال بالأذناب
لابد فى الدنيا وإن طال المدى ... من فرقة الإخوان والأصحاب
كل الحياة بها كلمعة بارق ... والعمر أجمعه كفىء سحاب
وإذا نظرت إلى الوجود بأسره ... لم تلفه إلا شراب سراب
ذهب الإمام محمد لسبيله ... واحسرتاى ولات حين إياب
علامة العلماء حافظ عصره ... من كان فى التدريس ليث الغاب
ذهب الذى فى العلم يفتح دائما ... للجاهلين مغالق الأبواب
ذهب الذى قد كان فى أوج الهدى ... نجم اهتداء لنا وخير شهاب
ذهب الذى قد كان فى ليل الخطا ... إن جن بالأفهام بدر صواب
أسفى على شمس المعارف كورت ... والفضل والإرشاد والآداب
أسفى على روض المعارف قد ذوى ... وغدت مقاصره طلول خراب
ما كنت أحسب قبل رفع سريره ... أن البحور تسير فى الأخشاب
من للمجالس والمنابر بعده ... من للدروس ووجهة المحراب
من للعلوم إذا تحجب وجهها ... فيميط عنه لنا لكل حجاب
من للعباد إذا أصابهم الظما ... لمعين ورد عنده وشراب
لو قبله تفدى الكرام من الردى ... لفداه أولو شيبة وشباب
ما كان إلا التبر عاد لأصله ... وغدا بمعدن جندل وتراب
عز العزاء به وقد عظم الأسى ... فعرى اللسان تحير الألباب
فلقد تنكس رأس كل يراعة ... ولقد تشتت شمل كل كتاب

سيان إيجازى بذكر ثنائه ورثائه من بعد أو إطنابى
لو كان يمكننى عتاب للردى عاتبته فيه أشد عتاب
لكنها أيدى المنية طالما نبذت لقشر وانتقت للباب
إنى ليحزننى به ويسرنى أن حل بالفردوس خير جناب
فى مقعد صدق ينعم دائما بجميل أعمال وحسن ثواب
لولا الحياة لكنت تسمع حورها نادته بالتأهيل والترحاب
وتقول أرخ عند أفيا جنة لمحمد زلفى وحسن مآب

١٣٢٦

نثره: منه مقامة نصها: حكى الضحاك بن بشير قال: ضمتنى يد الرفقة والعشرة، مع أصحاب بفاس كالنجوم عشرة، بلوت شجرهم مرا وحلوا، وخطبت صحبتهم فوجدتها من الموانع خلوا، رضعوا من الأدب الأخلاف والأفواق، وفطموا عن ضرعها الخلاف بالوفاق، طالما حنكتهم التجارب رغبة ورهبة، وسامتهم الأيام فرقة وغربة، حتى ألفتهم الأسنمة والغوارب، واختصمت فيهم المشارق والمغارب، وصارت جميع البلاد لهم أوطانا، والمنازل كلها أعطانا، وكان لى فيهم صاحب هو واسطة عقودهم، وحبة عنقودهم. امتزجت روحى بروحه امتزاجا، واعتدل طبعى بطبعه مزاجا، أخلص كلانا لصاحبه جهره وسره، ووثقنا بخير مودتنا فلم يتق شرى ولم أتق شره، وحينما ألقينا عصا الترحال بفاس، وتخلصت الرحال بوضع ثقلها من معزة النفاس، أصبحت الطرق بالقطاع شاغرة، وعوادى الفساد لأفواه الفتن فاغرة، وأمست السهول وهى وعرة، وأعثرت الخيول بعرة، واستنسرت بغاث الطير، وانتشرت بغاة الضير، وذلك بشغب شيطان يزعم أنه من الملائكة، وأشداقه لحنظل الباطل لائكة، فأعوزتنا السيوف ففزعنا للأقلام،

وأرهفنا بصحائف الكلام صفائح الكلام، فإذا نحن جعنا، لأقراص الأوراق رجعنا، وإذا نظما، نظمنا نظما، وترانا نثرى، إذا نثرنا نثرا، فنظم ذلك الصاحب قصيدة ميلادية انتقل فيها من المديح النبوى، إلى المدح السلطانى المولوى وأشار فيها لذلك الفتان الخارجى الذى شاب الموارد لما شب نار شبيب، وعقد للفتنة فى الدين والدنيا كل سبيب، الخارج من الهدى بالضلال، والشبيه فى أخلاقه الشيطانية بالضلال، الدعى الشاق للعصا، الداعى الشقى بما لم يطع الله به بل عصا، واستشارنى فيها، هل يثبتها أو ينفيها، فأمرته أن يقصد بقصيدته تلك دار الخلافة وليأت من الباب، من له من الرياسة والسياسة اللباب، دستورها المبجل المعظم، وعقد وزارتها الأمثل المنظم من إذا وعد فالسموأل، وإذا أعطى فحاتم إذا يسأل، أكرم من تكرم فى عصره وتفضل، ووزير الوزراء سيدى محمد المفضل، قال غريط قلت غريط، والتقريط للمعالى والتقريط:

وزير يود السيف والسهم عزمه ورأيه فى إمضائه وسداده
وصوب الندى كقطرة من نواله على صبه أو نقطة من مداده

فأرصد ليلة الاحتفال، فلك عند ملكها أيمن فال، حيث الألسن بأسرار المديح بائحة، والمباخر بالند فائحة، والإنشاد يرجع ويردد، والعهود القديمة تذكر وتجدد، وكواكب الشموع والمشاغل تزهر، والجفان والأجفان هذى تكسر وهذى تسهر، والموائد تنصب وترفع، والعوائد الكريمة صلتها للموصول تدفع، قال الراوى فكتب القصيدة بما خشلب خط ياقوت المستعصى، وكان عنه ابن مقلة عمى، وانتظر ليلة المولد، وورود صافى ذلك المورد، وربيع أمامه وصفر وراءه، وكرم الصدر الوزير حفظه الله يضمن عند صدوره ووروده وراءه هـ.

مشيخته: أخذ القرآن العظيم عن الأستاذ البركة أبى عبد الله محمد الغمارى بفاس، وعن الأستاذ الفقيه أبى عبد الله محمد البوعمرانى بمراكش.

وأخذ النحو والفقه عن الفقيه العالم أبى العز رحال الزمرانى، وعن الشريف الفقيه الأخير أبى على الحسن السرغينى، وعن العلامة ألأديب أبى الفضل عباس التازى، والعلامة الشريف البركة سيدى محمد بن جعفر الكتانى، والعلامة رئيس المجلس العلمى سيدى أحمد بن الجيلانى.

وأخذ الطريقة التجانية عن العلامة أبى عبد الله محمد فتحا بن عبد السلام جنون المتوفى عشية الجمعة ثامن عشرى شعبان عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف، وأخذ عن شيخنا أبى عيسى المهدى بن محمد الوزانى المتوفى يوم الثلاثاء متم صفر عام اثنين وأربعين وثلاثمائة وألف، وشيخنا أبى عبد الله محمد فتحا بن قاسم القادرى، وعن عمه الشريف الأخير الفقيه مولاى العربى المحب.

ولادته: ولد بالدار العالية بمكناس فى عام اثنين وثلاثمائة وألف.

وفاته: توفى فى أوائل شوال عام واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف برباط الفتح، ودفن بالعلو، وقد رثاه صديقنا الكاتب الأديب الأبرع أبو عبد الله محمد بن محمد المفضل غريط بقوله:

نغالط بالآمال والحكم واجب ... ونستوهب الإمهال والعمر ذاهب
ولولا أمانينا وحجب نفوسنا ... عن الغيب ما لذت لدينا مشارب
حيارى فلا ندرى بيوم انتقالنا ... كما ضل بين النجح واليأس هائب
وما الحى إلا طعمة لمنية ... براثنها لم ينج منهن هارب
فبينا تراه أيدا متماسكا ... إذا به منحل العزيمة شاجب
وأى محب لم تنله كريهة ... وأى زمان ليس فيه مصائب
كأن بنى الإنسان بل كل محدث ... على لجة الأيام طاف وراسب

هو الموت جل الله قاهر خلقه   يروع من ذكراه ضار وضارب
فأين الملوك الصيد أين عديدهم   وأين القصور الشم أين المواكب
وأين أباة الضيم أين اقتدارهم   وأين بناة المجد أين المناصب
وأين بنو الآداب أين سراتهم   وأين رجال الشعر أين الحبائب
وأين ذوو الأقلام أين خيارهم   وأين ذوو الأحلام أين العصائب
محاهم من سفر الوجود معيدهم   لأصل الثرى والفرع للأصل آيب
وأعظم رزء تشتكى النفس حره   نوى من إليه تدنى وتناسب
خليلى أما الصبر عنك فخائن   وأما فؤادى فهو بالوجد ذائب
وكانت ظنونى أن يتاح اجتماعنا   فلم تجدنى تلك الظنون الكواذب
فآه ليوم ثم آه لليلة   كساها إهاب الحزن ناع وناعب
وأضحت لها الأقلام تخدش طرسها   وتذرى الدموع السود وهى نوادب
وكنت لها نعم الموفى حقوقها   إذا كل فكر أو توقف كاتب
وكنت بروض العلم أنضر زهرة   فذبلها ريح من الحين عاصب
وكنت أديب العصر والجوهر الذى   تنافس فيه مشرق ومغارب
وكنت بتقوى الله أشرف آخذ   وأول ساع حيث ترضى المناقب
نشأت على هدى وجد وعفة   نقى الحلى لم تستملك الملاعب
عكفت على الإصلاح طوعا ولم تقل   (وللهو منى والخلاعة جانب)
ومالك فى غير المعارف رغبة   ومالك غير الذكر والفكر صاحب
ومت وعند الله أعظم نعمة   لمن هو فى رضوان ربه راغب

فما للقوافى بعد فقدك محكم وما للمعانى بعد رزئك جالب
معان إذا ما الناظمون تكلفوا فهن بأكناف الجمال كواعب
كواعب تهتز النفوس لظرفها كأن وسمت بالسحر منها الترائب
ترائب فيها للنواظر جنة وفيها لأوصال القلوب جواذب
بدائعها مشهورة وحديثها يصححه عن شاهد الحسن غائب
وما لعلوم العصر مثلك عاشق وما لنتاج العقل مثلك طالب
وما لأخى ود وعهد وصحبة سواك أنيس أو رفيق مواظب
قضى معك دهرا لم يمل وإنما قضاء موجد الأرواح لا شك غالب
لئن سترتك عن جفونى تربة فلم يحجبنك عن ضميرى حاجب
يصور فيه الوهم منك خلائقا مهذبة هى الكبا والكواكب
لتبك عليك كل عين ملية بحبك حتى تضمحل السواكب
عليك من الرحمن أوسع رحمة تؤم حماك الرحب منها سحائب
ومالى وللشعر القوى انتقاده بضعف القوى والرزء للرشد سالب
وإنى على مابى هتفت مؤرخا بقد نال أعلى الخلد زاك مراقب
١٠٤ ٨١ ١١١ ٦٦٤ ٢٨ ٣٤٣

عام ١٣٣١

٤٦٤- عبد الهادى بن عبد المالك بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حفيد بن على بن محمد بن عبد الواحد أبى الغيث الشريف العلوى البلغيثى.

حاله: فقيه أستاذ نبيل، وجيه مفضال، استوطن مكناسة الزيتون كما فى الشجرة الزكية، وصاهره إمام وقته أبو الربيع سليمان بابنته المصونة الجليلة السيدة حفصة.

٤٦٥ - عبد الهادى الفيلالى نزيل مكناس ودفينها.

حاله: عالم فاضل زكى، أستاذ مقرئ مجود، له معرفة شافية بعلم القراءات وإتقانها وتوجيهها، انتهت إليه رياسة ذلك الفن فى عصره، نشأ بالصحراء بلاده، حكى عنه أنه سئل عن الإشمام والروم، فأجاب سائله عن ذلك بالأبيات الآتية، ولما تم الأبيات ذهب للحجام وأمره بقلع ثنيته ليتمكن من النطق بالإشمام على حقيقته، وقد كان مدررا يعلم الصبيان ويرشد الشيوخ الأساتيذ، ويبث العلوم فى صدور الرجال ونفع الله به خلقا.

الآخذون عنه: منهم العدل البركة سيدى محمد بن الرضا الطاهرى، أخبرنى بالأخذ عنه ومنه استفدت بعض ترجمته.

شعره:

سألتنى نظما على الإشمام ... والروم فاستمع أخى كلامى
الرفع فيه الروم والإشمام ... والخفض بالروم فقط يرام
النصب لا روم ولا إشماما ... فى مذهب القراء خذ أحكاما
وفى عريض شكل قل بالمنع ... وهاء تأنيث وميم الجمع

٤٦٦ - عبد الواحد بن على بن محمد فتحا بن على الكتانى. نزيل مكناس.

حاله: كان من أهل الولاية الظاهرة، والكرامات الباهرة، معروفا بالصلاح، مشارا إليه بالمعرفة والفلاح.

وفاته: توفى بحضرتنا المكناسية أواسط القرن التاسع على ما استظهره شيخنا ابن جعفر الكتانى.

٤٦٧ - عبد الواحد بن الأستاذ أبى الحسن على بن محمد بن على المدعو منون.

حاله: فقيه جليل، علامة كامل فاضل مثيل، مدرس نفاع حفيل، صدر من صدور مكناس، وحامل لواء التحقيق بين علمائها الأكياس.

مشيخته: أخذ عن والده وغيره.

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون عام ثمانية وستين وثمانمائة، وقفت على زمام تركته بتاريخ أواخر شوال من العام المذكور.

٤٦٨ - عبد الواحد بن عبد الرحمن الشبيهى الجوطى.

حاله: فقيه علامة مشارك، خطيب مصقع، فصيح بليغ، صالح فالح، خير دين ثقة ناسك متعفف، هين لين، زكى ذكى، فاضل صوام قوام، صادق الأقوال والأفعال، ذو مائدة مبسوطة، جامع لكل وصف حسن، جار على سنن سلفه الصالح، ولى الخطبة والإمامة بمسجد ضريح جده مولانا إدريس دفين زاوية جبل زرهون، رحل إلى الحج ومكث سنة بمكة والمدينة، ودخل مصر وذلك عام ثمانين ومائة وألف، ثم رجع إلى المغرب، ولما ظهر البربر على جبال زرهون رحل منه إلى سكنى فاس وتركه، وبلدة مدينة مكناس لعيث العبيد بمكناس كالبربر بزرهون أو أشد، ومكث ما شاء الله بفاس، ولما ولى أمر زرهون السلطان سيدى محمد بن عبد الله من قبل والده السلطان المولى عبد الله بن السلطان مولانا إسماعيل رجع المترجم لداره بزاوية زرهون ولم يزل مستوطنا بها.

مشيخته: أخذ عن الشريف النزيه مولاى الطيب بن محمد دفين وزان

وغيره، تعرض لذكره صاحب الأزهار النادية فـي ترجمة والده المولى عبد الرحمن قائد زرهون المترجم آنفا، وذكره الزبادى فى سلوك الطريق الوارية.

وفاته: توفى بزرهون سنة أربع وتسعين ومائة وألف.

٤٦٩- عبد الواحد المدعو الدربالى.

أحد حـفدة الشـيخ أبى عثـمان سـعيد المَشَـنْزَائى، دفين خـارج باب وجه عروس، أحد أبواب مكناس اليوم.

٤٧٠- عبـد الواحد بن حـمادى بن عـبد الواحـد بن محرز بن الشـريف بن على.

حاله: علامة مـشارك، فقيه جليل، فاضل نزيه، مفت مـاجد، انتهت إليه رياسة الفتوى فى زمانه، اسـتوزره سلطان وقته سيدى محمد بن عـبد الله وصحبه السلطان مولانا سليمان، وتوفى بمكناسة الزيتون كما فى الشجرة الزكية فى العصر السليمانى ودفن بضريح بعض الصالحين بها، وله عقب باخنوس وفاس البالى.

٤٧١- عبد الواحد بن محمد ابن فقيرة.

المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حالـه: خاد الذكاء سـريع الإدراك، جيـد الإصابة، فـصيح اللسـان، ثبت الجنان، غزير الاطلاع، فقيه نبيـه، عدل رضى، موثق ماهر، ناظم ناثر، صاحب نوادر عجـيبة، وأفعـال غريبة، مـستحضـر لتراجم المتأخـرين والوقائع التاريخـية والنوادر السياسية والحكم والنكت الأدبية والمجون الهزلية، له من ذلك ما لو جمع لملأ الدفاتر.

استكتبـه السلطان مولانا الحسن لبراعة خطه وشدة حـذقه ونبله، ثم انتخب

---

٤٧١ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨١٩.

وأدرج فى سلك الطلبة الذين ينسخون الكتب، وكانت العادة أنهم يدفعون كل يوم جمعة ما نسخوه فى الجمعة التى قبلها، ثم إنه ألقى السكر فى أدوات النساخ جميعا ولم يشعر به أحد، فلما كان يوم الجمعة ودفعوا ما تم نسخه وفق المقرر وجد الجميع ملصقا بعضه على بعض، فأعمل البحث فى السبب حتى اعترف أنه الفاعل، وأن الحامل له على ذلك هو ما رأى من عدم اعتناء النساخ بالأشغال المولوية، وعدم اهتمامهم بالشئون المنوطة بهم، وعدم تحفظهم ومبالاتهم.

وكانت هذه القضية قاضية على استخدامه بالوظائف المخزنية، كما أنه كان منتظما فى سلك كتاب الحضرة المولوية بالصدارة، وكانت العادة جارية كل سنة بتوزيع المكاتيب على الجيوش للعمال فى الشئون المخزنية، والقصد جلب النفع بها للمستخدمين بالمقبوض من العمال، وكان ما يقبض على تلك المكاتيب من القواد لا يتجاوز مائة مثقال، أعنى خمسة وثلاثين فرنكا وثلاثة أرباع الفرنك تقريبا، فكتب فى بعض المكاتيب بعد الافتتاح.

وبعد: فيأمرك مولانا أن تحسن لحامله بما يرفأ به حاله فأدخل الكتاب للحضرة السلطانية وسلم وطبع، وخرج ليختم ويدفع لصاحبه أصلح الجملة المذكورة التى هى يرفا حاله بمائة ريال حالة، وختم الكتاب ودفع لصاحبه بعد أن قبض منه ما تجاعل معه عليه لذلك، وقد كان العامل المكتوب إليه من الحذق والنباهة بمكان، فامتثل ودفع ما عين فى الكتاب السلطانى، ثم بعد مدة ورد على الحضرة المولوية ومعه الكتاب فاطلع عليه الوزير إذ ذاك وبعد البحث اعترف المترجم بأنه الفاعل وبين الكيفية، فكانت سبب تأخيره عن الخدمة المخزنية بالكلية، وذلك بعد أن كان سقط من على دار كان يسكنها بمراكش إلى أسفلها، ووقع فى حفرة بالوادى المضاف وبقى بوسطها، وقد انكسر ظهره بسبب سقوطه وبقى على

تلك الحال ثلاثة أيام، وذلك أنـه كان يسكن الدار وحده، ولما دخلهـا أغلق الباب عليه، وقـد كانت الأيام أيام مطر ولما فتـحت عليه الدار ووجـد على تلك الحال، بحث عن السبب فـأجاب بأنه هجا صلحاء مراكش فـجوزى بذلك، ومع الأسف فقد ضاعت مقيداته وفوائده العلمية والأدبية التى لو جمعت لجاءت فى مجلدات.

شـعره: من ذلك قـوله لما سقط من سـطح دار سكناه بمراكش ووقع به من الألم والكسر مـا وقع، وأتى برجل فوال يكويه وكان هذا الفـوال (أى بائع الفول) قوى الجـسم كامل الصحـة فكواه حسبمـا أنشد ذلك لنفسـه شيخنا أبى عـبد الله الطاهرى ومن خطه نقلت:

جـزى الله شـرا من كـوانى جـاهلا ... جـــزاء سنمـــار ومـا كـنت ذا ذنب
ولكنمـــا الفـوال من جـهلـه عـتـا ... على بـنار صـيــرتنـى فى كـــرب
وأصـبـــعى فى أستى أبـرد حـرها ... فضاعف لى هما وصعبا على صعب
أعـــاد عليــه الله من شـــر فـــعله ... كـذاك بنـوه مـا بقـيت عـلى جنب
أقـاسى هموم الـقاسى سـاعـة كيـه ... لمقـعـدتى حـتـى كـأنى فى حـرب
وكــــدت أفــارق الـدنا بيـــد أنه ... شـديد عنيـد مـــا رأيت بذا الغـرب
مماثـله ومـن يمـــــاثـل مـــثـله ... كـأنه قـد أنشى من أقـبح مـا كلب
فـلا صـورة ترضى ولا فـعلة تضى ... خسيس حقـير ليس فى العجم والعرب
ومن أشــأم الأيام فـــوالهم كـــوى ... وفى جسمى الحـساس تار وفى جنبى
ومـقعـدتى من شـدة الكى تشتـهى ... ولوج يد الفـــوال والحس مـــا دأبى
فـيـارب شتت شـمله عـاجـلا يرى ... رهين سـلاسيل إلى الرمس والتـرب
وفى حـــيص أو بيص وفـتنـة منكر ... نكيـر ولا ينـجـو ببـعـد ولا قـرب

وأوصى جميع العالمين بخزيه | وبالبعد منه واتقاء ذوى ثلب
فلا خير منه يرتجى طول عمره | لزيد ولا عمرو وشبه بلا ريب

وقوله مادحا قاضى الحضرة المكناسية أبا العباس ابن سودة:

طالع السعد فى سماء المعالى | قد أضاء به دياجى الليالى
بشرتنا بشائر البشر منه | ببلوغ المنى ونيل النوال
وغدت مسند الأحاديث تروى | عن علاه مصححا ذا اتصال
صح فيه غرام صب عليل | لم يكن من هواه يوما بخال
لم أمل للتصابى لولا بدور | فى خدور تحجبت بجمال
أو أفه بالقريض لولا إمام | علقت بمديحه آمالى
كعبة الأمن والهدى ملجأ القـ | ـصاد غيث الندى وليث النزال
بحر علم وطود حلم وتقوى | للإله بخشية وابتهال

وهى أطول من هذا.

وفاته: توفى فى ثانى ربيع الأول سنة عشرة وثلاثمائة وألف، ودفن بروضة الشيخ محمد بن عيسى رحمه الله وفسح له فى عدنه.

٤٧٢ - عبد الوهاب بن محمد بن الشيخ المكناسى الأصل والنشأة والدار.

حاله: علامة مكناسة الزيتون وقاضيها الأرشد الأمجد، صدر نحرير، خطيب بليغ، مدرس مدقق محقق، مفت فاضل نبيل، كان متوليا خطة قضاء الجماعة بمكناسة الزيتون، وخطبة جامع قصبتها الهاشمية الإمامية، وإمامة محراب جامعها الأعظم، وإليه صار مرجع الأنام فى الإفتاء، وقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ ثانى عشرى شوال عام تسعة وأربعين ومائة وألف، والذى ولاه خطة

القضاء فى التاريخ المذكـور وهو سيدى محمد ولد عريبـة نجل السلطان سيدنا الجد مولانا إسماعيل، بعـد أن عزل قاضيها السيد الطالب بوعنان المـترجم فيما سلف، ولى مكانه أبا القاسم العميرى، ثم عزله وولى مكانه سـيدى محمد البيجرى، ثم عزله وولى مكانه المترجم، كذا فى الدار المنتحب.

وقد ذكر المترجم أيضا صاحب مقصد الأسما، فيما يتمسك به المقيم والمسافر من الأسما، تأليف بعض تلامـيذ ولده الإمام المنور أبى عبد الله مـحمد ولم أقف على تاريخ وفاته، ولا اسم المؤلف للكتاب المشار له.

وقد كان أصيب فى عقله رحمه الله ورده الله عليه بهدايته للذهاب للعارف الكامل الشريف سيدى عـبد السلام البقالى، ولما ذهب إليه اشـترط عليه أن يقرئه تلخيص المفتاح إذا هو برئ وشفـاه الله، فالتزم ذلك، ولما من الله عليه برد عقله، وفى البقـالى بشرطه وصار لا يفارقـه فى الغالب، حتى نقل الله البقـالى إليه سنة نيف وخمسين ومائة وألف.

مشيخته: أخذ عن أبى على اليوسى، وأبى على بن رحال المعدانى، ومحمد ابن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الواحد بصرى وغيرهم من الأعلام.

الآخذون عنه: منهم الولى الصالح أبو مـحمد عبد السلام البـقالى، والسيد المجذوب بن عـزوز المكناسى، وأبو حـامد العـربى بصرى صـاحب منحة الجـبار وغيرهم.

٤٧٣ - عبد الوهـاب أبو نصر وأبو اليمن وأبو البركـات قاضيها ابـن السيد الحاج محمد المدعو حم العرايشى المكناسى الدار والإقبار.

حاله: علامة أصيل، متقن محصل جليل، فقيه متفنن مشارك نحوى، ماهر خطيب بليغ مصقع، فـاضل جليل مطلع، تولى خطة القضاء بالعاصمة الهـاشمية

المولوية السلطانية المكناسية على عهد السلطان الأعظم سيدنا الجد الأكبر مولانا إسماعيل، وقفت على كثير من خطاباته والتسجيل عليه، من ذلك عقد بتاريخ ألف ومائة وعشرين وبتاريخ ثلاث وعشرين محلى فيها بما لفظه: قاضى الجماعة بالحضرة المولوية وأوصاف عالية دالة على شفوف مكانته ومقدرته وسعة معلوماته، وقد كان أبوه متوليا خطة النظارة على أوقاف المساكين، وكان هو متصدرا للتدريس بجامع النجارين، واعتنى بتدوين ما يرجع لمأموريته وجمع المقاصد التى وفت بالغاية التى لا تستطاع فيما دونه، عاملا على ما يقربه عند الله من مرضاته، ويظفره بجزيل مثوباته، وكان متحليا بالسكينة، حالا من النزاهة بالمكانة المكينة، خطبته الخطط العلمية، واغتبطت به المجادة الأولية، واستعملته الدولة المنيفة التى ترتاد أهل الفضائل للرتب، وتستظهر أهل المناصب بأبناء التقى والحسب، فصار معدودا من أعيان خطبائها، وصدور نبهائها، رحمه الله.

مشيخته: منهم أبو مدين السوسى.

وفاته: توفى كما هو منقوش عند رأس ضريحه فى زليج فى عاشر جمادى الثانى عام سبعة وعشرين ومائة وألف، ودفن بضريح الولى الأشهر المولى عبد الله ابن حمد دفين خارج باب البرادعيين.

٤٧٤ - عبد الوهاب الشيخ أبو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن بن عمران.

أمه فاطمة بنت عبد الرحمن بن عزون، ذكره فى منحة الجبار.

حاله: كان أحد الأفذاذ المشار إليهم فى وقته علما وعملا، كثير التلاوة والأذكار، تصدر للتدريس والإفادة مدة، ثم انقطع لعبادة ربه.

مشيخته: منهم أبو عبد الله محمد بن حسين الشهير بأبى مدين قاضى

العاصمة المكناسيــة، وأبو العباس أحمد بن يعقوب الولالى، وقد كــان بقيد الحياة عام ثلاثة وأربعين ومائة وألف.

٤٧٥- عبد الوهاب بن أحمد أَدَرّاق.

حاله: خــاتمة الحكماء جليل القــدر، رفيع الذكر، مـحبوب العــام والخاص جهينة الزمان، ويتيمة الأوان، فقــيه عالــم طبيب ماهر، أديب ناظم ناثر، له معرفة بالنحو واللغة والشعر، وانتهت إليه فى زمانه الرياسة فى فن الطب فكان لا يجارى فيــه ولا يبارى، مع لطف وجاه ووجــاهة، تقف الوزراء فمن دونهم ببــابه وقوف المماليك بأبواب الملوك.

وكا الطبيب الخــاص لدى الجلالة الإسماعيليــة، لا يفارق السلطان، وكذلك لدى ولده أبى محمــد عبد الله، وكانت له مكانة عظيــمة لديها، لم يلحقهــا غيره بحيث لا ترد شفاعته، ولا تهمل إشــارته، وكان مضربه ومنزله فى الأسفار أعظم من مضرب أكبر العمال.

له الاســتنبــاط فى الطب الذى يــحق أن يخــضع له به بقــراط فــمن دونه، وكذلك ابن سينا مع همــة ووقار، وسمت وعلو مقدار، وكــانت تحبه الملوك وتجله وتقــدر قدره، وأجــازوا له الجــوائز ذات البال، ومــارس عــلاجهم، وتردد إليــهم فــأدنوه، وأحلوه منهم مــحل التكرمــة والإجلال، ولــه أنظام فى الطب فى أنواع العشب والفواكــه وخواصها ومنافعــها، لو جمع ذلك لكان ديوانا حافلا، وســيمر بك نزر من ذلك.

ومما يبــرهن على مهــارته فى الطب وكامل مــعرفــته أن شــخصــين أرادا أن يختبراه فى الطب، وكان كل من عنده مريض يأتيه عند الــصباح بزجاجة فيها بوله يقال لها الهراقة، فعمد أحد الشــخصين إلى بول كبش سمين وجعله فى زجاجة،

---

٤٧٥ - من مصادر ترجمته: نشر المثانى فى موسوعة أعلام المغرب ٦/ ٢١٤٢.

وعمد الآخر إلى سقف قديم تنزل منه القطرة وجعل ماء القطرة فى الزجاجة كأنه بول، واختلطا فى الناس فجعل الطبيب ينظر فى كل هراقة ويصف للمريض الدواء حتى وصل لصاحب الكبش فجعله فى ناحية، ثم وصل لصاحب السقف فجعله فى ناحية حتى فرغ من أمور الناس، فقال لصاحب الكبش: هذا غلبت عليه الشحم إن لم تذبحه عن قرب مات، وقال لصاحب السقف: اجعل لهذا حريرة وإلا سقط ثم قبضهما، وأراد أن يذهب بهما إلى الحاكم ثم عفا عنهما:

ومن ذلك أنه كان يمر على رأس الشراطين فيجد إنسانا فى طراز يقول الأبيات بصوت حسن، فكان يقف لاستماع صوته، فمر يوما فسمع صوته وهو متغير، فصعد إلى الطراز وسأل عن الآنية التى يشرب منها فوجدها برادة، فكسرها فوجد داخلها وزغة، فقال هذه التى غيرت صوته.

ومن ذلك أنه كان مارا بالرصيف ومعه عبده، وإذا بوإذا بإنسان بإحدى يديه لبن وفى الأخرى حوت، فقال لعبده اتبع هذا وقيد الدار التى يدخل لها فتبعه، ولما كان من الغد أمره أن يذهب إلى تلك الدار وينظر، هل بها جنازة ؟ فذهب عبده وأخبره أن بها جنازة، فذهب المترجم ودخل على الميت وفصده فى محل، وقال لأهله: أخروه حتى تنظروا فى أمره، ثم بعد هنيئة زال ما بالميت وعاش بعد، إلى غير هذا مما يقضى منه العجب ويشهد للعرب بالتفوق الذى لا مطمع لغيرهم فى الوصول إليه، وإنما أوقعنا فى الحضيض الأسفل الكسل، وإهمال اتباع سلفنا الصالح رضوان الله عنهم.

وقفت على ظهير سلطانى أصدره سيدنا الجد الأكبر أبو النصر إسماعيل، يتضمن الإنعام على صاحب الترجمة بعمالة الجزية الواجبة على أهل الذمة القاطنين بعاصمته المكناسية، وإليك لفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الإمامى:

«كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمـره بيد خديمنا الفقيه الأجل، الحكيم الأنبل، السيد عبد الوهاب ابن الفقيه النزيه، الحكيم الوجـيه، السيد أحمد أدراق، يتعرف منه بحول الله وقوته أننا أنعمنا عليه بعمالة الجزية الواجبة على أهل الذمة القاطنين بملاح مكناسة حرسـها الله وزدنا له فى. . . . بها إعانة له عـلى ما هو بصدده من ملازمتنا، وخدمة جنابنا العالى بالله على مقتضى حكمته، وشريف صنعته، إنعاما تاما والواقف عليه يعمل به والسلام وفى الرابع من صفـر الخير عام سبعة وثلاثين ومائة وألف».

ووقفت على ظهـير أصـدره نجل أبى النصر المذكور المولـى على زمن إمرته بالإنعام على المتـرجم على وجه الإقطاع والتمليك بدار القرفـطى المجاورة لروضة السيدة عائشـة العدوية من العاصمة المكناسية، وبسط له يد الحوز فـيها على الوجه المذكور، نصه بعد الحمدلة والـصلاة والطابع بداخله (أمير المؤمنين أبو الحسن على ابن أميـر المؤمنين إسماعـيل الشريف الله وليـه) وبدائرته من أعلى (لا إله إلا الله وحده صدق الله وعده ونصر عبده لا إله إلا الله الأمر كله لله):

«كتـابنا هذا أسماه الله وأعز أمـره، وأحاط بحوله وطوله. . . . . آمـين بيد حامله محـبنا الفقيه العـلامة. القدوة الدراكة الفـهامة. الحكيم الأجل السيـد عبد الوهاب بن أحمد أدراق، يتعرف منه بحول الله وفـضله، وجميل مواهبه وعدله، أننا أنعمنا عليـه بدار القرفطى المجاورة للسـيدة الجليلة عائشة العـدوية نفع الله بها وجدنا عليه بملكيتـها والتصرف فيها بالبيـع والسكنى وغير ذلك تصرف المالك فى ملكه بمقتضى. . . . أن من نازعه فـيها. . . بساحتها أوحـام حول حماها لا يلمن إلا نفسه. ولا يتخـيلن إلا رمسه. هبة كلية. ومنحة سـرمدية. على الأبد إن شاء الله، وحـسب الواقف عليه العـمل به. والاقتـفاء بكريم مـذهبه. والسـلام وفى منتصف جمادى الآخرة عام سبعة وأربعين ومائة وألف».

كما وقفت له على ظهير آخر أصدره بالإنعام على المترجم بمستفاد ميزان قاعة العطارين من فاس، وما يضاف لذلك داخل المدينة وخارجها، إعانة له على ما هو بصدده من القيام بالوظائف السلطانية، وملازمته للدار العالية، نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع المتقدم ما بداخله:

«كتابنا هذا أسماه الله تعالى وأعز أمره، وخلد فى دفاتر اليمن والإقبال ذكره، بمنه آمين بيد ماسكه الفقيه الأجل، العالم الأكل، الحكيم الأنبل، محبنا وأعز الناس لدينا، وأحبهم علينا، السيد عبد الوهاب بن أحمد أدراق يتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه العميم ونصرته، أننا أنعمنا عليه بمستفاد ميزان قاعة العطارين من فاس حاطها الله وما هو مضاف إليه، وجارى حكمه عليه، داخلا وخارجا فقد أجرينا عليه ذلك وأسندنا أمره إليه، وأقصرنا نظره وخراجه عليه، ليستعين بذلك على ما هو بصدده من القيام بوظائفنا، والوقوف فى مآربنا والملازمة للعلية بالله تعالى أعتابنا، أداء لبعض واجبه علينا، وقليل ذلك فى حقه عندنا ومكانته لدينا، إنعاما تاما، مطلقا عاما، دون منازع له ولا معارض، ولا مزاحم ولا مناقض، ومن نازعه فيها أو طاف بساحتها نحفر جدره، ونمح أثره، والواقف عليه يعمل بمقتضاه، ولا يخالف ما أبرمه وأمضاه والسلام وفى الخامس والعشرين من ذى القعدة الحرام عام. . . . سبعة ومائة وألف».

مشيخته: أخذ عن الشيخ اليوسى، وسيدى عبد السلام القادرى، ولقى العارف بالله سيدى أحمد بن عبد الله، وكان يذكر حكايات فى تفريج مضايق عرضت فى علاج أولاد السلطان وأضرابهم.

مؤلفاته: منها تعليق على النزهة للشيخ داود، وأرجوزة ذيل بها أرجوزة ابن سينا فى الطب، وأرجوزة فى حب الإفرنج المعروف لدى العامة بالنوار، وهو

السمهرى، فيمن نفى عيب الجدرى، رد به على من يقول إنه ليس من عيوب الرقيق، ومنظومة فى مدح صالحى مكناسة الزيتون، وغير ذلك.

شعره: من ذلك قوله:

رمت انتساب سلالة الشيخ الذى ... شرفت بنسبته بنو جيلانى
فصددت عنه والذى قد صدنى ... علو رفعة شأنه عن شانى
إذ ما استطعت سوى العكوف ببابه ... متضرعا عل الندى يغشانى
قد ألف النجل الإمام المرتضى ... عبد السلام أزاهر البستان
فى النسبة العليا وذكر مناقب ... بروية فى غاية الإتقان
وتلاه فى الوصف الجميل محمد ... المسناوى العالم الربانى
وتلاهم الجم الغفير من الألى ... جلت مآثرهم من الأعيان
ما كان صنعهم لصحة نسبة ... بل للتبرك وارتجاء تدانى
فلصحة النسب الشريف دلائل ... من قبلهم بسواطع البرهان
فطمحت بالإلحاق لو سمحوا به ... لأنال ما نالوه من عرفان
إذ من أتى بابا ولازم سدة ... دخل المكان على هدى وأمان
وعلى النبى وآله وصحابه ... أزكى الصلاة ورحمة الرحمن
ما غردت قمرية باللحن فى ... روض المنى ورنت على الأغصان

وقوله:

سر كما تحمل فى كف القدر ... لا كما تختار إن كنت أثرْ
ما لعبد من مراد أن يرد ... كل شىء بقضاء وقدرْ

فـــإذا مـــا قـلت إنى قـــادر فـادن كـى تفـعل شـيـئـا أو تذرْ
سـلـم الأمــــــــر لـمولاك ولا تتـــعب العـــقل بـورد أو صـــدرْ
واطرحن عنـك قـضـايا ما لهـا أثر واشـــدد على مـا فـى الأثرْ
وإذا مـــا اشـــتـــد أزم فـله فــرج أقــرب من لمـح البـصـر
فـــابتـــهل لـله واســـأله إذا جن ليل سـيـمـا عنـد السـحـر
بخـــضـــوع وخـشـــوع تعط مـا فـوق مـا تأمـل من رب القـدر
وخـــتـــام المسك إكـــثـــارك من صل يا رب علـى خـيـر البـشـر
وعلـى الآل وصـــحـب كلمــا طلعت شـمـس ومـا لاح قـمـر(١)

وقوله فى منافع النعناع:

ألا هل من الأعـــشـاب نـبت يوافق مـوافـــقـــة النـعناع بل ويـطابق
فكم من خـصـــال حـازها وفـوائدا وكم من مـزايا لا يفـى بهـا ناطق
يسـارع بالتـسليم عـرفـا على الذى يمـــر به فى روضــه ويســابق
فما العنبر الشـحرى ما المسك ما الشذا إذا فـهن طيـبـا كلهـا مـنه سـارق
إذا عـــبق النعـناع فـــاغـن به ولا تعـرج على روض خـلا منه عـالق
فــفى طبـعــه حـــر بآخـر أول ويبس علـيـه المعـتنون تـوافـقـوا
ولكـن به لـبن من المـاء عـــارض تزيـد به أســـراره والـدقـــائق
يؤنس بالتـفـريج نفـسـا مـشـوقـة ويذكى حـجا من للمـعارف عـاشق
ويرسل مـقــوال الفــتى بمقــوله ويفـــتح أبوابا عـليـهـا مـغــالق

---

(١) الأبيات فى نشر المثانى فى الموسوعة ٦/ ٢١٤٣.

فخذ منه قبل الأكل نزرا وبعده ترى عجبا نعم العشير الموافق
يصون غذاء المرء من كل آفة تخاف ولم يطرقه بالسوء طارق
إذا الشهوتان احتاجتا لموافق فليس كما النعناع خدن موافق
ففى هضمه إن عز هضم لناقص وفى التخمة الشنعاء خيره دافق
وقاطره فى الكل مثل طبيخه بسكر نبت فهو راق ورائق
وللماء إصلاح بتضميده علا وشائعه أن غيرته ريانق
له فى علاج الصدر سهم مفوق وفى خفقان القلب سهمه بارق
وفى المعد اللاتى تفاقم ضعفها له الرتبة العظمى على الغير فائق
وفى الغشيان الصعب قد شاع نفعه وللقىء والإسهال بالفور عائق
وللدوخة الضراء بالرأس نافع كذاك الصداع لا تراه يفارق
وهل لدماغ قد وهى مثله وهل عيون وهت عما سواه روامق
وينفع ألبانا من العقد عندما تكون حوتها للغذاء مسارق
ويخرج ديدان البطون بأسرها وللسم دفاع وللبرء سائق
مدر لبول للحصاة مفتت منق لأنواع البلاغم فارق
وفيه لطرد الريح بالحر غاية كذا لفواق جربته الحواذق
وفيه لدفع الريح نفع مقرر إذا بفضا الأحشاء برقه خافق
وفى ألم القلب الضعيف بدت لنا منافعه الجلا فسوقه نافق
فمضغه يشفى السن من وجع ومن بتور بلثات لدى الفتق رائق
يحمر لون المرء حتى كأنه إذا رئى قال المبصرون شقائق

وقـــد جـريتـــه للبـــواسـر أسـرة | وأرواحـهـا فانزاح عنـهـا التـضـايق
وللنكهـة التطبيب عند امتـضاغـه | وناهيك منه ما حـوته الحـدائق
فمـا لى لا أثنى عليـه وأعـتنى | بنـظم لآليـه وفـضـلـه سـابق

وقوله:

أفــضل شىء للتــداوى يـوكل | الكبــــر المملح المخلـل
فطبـــعـه الحر وقيـل البرد | والحـَـر أشـهـر على مـا يبـدو
وقـيـل بل بحـسب الأقـاليم | حـرا وبراد عن ذوى التـعـاليم
مسـخن للمعـد المبروده | مـفـتح للكبـد المسـدوده
يفـتـت الحـصـا وللبـول يدر | وفى الطحـال سره أمـر شهـر
منبـه لشـهـوة الغـذاء | بعـد سقـوطـهـا بـلا امتـراء
ويخـرج الحـام من المفـاصل | إن حلـهـا مـن خـارج أو داخل
ويطرد الرياح والسـمـومـا | يبرئـهـا والبـهق المذمـومـا
والريق والسـعـال للمـبرود | والخل فى المحرور من مـفـيد
ويبـرئ القـروح والأسنانا | يعـيـدها قـوتهـا استـنانا
ويجـبـر الكسـر ومـا ضـهـاه | مـن هـتك أو وهـن حـواه
كـذا يحل كـل صلب من ورم | وشـبـهـه وفى الخنـازير أتم
ويخـرج الديدان عن قـريب | ولـو من الأذن عـلى تجـريب
وهذه الخـصـائص المذكـوره | لقـشـر أصلـه ترى مسطوره
وقـد ينوب اللب عن أصلـه فى | خـصـاله وبالمزيد قـد يـفى
والكبـر الحـائز كـل فـخـر | مـا كـان منه نابـت فى الصـخـر

وفاته: توفى عن سن عالية ليلة صبيحة الاثنين الثامن والعشرين من صفر الخير عام تسعة وخمسين ومائة وألف، ودفن ظهر اليوم المذكور بروضة سيدى محمد الطالب، قرب سيدى أبى غالب على ما فى المورد الهنى، والذى فى النشر أنه توفى أواخر صفر عام الترجمة يريد العام المذكور.

٤٧٦ - عبد الوهاب أجانا.

المكناسى أصلا المراكشى دارا أو قراراً.

حاله فقيه أستاذ مقرئ مجود بركة فاضل، وجيه نزيه، صالح فالح معتقد كانت له جلالة ومكانة لدى السلطان العادل مولانا سليمان ومحبة زائدة وكان يؤدب أولاد الملوك بالدار السلطانية من الحضرة المراكشية بعد أن رجع من سجلماسة بعد أن حفظ عليه القرآن السلطان العادل مولانا سليمان وأخذ عليه علوم القراءات من تجويد وغيره، ولذلك لم يزل مراعيا فيه حق الشيخوخة معتنيا بأولاده بعد وفاته، محسنا إليهم، أقطعهم بعد موته داراً وجنة بمراكش، كانت بيد والدهم بظهير دونك لفظه:

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله، ثم الطابع داخله (سليمان بن محمد بن عبد الله) ودائرته فيها محمد، أبو بكر، عمر، عثمان، على:

«أنعمنا بحول الله التام، وشامل يمنه العام، على أولاد شيخنا البركة الفقيه الأجل السيد عبد الوهاب أجانا رحمه الله، وهم الفقيه السيد المفضل، وأخوه الفقيه السيد أحمد، وإخوانهم بالدار التى بها سكناهم مع والدهم رحمة الله عليه الكائنة بدرب الحمام من المواسين من حضرة مراكش أمنها الله، وكذا أنعمنا عليهم

٤٧٦ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٤٥٦.

بالعَـرْصَة[1] التى كـانت فى يد والدهم وتصرفـه الكائنة بدرب سنان من الحـومة المذكورة يتـصرفون فيـها بأنواع التصرفـات كلها من غير منازع ولا مـعارض، ولا مدافع ولا مداحض، إنعامـا سائغا لا يتعقب، وإقطاعا إمـاميا لا نسخ بحول الله يترقب، والوقف عليـه من القضاة والحكام، وحملة السـيف والأقلام، يعمل به، ولا يحيد عن كريم مـذهبه، والسلام وكتب فى سادس شعبان المبـارك أحد شهور عام اثنى عشـر ومائتين وألف، ذكره صاحب الإعـلام، بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، وقال إنه وقف عليه.

وقد كان ولاه على قـبائل تامسنا لما ولاه الله أمر المسلمين، فأقـام واليا بها مدة أعوام إلى أن كـبر سنه وعجز، فأخره إذ ذاك عـن الولاية وأنزله بمكناسة كذا فى جمهرة التيجان لدى تعرضه لذكر الآخذين عن السلطان المذكور.

مـشيـختـه: منهم السلطان العـادل المولى سليـمـان، فإنه لما ولاه الله أمـر المسلمين صار المترجم يأخذ عنه العلم فى جملة من أخذ عنه من الأعلام.

الآخـذون عنه: أخذ عنه السلطان الـعادل المولى سليـمان، وهو مـؤدبه فى صغوه إلى أن حفظ القـرآن، والأمهات الصغار، وكان يظعن بظعنه ويقـيم بإقامته وناهيك به، ذكره الزيانى وتلميذه ابن رحمون فى عداد مشيخة السلطان المذكور.

وفاته: توفى أوائل القرن الثالث عشر بمراكش.

٤٧٧ - العباس بن محمد بن كيران الفاسى الأصل المكناسى الوفاة.

حاله: عالم زمانه، وفريد عصره وأوانه، حامل لواء التحقيق، المشار له فى الإتقان والتدقيق، مـشارك نفاع، غزير المعارف كثـير الاطلاع، له اليد الطولى فى سائر العلوم، والاقـتدار الكامل على الخوض فى منطوقهـا والمفهوم، انتقـاه سيدنا

---

(١) فى المطبوع: «العرسة، وأمامها كلمة (كذا) والعـرصة: ساحة الدار، والبقعة الواسعة بين الدور لا بناء فيها.

الجد المولى عبد الرحمن بن هشام لقضاء عاصمته المكناسية، واتخذه شيخ مجالسه الحديثية ينوه بقدره، ويستمع لنهيه وأمره، وتولى خطبة جامع القصبة السلطانية، وأقبل على التدريس، فانتفع به جم غفير من أهل النقد والتحرير، ولم يزل محمود السيرة على تلك الحال، إلى أن لقى الكبير المتعال.

مشيخته: أخذ عن العلامة السيد عبد القادر بن شقرون الفاسى، وتلميذه الشيخ الطيب ابن كيران وخصوصا الحديث، وعن الشيخ محمد صالح بن أبى محمد خير الله الشريف الحسنى نسبا البخارى السمرقندى أصلا ومنشأ الرضوى نسبة إلى على الرضا البخارى المولود عام واحد ومائتين وألف المتوفى بالمدينة المنورة عام ثلاثة وستين ومائتين وألف، وأجازه إجازة عامة عام ستين ومائتين وألف عند مقدمه للديار المغربية، إجازة عمم فيها وخصص، ودونك صورتها بعد البسملة والصلاة:

أحمده إذ الحمد لذاته، له بذاته، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد قطب دائرة الوجود وصفاته، وعلى آله وأصحابه نجوم الاقتداء وهداته وحماته.

أما بعد: لما كان عادة أهل الحديث، فى القديم والحديث، الاستكثار من الاستجازة ولو من الدون، لصالح أغراض لا يعقلها إلا العالمون، طلب منى العلامة الأشهر، والبدر المنير الأزهر، الشيخ البركة، الحميد السكون والحركة، قاضى مكناسة الزيتون، المزرية علما بالروض الهتون، أبو عبد الله محمد العباس ابن كيران، تولانى الله وإياه وجميع المسلمين بالقبول والغفران، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، أن أوصل له سند الفاتحة وأصافحه وأشابكه بالمصافحة والمشابكة، المعروفة المتداولة بين المحدثين فصافحته وشابكته، وهأنا أوصل له سند الفاتحة فأقول وأنا الفقير البارى، محمد صالح الرضوى النجارى، أدركنى الله وأسلافى وأخلافى والمسلمين بلطفه العميم السارى؛ وخيره الكثير الجارى، حدثنا

السيد الجليل، العالم النبيل، جمال الليل صالح عن السيد عبد المحسن بن العلوى المقيبل قدس سره عن السيد إبراهيم اصعد مفتى المدينة المنورة قدس سره، عن الشيخ محمد بن الطيب المغربى المدرس بالمسجد الشريف النبوى رحمه الله، عن الشيخ أحمد بناصر قدس سره، وكان مشهوراً بإقرائه للجن عن عبد المؤمن ساكن بدر الجنى صاحب رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين إلى آخر السورة باتصال ميم البسملة بلام الحمد على القراءة الورشية، وهذا أعلى سند لنا فى الفاتحة فالحمد لله على ذلك.

وأما المصافحة فبحمد الله تعالى لى أسانيد ستة من طريق سيدى القاضى أبى محمد الشمهروش رضى الله عنه، وأبى سعيد الحبشى رضى الله عنه، وسيدى أبى العباس الخضر على نبينا وعليه الصلاة والسلام بسندين، وسيدى أنس ابن مالك رضى الله عنه بسندين، فصارت الجملة ستة أسانيد، فمنها ما أرويه عن السيد الجليل عبد الوهاب الموصلى، عن الشيخ إسماعيل، عن الشيخ أحمد المنينى، عن الشيخ عبد الغنى المقدسى، عن القاضى أبى محمد الشمهروش رضى الله عنه أنه اجتمع برسول الله ﷺ فى جبل أحد فقال له: يا شمهروش صافحنى وأنه من صافحنى أو صافح من صافحنى إلى سبع مرات دخل الجنة من غير سابقة العذاب، فهذا والحمد لله أعلى سند فى المصافحة من حيث إنه وقع بينى وبينه ﷺ خمس وسائط فانا السادس فالذى صافحته أنا هو السابع، فله أن يصافح فقط دون من يصافحه.

وأما سند المشابكة فأرويه عن سيدى ومولاى رفيع الدين قدس الله سره العزيز، عن مولاى الشريف مولاى محمد بن عبد الله المغربى نزيل المدينة المنورة شرفها الله، عن مسند الحجاز الشيخ عبد الله بن سالم البصرى، عن شيخه محمد ابن سليمان البابلى كما شابكه شيخه الجزائرى وقال لى: شابكنى، من شابكنى

دخل الجنة، إذ بذلك شابكني شيخنا أبو عثمان المغربي وبذلك شابكه سيدى أحمد خجى، وبذلك شابكه أبو سالم التازى، عن سيدى صالح الزواوى، عن عز الدين ابن جماعة، عن الشيخ محمد بن سيرين، عن الشيخ سعيد الدين الزعفرانى، عن والده محمود الزعفرانى، عن أبى بكر السيواسى، وناصر الدين على بن أبى بكر ابن ذى النور الملطحى، وهما عن محمد بن إسحاق القونوى، عن الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى، عن الشيخ أحمد بن مسعود بن شداد المغربى الموصلى، عن الشيخ على بن محمد الخالى الباهرى، عن الشيخ أبى الحسن الباغوزادى، قال: رأيت رسول الله ﷺ فى المنام فشد أصابعه بأصابعى، وقال: يا على شابكنى، فمن شابكنى دخل الجنة، ومازال يعد حتى وصل إلى سبعة، ثم استيقظت وأصابعى فى أصابع رسول الله ﷺ.

قال الشيخ التازى: كذا ينبغى لمن شابك أحدا أن يقول شابكنى فمن شابكنى دخل الجنة، رزقنا الله وإياه التقوى منه فى السر والعلن فإنه مجمع الخيرات، ومنبع السعادات، ورفع الهمة كن أجدر رجل فى الدنيا، وهامة همته فى الثريا فإن الله يحب رفع الهمة ويثبتنا وإياه بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويرزقنا الورع والقناعة والزهد والصبر والشكر والتوكل والرضا والتسليم، ويجنبنا عما ينافيها ويحمينا فى ظل حمايته وحفظه وحرزه وأمانه ويمن عنايته، وحسن رعايته، وظل رأفته ورحمته ولطفه وجوده وإحسانه، ويجعلنا من محبيه صلى الله عليه وسلم بدءا وعودا، ويعاملنا معاملته بهم حياة وموتا ونشورا.

وأجزت له أن يصافح ويشابك كما صافحته وشابكته، ويجيز برواية الفاتحة، كما رويت له، وبالجملة أجزته أن يروى عنى الكتب المتداولة المعروفة الحديثية والتفسيرية وغيرها من العلوم العقلية والنقلية، وأرجو الله عز وجل أن ينفع به عباده من حيث إنه ينشر العلم النافع ابتغاء مرضاته، وكان ذلك فى ثانى جمادى

الثانية سنة ستين ومائتين وألف من هجرة من له المجد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله أولا وآخرا، وباطنا وظاهراً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه صلاة زاهرة وسلاما فاخرا، هـ لفظه.

الآخذون عنه: منهم ابو عبد الله محمد بن المدنى جنون صاحب اختصار الرهونى، والقاضى الحاج المهدى ابن سودة، وأخوه الحاج عمر، والقاضى حميد مصغرا - بنانى، والحاج صالح التادلى، وشيخنا أبو العباس أحمد بن الخياط سمع عليه مجلسا واحدا فى الشفاء، والسيد فضول السوسى، والسيد فضول بن عزوز، والسيد الظاهر بوحدو، وأبو عبد الله محمد بن الجيلانى السقاط، والسيد المختار الأجراوى، والسيد الهادى فرموج، وغيرهم من نقاد فحول الأعلام.

مؤلفاته: منها حاشية على خطبة الشيخ ميارة الصغير شرح المرشد المعين.

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون فى ثانى قعدة الحرام عام واحد وسبعين ومائتين وألف أغفله صاحب السلوة فلم يتعرض لترجمته، وترجمه الحاج المختار التاسفينى فى ذيله على تاريخ ابن عيشون والقاضى حميد فى فهرسته.

٤٧٨ - العباس بن أمير المؤمنين مولاى عبد الرحمن بن أمير المؤمنين مولاى هشام بن أمير المؤمنين سيدى محمد بن أمير المؤمنين مولاى عبد الله بن أمير المؤمنين السلطان الأعظم مولاى إسماعيل بن الشريف الحسنى.

حاله: فقيه علامة، مشارك متفنن، مدرس مقيد ممتن، كثير المطالعة، جماع للكتب، عمت كتبه بعد موته المشرق والمغرب، لا تكاد تجد خزانة من الخزائن ذات البال خالية من كتبه، ولا تكاد تجد كتابا من كتبه إلا وعليه توقيفاته من أوله إلى

---

٤٧٨ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٦٦٣.



مولاى العباس بن السلطان عبد الرحمن

أخره ولو تعددت أجزاؤه، وربما قيد ساعة ابتـدائه للكتاب بالمطالعة وساعة ختمه، وقفت على كـثير من ذلك بالخـزائن الإسلامية والأوربـية، وكان ذا همة عـالية، ونفس آبية، وتؤدة ووقـار وأبهة، مع بشاشة ولين جـانب وتواضع وخفض جناح وحنان وشفقة وحلم، جوادا كريما وجيها.

قال فى حـقه صاحب الدرر البـهية! فكان رحمـه الله فى العلوم آية، ومن أهل الإتقان والدراية، مـشاركا حـافظا جاهدا مـجاهدا ذا إقدام ولسـان، مع كرم وإحسـان، رأيته يومـا فى بعض المحافل وقـد أملى من الأحاديث النبـوية، مع ما طابقها من الآيات القـرآنية، ما بهر عقول الحاضـرين، وقطع ألسن المناظرين، كما أنى رأيته وقد حضر بيعة أميـر المؤمنين مولانا الحسن رحمه الله، وقد تكلم بكلام يحرك الجماد، ويصدع القلوب والأكبـاد، مفصحا فى الخطاب والجواب، حتى رد الناس إلى الصواب.

وقد كانت له مكانة لدى والده وعناية كاملة بشـأنه حتى إنه كان يتتبع أطوار أحواله، ويرشـده لما فيه تحسـين مآله، يرشدك لذلك المكاتيب الإرشـادية التى كان يوجهها له منها كتاب يخاطبـه فيه بلسان وزيره الشـهير السيد العـربى بن المختار الجامعى ونصه.

«الحمـد لله وحده، وصلى الله على سيـدنا ومولانا محـمد وآله وصحـبه وسلم. سيـدنا الأجل الأرضى الفقـيه العلامـة الأحظى الأمجد الأنجـد الأفضل، مولاى العبـاس بن مولانا أمير المؤمنين حفظـك الله ورعاك، وأخصب بمنه روض مرعاك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد أمـر سيدنا أعزه الله أن يكون السيد محـمد الريفى يطالع معك الأنصبة التى تقـرأ على السيد العبـاس بن كيران، فإنه طالب عارف غـير مزوق،

وإنما يبلغ المقصود وعلى محبة سيدى والسلام فى ٢ محرم عام ١٢٦٨ العربى بن المختار خار الله له».

ولم يزل قائما على أخذ العلوم عن نقادها بجد واجتهاد، حتى فتحت له النجابة بابها وبرع ومهر، فكان يدرس العلوم العقلية والنقلية بجامع القصبة السلطانية المعد لصلاة السلطان الجمع عند حلوله بالحضرة المكناسية، وكان يحضر درسه قاضى الحضرة فمن دونه من الأعلام والعدول، ودرس بجامع المنصور من الحضرة المراكشية، أصدر والده الأمر لطلبة العلم بالحضور عنده.

وكان كثير الانحياش لجانب الله محبا للصالحين مواسيا للضعفاء والأرامل وبالأخص الأشراف ساعيا فى خيرهم، ومستعملا نفوذه فى الإنعام عليهم. ينبئك عن ذلك ما أجابه به الوزير أبو عبد الله الصفار عن كتاب بعثه إليه فى الموضوع ونصه بعد الحمدلة والصلاة.

«سيدنا الفقيه النبيه، السرى النزيه، النحرير الأجل؛ اللوذعى الأفضل مولاى العباس نجل مولانا أمير المؤمنين حفظك الله ورعاك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنى كتاب سيدى وعرفت مضمنه وشاورت سيدنا أعزه الله على ما طلب سيدى للأساتيذ، فأنعم عليهم بما من عادته أن يصلهم به كما شاورناه على الشريف مولاى عبد المالك ولد مولاى أحمد القاضى، وعلى الشريفة لال صفية، فأنعم على الأول بكسوة بيضاء وكساء وسلهام وعشرة مثاقيل، وللثانية أربعة مناصير وعشرة مثاقيل، الكل على يد السيد أحمد اللب، وقد توجه له الأمر الشريف بذلك كما شاورناه أعزه الله على أمر نقص حزابة لأل عودة لم ييسر الله لهم فى شيء، وقال أعزه الله إن فتح لهؤلاء باب الزيادة طمع فيها غيرهم، وما علينا إلا البلاغ المبين، وأمر الفقيه السيد العربى بصرى منا على بال،

نطلب الله أن ييسر فى الوفاء بوعده وعلى محبة سيدى، والسلام فى ٦ حجة عام ١٢٧٠ .

محمد الصفار وفقه الله.

ثم بعد يسر الله فى تسراد السيد العربى مكرما مجبور الخاطر فالحمد لله على الوفاء بالوعد».

قال فى الدرر البهية: حدثنى من لا أتهم، أن والده أمير المؤمنين مولاى عبد الرحمن، لما دنت وفاته أدناه منه وأشهد من حضره من أهله أنه راض عن أولاده عموما، وعن صاحب الترجمة خصوصا، وأوصى الخليفة من بعده سيدى محمد بواسطة الحاضرين بالإحسان إلى صاحب الترجمة، فنفذ رحمه الله وصية أبيه فيه ولذلك كان له معه مزيد إخاء وارتباط يقدمه للمهمات، ويستشيره فى المدلهمات، لا يفارقه ظعنا ولا إقامة إلا إذا عقد له على جيش لقضاء مهم.

وقد كان رحمه الله هو المتولى رياسة وقعة تطوان الواقعة مع الإصبان سنة ١٢٧٦ معززا بصنوه جدنا من قبل الأم أبى العباس مولانا أحمد الذى كان نجا بنفسه بعد الواقعة للديار المشرقية، وصاهر أحد ملوك بنى عثمان، ولم يزل بتلك الديار إلى أن ختمت أنفاسه بدمشق الشام من الأرض المقدسة، وقد أسلفنا مضمن تلك القضية، التى هى على عزة الإسلام قاضية، فى ترجمة أخيه السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمن، وذكرنا ما أظهره المسلمون من القوة والبأس أولا، وأن المعارك لم تزل متوالية وجيوش الإصبان فى انكسار إلى أن كان ما قدر الله وقوعه مما لا داعى إلى التطويل به.

وإنما أومأنا لذكر القضية لدلالتها على نبل المترجم ومهارته فى علم السياسة والحرب، وزيادة على ما أوتيه من واسع الاطلاع، مع قلة من كان معه، وشدة

جيوش خصومه ولذلك لما وقعت المخابرة فى عقد الصلح بين السلطان المقدس سيدى محمد وبين دولة إصبانيا فوض للمترجم فى عقد الصلح مع تلك الدولة كل التفويض حسبما تنبئ عن ذلك ظهائر السلطان المذكور والمتقدم ذكر نصوص بعضها، ولم يخب ظن السلطان سيدى محمد فيما أمله فى أخيه مولاى العباس، والمطلع على ما كان يروج بين السلطان وأخيه المذكورين من المكاتيب فى قضية الحرب التطوانية يعلم أن ذلك التفويض فى محله.

وعلى يد مولاى العباس المذكور انعقدت عدة معاهدات كالهدنة والصلح بين المغرب وإصبانيا إثر تلك الحرب المشئومة، وتلا ذلك عقد معاهدة تجارية بين الدولتين على يد مولاى العباس المترجم وكان سفير إسبانيا قد كتب إليه فى شأن المفاوضة فيها بما معربه:

«سفارة الجلالة المسيحية.

فى المغرب.

إلى الكريم الأمير مولاى العباس، خليفة سلطان المغرب وممالك إفريقيا الجنوبية.

نسأل أولا عن صحتكم التى نرجو أن تكون تامة، ثم أفيدكم بأنه وفاقا لما أوضحته لكم فى مذكرتنا الأخيرة، تلقيت من جلالة مولاتى الملكة، تعليمات قاطعة فيما يخص السعى لديكم، لتعيين مفوض من قبل جلالة سلطان المغرب، يعهد إليه بمفاوضتى فى إبرام اتفاقية تجارية تنفيذا لما ورد فى الفصل الثالث عشر من معاهدة الصلح المنعقدة فى تطوان بتاريخ ٢٦ يبراير من هذه السنة.

وقد علمتم أن جلالة ملكة إسبانيا أصدرت أمرها بتعيين مندوبها المفوض للغاية المبينة.

وفى أملى أنكم تتخذون كافة الاحتياطات اللازمة للوصول إلى غرضنا من غير توان، وليس بخاف أن المادة الرابعة عشرة فى معاهدة تطوان تنص على وجوب اجتماع المفوضين بعد انقضاء شهر على توقيع المعاهدة المشار إليها، وها قد انقضت خمسة أشهر كاملة ونحن لم نجتمع والسلام.

كتب بطنجة بخامس نوفمبر ١٨٦٠

مندوب جلالة ملكة أسبانيا:

فرانسيسكو ميرى اكلون».

صح مباشرة من أصلها الإصبانى المحتفظ به بالمكتبة الزيدانية.

وقد توجه مولاى العباس لمدريد فعقد مع حكومتها المعاهدة التجارية المشار إليها المؤرخة بخامس عشرى ربيع الثانى عام ١٢٧٨، وقابل ملكة الإسبان فلقى منها ومن رجال دولتها من الإجلال والإعظام ما يليق بجنابه السامى، وكتب للسلطان أخيه يخبره بذلك، فأجابه بما نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الصغير:

«أخانا الأعز الأرضى، مولاى العباس حفظك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك، وعرفنا ما تضمنه خطابك، واستفدنا منه وصولك لمدريد، وأنك تلاقيت مع رينة دولة الصبنيول فى الساعة الثالثة من اليوم الذى أرخت، على الكيفية التى شرحت ووصفت، وأنها أظهرت لكم من أنواع الفرح والسرور والترحيب، والمباششة والاعتناء والتقريب، ما أبهت أرباب دولتها حيث لم يكن عندهم معتادا وأعلمتكم بما هى عليه من المحبة فى جانبنا العالى بالله ووعدتكم بالخير وكمال الغرض إن شاء الله ثم وجهت لكم الوزراء والأعيان والكبراء مسلمين عليكم ومهنئين ومظهرين ما يدل على كمال النجح وقضاء المراد

بحول الله، فنسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، بجاه رسوله صلى الله عليه وسلم أن ييسر لكم جميع الأمور، ويصحبكم السلامة والعافية فى الورود والصدور، وأن يجعل الفتح أمامكم حيثما توجهتم والسلام ١٢ ربيع الثانى عام ١٢٧٨».

وقد قدمنا نصوص تلك المعاهدات فى الترجمة المحمدية فلتراجع هناك، ولعل من لا خبرة له يفوق سهام اللوم للرجل المقدام صنو جلالة السلطان مولاى العباس، الذى فوض له فى عقدها، ومن علم الحالة التى كان عليها المغرب وقتئذ وأحاط علما بتلك الظروف الحرجة التى منها احتلال العدو لثغر من أرفع ثغور البلاد يقرب من النقطة المحتل لها، ومنها جنوح الرعية وتحفزها للثورة اغتناما لفرصة اشتغال المخزن بتلك الحادثة المؤلمة، ومنها إظهار بعض القبائل الجبلية الميل للعدو والتفاخر بحسن معاملته، كما يرشد لذلك ما تقدم فى الترجمة المحمدية، علم أن هذه أمور كلها موجبة لحسم مادة الحرب التى لا يوافق على خوض معامعها إذ ذاك عاقل، ولولا حسن سياسة النائب المفوض مولاى العباس لعظم الأمر واستفحل الداء، ولله فى خلقه شئون.

وكان السلطان أخوه يكلفه بمراجعة السفراء ومباحثتهم فى غير ما تقدم من لاشئون، وهم يكاتبونه فى ذلك، من ذلك ظهير شريف كتب له ليجيب به سفير فرنسا فيما طلبه من إباحة إصدار الصوف لفرنسا، ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير بداخله (محمد بن عبد الرحمن غفر الله له):

«أخانا الأرضى مولاى العباس حفظك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد كتب لجانبنا العالى بالله نائب الدولة الفرانصوية فى شأن الصوفة بأن فى دوام وسقها منفعة لتجارنا وتجار جنسهم، وأن فى قطعه تكديرا لهم، وأن

ما كان يذكر من أن وسقها يحدث منه الضرر بسبب أمر الحمايات قد ارتفع قبل هذا بزمان، وأنهم بريئون من التعدى فى أمر الحمايات بكل وجه ممن هو تحت نظرهم.

فأخبره بأن كتابه وصل لجانبا العالى بالله، وبأنا نعرف ما فيها من النفع لبيت المال، لكن أمرنا بتثقيفها حين يكمل الأجل الذى حددنا لها، لننظر عند ذلك فى أمر الضعفاء والمساكين الذين يحتاجون إليها، ويصعب عليهم التوصل لها، وفى أمر نفع بيت المال، وننظر فيما تحصل من النفع فى مدة تسريحها، وما اقتضته المصلحة نرتكبه إن شاء الله، وما كان سيدنا رحمه الله قطع وسقها إلا رعيا للضعفاء حيث بلغ سيادته أنهم لا يجدون ما يتسترون به إلا الجراتيل، وأنهم يلقطون صوفة موتى المواشى من المزابيل، فوسع علهم بقطع وسقها لتترخص ويتوصلوا منه لما يجعلون على ظهورهم، وما قيل من أن الرعية لم يحصل لها ضرر فى وسقها فهو صحيح بالنسبة لمن يبيعها فقط، وأما من لا يبيعها وهم الأكثر بكثير فليس كذلك، ونحن إن شاء الله ننظر فيما فيه نفع بيت المال والرفق بالضعفاء إن شاء الله، والله الموفق بمنه والسلام فى متم صفر عام ١٢٧٧».

وكتب له الوزير الطيب بن اليمانى بوعشرين فى شأن سفير الإنجليز الراجع لطنجة بعد قدومه على الحضرة السلطانية بعد الحمدلة والصلاة:

«سيدنا الشريف الأجل، الفقيه العلامة النبيه المبجل، سيدى مولاى العباس حفظك الله وسلام على سيادتك ورحمة الله، عن خير مولانا نصره الله. وصلنا الأعز كتابك، وعرفنا ما تضمنه الشريف خطابك، واستفدنا منه وصول باشدور دولة الإنجليز لطنجة مثنيا على ما لقيه من الجانب العالى بالله، ووصلت الكزيطة التى وجهت وطالعنا، وصار بالبال ما اشتملت عليه من الأخبار، كما وصلت

البهائم ٢٠ التى حمل عليها الباشدور المذكور ورددتها ونحن على محبة سيدنا وعهده والسلام فى ١٩ من صفر الخير عام ١٢٧٨.

الطيب بن اليمانى أمنه الله».

وقد زاد الوزير المذكور بخطه أسفل الكتاب: «وقد سررنا غاية بما ذكره سيدنا عن الباشدور، لأنا لا نحب إلا أن تكون أمور سيدنا نصره الله على ما تحبه سيادتك، لأنك تحب له الخير أكثر من كل أحد كيف وأنت أخوه وعضده وساعده أبقاكما الله آمين للمسلمين». هـ.

وكتب له السلطان فى شأن ما طمح إليه الإسبان من بناء على شاطئى تكنة بقصد التجارة ظاهراً بعد الحمدلة والصلاة والطابع الصغير بداخله (محمد بن عبد الرحمن الله وليه):

«أخانا الأعز الأرضى، مولاى العباس حفظك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإن بيرك التكنى كان على عهد سيدنا ومولانا قدسه الله تواطأ مع بعض النصارى على البناء بشاطئى أرضهم، فبلغ خبره لمولانا فوجه له نور الله ضريحه من ذكره وخلفه فى المصحف الكريم على أن لا يعود لذلك، ولا يسلك مع الكفار تلك المسالك، وظهر منه من التوبة ما أوجب اعتباره ومراعاته عند سيدنا، ونفذ له داراً بالصويرة، وكان محرراً من الإعطاء على سلعه التى ترد على الثغر الصويرى تأليفا له، وبقى على ذلك إلى أن لقى الله تعالى.

ثم خلفه من أولاده خلف أضاعوا تلك الوصايا، وأرادوا أن يعرضوا بلاد المسلمين للرزايا، ويبيعوا دينهم بدنياهم، فتواطئوا مع نصارى جنس الصبنيول على البناء هنالك، فسمعت تلك القبائل المجاورة لهم بذلك، واتفقت على قتالهم إن لم يرجعوا عن غيهم، ويقلعوا عن بغيهم.

ولا يخفى ما يترتب على ذلك من الفتن والأهوال، واتساع دائرة القتال، وعليه فيتعين الكلام مع الصبنيول فى هذا الأمر الذى يجر إلى ما لا يليق ليرجعوا عنه إن بدءوك بالكلام فيه وإلا فلا، ومن المعلوم أن أهل تلك البلاد من جملة رعيتنا وإيالتنا، فليس لأحد منهم أن يفعل فى شبر منها ما شاء ولا تسلمها تلك القبائل ولو أفناهم القتال عن آخرهم.

ومرادنا أن تبقى هذا المر مكتوما حتى يبدأك به الصبنيول، فإن بدءوك به فتجد عندك ما تقول لهم وما تردهم به.

وها كتاب المرابط السيد الحسين الأليغى يصلك فطالعه لتعلل ما ذكر فيه، وإن ذكروا لك أن أهل تلك الجهة هم الطالبون لذلك والراغبون فيه، فأجبهم بأن الأمر بخلاف ذلك، وبأن قبائل تلك النواحى رمت ولد بيروك عن قوس واحدة، وليس معه أحد فيما أراد فعله، واذكر لهم فى ذلك ما يليق أن يذكر، وإن لم يذكروا لك شيئا فلا تذكر لهم شيئا، ونسأل الله أن يرد كيده فى نحره، وقد أخبر خديمنا الطالب عبد الله أبهى بمثل ما أخبر به المرابط المذكور ونسأل الله أن يعجل بهلاكه آمين والسلام فى ١١ من ربيع الأول عام ١٢٧٨».

مشيخته: أخذ عن العلامة أبى العباس أحمد المرنيسى، وسيدى إدريس السنوسى، وسيدى عبد السلام بن على بن ريسون، والسيد العباس بن كيران، والسيد المهدى ابن سودة، وسيدى محمد بن محمد بن على الترغى، والسيد ابن داود بن العربى الشرقى، وسيدى محمد غيلان، والسيد عبد السلام المصورى، والسيد محمد بن اد الشنجيطى، والشيخ محمد صالح الرضوى، والسيد على المسفيوى، وأبى الحسن على بن محمد الهوارى، وأبى عبد الله محمد بن عزوز، ومولاى أحمد بوغربال، والشيخ الطالب بن الحاج السلمى، وعن الحاج أحمد الصفار جميع أوراد الشاذلى وغيرها من الأذكار والأسرار، وأخذ دلائل الخيرات

عن والده السلطان مولاى عبد الرحمن، عن البركة السيد الحاج التغمرتى، عن الشريف مولاى الطائع بن محمد بن هاشم، عن شيخه الشريف مولاى الفضيل ابن على، عن شيخه العلامة الهمام خلاصة الذهب الإبريز ومن له فى تحقيق العلم والإفادة التبريز، أبى العباس سيدى أحمد بن عبد العزيز الهلالى، عن شيخه مولاى المصطفى البكرى، وخليفته بمصر الشيخ محمد الحفناوى، عن شيخه البديرى، عن شيخه محمد بن أحمد المكناسى المسطارى، عن شيخه أبى القاسم السفيانى، عن شيخه سيدى محمد الشرقى، عن شيخه سيدى عبد الله بن ساسى، عن شيخه العارف بالله سيدى عبد الله الغزوانى، عن شيخه سيدى عبد العزيز التباع، عن شيخه مولاى محمد بن سليمان الجزولى رضى الله عنه.

وأخذ التغمرتى المذكور عن سيدى العربى بن المعطى الشرقى التادلى، عن سيدى محمد بن أبى القاسم العيساوى الشهير بالرباطى صاحب نظم العمل المطلق، عن شيخه سيدى أحمد بن عبد العزيز الهلالى، ويروى الجواهر الخمس عن الشيخ محمد صالح البخارى الحسنى الرضوى، عن مولاى رفيع الدين القادرى، ويروى عنه، أيضا الدور الأعلى حسبما ذلك بخط يد المترجم فى كناشة له ومنها نقلت.

الآخذون عنه: منهم عمنا أبو محمد عبد القادر بن زيدان، وشيخنا أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الطاهرى وجماعة من الأعلام.

مؤلفاته: وقفت له على ختم حافل على صحيح البخارى بخط يده.

شعره: من ذلك قوله:

يا ذا المكارم والعلا　　　يا ذا الجلال الأوحد
إن العصاة تجمعوا　　　وأتوا لبابك سيدى

قصدتك كل قبيلة ممن يروح ويغتدى
بسطوا إليك أكفهم والرامقات مع اليد
حطوا لديك رحالهم وتوسلوا بمحمد

وفاته: توفى خارج مراكش يوم الثلاثاء ثامن شعبان عام ستة وتسعين ومائتين وألف، ودفن من غده بضريح سيدى يوسف بن على صاحب الغار، وقد رثاه رئيس حملة الأقلام بالحضرة السلطانية العلامة السيد عبد الواحد بن المواز وورخ وفاته بما نصه ومن خطه نقلت:

دعا الحمام وداع الموت عباسا فاشتد خطب جليل أصمت الناسا
دعا حليما عظيما ذا حظ وأبهة من بيت مملكة ركنا لمكناسا
بل آية الله كان فى مذاكرة فحده جامع ومنعه قاسا
قياس من لم يكن لشبهه شبه غريب موت شهيد يقرئى الناسا
أرسل عقيقا من الأجفان مرحمة لتربة حلها بحر ولا باسا
قضى (برشم نجا) أرخ بحمرته وأد حق كريم غصنه ماسا

أشار لتاريخ وفاته بحساب أبجد بحروف برشم نجا.

٤٧٩ - العباس بن الهادى فرموج المكناسى.

حاله: فقيه أديب، مهذب فاضل، صالح دين، نبيل حى أريحى، ناظم ناثر، موثق عدل رضى، مبرز موثوق بدينه وأمانته، له خط بارع وإشراف على فنون، ولوع بنسخ الكتب، لا تكاد تجده إلا كاتبا مع إتقان وتحرى، وكان مدررا يعلم الصبيان وله معرفة بالطب.

مشيخته: أخذ عن المفضلين السوسى، وابن عزوز، والسيد المختار

---

٤٧٩ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعام المغرب ٨/ ٢٧٨٣.

الأجراوى، وعن السيد أحـمد بصرى صاحب الخط الرائق الفائق المترجم فـيما مر أصول الخط وباقى الفنون العلمية وعليه حفظ القرآن.

الآخذون عنه: منهم الفقيه الكاتب السيد مـحمد بن العربى غريط، والسيد عبد الله حجاج.

شعره: من ذلك قوله من قصيدة فى مدح السلطان الأفخم مولانا الحسن:

يا آمـلا بحـر الكرام لتـقـر عن ... عج بـالإمـام وهنـه بوصـاله
يا عـاشقـا ذاك الحـمى مـتولهـا ... اخلـع عـذراك فى سناء هـلاله
واطرب وغن بالهـوى به صرحن ... واسق السـلاف بخـانه وخـلاله
هذا وإن السـعد لاحت شـمسـه ... عم الفـضـاء بنوره وكـمـاله
طلع المظفـر ذو المفـاخـر والسنا ... حـسن الملوك وسعـدها من فـاله
هذا الذى حـاز المفـاخر والعـلا ... هذا الهـمام فـاخـضـعن لجمـاله
هذا المـؤيد من سـلالة هـاشم ... يسـمـو سـمـوا لائـقـا بجـلاله
هذا الخليـفـة والـهنا مـتـواتر ... والدين فـى أبراج سـعـد نواله
نجل الملوك وطودهـم وإمـامـهم ... والليث يشـبـه دائمـا لشـبـاله
خدم الإله فأصبحت روح الورى ... خـدمـا له تصـغـى لحلو مـقـاله
الله عـظمـه وشـيـد ذكـره ... فـضـلا وأعطـاه سناء منـاله
يا عـاذلى لا تكثـرن مـقـالة ... ودع الغـرام لـعـاشق وجـمـاله
لو كنت تعـلم من أنا به مـغـرم ... قـبلت بالأشـواق ترب نعـاله
أو لو رأيته فى الحـروب مشـمرا ... والأسـد تحـت جناحـه ونصـاله
لشهـدت نصر اللـه فيه مكـملا ... نصـرا عـزيزا بـاهرا بنبـاله

إلى أن قال:

أبقاك ربي في القلوب معظما ... وموقرا تسعى لنفع عياله
بالعرش والكرسي وما حوت السما ... والمصطفى وصحابه وبآله
صلى الإله عليهم ما حن صـ ... ـب للحبيب وقربه ووصاله

وقوله يرثي شيخه الحاج المهدي ابن سودة قاضي مكناسة:

إذا جرت مدلهمات بأضرار ... فليس للمرء دون الله من جار
وإن فقدت حبيبا جل مقدرة ... فالله سبحانه أجل مقدار
إذا قضى الله أمرا لا مرد له ... فالحزم للصبر للجاري من الباري

إلى أن قال:

السيد المنتقى المهدي في سمة ... واسم أريد به ابن سودة الدار
دار تفجر فيها العلم سائغه ... بكل وقت ينابيعا بأنهار
من كل بحر طما بلؤلؤ الفهم لا ... بلؤلؤ الحجر المختار زخار
لم يمض منهم سميدع بسودده ... إلا ويأتي سميدع بآثار
من للمسائل يمليها ويملاها ... صدر المسائل في ورد وإصدار
ومن سواه لتحقيق المعارف بل ... تدقيقها ولتنميق لأسرار
مؤيدات بأنقال محررة ... ليلا وفي الصبح يحمد السرى الساري
إن يقر فنا تخله في تفننه ... كأنه ليس ما خلاه بالقارئ

إلى أن قال:

قد بر إذ فنيت في العلم مهجته ... لأنها بقيت في عد الأبرار

وطالما أتقن التدريس مطلعا إذ ما سواه بتهويس له حار
ما أخجل الحاضرين فى تعلمهم ولا تعرض بالتعريض للقارى
إلى مكارم أخلاق مهذبة أزرت بهب نسيم عند أسحار
وشيم ليس يحصيها سوى رجل يريد إحصاء أشجار وأحجار
فلا رعى الله من نعاه جد به وجد عليه عدمته من أخبار
قد راع قلبى إذ وعته أذنى وقد عرى بصب لدمع العين مدرار

إلى أن قال:

صبت شآبيب رحمة ومغفرة على ضريح حواه صب أمطار
ومن مخوف أجاره وأمنه جار إلى جاره أكرم بذا الجار
صلى عليه.... آله وعلى صحابه حال إقبال وإدبار

وفاته: توفى ببلده مكناس فى ثانى عشرى حجة الحرام عام سبعة وثلاثمائة وألف.

٤٨٠ - عثمان أبو سعيد بن عبد الواحد بن عبد العزيز اللمطى المكناسى الميمون.

ذكره ابن القاضى وقال: هو والد شيخنا أبى العباس أحمد.

مشيخته: منهم الإمام ابن غازى، ومن فى طبقته.

ولادته: ولد سنة ثمان وثمانين وثمانمائة.

وفاته: توفى سنة أربع وخمسين وتسعمائة.

٤٨٠ - من مصادر ترجمته: درة الحجال ٣/ ٢١١.

٤٨١ - العربى بن محمد فتحا بصرى المكناسى.

حاله شيخ الشيوخ، ومعدن التحرير والإتقان والرسوخ، علامة مشارك نحرير، نقاد بصير خبير، متصدر فى عصره للتدريس والإفادة، مشار إليه بين معاصريه بالإصابة فى الإدراك والإجادة.

مشيخته: أخذ عن أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن ولى الله أبى موسى عمران بصرى، وأبى عثمان سعيد العميرى، وأبى على اليوسى، وأبى العباس بن يعقوب الولالى، وأبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن البهلول البوعصامى، وأبى محمد عبد السلام البيجرى، وأبى العباس أحمد بن ناجى السجلماسى قاضى مكناس مار الترجمة وغيرهم ممن يطول ذكره، وقد ذكر ما أخذه عن كل من المؤلفات والفنون فى مؤلفه منحة الجبار.

الآخذون عنه: منهم أبو الحسن على بن عبد الرحمن بن عبود، وأبو القاسم العميرى، ومن فى طبقتهم من الأعلام.

مؤلفاته: منها: منحة الجبار، ونزهة الأبرار، وبهجة الأسرار، والكواكب الدرية، فى مدح النبى وآله وصحبه وسائر الأمة المحمدية، رتب الأول على خمسة أبواب وخاتمة: الأول فى أدلة وجود الأولياء وأسمائهم المصطلح عليها لدى رجال التصوف، الثانى فى بيان حقيقة التصوف والصوفى وإثبات الكرامات، الثالث فى الشرفاء الأربعة الأقطاب، الرابع فى التعريف بالشيخ أبى عبد الله البصرى جده، الخامس فى ذكر من اتصف بخير من بنيه وأقاربه، الخاتمة فى بيان من اشتهر بمكناسة من الأشراف وحشاه فوائد مهمة، وتراجم جمة.

ورتب الثانى على أبواب خمسة وخاتمة أيضا، الأول فى بعض مزايا سيد الأنبياء والمرسلين، والثانى فى ذكر السادات الأصحاب، والثالث فيما خص الله

تعالى به من انتسب لهذا النبى الكريم، والرابع فى حسم مادة الجهل بإثبات الشرف من قبل الأمهات والجدات، والخامس فيما يجب لأهل البيت من التعظيم والإجلال، والخاتمة فى فضل الأمة المحمدية.

فرغ من تأليفه ضحى يوم الجمعة متم عشرين من جمادى الأولى عام ثلاثين ومائة وألف.

وكلاهما من محتويات مكتبتنا، وقد نقل عنهما تلميذ تلامذته السيد محمد فتحا بن محمد بصرى المترجم فى المحمدين صاحب الثبت المسمى بإتحاف أهل الهداية والتوفيق والسداد.

وفاته: توفى فى جمادى الثانية عام ثمانية وأربعين ومائة وألف، ودفن بضريح سيدى بصرى الشهير بمكناسة الزيتون، كما بتاريخ الضعيف وغيره.

٤٨٢ - العربى بن مسعود أبو سرحان بن عبد الله بصرى.

حاله: قال فى المنحة: كان فقيها نزيها؛ ربانيا نبيها، روى أنه كان يقرأ العلم بفاس، وانتقضت فاس وهو بها على أمير المؤمنين إسماعيل بن الشريف نصره الله تعالى ووفقه، كلمه ابن خالته مولاى أحمد الطاهرى الشريف فى أن يكفيه أمر قوته مدة الحصار فامتنع، ففرغ ما كان بيده أو أشرف على الفراغ، فدخل جامع القرويين وجلس مع سارية من سوارى المسجد أظنه منكسا رأسه، فسمع طنين الدراهم فى حجره ففتش فوجد مقدار ما قام به مدة إقامته هنالك إلى أن دخل إليه بعض إخوته فأخرجه. هـ.

٤٨٣ - العربى بن على القسمطينى[1].

حاله: علامة محصل دراكة نبيل، مجرح معدل، ماهر مشارك، انقادت له

---

٤٨٣ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٤٥١.

(١) فى إتحالف المطالع: «القسنطينى».

العلوم، وتوقفت عليه الآراء والفهوم، كان سيد علماء زمانه، وصدر أهل وقته وأوانه، جمع بين جلالة العلم والدين، وأجازه أكابر العلماء المهتدين، وتخرج به غير واحد من أكابر الأعلام، ودان بذكره وحبه البادى والحاضر، وإلى التمسك به والتعلق بأذياله يبادر.

تولى خطة القضاء فى كثير من حواضر المغرب فاس ومكناس وما دونها، كما تولى القضاء برباط الفتح أول القرن الثالث عشر. قال فى تعطير البساط: وقفت على ذلك ببعض الرسوم بتاريخ أواسط ذى القعدة عام ثمانية ومائتين وألف هـ.

كما أنى وقفت على عدة خطاباته والتسجيل عليه بالحضرة المكناسية، من ذلك رسم مسجل عليه بتاريخ ثانى عشرى قعدة سنة خمس وثمانين ومائة وألف، وآخر بفاتح اثنين وتسعين ومائة وألف محلى فيه بالعلامة الأفضل، البركة الأمثل، الحافظ الحجة المبجل الشريف المنيف الأكمل، قاضى الجماعة بالحضرة الهاشمية المولوية الإمامية السلطانية مكناسة الزيتون وإمام جامعها الأعظم ومفتى الأنام بها فى حينه... إلخ.

أصيب فى آخر عمره وهو بمكناس بفالج كان لا يستطيع معه حركة أعضائه فى تناول جميع أسبابه فصبر، وعد ذلك من جملة النعم وشكر، واستمر على ذلك إلى أن توفى رحمه الله، ذكره فى الشرب المحتضر.

وفاته: توفى فى جمادى الأولى عام ثمانية ومائتين وألف رحمه الله وبل بمنه ثراه.

٤٨٤ - العربى بن أبى فارس بن محمد المدعو ولد عريبة ابن السلطان الأعظم سيدنا الجد الأكبر مولانا إسماعيل.

حاله: شريف جليل المقدار، علامة متبحر وبالأخص فى الفروع، كذا وصفه بعض تلاميذه ومن خطه نقلت.

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون ظهر يوم الاثنين الرابع عشر من ربيع الثانى عام أربعين ومائتين وألف، ودفن بروضة أبى محمد عبد الله بن أحمد، خارج باب البرادعيين.

٤٨٥ - العربى بن عامر المكناسى.

حاله: قال فى حقه العلامة الميقاتى المقيد المعتنى أبو العباس أحمد الأغزاوى المعروف بالجبلى، مار الترجمة فى الأحمدين ما لفظه: الشاب الأديب الفقيه الأريب، سيدى أبو عبد الله محمد العربى بن عامر المكناسى أصلاً ومنشأ ودارا، وقد كان من المعاصرين له.

٤٨٦ - العربى بن الطاهر بن المهدى بصرى المدعو قطيطة المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: فقيه علامة، مدرس متقن، محرر دراكة، حَيِيّ فاضل زكى، متقشف، كان صدرا فى وقته، متصدراً لبث العلم ونشره بالمسجد الأعظم من الحضرة المكناسية، انتفع به غير واحد من أعيان علمائها.

مشيخته: أخذ عن الفقيه ابن عبد الرحمن الحجرتى وغيره ممن هو فى طبقته.

الآخذون عنه: أخذ عنه مولانا العباس بن عبد الرحمن بن هشام المترجم آنفًا، والسيد فضول بن عزوز، والسيد الطاهر بن محمد فتحا بن عبد الرحمن بصرى وغيرهم من محققى الإعلام.

وفاته: توفى بعد التسعين ومائتين وألف.

٤٨٧ - العربي: بن محمد بن محمد السائح بن العربى بن فاضل بن محمد ابن بوعزة الصالـح بن رشيد بن عبد القـادر بن الشيخ أبى عبيـد سيدى محمد الشرقى العمرى.

دفين جعيدان رحمه الله ورضى عنه وعن كرام سلفه.

حاله: فقيـه عدل رضا نزيه، علامة مشارك نبـيه، مدرس نفاع، ناظم ناثر، بارع فاضل ماجد، هين لين مهاب صـالح، مرشد ناصح، له إشراف على التاريخ مستحضـر لتراجم المتأخرين، معتن بقراءة صحـيح البخارى، إذا تكلم فى حديث أتى بما يبـهر العـقول، مما لا يظفـر به ديوان منقول، من أهل الرسـوخ فى السنة والتـمكين، عـارف بربه دال عليـه، مـرشد إليـه، قـدوة، ذو أدب غض ولطف وبشاشة وحسن استقبال للزائرين، مع بسط المائدة لكل صادر ووارد.

نشـأ بمكناسة الزيتـون وانتقـل لفاس، وأخـذ عن جمـاعة من أعـيان نقـاد جهابذتها الأكياس، حتى فتح له التحرير بابه، وأدخله التحصيل حجابه، ثم رجع لمسقط رأسه مكناس وأقبل على التدريس والإفادة، وتعاطى خطة الإشهاد مدة، ثم بدا له الانتقال لرباط الفتح فانتقل وجعله محل استيطان، وحصل له به مزيد ظهور واشتهار وإقبال، تفد الناس لزيارته والتبـرك به واستجلاب صالح دعواته، فيبلغون بفضل مـولاهم، غاية مناهم، وظهرت له مكاشـفات، وخوارق عـادات، حدثنى غيـر واحد ممن وثقت بخبـره بما وقع له معه مـن ذلك مما هو كشمس الظهـيرة أو أظهر.

مشـيخته: أخـذ عن العلامة السيـد عبد القـادر الكوهن دفين المدينة، وعن الفقيه أكنسـوس، وعن سيدى عبد القادر العلمى المترجـم قبل، جَالَسَه سنين ونال

منه وسمع منه الكثير، حدثنى الأخ المسند مولاى عبد الحى الكتانى، عن والده الإمام مولاى عبد الكبير، أن المترجم حدثه عام سبعة وثلاثمائة وألف، وقد جرى ذكر حديث: إن لله عبادا من نظر إليهم سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، قائلاً، أنا سمعته من مولاى عبد القادر العلمى بمكناس بلفظ إن لله عبادا من نظروا إليه نظرة سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا هـ.

وعن أبى عبد الله محمد الهاشمى بن محمد السرغينى دفين عين ماضى أخذ عنه عام ستة وخمسين ومائة وألف الطريقة الأحمدية التيجانية التى كان المترجم من كبار رجالها، ولقى المترجم الشيخ عبد الرحمن النابلسى وأجازه عامة وعن غير هؤلاء من فحول الأعلام.

الآخذون عنه: منهم العلامة الطاهر بوحدو، المترجم فيما سلف، والعلامة المشارك حامل لواء الأدب فى وقته برباط الفتح الحاج أحمد جسوس المتوفى عام واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف، والفقيه أبو عبد الله بن يحيى بلامينو الرباطى المتوفى سنة ثلاث وثلاثمائة وألف، والفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد فتحا التادلى الرباطى، والفقيه العلامة الناسك المتبرك به قاضى الرباط أبو العباس أحمد بنانى المتوفى عام أربعين وثلاثمائة وألف حسبما أفادنى ذلك مؤرخ الرباط صاحبنا أبو عبد الله بوجندار وغيره، ومنهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن الحسنى الرباطى المتوفى ليلة الأربعاء ثامن عشر رجب سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وألف، والفقيه أبو العباس أحمد بن موسى السلاوى المتوفى ليلة الاثنين حادى عشر رمضان سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف، وأديب سَلاَ الفقيه الحاج الطيب عواد المتوفى ضحى يوم السبت تاسع عشرى رجب عام ستة وثلاثين وثلاثمائة وألف، وشاعر الرباط الفقيه العدل أبو الحسن على بن عبد الله المتوفى عام اثنين وأربعين وثلاثمائة وألف، والعلامة مولانا الكامل الأمرانى، وأبو عبد الله محمد فتحا بن عبد السلام جنون، وأبو عبد الله محمد الصنهاجى المدعومانى، والعالم الصالح

أبو المحاسن العربى بن عبد السلام المحب العلوى الإسماعيلى المولود عام ستة وسبعين ومائتين وألف وغيرهم من الأعلام.

مؤلفاته: منها بغية المستفيد فى شرح منية المريد، وشرح على لامية الإمام البوصيرى فى المديح.

شعره: من ذلك قوله متغزلاً:

وشادن أبلج المحيا ... تغار من حسنه الدرارى
يقدمه إن مشى سناه ... كأنه صيغ من نضار
إن رام فى مشيه انطلاقا ... لج به السكر فى العثار
لاموه فى الكاس إذ تردى ... وهو من الزهور فى الخمار
وأكثروا عذله وراحوا ... عن جانب العدل فى ازورار
بكى للدغ الملام حتى ... بكى لما نابه القمارى
نأى فعاد النهار ليلا ... وعز من فقده اصطبارى
فقلت والقلب فى اضطراب ... عليه والدمع فى انهمار
ونار وجدى به تلظى ... وكبدى منه فى انفطار
مهلا فعذر المليح باد ... مالت به نشوة العقار
فظن كأس المدام قلبا ... من حبه ظل فى انفطار
وهو بكسر القلوب مغرى ... فكلها منه فى انكسار
فكسر الكاس وانثنى من ... دلاله ساحب الإزار
وهل على الظبى من ملام ... إذ مال للتيه والنفار
أبقاه ربى فريد حسن ... يعنو به جؤذر القفار

وقوله:

واصل شراب حليفة الأمجاد واترك مقال أخى هوى وعناد

صفراء تسطع فى الكئوس كأنها شمس تبدت فى ذرى الأطواد

وكأنها من حسنها وصفائها من عسجد عصرت بأعصر عاد

ما إن بدت فى موضع إلا بدا فيه السرور يناط بالإسعاد

لا يعترى ندماءها ندم ولا يشكون من ملل بطول تمادى

فكأنها أم بهم قد أنجبت لكريم فحل فى نقى مهاد

فغذتهم ذر الصفا وسقتهم منها لبان محبة ووداد

فتناسقت أخلاقهم وتوافقت آراؤهم فى عفة ورشاد

تدعى الأتاى وذاك رمز ظاهر يدريه من يدرى من الأمجاد

إيقاظ فكر ثم تهذيب الحجا مع يسر إنفاق بدون نفاد

فادأب عليها ما حييت فإنها تجلو متى جلبت صدا الأنكاد

واترك رواية معضل فى شأنها وارو المسلسل موصل الإرشاد

وقوله فى الإمام المولى عبد الكبير الكتانى قدس سره:

لكل امرئ فى مقتضى اسمه نسبة إلى قدره فى العالمين تشير

لذاك علا عبد الكبير كما ترى سماء علاه شامخ ومنير

وقوله يرثى شيخه العلامة الورع أبا الفتوح الهادى بادو المكناسى المترجم فيما يأتى من خط من نقلها من خط المترجم:

ما بال نفسك عز اليوم راقيها كأنما الروح منك فى تراقيها

وما لعينك لا ترقى مدامعها كأنما اليم يجرى من مآقيها
تذرى على الخد منثور مدامعها تناسقت قبل أسلاكا لآليها
وما لحالك من وجد ومن أسف كحال من رزئ الدنيا بما فيها
أو حال آنسة عذرا محجبة نأى بها منزل قد كان يأويها
فبينما هى تطوى البيد ظاعنة إذ غيل فى شاسع البيداء هاديها
فأصبحت مثل مطفل بوحدة قد أضلت الخشف يوما فى حوافيها
أو حال ذات وحيد أثكلته فما أرض على سعة الأنجاد تأويها
تبيت تذكى بروق الجو زفرتها وتمتلى من نواحها نواحيها
أطلت ويحك تسآلى كأنك لا تدرى الحوادث إذ تعدو عواديها
ولا عرفت الليالى فى تقلبها وكيف يعتاض عاليها بسافيها
ولا المنية إذ ترمى النفوس فما تخطى إذا ما رمت سهام راميها
مثل الصياريف فى تنقاد جيدها فما على غيره ينقض بازيها
ألم ترعك من الدنيا فجائعها أما دهتك من البلوى دواهيها
أما عراك من الخطوب فادحها أما دجى لك منها اليوم داجيها
ألم يفاجئك ماسك المسامع من كل البرية قاصيها ودانيها
مصاب من فجع الإسلام فيه ومن قد ضعضعت منه للتقوى مبانيها
وخر منه لأفق المجد نيره وقد خبت منه للعلا دراريها
ومادت الأرض إذ مالت جوانبها لفقده وتزلزلت رواسيها
محمد المرتضى الهادى الذى جليت لنا الهدى منه فى أبهى مجاليها

شيخ الوقار الذى ما حل حبوته ... كى يسعف النفس يوما فى تصافيها
فما استرق نهاه ذكر غانية ... ولا حنين شج إلى مغانيها
ولا استزلته أهواء بلذتها ... وكم لبيب تردى فى مهاويها
ولا زهت نفسه لنيل أمنية ... وكم حليم زهت به أمانيها
ولا استفزته من دنياه زهرتها ... ولا لهته عن العليا ملاهيها
ولا ثنته المثانى نحو رنتها ... ولا لحوق مهاة فى أغانيها
إن المكارم أبكار زففن له ... من حضرة الوهب والإفضال واليها
وهى كما قيل أخلاق نعددها ... فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها ... والجود خامسها والبر ساديها
والصدق سابعها والصبر ثامنها ... والشكر تاسعها واللين عاشيها
سعى لها غير واه لا ولا وكل ... لم يسعد النفس مطر فى توانيها
وقد تسامت به إلى العلا همم ... تقاصر النجم عنها فى تساميها
مستعجبا عزمات منه أصغرها ... يستنزل الأبيات من صياصيها
فعاش فى تقوى يواصلها ... مواليا كل حين من يواليها
ملازمًا طاعة الرحمن مجتهدا ... مسارعا كلما دعاه داعيها
حتى انثنى طاهر الأثواب طيبها ... زاكى الخلال حميدها وساميها
لم تبق من تربة غداة مدفنه ... إلا تمنت لو أنه ثوى فيها
أبكيه للعلم والدين المتين معا ... إذا بكت رتب العليا بواكيها
من للفنون جميعا يحققها ... من للأحاديث يرويها ويمليها

من للعويصات إن عنت يوضحها | والمشكلات إذا دجت يحليها
من للدفاتر يطويها وينشرها | ومن يبيت سميرها يناجيها
من للفرائد دائما يؤلفها | وللفوائد همه تلافيها
من للشوارد إن ندت يقيدها | ويبذل الروح فى تقريب ناديها
من للمنابر يرقاها لتذكرة | يجلو بها كل بكر من معانيها
من للمساجد غيرها يجاورها | وللمواقيت دائما يراعيها
من للمناجاة بالأسحار يرصدها | وللمحاريب فى الدجى يوافيها
أما وحق مآثر نشرن له | بين الخلائق حاضر وباديها
وما له من مفاخر بقين له | كآى صخرا جاد الوحى واحيها
لو كان يشفى بكاء العين من كمد | أو كان يجدى من أدمعى تواليها
لأسبلت مقلتى على الدوام دما | يذيبه من حشاشتى تلظيها
ولا أسلت على خدى سوى كبدى | أما الدموع فشىء لا يواليها
لا تنكروا فرط تفجاعى عليه فما | يدرى الشدائد إلا من يقاسيها
(لا يعرف الشوق إلا من يكابده | ولا الصبابة إلا من يعانيها)
سقى الإله ثراه صوب مرحمة | يبقى مدا الدهر دائما يغاديها
ما خيم المجد فى ضلال روضته | وعرس الفخر والسنا بواديها
واخضل بالحمد من أدواحها غصن | وألبست حلل الثنا روابيها
وقفا عليها سلام الله يصحبه | منه الرضا وكرامات توازيها
ما حن مغترب شط المزار به | إلى معاهد أنسه ومن فيها

هـ.

وقوله متوجًا بحروف عمران ابن حصين:

عـــودتنى منك إحـــســانـا وثقت به ... وحـــاش فـــضلـك أن أراه منوعـــا
مـا زلت تولى العطا لمن عصـاك ولم ... يكن عطاك لأجـل الذنب مـقطوعـا
رب البــــرية يا مــن لم يـزل أبدًا ... دعـاء كل امـرئ دعـاه مـسـمـوعـا
إنى دعـوتك مـضـطرا أخـا كـمـد ... ركن اصطبارى أضحى منه مـصدوعا
نفـسـه عنى يـا مـولاى عن عـجل ... حـتى أرى غيـمـه فى الحين مقلوعـا
إنى سـألـتك بالمخـتـار أفــضل من ... به كـــفـــيت الـورى أذى وترويعـــا
بحـــر المكارم تاج الـرسل خـــاتمهم ... من لم يزل ذكـره لـديك مـرفـوعـا
نور الهـدى من بدا فـى أصل فطرته ... على التـقى والحـيا والزهد مـطبوعـا
حـمـــاه أوسع بى إن أزمـــة دهمت ... وظل من أجلهـا ذو الحلم مصـروعا
صـلى عــليــــــه إلهـى كل آونـة ... مـا دام للجـود والإحسـان ينبـوعـا
يا رب وارض عن الصحـاب أفضل من ... بذكـرهم ظل باب الفـتح مـقـروعـا
ناهيك من سـادة حازوا الكمـال بمن ... سـاد الخـلائـق تابعـا ومـتـبـوعـا

وقوله:

بـــابـــى مـــن زار فـــى الـــ ... ـغـــيب يبـــغى شـــهـــودنا
لو عـلمنـا مـــجـــيـــئـــه ... لـبـــــسطـنا خــــدودنـا

قال تلمـيذه آخر قـضاة العدل أبو العـباس أحمـد بنانى الرباطى ومن خطه نقلت: وسبب نظمـه لهما أنه رضى الله عنه كلفنـى بأمر فيسـره الله وذهبت إليه لأخبـره، فوجدته نائمـا فلما استيقظ وأُعلم بذلك كـتب البيـتين ووجههـما إلىّ

فحصل لى من السرور ما لا يعلمه إلا الله حتى إنه من فرط ما سرنى أبكانى والله على ما نقول وكيل. انتهى كاتبه أحمد بنانى سامحه الله. انتهى لفظه من خطه.

ولادته: ولد بمكناسة الزيتون ليلة عيد الأضحى عام تسعة وعشرين ومائتين وألف حسبما أخبر بذلك عن نفسه، ونقله عنه تلميذه أبو العباس بنانى، وإلى ذلك رمز الفقيه الأديب السيد محمد بن أحمد التريكى الآسفى بقوله:

إن قيل ما عام مولد ابن سائحنا ففه بقولك مكناس به ابتهجت

وفاته: توفى برباط الفتح فى الساعة الحادية عشرة من ليلة الأحد التاسع والعشرين من رجب، عام تسعة وثلاثمائة وألف، وكان الذى تولى غسله الفقيه ابن الغازى الكبير، والحاج العربى افقير، وصلى عليه تلميذه العلامة السيد أحمد ابن محمد بنانى المذكور آنفا، وحشره الشريف سيدى محمد الودغيرى فى جماعة من أفاضل الأعيان، ودفن بداره وضريحه مزارة مشهورة مقصودة بالثغر الرباطى، وقد رثاه الأديب الشهير السيد الحاج الطيب عواد السلاوى بقوله:

سكب الدمع على الأرجاء أضناكا أم حر نار الأسى والبين أفناكا
أم أنت صب موله فلست ترى صبرا على من بنور العطف حلاكا
ومن دعاك بسعد الدين مذ زمن وتارة بأمين الدين سماكا
وقال من أول الرعيل أنت فمل لله ميلا فإن الله أعطاكا
أم قد فقدت بروح القدس سارية كانت تهب سحيرة بمغناكا
أم قد فقدت من الأنوار بارقة سارت بحسك للحمى ومعناكا
أم قد فقدت سراج القلب من سطعت أنوار أسراره على محياكا
أم قد فقدت ضياء الدين فانكسفت شمس المعارف فى آفاق مسراكا

ذاك الإمام الذى حاز الكمال ومن   قرت به فى جمال الأنس عيناكا
روح الوجود وسره وطلعته   وقطبه خير من تهوى ويهواكا
حصن الحنيفية السمحاء صارمها   غيث الندى من ببشر الوجه يلقاكا
بحر المعارف والعلم الذى بهرت   أنواره فاقتبس منها لمسعاكا
ما جئت زائره فى كشف نازلة   من قبل تسآله إلا وأفتاكا
ما جئت تشكو له نزول نائبة   إلا وأذهب ما تشكو وسلاكا
فاشهد معاهده تنل معارفه   إن لم يكن ذنب نار الشك أقصاكا
واعرف مفاخره تنل مناقبه   إن لم يكن ران شرك الحب أوداكا
بالله ربك يا سعد الوجود أفق   من سكرة الوجدان الصحو ينهاكا
بكاك قطع أكباد الورى آسفا   والأرض قد أظلمت من فقد مولاكا
ومن يلمك على طول البكاء فلم   يشهد بسرك من تبكى ونجواكا
فاسكب دموعك من دم الفؤاد على   فقد الهمام ولو عدت محياكا
محمد العربى بن السائح العمرى   خليفة الغوث من بالورد أحياكا

إلى أن قال:

يا رب بالذات بالاسم الكريم ومن   ناديت فى المستوى عبدى فلباكا
محمد خير من أدنيته شرفا   لقاب قوسين محبوبا فحياكا
فصل رب وسلم دائما أبدًا   عليه ما حن ذو وجد للقياكا
وآله الغر ما ازدهى الوجود بهم   وفاز عبد أحبهم بمرضاكا
واجعل شفاعته تعم مجلسنا   ومن غدا فى بنى الزهراء يرعاكا

وحط بجاهه ديننا فجاهه فى كل العوالم معقل لنعماكا
وارض عن الختم للأسرار أجمعها كذا خليفته السامى لمرآكا
وعم مشواهما نورا ومرحمة تنهل من مزنها أرياح رحماكا
ما أنشد العبد مبتولا لسيده مذ غاب منظره شوقا لرؤياكا
إن سرت للمنزل الأسنى وكنت به ففى سويداء نور القلب مثواكا

٤٨٨ - العربى بادو ابن الأمين المحتسب الحاج الطاهر.

حاله: فقيه علامة جليل، مشارك دراكة نبيل، لم أقف على تاريخ وفاته ولا على شيء زائد على ما قيدته فى ترجمته، وضريحه بسيدى الدغوغى من جامع الزرقاء، يسار الداخل عليه دربوز خشب.

٤٨٩ - العربى بن على بن فارس الحسنى العلوى.

حاله: نابغة أقرانه وأنجبهم وأذكاهم وأزكارهم وأشجعهم، كان فارسا كرارًا، بطلاً مقداما شعلة ذكاء، ذا ذهن وقاد، وملكة كاملة كل صعب له بها انقاد، درس بالمسجد الأعظم بالحضرة المكناسية فأجاد وأفاد، ثم بارح الديار المكناسية مسقط رأسه بدرعة وذاك آخر العهد به.

مشيخته: أخذ عن مشائخ مكناس السيد فضول بن عزوز، والسيد فضول السوسى، والسيد عبد السلام بن عمرو الصنهاجى، وأبى عبد الله محمد بن الجيلانى السقاط وهو عمدته وعن غيرهم.

٤٩٠ - العربى بن إدريس الشريف العلمى اللحيانى المعروف بالموساوى.

دفين مدشر موساوة، أحد مداشر جبل زرهون.

حاله: أستاذ مقرئ مجود، علامة فاضل، له مشاركة فى فنون شتى، فقيه

---

٤٩٠ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٨/ ٢٨٣٠.

محدث، مفسر أصولى، بيانى منطقى، نحوى، خير دين عابد متبتل ناسك، عارف بربه، دال عليه مرشد إليه، ورع متقشف، معتقد صالح فالح مكاشف، شوهدت منه مكاشفة عجيبة أخبر بها بعض أصدقائه وقد طلب منه بيان حقيقتها على طريق الكشف فأخبره كتابة بخط يده فاطلعت على جوابه وكان فى نفسى شىء منه، ثم كان الأمر وفق ما أخبر، وذلك بعد موت المسئول والسائل، وقد كان السيد العربى بن السائح المترجم آنفًا ينوه بقدره ويثنى عليه ويحض الناس على زيارته والتبرك به، وقد لقيته بداره بمدشر موساوة وزرته والتمست بركته، ودعا لى بخير، ولقننى الورد التيجانى وسائر أذكار الطريق وأسرارها، وأجازنى عامة فى ذلك برد الله ثراه.

مشيخته: أخذ عن الشيخ بدر الدين الحمومى المتوفى ثامن محرم الحرام عام ستة وستين ومائتين وألف، وعلى التسولى المتوفى خامس عشر شوال عام ثمانية وخمسين ومائتين وألف، وعلى المرينى المتوفى فى سابع رجب الفرد عام خمسة وتسعين ومائتين وألف، ومحمد بن عبد الرحمن الحجرتى الفيلالى، والشيخ الطالب بن حمدون بن الحاج، وأبى بكر بن الطيب بن كيران المتوفى رابع عشر جمادى الثانية عام سبعة وستين ومائتين وألف، والشيخ الطالب بن عبد الرحمن والشيخ أحمد بن أحمد بنانى المتوفى يوم الجمعة ثامن جمادى الأولى عام ستة وثلاثمائة وألف، والشريف أبى العلاء إدريس الودغيرى الملقب بالبكرواى المتوفى سادس عشر محرم سنة سبع أو ثمان وخمسين ومائتين وألف، والشيخ محمد بن عبد السلام الشفشاونى العلمى المتوفى سنة إحدى وتسعين بتقديم المثناة فوق على السين ومائتين وألف، وغير هؤلاء ممن يطول بنا تعداده.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو محمد الكامل الأمرانى، ومحمد بن الطاهر الفاسى فى جماعة من الأعلام.

مؤلفاته: منها القول النافع والجواب القامع، فى بيـان مخرج الضاد المعجمة والتاء الفوقية المثناة فى نحو كراسة، وقفت على مبيضته بخط يده، ومنحة الإخوان فى نحو ألف بيت، ضـمنها بعض ما يتعلق بالطريق التـيجانية، ورسـالة الترغيب والترهيب فى الـطريق والتصوف وآداب المريد، ونصـائح سنية سنيـة نافعة وغـير ذلك.

وفاته: توفى عن سن عـالية ليلة السـبت سادس عشر جـمادى الثانيـة عام عشـرين وثلاثمائة وألف، ودفن بمدشر مـوساوة أحد مـداشر جبل زرهون وقـبره مزارة شهيرة رحمه الله.

٤٩١ - العربى بن الأستاذ فضول ابن شَمْسِي.

المكناسى الأصل، والنشأة والدار والإقبار.

حاله: كان شيخ جماعة القراء الأساتذة ببلده مكناسة الزيتون، فقيها أستاذا، مقرئًا متقنا، مجودا فاضلا زكيا، تقيا نقيا، بشوشا هينا لينا، حسن الخط والتلاوة، ذا نوادر ومستظرف أخبار، من أهل الخير والفضل والدين المتين، والمروءة الكاملة، تصـدر للتعليم وإقـراء القراءات السـبع بإتقـان وتحرير، وواظب على ذلك بجـد واجتهـاد مدة تزيد على الخمسين سنة، فنفع الله به، وتـخرج على يديه من حملة القرآن وحفاظ السبع المئـون، حتى كاد أن لا يوجد فى زمنه بمكناس من القراء إلا من أخذ عنه أو عن تلاميذه أو تلامـيذهم، حسبما جاء فى شهادة شـرعية شهدها جمـاعة الأساتذة بها أول هـذه المائة، وثبتت لدى قاضيـها أبى العبـاس ابن سودة ونصها بعد الحمدلة:

«شهوده المجـموعة[1] إثر تاريخه يعرفون الأجل الأرضى، المؤدب الأحظى

٤٩١ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع ٤/ موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٣٦.

(١) فى المطبوع: شهود الموضوعة (كذا)».

الأستاذ المرتضى، السيد العربى بن المنعم الأستاذ البركة السيد الحاج المفضل ابن شمسى معرفة كافية، شرعا عينا واسما ونسبا بها ومعها، يشهدون أنه من أهل الفضل والمروءة والخير والديانة، وأنه شيخ جماعة الأساتيذ وقتئذ بهذه الحضرة المكناسية صانها الله، وأنه المتصدر للتعليم وإقراء القراءات السبع وتحريرها بها، بهذه الحالة عرفوه، وعليها خبروه واختبروه، ولا زال على الحالة المذكورة إلى الآن كل ذلك فى علمهم مستندين على المخالطة والأخذ عنه وبمضمنه قيدت شهادتهم مسئولة منهم لسائلها عن إذن من يجب سدده الله وأرشده بواسطة عونه الحسن، وفى ثانى عشرى ربيع النبوى الأنور عام خمسة وثلاثمائة وألف:

الشريف بن عبد القادر بن مولاى هاشم العلوى الأستاذ، مولاى مشيش ابن مولاى الطاهر الإدريسى الومغارى الأستاذ، الفقيه الأرضى المدرس الأحظى السيد التهامى بن الطالب، الطالب السيد أحمد بن الطيب الفلالى الأستاذ، الطالب الأستاذ العباس بن الطالب سى ج العيسوى السقاط، الأستاذ الناسك الأجل سيدى محمد بن السيد العياشى القبرى، الطالب الأستاذ السيد محمد بن المدنى الأجراوى، الأستاذ الحيى السيد إدريس بن بوعز البخارى، الطالب الأستاذ سى علال بن الطالب السيد أحمد العزوزى، الطالب المؤدب الناسك سى فضول مسامح، أخوه الفقيه الأرضى الأستاذ الأحظى السيد إدريس، الأستاذ الأبر السيد إدريس بن المرحوم بكرم الله السيد ج محمد المزورى».

وبعده بخط القاضى:

«شهدوا لدى من قدم لذلك فثبت»

وبعده: «الحمد لله وحده أشهد الفقيه الأجل، العالم العلامة الأمثل، الدراكة الفهامة الأكمل، قاضى مكناسة ونواحيها وهو (أحمد ابن سودة المرى الله

وليه ومولاه) أعزه الله وحرسها بثبوت ما سطر أعلاه الثبوت التام لصحته عنده بواجبه، وهو أكرمه الله وأرشده بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر، وفى التاريخ أعلاه عبيد ربه سبحانه محمد بن عبد السلام الطاهرى الحسنى لطف الله به وعبد ربه فلان.

الحمد لله بمثل ما شهد به الشهود أعلاه يشهد عبد ربه تعالى، فلان، وعبد ربه سبحانه جل وعلا فلان بشكلهما ودعائهما».

وكان أحب شيء إليه الخلوة والعزلة عن الناس، يظل يومه فى مكتب تعليمه مرتبا أوقات يومه ومقسما لها على إفادة المستفيدين على اختلاف طبقاتهم، يشتغل من الشروق إلى الزوال بتعليم صغار الصبيان، وبعد أداء فريضة الظهر يفد إليه قراء السبع فيشتغل معهم إلى العصر، ثم يقبل على التلاوة مع المتعلمين على اختلاف طبقاتهم إلى الغروب لا شغل له غير ما ذكر، ولا يروق ويحلو له سواه، حتى إنه بقى عازبا مدة تزيد على أربعين سنة بعد أن كان متزوجا وولد له.

مشيخته: أخذ عن والده الحاج فضول، وجده من قبل أمه الأستاذ الحاج محمد السقاط، والأستاذ سيدى اليزيد وهو عمدته وبه كان يلهج، وهو عن سيدى الحاج المختار البقالى.

الآخذون عنه: منهم الأستاذ السيد محمد بن العياشى القبرى، والأستاذ العباس السقاط، والأستاذ العلامة التهامى بن عبد القادر دعى الحداد مار الترجمة، والأستاذ أحمد بن الطيب الفيلالى، والأستاذ محمد بن المدنى الأجراوى، والأستاذ إدريس بن بوعز البخارى، والأستاذ عبد القادر بن المعطى البخارى دعى الصبيع مصغرا، والأستاذ المولى محمد العلوى الإسماعيلى دعى الخبيزى مصغراً، والأستاذ إدريس الأجراوى دعى بابا، والأستاذ قاسم البرنوسى، والأستاذ محمد

ابن البشير الساورى، والوافى بن هاشم العلوى، ومحمد بن أحمد الحميدى حامل راية القراء والموجود من المتقنين فى عصره فى مئين.

وفاته: توفى فى ثانى عشر قعدة الحرام عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح ولى الله تعالى أبى الطيب من الحومة المعروفة بحومة سيدى قدور العلمى.

٤٩٢ - على أبو الحسن عرف بالأعرج.

نجل فخر الملوك وجد سلاطين المغرب أبى النصر إسماعيل قدس سره.

حاله: كان حليما عفوا، بويع له يوم الأحد ثامن وعشرى ربيع الثانى عام سبعة وأربعين ومائة وألف، باتفاق رؤساء عبيد البخارى وأهل فاس الجديد، بعد خلع صنوه الأمير أبى محمد عبد الله، وكان المترجم يومئذ بمحل استقراره سجلماسة، فوجه العبيد إليه، كتيبة من الخيل لإعلامه بما ذكر والإتيان به، ولما اتصل به الخبر خرج مسرعا وصار يطوى المراحل إلى أن بلغ صفرو فاستقبله هنالك أهل فاس علماء وأشراف وأعيان، وقدموا له بيعتهم فسر وقابلهم قبولا حسنا، ثم نهض ووجهته فاس والوفد فى معيته، وسار إلى أن حل العاصمة الفاسية، ثم ولى عمالتها مسعودا الروسى، وأمره أن لا يقبض زائدا على الهدية والزكوات والأعشار، ثم نهض إلى مكناس، ولما حل بها بايعه العبيد والأعيان البيعة، ووفدت عليه الوفود بالبيعات والهدايا ووصل الجيوش بأموال.

ولما نفذ ما بيده ألقى القبض على الحرة المصونة ربة الدار السيدة خناثة بنت بكار أم صنوه السلطان عبد الله، وكذا على حفيدها أبى عبد الله محمد واستصفى أموالها، وبالغ فى التضييق بها، لإخراج ما زعم أنها أخفته من المال، وشدد الوطأة على أهل مكناس، وفوض الأمر فيهم للباشا مساهل والقائد العياشى

وأضرابهما من حملة راية الاستبداد والقساوة، وقد كان زمام السلطة بيد سالم الدكالى.

قال أبو عبد الله الضعيف: ولما ضيق المترجم على ربة الدار خناثة بنت بكار، بعثت للعلماء تطلب منهم الوساطة بينها وبين صاحب الترجمة فى تسريح حفيدها الأمير أبى عبد الله محمد بن عبد الله من السجن، لأنه صبى لم يقترف ذنبا، وإعمال الشرع المطهر معها، لأنها امرأة أبيه، وَهَنَ العظم منها واشتعل الرأس شيبا، فإن أبى فسيحكم الله بينها وبينه، ولما كلم العلماء المترجم سرح حفيدها المذكور ونهض من مكناسة لفاس الجديد، ولما وفد عليه خرج لاستقباله أهل البلدين القديم والجديد، وقدموا إليه الهدايا وذلك عام سبعة وأربعين ومائة وألف.

وفى السنة نفسها ثار بأقصى سوس أبو محمد عبد الله بن محمد الكرسيفى ودخل آكدير بالسيف عنوة وأوقع بأهلها وقعة هائلة، نزل على معاطنهم فى (يونت) تحت سيدى بوقناديل حتى مات الجل منهم عطشا، وكانوا يدفنون النساء والصبيان الذين هلكوا بالعطش بالمساجد والدور، وأمر الثائر بإعلان النداء فى الجبال السوية وقبائلها بالحث على جهاد أهل آكدير ويقول: إن ثلثهم نصارى، وثلثهم عصاة حطب جهنم.

ثم إن أهل سوس الذين وفدوا معه أنصاراً لم يكن أحد منهم رأى البحر قبل، فأخذوا يشربون منه ويلتون السويق بمائه، فمات منهم بسبب ذلك خلق كثير، ثم نهض الثائر المذكور وسار إلى تارودانت، وصمم على الإيقاع بهوارة، فتفطنوا لذلك وأجمعوا أمرهم على الغدر به فشعر بذلك وفر منهم مظهراً أنه يريد زيارة الشيخ عمرو وهارون برأس الوادى، فاقتفت أثره هوارة إلى أن لحقوا به

بزاوية السيد عياد، فلحقوا به وضربوه بالرصاص فأصابته رصاصة من يد ابن همان الهوارى كان فيها حتفه.

واستمرت دولة المترجم على هذا الحال، وكانت أيامه منعمة والأمطار كثيرة، وفى أول دولتـه وصل وسق القمح إلى ثلاثـة وثلاثين مثـقالاً، وفى عـام ثمانيـة وأربعـين وهو العام الثـانى من ولايته رجع الزرع إلى عـشرة مـثاقـيل للوسق هـ ملخصًا مع تقديم وتأخير.

وفى البستـان الظريف أن مسعودا الروسى والى فاس قتل الحـاج أحمد بودا ريس اللمطيين، وأمر بجر جثته لباب الفتوح لسعيه من قبل فى قتل أخيه أبى على الروسى، فـاجتـمع أهل فاس وحـملوا السلاح وتوجـهوا لقـتل مسـعود العـامل المذكور، فنجا بنفـسه، فكسروا السجون وأطلقوا سراح مـن بها، وقتلوا الحرس، ولما اتصل الخبـر بالمترجم أعـرض عنهم ووجه لهم القـائد غانم الحاجى مع أخـيه المهتدى، وقال لهم فيما كـتب لهم به: إنى عزلت عنكم مسعود الروسى، ووليت غانما الحاجى فلم يقبلوه.

ومن الغد رجع من حـيث أتى، ووجهـوا مع المهتدى جـماعة مـن العلماء والأشراف والأعيان بهدية ذات بال، ولما مـثلوا بين يديه عدد عليهم ما ارتكبوه من قبـيح الأفعال، وأوقع القبض عليـهم وأودعهم السجن، ولما بلغ ذلك النبـأ لفاس أغلقوا الأبواب وأعلنوا بالخـلاف، وحكموا السيف فى كل من له عـلاقة واتصال بالروسى المذكور، ووقع قتال مع الودايا.

وفى رمضان العـام قدم القائد عبد الله الحـمرى أحد قواد العبيـد، واجتمع بأهل فاس واعتـذر لهم عما صدر من المتـرجم، وأمرهم بتوجيـه هدية له مع وفد منتظم من العلماء والأشراف، فـقبلوا ما أبداه من الأعذار وامتثلوا أمره فـيما أشار به، وعينوا الوفد وجمعوا الهدية، فكتب الحمرى المذكور للسلطان معتذرا عن أهل

فاس، ولما مثلوا بين يديه أغلظ عليهم في القول، ثم عفا وصفح وسرح مساجينهم، وولى عليهم عبد الله المذكور.

وفي العام نفسه ولى على أهل فاس عبد الله بن الأشقر، واشتغل بتجهيز العساكر لآيت ومالوا، لأخذ ثأر العبيد منهم، وخرج إليهم في محرم عام تسعة وأربعين، فلما أحسوا بمقدمه عليهم أظهر الفرار أمامه، فصار يتتبع آثارهم ويحل منازلهم إلى أن قطعوا وادي أم الربيع وتوغلوا في الجبال، فعند ذلك انقضوا على الجيوش السلطانية من الثنايا والشعاب وأحاطوا بها من كل ناحية، فولت تلك الجيوش الأدبار منهزمة، وتركوا الخيول والأثقال ولم يتعرضوا للمترجم في موكبه وخاصته إلى أن قطع وادي أم الربيع ورجعوا عنه، وسار إلى أن دخل مكناسة فطالبه العبيد بالكسوة والسلاح والمرتب ولم يكن لديه ما يعطيهم هـ.

قال الضعيف: وفي عشري ذي الحجة الحرام منصرم العام خلع العبيد صاحب الترجمة، وتبعهم على ذلك أهل مكناسة وغيرهم، وبايعوا لصنوه أبي محمد عبد الله.

وفي البستان أن المترجم لما سمع بذلك هرب لفاس، وأراد الدخول لفاس الجديد، فمنعه الودايا فنزل بقنطرة سبو، ومن الغد توجه لتازا، ومنها للأحلاف فأكرموه وصاهروه وأقام عندهم بوطنهم عدة أعوام معرضا عن الولاية وأسبابها إلى أن رجع لمكناسة بأمر أخيه السلطان عبد الله فأعطاه مالا ووجهه لمكناسة الزيتون، وأعطاه المكس وأجنة المخزن وأرضه، ثم إن العبيد قبضوا عليه ووجهوه لصنوه السلطان المذكور وقالوا: هذا أفسد علينا بلادنا فسرحه ووجهه لسجلماسة، ولم يزل بها إلى أن لقي ربه.

علائقه السياسية:

وقفت له على كتاب بالمكتبة الوطنية بباريس كان بعثه لسفير فرنسا، هذا نصه بعد البسملة والحوقلة بالله العلى العظيم، ثم الطابع كالبيضة بداخله (أمير المؤمنين أبو الحسن على الشريف ابن أمير المؤمنين إسماعيل الشريف الله وليه ومولاه) وبدائرته (لا إله إلا الله وحده، صدق الله وعده، ونصر عبده، لا إله إلا الله الأمر كله لله):

«إلى الباشدور الفرنسيس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله واهتدى.

أما بعد: فاعلم أن خبرك وصل لمقامنا العالى بالله، وأنك أردت أن تقدم إلى أبوابنا العلية، وتوقفت على إذننا، فمرحبا بك، وأقدم فى الأمان على سبيل الفور، وما نعمل لك إلا ما يسرك ويرضيك، وما ترجع إلا على خاطرك وكما تحب وترضى، وكل ما جئت عليه نقضيه لك إن شاء الله تعالى، والسلام على من اتبع الهدى، وكتب فى الخامس عشر من جمادى الأولى عام ثمانية وأربعين ومائة وألف» صح من أصله مباشرة ولم يسم فيه المكتوب له.

ومن ذلك ما كتب به للملك لويس الرابع عشر ولفظه بعد الحمدلة والحوقلة والطابع كما تقدم:

«إلى الرواى الويس الفرانسيسى.

أما بعد: فاعلم أنا لما جلسنا على سرير ملكنا واستولى سلطاننا وأمرنا على إيالتنا السعيدة الدانية والبعيدة، وأمدنا الله تعالى بالمدد، والعدد والعدد، وجمع المولى سبحانه كلمة جيوش الإسلام، وسائر أقطارنا الخاص منها والعام، وانعقد بذلك الإبرام، ذلك بتقدير العزيز العلام، وردت علينا الوفود، أهل الحواضر والباد على الرسم المألوف المعهود، المؤدى إلى صلاح البلاد والعباد، أقررنا كل حد على

ما أقره عليه والدنا وأخونا أحمد قدس الله أرواحهم، وأبد فى الفردوس نفوسهم الكريمة وأرواحهم، وأجرينا كلا ما كان عليه.

ولما مثل بين أيدينا المباركة النصرانى طوماس وتصفحنا كتاب أخينا المذكور، الذى بيده الجارى على مقتضى شرعنا الكريم المطاع أعزه الله من أن الهدنة والسلم والفداء المأمور بهم معكم، وجهنا لكم مسطورنا هذا المبارك الأسمى، واقتفينا فى ذلك بكتاب أخينا الأعز الأحمى، فوجه لنا باشدورك وكل ما فى خاطرك وأردته لدينا، نقضوه لك بحول الله وقوته، وحتى هؤلاء النصارى الذين هنا بمقامنا العالى بالله أسارى إن أردت فديتهم والكلام معنا فى شأنهم فابعث باشادورك عليهم نبعثهم لك، والسلام على من اتبع الهدى كتب فى رابع شوال»

تحبيساته:

من ذلك ما حبسه على قراء الحزب بالرحبة المرتفعة من باب السادات أحد أبواب المسجد الأعظم بالعاصمة، وذلك جميع الحانوتين المستندتين على فندق الرتيمى، وجميع الكوشة بجناح الأمان، وجميع حانوت. . . . . وحانوتين بالصف المقابل المستندتين على الحمام فوق بابا الفرنان، وجميع الأرحى الفوقية تحت حوش العين الزرقاء المحدثة البناء على أرض الجزاء على صلوقية المضاف الهابط من وجه العروس قبالة سيدى على منصور، على أن يقتطع الناظر ربع الكراء للإصلاح، والثلاثة الأرباع منه لهم ووجه الناظر أبا القاسم المسطاسى لحيازة ما ذكر لمن ذكر على الوجه المذكور فى أوائل قعدة الحرام عام ١١٤٧ حسبما بصحيفة ١٣٦ من الجزء الثانى من الحوالة الحبسية.

ومن ذلك تحبيسه لغابة الزيتون المعروفة إلى اليوم بمولاى على لشراء الحصر للمسجد الأعظم، وما أضيف إليه، وقد أخبرنى من وثقت بخبره من النظار، أن



ظهير السلطان المولى على بن إسماعيل للويس الرابع عشر ملك فرنسا

ثمن غلة ذلك الزيتون لا تتجاوز ثمن ما يحتاج إليه المسجد من الحصر ولا ينقص، وأن ذلك تتبع بالاستقراء عدة أعوام فلم يتخلف.

ووقفت على نصف مصحف كريم من سورة الكهف إلى من الجنة والناس، بخط رائق فائق، على أول ورقة منه تحبيس صاحب الترجمة له على أمه المصونة السيدة عائشة المتوفاة فى سادس جمادى الأولى عام سبعة وعشرين ومائة وألف، حسبما هو منقوش فى رخامة ضريحها الواقع خلف الجدار الشرقى من قبة ضريح أبى زيد عبد الرحمن المجذوب، وتاريخ التحبيس أواسط رمضان العام رحم الله الجميع آمين، وقد تقدم قريبا ذكر ما أنعم به على طبيبه عبد الوهاب أدرّاق فى ترجمته.

٤٩٣- على بن حمود.

المكناسى الأصل الفاسى الولادة والدار المكى الوفاة.

حاله: عالم زاهد، ورع محسن إلى الغرباء، كثير الخشوع، متسع الصدر معرض عن الدنيا، مقبل على الطاعة متواضع، سريع الدمعة، مشفق على عباد الله، رحل إلى الحج عام اثنى عشر وخمسمائة، ولقى جلة الأعلام، ورجع بعد قضاء حجة سنة ثمن عشرة وخمسمائة، فأقام بمدينة فاس مدة، ثم دخل الأندلس بنية الغزو والرباط، وصحب بها جلة علمائها، ثم رجع إلى فاس وبقى بها إلى سنة ستة وعشرين، ثم رحل كرة ثانية ودخل أَلْمَرِيَّة، ورحل منها إلى الإسكندرية، ثم أعاد الرحلة إلى الحج وجاور بمكة، وأمّ بالحرم المكى شرفه الله.

ذكره ابن الأبار فى تكميل الصلة، وابن فرتون فى الذيل، وابن الزبير، وصاحب الجذوة، وصاحب صلة الصلة، قالوا: أصله من مكناسة الزيتون.

مشيخته: روى عن أبى بكر الطرطوشى سنن أبى داود، وصحيح مسلم عن

---

٤٩٣ - من مصادر ترجمته: التكملة لابن الأبار ٣/ ٢٤٤، جذوة الاقتباس - ص ٤٦٧، صلة الصلة ٤/ ١٥٧ .

طرخان، وجامع الترمذى عن ابن المبارك، وعن أبى الحسن سعد الخير الأندلسى جميع صحيح البخارى عن ابن مكتوم، وموطأ القعنبى عن أحمد بن عبد الله وعن غير هؤلاء.

ولادته: ولد بفاس عام ستة وسبعين وأربعمائة.

وفاته: توفى بمكة المشرفة ودفن بالصفا سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة.

٤٩٤- على بن عيسى بن عمران بن دافال المكناسى.

حاله: فقيه علامة، مشارك نحرير، فاضل زكى ألمعى، مهذب، ولى قضاء مدينة فاس.

مشيخته: أخذ عن والده وغيره من محققى الأعلام.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو الربيع بن سالم وغيره.

وفاته: توفى سنة أربع وتسعين وخمسمائة.

٤٩٥- على بن أبى بكر بن سبع بن مزاحم المكناسى.

حاله: أستاذ مقرئ راوية، رحالة محدث ناقد، مطلع خبير، مدرس نفاع، قال المقرى فى النفح: ورد علينا من المشرق فأقام معنا أعوامًا، ثم رحل إلى فاس فتوفى فيها بالوباء العام.

مشيخته: أخذ عن أحمد بن الشحنة الحجار البخارى، وذلك سنة ثلاثين وسبعمائة، وكان الحجار قد سمعه على ابن الزبيدى سنة ثلاثين وستمائة. قال المقرى: وهذا ما لا يعرف له نظير فى الإسلام، وقد قال عبد الغنى الحافظ: لا نعرف فى الإسلام من وازاه إلا عبد الله بن محمد البغوى فى قدم السماع، فإنه توفى سنة سبع عشرة وثلاثمائة، قال ابن خلاد: سمعناه يقول: أخبرنا إسحاق بن

---

٤٩٥ - من مصادر ترجمته: نفح الطيب ٥/٢٣٨.

إسماعيل الطالقاني سنة خمس وعشرين ومائتين، وسمعه ابن الزبيدى، عن أبى الوقت بسنده قال لى ابن مزاحم: هذا طريق كله سماع، وأخذ أيضًا عن بدر الدين ابن جماعة الشاطبيتين قراءة عليه لجميعهما عن أبى الفضل هبة الله بن الأزرق بقراءتهما عليه عن المؤلف كذلك وأخذ عنه تسهيل الفوائد عن مؤلفه ابن مالك وغير ذلك.

الآخذون عنه: أخذ عنه جد أبى العباس المقرى وهو قاضى القضاة بفاس أبو محمد بن محمد بن أحمد القرشى كما قال ذلك هو على نفسه وتبعه حفيده فى النفح، وأخذ عنه غيره، ولم أحفظ وفاته غير أنها كانت بفاس.

٤٩٦- على بن عبد الرحمن بن تميم اليفرنى، شهر بالطنجى المكناسى.

حاله: فقيه حافظ، فرضى حيسوبى، فاضل زكى نبيل، وجيه كامل ألمعى، انتهت إليه رياسة الفرائض فى عصره.

مشيخته: أخذ عن أبى الحسن الزرويلى.

الآخذون عنه: أخذ عنه الحافظ أبو عبد الله محمد بن سليمان السطى وناهيك به، وأبو يعقوب البادسى المغراوى.

مؤلفاته: منها تقييد على المدونة.

وفاته: توفى سنة أربع وثلاثين وسبعمائة.

٤٩٧- على بن موسى بن أبى بكر بن محمد فتحا بن عبد الله الكتانى.

حاله: قال فى النبذة اليسيرة النافعة: كان رحمه الله من أهل الفقه والنباهة، والظهور والوجاهة، علامة باهرًا، مشاركًا ماهرًا، وهو الذى رفع عمود نسبه صاحب عقود اللآلئ المستضيئة.

---

٤٩٦ - من مصادر ترجمته: وفيات الونشريسى فى موسوعة أعلام المغرب ٢/ ٦٢٠.

وفاته: قال فى النبذة أيضا: غـالب الظن أن وفاته كانت أوائل القرن الثامن بمكناسة.

٤٩٨- على أبو الحسن بن الفقيه الأستاذ المدرس محمد بن على، دعى منون الحسنى المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: محدث مفسر، فقيه علامة، أستاذ نبـيل فاضل ماجد، ذكى زكى، فرضى مـوثق مقرئ مجـود، ذو فكاهة ودعابة ولطف، كان ببلده مكناسـة صدرا متصدرا للإقراء والتدريس، وبث العلوم عـلى اختلاف فنونها فى صدور الرجال، وكانت سكناه بحـومة القورجة كـما بزمام تركتـه، وقد تنوسى إطلاق هذا الاسم على هذه الحومة الآن.

مشيخته: أدرك أبا الحسن على بن عمر، وأبا حفص الرجراجى، وأبا مهدى ابن علال، وأبا يعقوب يوسف بن منحوت، وأبا زيد الجادرى، وأبا وكيل ميمون، وأبا عبد الله الفخار السماتى.

الآخذون عنـه: أخذ عنه إمـام مكناسة أبو عـبد الله بن غـازى العثـمانى، وجماعة، قال تلميذه ابن غازى فى فهرسته وغيرها: استفدت منه كثيرا وكانت فيه دعابة، أنشدنى لبعضهم:

يا مـعـشـر الإخـوان أوصـيكم ... وصـــيـــة الـوالد والـوالده
لا تعـــملـوا الإقـــدام إلا لمن ... كـــانت لـكم فى وصلـه فـــائده
إمـــا لعلـم تســـتـفـــيـــدونه ... أو لـكريـم عـنده مـــــائـده

ولادته: ولد سنة تسعين ـ بتقديم المثناة فوق ـ وسبعمائة.

وفاته: توفى بمكناسة الزيتـون فى قعدة الحرام عام أربعة وخمـسين وثمانمائة وضريحه مزارة شهيرة.

٤٩٩ - على بن هارون الشريف الحسنى المكناسى.

حاله: ذو جلالة فى سائر الفنون وإجلال لدى الخواص والعموم مشارك نقاد، محرر محبر ذو ذهن وقاد.

مشيخته: أخذ عن أبى حفص: عمر الرجراجى، وأبى مهدى: موسى بن علال المصمودى، وأبى يعقوب الأغصاوى، وأبى زيد عبد الرحمن(١) الجاديرى، وأبى وكيل: ميمون مولى ابن الفخار وغيرهم.

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون بعد السبعين وثمانمائة.

٥٠٠ - على بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بالمراكشى.

الأقاوى الأصل من بنى صالح بالسوس الأقصى، وسقط من قلم صاحب الدرر المرصعة اسم المترجم على، فسماه محمد بن عبد الرحمن، والصواب على ابن محمد بن عبد الرحمن.

حاله: فقيه بركة جليل، فرضى نحوى ميقاتى، قال فى حقه تلميذه أبو العباس أحزاى - بألف مفتوحة فحاء مضمومة فزاى مفتوحة مشبعة فياء ساكنة - فى قرى العجلان، على إجازة الأحبة والإخوان، ما نصه: آية فى الحفظ، وفهم الفقه واستحضاره، ومشاركة فى غيره من الفنون، وقد تصدر للتدريس والإفتاء بالزاوية البكرية بالجامع الكبير فقها وعربية وحسابا وفرائض وتوقيتا.

وقال فى حقه صاحب الصفوة: الشيخ الفقيه المحصل، كان صلبا فى الحق لا تأخذه فى الله لومة لائم، وقع له مع خليفة السلطان بتادلا وهو أحمد المعروف بالعبد بالبربرية وكان من أعظم الوزراء ووجوه الدولة ما هو - ويعنى بالسلطان

---

٤٩٩ - من مصادر ترجمته: درة الحجال ٣/ ٢٥.

(١) فى المطبوع: «وأبى عبد الرحمن» والمثبت من درة الحجال.

المولى الرشيد العلوى - مبسوط وكانت له فصاحة فى التقرير، وولى القضاء بالقصر مدة، وولاه السلطان مولاى الرشيد قضاء تادلا، فقام به أحسن قيام وحمدت سيرته، انظر الصفوة.

وفى السؤال التاسع من الأسئلة التى سأل عنها أبو العباس أحمد بن عبد القادر التستاوتى علماء وقته ما نصه:

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، سُئِلَ كاتبه عن شخص حبس شيئا على أن يصرف فى سبيل الله وفى أنواع الخير كرفد المحتاج واستضافة غريب، وذى نسبة إلهية، على أن النظر له فيه وعلى يده يكون صرفه فى الوجوه المقصودة به، وبعد موته يستمر على الحالة المقصودة من غير تغيير، ويليه من يخلف مقامه، ويتمم بذلك الأمر اهتمامه. هل الحبس نافذ وماض أو هو لصفة الضد حائز؟ فقلت مجيبا ومن الله أستمد المعونة، وعليه أعتمد فى كفاية المئونة، إن الحبس ليس بجائز ولا نافذ لما اعتراه من الشرط المذكور الذى هو تصرفه وإجالة نظره: قال ابن شاس فى المختصر الكبير: لا يجوز للرجل أن يحبس ويكون هو ولى ذلك. وقال ابن المواز: لو شرط فى حبسه أنه يلى ذلك لم يجزه له ابن القاسم وأشهب، وقد اعتمد ذلك صاحب المختصر مشهراً له قائلاً: وعلى أن النظر له مما يبطل به الحبس، وأيضا فقد قال ابن القاسم وأشهب: إذا شرط المحبس أن يأخذ من الناظر على حبسه مستفاد ويصرفه فى مصارفه بعدم الجواز والبطلان فمن باب أولى وأحرى نازلتنا لانتفاء الناظر فيه وتخريج قول فيها من قول مالك بالجواز فى غاية البعد والله أعلم، وكتب على بن محمد المراكشى لطف الله به.

مشيخته: أخذ عن القاضى أبى العباس: أحمد بن سعيد المجيلدى المعقول،

وحضر مجالس أبى محمد: عبد القادر الفاسى فى التفسير والحديث وغير ذلك، وعن أبى العباس: أحمد العرفاوى القراءات كما أخذ عن أئمة زاوية الدلاء.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو العباس أحزاى المذكور، قال عن نفسه فى قرى العجلان: أخذت عنه العربية والفقه والفرائض والحساب، وخليلا غير ما مرة، والرسالة غير ما مرة، والألفية غير ما مرة، وخدمته بنية صالحة خالصة مدة تزيد على عشر سنين بالزاوية البكرية.

مؤلفاته: له أجوبة حسان فى الفقه، وشرح على منظومة وجيزة للقاضى أبى العباس المجيلدى فى التوقيت، أجاد فيه ما شاء.

وفاته: قال فى النشر: توفى فجأة سقط إثر صلاة الظهر بباب المسجد الأعظم من الحضرة المكناسية عام عشرة وتسعمائة بتقديم الفوقية.

٥٠١ - على بن محمد بن أبى الفضل بن أحمد بن العافية.

حاله: فقيه علامة نحرير، تولى قضاء مكناسة الزيتون فى دولة يعقوب بن عبد الحق المرينى.

قال فى درة الحجال: كان حيا سنة أربع وثمانين وستمائة.

قلت: وقد وقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ سادس عشر صفر عام أربعة عشر وسبعمائة محلى فيه بما لفظه: الفقيه الأجل، قاضى مكناسة، يتضمن ذلك الرسم الشهادة بصحة نسبة الشرفاء الأطهار، الجلة الأخيار، الحسينيين الأبرار، الكانونيين الأخيار، وعليه عدة خطابات من جملتها خطاب المترجم.

٥٠٢ - على بن سعيد بن محمد الصنهاجى المكناسى.

وقفت على الجزء الأول من شرح ابن جابر الغسانى على التلمسانية بخطه، وذكر عن نفسه أنه كتبه وهو بسجن مكناس سنة سبع وعشرين وتسعمائة، نقلا عن

خط المؤلف، ولم أقف على من أجرى له ذكراً، ولا على ولادة، ولا وفاة إلى الآن ولله فى خلقه شئون.

٥٠٣ - على بن يوسف.

يدعى ابن يشو، التلاجدوتى، نسبة لقرية من قرى مكناسة الزيتون.

حاله: أحد قادات مكناسة المقتدى بهم، علامة مشارك، نقاد خبير محنك، مطلع متفنن من فحول عصره المشار لهم بالبنان، المرجوع إليهم فى تحرير العلوم العقلية والنقلية وبالأخص علوم العربية والفرائض والحساب والعروض، وأظنه هو المعروف اليوم بسيدى على والحاج خارج مكناس، لأن محل مدفنه يعرف بتلاجدوت والله أعلم.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو عبد الله القورى، وأبو العباس الحباك، وأبو عبد الله بن جابر الغسانى كما صرح به فى شرحه على التلمسانية، وناهيك بهم علما وجلالة، وقد غاب عنى تاريخ وفاته.

٥٠٤ - على بن محمد الزرهونى المعروف بالدشيش بصيغة التصغير.

حاله: صالح زاهد، ورع تقى نقى فاضل، وصفه سميه العلامة البطوئى بالتصوف والزهد.

مشيخته: أخذ عن سيدى رضوان الجنوى وانتفع به، كما أخذ عن غيره.

الآخذون عنه: أخذ عنه سيدى أحمد بن على بن يوسف الفاسى وغيره، وتوفى بفاس وضريحه بزقاق الرمان شهير، ولم أقف على تاريخ وفاته.

٥٠٥- على بن حبق[1] المكناسى.

---

٥٠٥ - من مصادر ترجمته: الروض الهتون - ص ١١١.

(١) فى المطبوع: «حبى» والمثبت من الروض الذى ينقل عنه المصنف.

حاله: فقيه صالح علامة أديب فاضل، بركة قدوة، قال ابن غازى: قد حدثنى المعمر أبو زيد عبد الرحمن النيار مزوار المؤذنين بجامعها الأعظم، أن ابن حبق هذا رئى فى المنام بعد موته فسئل عما لقى من الحق سبحانه فأنشد:

حسبوا على وقيدوا فعل القبيح مع الحسن

ورأيت أمرا هائلا حتى لعمرى كدت أن

وعفوا وذلك شأنهم لله در أبى الحسن

شعره: من ذلك قوله يعاتب نفسه:

عبد من الحسنات أصبح مفلسا وبضدها ثوب الديانة دنسا

يمسى ويصبح للخطايا كاسبا لم ينهه مر الصباح ولا المسا

ولم أقف على تاريخ وفاته ولا على شىء من ترجمته غير ما فى الروض الهتون.

٥٠٦- على بن عمر.

ذكره ابن غازى فى الروض، ولم أقف له على ترجمة.

٥٠٧- على أبو الحسن قاضيها بن أحمد بن محمد بن حماد زغبوش.

ذكره ابن غازى، ولم أقف له على ترجمة.

٥٠٨- على أبو الحسن.

دفين داره بالمنيا من طالعة فاس، ابن إبراهيم ابن العارف الكبير سيدى عبد الله الخياط الشريف الحسنى، دفين جبل زرهون، المترجم فيما مر.

حاله: فقيه سنى ناسك صالح، خاضع متواضع، دال على الله ذو أحوال ومناقب وفضل ودين متين، انتقل من مسقط رأسه زاوية جده الشهيرة بجبل

زرهون بعد وفاة والده لفاس بقصد الأخذ بها عن جلة أعلامها، ثم إنه غلب عليه الحال، واشتغل بالعبادة وقصد الشيخ أبا الطيب بن يحيى دفين بلاد ميسور بوصية من والده أبى إسحاق إبراهيم له، وذلك أن أبا الطيب المذكور جاء مرة زائراً لزرهون على العادة، فاجتمع معه سيدى إبراهيم، ونادى ولده المترجم، فلما دخل عليهما قال له: يا ولدى ادن من الشيخ أبى الطيب وسلم عليه: يا ولدى هذا شيخك، فلما كبر المترجم ذهب إلى أبى الطيب ولازمه حتى كان منه ما كان، وكان المترجم هو خليفة جده بزاويته بعد وفاة والده، وكان والده قبله هو الخليفة بها بعد وفاة والده سيدى عبد الله الخياط، ثم لازم المترجم داره بالمنية الفوقية من حومة قنطرة أبى الرءوس وأقبل على عبادة ربه حتى أتاه اليقين.

مشيخته: أخذ عن والده بزاوية جده من زرهون، ولازمه إلى أن توفى وذهب لفاس فأخذ عن أبى الطيب ولازمه، وعلى يده فتح له ولم ينتسب إلا إليه، ولم أقف على تاريخ وفاته، بيد أنه من أهل القرن العاشر، إذ شيخه أبو الطيب كانت وفاته فى ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وتسعمائة، وقد أشار إلى المترجم الشيخ المدرع فى منظومته فى صلحاء فاس رضوان الله عنهم بقوله:

والسيد الخياط واسمه على ... ذو الجاه والهمة والقدر العلى

كذاك سيدى مغيث أحيا ... ذكرهما معا دريب المنيا

٥٠٩- على بن قاسم الوقاد المعافرى قاضيها أبو الحسن.

حاله: علامة نقاد وقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ ثالث عشرى جمادى الأولى عام اثنين وعشرين وألف، يتضمن تزوج الشاب الأمجد أبى العباس أحمد بن عبد الله الجنان الأنصارى بالبكر العذراء المصونة فاطمة بنت المرحوم أبى زيد عبد الرحمن حفيد أبى عبد الله محمد بن جابر الغسانى رحم الله الجميع.

٥١٠- على الزرهونى.

حاله: محقق خير دين فاضل بركة قدوة، ناقد بصير، مدرس علامة، مشارك نفاع للطلبة، متضلع فى النحو والتصريف والعروض مع المشاركة فى غيرها من الفنون، دءوب على إقراء الألفية، تخرج به رحمه الله جماعة أعلام.

مشيخته: أخذ عن جماعة من أعلام عصره كأبى الحسن على بن الزبير السجلماسى المتوفى سنة خمس وثلاثين وألف وغيره.

الآخذون عنه: أخذ عنه الإمام أبو محمد عبد القادر الفاسى شيخ الجماعة بفاس وناهيك به وغيره.

وفاته: توفى بشفشاون سنة اثنتين وسبعين وألف، رحمه الله ورضى عنه.

٥١١- على بن أحمد المكناسى.

أورده أبو محمد عبد الله الفاسى فى كتابه الإعلام.

حاله: فقيه علامة له مشاركة فى الحديث والفقه والأصول.

مشيخته: أخذ عن أبى محمد عبد القادر الفاسى، ولازمه فى الحديث والأصول والفروع.

وفاته: توفى ببلده مكناسة سنة أربع وسبعين وألف.

٥١٢- على بن عمر بن عبد السلام بن أحمد بن محمد بن محمد ثانيا بن أحمد بن الحافظ بن أبى بكر بن العربى المعافرى.

دفين خارج فاس.

حاله: ميقاتى متقن قال فيه أبو عبد الله ابن غازى: فاضل دين، لم يل الأذان ببلدتنا مثله هـ.

---

٥١٠ - من مصادر ترجمته: نشر المثانى فى موسوعة أعلام المغرب ٤/ ١٥٠١.

انتـقل من فاس لعـاصمـتنا المكناسـية وأسندت إلـيه رياسـة التوقـيت بمنار مسجدها الكبير حسبما الإشارة لذلك فى السلوة.

٥١٣- على أبو البركـات بن محـمد المدعو حـمدوش بن عمـران الشريف العلمى العروسى.

كذا وقفت على نسـبته هذه فى عقد إراثة لوالد المترجم بتـاريخ حادى عشر صفر عام تسعة عشر ومائة وألف ـ الوالى الشهير دفين جبل زرهون(١).

حـاله: كان فى ابـتداء أمـره بفـاس يجلس ببـاب القرويين المقـابلة لبـاب الشماعـين، دام على ذلك سنين، ثم انتقل لزرهون حيث زاويـته الآن، وكان من أهل الجذب ساقط التكليف، قوى الحال، يحب السماع والأمداح ويرتاح للطرب، ويصبو لسماع آلاته، أظهـر الله على يده كرامات، وخوارق عادات، وأورثت عنه أحوال ومـقامات، وربما ضـرب الناس فى بعض الأحيان بكل مـا يجد من أوانى وعصى وحجر وغير ذلك، حتى لا يقدر أحد على القرب منه وله معتقدون وأتباع كثيرون فى أقطار كثـيرة دانية وشاسعة، تشد الرحال للوفـود لزاويته بقصد الزيارة كل سنة، وقد وقفت فى بعض التقاييـد بخط أحد أعلام مكناس أن للمترجم وردا وهو ثمانية عـشر ألفا من الهيللة، وأن الشيخ بن قدور الزواق كـان يجيز به الناس هـ.

أما هؤلاء الذين يـزعمون له اليـوم الأتباع، ويحـسبون أنهم يسـيرون سـير النتيجة والانتـفاع، فيجلبون على رءوسهم بالمعاول والفئـوس ويحاربونها بالعصى وزبر الحديد ولا كحـرب البسوس، فهم عن عهد الهـدى بمعزل، بل إنهم اتخذوا

---

٥١٣ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص ٣٢٥، نشر المثانى فى الموسوعة ٥/ ١٩٧٩.

(١) فى هامش المطبوع: طرق سمـعى أن بعض العلماء ألف فى مناقبه تأليفـا سماه (الذهب المنقوش فى مناقب ولى الله تعالى سيدى على بن حمدوش).

من مسالك الضلالة والعمى أردى منزل، ولعمر الله إنهم فيما يفعلون لفى قصوى درجة السفه فى الدين، وأقبح ما يأتيه من ينسل منه انسلال الشعرة من الطين، تواطئوا على شدخ الرءوس، والسعى فى هلاك النفوس، ويعدون ذلك كرامة حيث لا يقع لهم هلاك بالشدخ وسيل الدماء، بل يعتقدون أن ما يرتكبون من الخرق المصادم للإنسانية بل والدين الإسلامى يقربهم إلى الله زلفى، ويكسبهم رضا متبوعهم المتبرئ من سوء فعلهم فى الواقع براءة الذئب من دم يوسف، وربما اعتقد فيهم ذلك أيضا همج الرعاع وأخلاط الخلق سفهاء الأحلام وما ذاك إلا من عمى الجهل الطام، وكبير الخذلان العام.

ولا سلف لهم فى ذلك الفعل الشنيع، والعمل البشيع، غير ما يقال من أن بعض أتباعه وهو أحمد الدغوغى أحد اتباع المترجم من العوام الصرف لم يحضر وفاة متبوعه المترجم، فلما آب من سفره وعلم بوفاته صار يضرب رأسه مع الجدارات وبالأحجار أسفا على فقد شيخه، وتحسراً على عدم حضوره لوفاته، واغتنامه صالح دعواته، فاتخذ الأخلاط من أصحابه ذلك عادة ولم يعلموا أن صاحب ذلك الفعل المحرم إجماعًا ليس محلاً للقدوة، سواء قلنا إنه صدر منه ذلك بحال اعتراه لأن صاحب الحال يسلم له حاله ولا يقتدى بفعله لأنه فاقد التكليف، أو قلنا إنه تعمد ذلك الفعل الجاهلى وألقى بنفسه للتهلكة اتباعا لهواه، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، فلا تحل متابعته على هذه السنة السيئة المصادمة لما قضى الله ورسوله، وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم، ومعلوم أن ذلك الفعل ليس من سبيل المؤمنين، ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا، نسأل الله تعالى أن يثبتنا على الكتاب والسنة، وأن يميتنا على العمل بهما آمين.

أما الشيخ المترجم فالمعتقد أنه لا يصح لمميز الاقتداء به بحال، فقد أطبقت

كلمة من نظمه معـه الزمان على أنه كان مجذوبا معلومـا بالغيبة والوله، ومن هذا سبـيله سـقط عنه التكليف، ولا يصح الاقـتداء به فى حـال ولئن فرضنا سلوكـه وقيـامه على الأمـر فهو من الشـريعة تحت حكمـها؛ ومؤاخـذ إن أخل بشىء من نظمها، إذ الشريعة حاكمة على كل واحد وليس لأحد عليها حكم، فالرجوع إليها والوقوف عند حد تعاليـمها واجب، لأن صاحبها مـعصوم من الهوى، ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ... ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧]، ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وقد أتانا بتحـريم الإلقاء بالنفس فى التهلكة ونجاسـة الدم المسفوح والتلطيخ به، وقضى بالاهتداء بهديه والاقتداء بالخلفاء الراشدين من بعده والعض على سنته بالنواجذ، وهؤلاء نبـذوا ذلك وراءهم ظهريا، أضاعـوا الصلاة واتبعوا الشـهوات فسوف يلقون غيا.

فإن قلت: ما يرى عليهم من تعجيل البرء بمجرد انقضاء زمن اجتماعهم فيه أعظم كرامة لهم.

قلنا: الأمر الخارق غير محصور فى الكرامـة، ولا بد من التفصيل فيه، فإما أن يظهر على يد مـبتدع أو على يـد متبع للقـوانين التى أسسهـا الإسلام وأوجب الائتمـار بأوامرها والانتهـاء بنواهيها، فإن ظهـرت على يد متبع وكـان من دعوى النبوة فمعجزة، وبدونها مع الاستقامة فكرامة، إذ كل ما يقع للنبى معجزة جاز أن يكون للولى كـرامة، وإن ظهر عـلى يد مبتـدع فلا يشك عـاقل أنه مكر من الله واستدراج لمن علـم الله شقاوته وضلالته، قـال الله تعالى: ﴿... سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾﴾ [سورة الأعـراف آية: ١٨٢] ولا يغتر عـاقل بذلك ولو رآه يطير فى الهواء، ويمشى على الماء. قال أبو يزيد البسطامى: إذا رأيت من يطير فى

الهواء فلا يغرنك فعله، حتى تراه واقفا عند الأمر والنهى لأن إبليس لعنه الله يطير فى الهواء ويمشى على الماء ويخترق الأرضين إلى الأرض السفلى، وأن السامرى ألقى الحلى فى النار فأخرج له عجلا جسدا له خوار، والنمروذ بن كنعان حين ارتفع إلى الهواء فى تابوت فكان يرمى بالنشاب إلى السماء ليقتل إله إبراهيم بزعمه، وكانت ترجع إليه السهام مخضوبة بالدم فقال: قتلته، وكل ذلك فتنة واستدراج من الله ليزيد فى كفره وطغيانه.

فإذا كانت هذه الخوارق العظيمة يظهر مثلها على يد هؤلاء القوم الظالمين، فكيف يغتر عاقل بما يجرى من الأوهام والحيل على يد أهل البدع والضلال؟ كأهل هذه الطوائف الزائغة الضالة التى أصبحت قذى فى عين شريعة الإسلام، ساعية جهدها وطاقتها فى إفساد سمعتها عند غير أهله، فكل ما يظهر من هذا على يد غير متبع للقوانين الإسلامية فهو فتنة وبلية يضل الله بها من خالف أمره وأمر نبيه عليه السلام واتبع هواه، هذا على تسليم اطراد وقوع البرء ناجزاً، على أننا لا نسلمه، إذ قد مات غير واحد على الفور وربما كان البرء صوريا، وقد تمكن الألم باطنا فرمته الأيام بالحدثان فأقبل على الآخرة مدبراً، وكتاب الله الحكم فقد قال تعالى: ﴿ ... وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ... ﴿١٩٥﴾ ﴾ [سورة البقرة آية: ١٩٥] فمن لم يَنْقَد لأحكام الكتاب والسنة لَفَظَهُ الإيمان، فأصبح مخلدا فى دركات النيران، فقد روينا عن خير من نطق بالضاد: من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد، وقد كان إمامنا مالك رضى الله عنه كثيراً ما ينشد:

وخير أمور الدين ما كان سنة   وشر الأمور المحدثات البدائع

فإن قلت: فعلهم هذا هو من الأمور التى مرت عليها الأجيال، وقد ظهر وانتشر واشتهر فى كثير من العواصم وارتاح إليه، وعضده الجم الغفير من

الدهماء، ولم نر من تصدى لإنكاره ممن يشاهد ذلك من أهل العلم والدين، ومن مكنهم الله فى الأرض وجعل بيدهم الحل والعقد.

قلنا: أما ظهور مثل ذلك وانتشاره فى الحواضر والبوادى فلا مفر عنه، ولا يزيد أهل الرسوخ فى الدين إلا إيمانا وتسليما، لأنه مصداق لما أنبأ به نبينا الصادق المصدوق صلوات الله عليه وسلامه من ظهور البدع وافتراق الأمة فيها على فرق كغيرها من الأمم، وأحاديث ذلك مشهورة فى دواوين الشريعة المطهرة، واللازم حينئذ بعد تحقيق كونها بدعا منابذة للدين الإسلامى، التحذير منها وإنكارها بقدر المستطاع. أخرج الإمام أحمد، وعبد بن حميد، والبزار، والنسائى، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه وابن مردويه كلهم عن عبد الله ابن مسعود قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال: هذا سبيل الله مستقيما، ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال: وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ... ﴿١٥٣﴾﴾ [سورة الأنعام آية: ١٥٣] قال: البدع والشبهات.

وقال الجنيد رضى الله عنه: الطرق كلها مسدودة إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ، وقال: علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يسمع الحديث ويجالس الفقهاء ويأخذ أدبه عن المتأدبين أفسد من يتبعه.

وعن عبد الرحمن بن مهدى قد سئل مالك بن أنس عن السنة قال: هى ما لا اسم له غير السنة وتلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً﴾ قال بكر بن العلاء يريد إن شاء الله حديث ابن مسعود أن النبى ﷺ خط له خطًا وذكر الحديث، قال الشاطبى فى الاعتصام إثره: فهذا التفسير يدل على شمول الآية لجميع طرق البدع لا تختص ببدعة دون أخرى هـ.

وأخرج مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان يقول فى خطبه: أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة. وفى رواية للنسائى: وكل محدثة بدعة وكل بدعة فى النار. وقال عليه الصلاة والسلام: من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدّ.

وقد بين العلماء رضى الله عنهم أن المعنى فى الحديثين المذكورين راجع لتغيير الحكم باعتقاد ما ليس بقربة قربة لا مطلق الإحداث، إذ تتناوله الشريعة بأصولها فيكون راجعًا إليها أو لفروعها، فيكون مقيسا عليها، قالوا: وبحسب هذا فلا تكون البدعة إلا محرمة لاسيما إن كانت فى مقابلة منصوص عن الشارع أو مخالفة لأصل الملة، أو خارجة عن قواعد الأحكام الشرعية.

وأما زعم أن ذلك وأمثاله لم ينكره أهل العلم ولا حذروا منه، فكلا ومعاذ الله أن يرضى بذلك ذو علم حقيقى أو عاقل هذبته الإنسانية فضلا عن أن يقر عليه، بل لم يأل العلماء جهداً فى بيان شرح خصال الإسلام ويبذلون المجهود فى ذلك بأساليب تقرب من الإفهام، ويوضحون فى كل قول وفعل ما يوافق السنة وما يراغمها من البدعة ويتفننون فى ذلك باختلاف الأحوال وما يقتضيه ما أحدث فى كل زمان، وإنما الذى كاد أن يعدم إن لم نقل عدم هو الآذان الواعية، والقلوب المهتدية، وإلا فكم قرع المبتدعة أهل الدين ووبخوا وما قصروا؟ وقد نظموا فى ذلك ونثروا، كما أن أمراء العدل وإن قلوا لم يزالوا يتعاهدون الضرب على أيدى أمثال هؤلاء وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ولكن من يضلل الله فما له من هاد.

قال الحافظ السخاوى فى التبر المسبوك ما نصه: فى يوم الاثنين سابع عشر ذى القعدة عام اثنين وخمسين وثمانمائة أمر السلطان راجح بن الرفاعى وجماعته

بعدم فعل ما لا يجوز كالمزمار والتشبيبة والرقص فى زواياهم، بمقتضى مرسوم سأل فيه أولاد الشيخ عبد القادر الكيلانى بعد أن حكم عليهم قاضى الحنابلة بذلك، ولله در القائل، من السادة الأوائل.

الضرب بالطار والتشبيب بالقصب ... شيئان قد عرفا باللهو والطرب
إنى لأعجب من قوم وطيشهم ... وأن أمرهم من أعجب العجب
ومطرباتين[1] لا تصغى لقولهما ... فالشرع قد حرم الإصغاء للطرب
إن نقروا الطار أمسوا يرقصون له ... شبه القرود ألا سحقا لمرتكب
صوفية أحدثوا فى ديننا لعبا ... وخالفوا الحق دين المصطفى العربى
من اقتدى بهم قد ضل مثلهم ... سحقا لمذهبهم لو كان من ذهب
أهل المراقص لا تأخذ بمذهبهم ... فقد تمادوا على التمويه والكذب
أنكر عليهم إذا ما كنت مقتدرا ... واضرب ظهورهم بالسوط والخشب[2]

وهذا السلطان العادل المولى سليمان قام فى وجوه تلك الطوائف البدعية وسفه أحلامها وقبح أفعالها، وبين ما كان عليه سلفنا الصالح ودونك نص خطابه فى ذلك:

«الحمد لله الذى تعبدنا بالسمع والطاعة، وأمرنا بالمحافظة على السنة والجماعة، وحفظ ملة نبيه الكريم، وصفيه الرءوف الرحيم، من الإضاعة، إلى قيام الساعة، وجعل التأسى به أنفع الوسائل النفاعة، أحمده حمدا ينتج اعتماد العبد على ربه وانقطاعه، وأشكره شكرا يقصر عنه لسان اليراعة، وأستمد معونته بلسان المذلة والضراعة، وأصلى على العموم والإشاعة، والرضا عن آله وصحبه الذين اقتدوا بهديه بحسب الاستطاعة».

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «ومطربانينا» وصوابه لدى السخاوى.

(٢) التبر المسبوك للسخاوى ٢/ ١٠٠ - ١٠١.

أما بعد: أيـها الناس شرح الله لقبـول النصيحة صـدوركم، وأصلح بعنايته أموركم، وأعمل فيمـا يرضيه آمركم ومأموركم، فإن الله قد استـرعانا جماعتكم، وأوجب لنا طاعتكم، وحـذرنا إضاعتكم، يأيهـا الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيـعوا الرسول وأولى الأمر منكم، سيما فيـما أمر الله به ورسوله، أو هو محرم بالكتاب والسنة النبوية وإجماع الأمة المحـمدية، الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكـاة وأمـروا بالمعـروف ونهـوا عن المنكر، ولهـذا نرثى لغـفلتكم وعـدم إحسـاسكم، ونغار من استيـلاء الشيطان على أنواعكم وأجناسكم، فألقـوا لأمره آذانكم، وأيقظوا من نوم الـغفلة أجـفـانكم، وطهروا من دنس الـبدع إيمـانكم، وأخلصوا لله إسراركم وإعلانكم، واعلموا أن الله بمحض فضله أوضح لكم طرق السنة لتسلوكـها، وصرح بذم اللهـو والشهوة لتـتركوها، وكلفكم لـينظر عملكم فاسـمعـوا فى ذلك وأطيعـوه، واعرفوا فـضله عليكم وعوه، واتركـوا عنكم بدع المواسم التى أنتم بها متلبسون، والبدع التى يزينـها أهل الأهواء ويلبسون، وافترقوا أوزاعًا، وانتـزعوا الأديان والأموال انتـزاعا، بما هو حرام كـتابا وسنة وإجمـاعا، وتسـموا فـقرا، وأحدثـوا فى دين الله ما استـوجـبوا به سـقرا، قل هل ننبـئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم فى الحـياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

وكل ذلك بدعة شنيـعة، وفعـلة فظيعة، ووصـمة وضيـعة، وسنة مخـالفة لأحكام الشـريعة، وتلبـيس وضلال، وتدليـس شيطانى وخـبال، وزينة الشـيطان لأوليائه فـوقتوا له أوقـاتًا، وأنفقوا فى سـبيل الطاغـوت فى ذلك دراهم وأقواتا، وتصدى له أهل البـدع من عيساوة وجـيلالة، وغيرهـم من ذوى البـدع والضلالة، والحماقـة والجهالة، وصاروا يرتقـبون للهوهم السـاعات، ويتزاحمون عـلى حبال الشيطان، وعصيهم منهم الجماعات.

وكل ذلك حرام ممنوع، والإنفاق فيه إنفاق غير مشروع، فأنشدكم الله عباد الله هل فعل رسول الله ﷺ لحمزة عمه سيد الشهداء موسما؟ وهل فعل سيد هذه الأمة أبو بكر لسيد الأرسال صلوات الله عليه وعلى جميع الآل والأصحاب موسما؟ وهل فعل عمر لأبى بكر موسما؟ وهل تصدى لذلك أحد من التابعين؟ رضى الله عنهم أجمعين.

ثم أنشدكم الله هل زخرفت على عهد رسول الله ﷺ المساجد؟ أم زوقت أضرحة الصحابة والتابعين الأماجد. وكأنى بكم تقولون فى نحو المواسم وزخرفة أضرحة الصالحين وغير ذلك من أنواع الابتداع، حسبنا الاقتداء والاتباع، إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون، وهذه المقالة قالها الجاحدون هيهات هيهات لما توعدون.

وقد رد الله مقالهم، ووبخهم وما أقالهم، فالعاقل من اقتدى بآبائه المهتدين. وأهل الصلاح والدين. خير القرون قرنى الحديث.

وبالضرورة أنه لم يأت آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها، فقد قبض رسول الله ﷺ وعقد الدين قد سجل، ووعد الله بإكماله قد عجل، اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا.

قال عمر بن الخطاب: أيها الناس قد سنت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتم على الجادة، فلا تميلوا بالناس يمينا وشمالا، فليس فى دين الله ولا فيما شرع نبى الله أن يتقرب إلى الله بغناء ولا شطح، والذكر الذى أمر به وحث عليه ومدح الذاكرين به هو على الوجه الذى كان يفعله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن على طريق الجمع ورفع الأصوات على لسان واحد، فهذه سنة السلف، طريقة صالحى الخلف.

فمن قال بغير طريقهم فلا يستمع، ومن سلك غير سبيلهم فلا يتبع، ومن

يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا، قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين.

فما لكم يا عباد الله ولهذه البدع؟ أأمنا من مكر الله أم تلبيسا على عباد الله أم منابذة لمن النواصى فى يده؟ أم غرور بمن الرجوع بعد إليه؟ فتوبوا واعتبروا، وغيروا المناكر واستغفروا، فقد أخذ الله بذنب المترفين من دونهم، وعاقب الجمهور لما أغضوا عن المنكر عيونهم، وساءت بالغفلة عن الله عقبى الجميع، ما بين العاصى والمداهن المطيع، أفيزلكم الشيطان وكتاب الله بأيديكم؟ أم كيف يضلكم وسنة نبيكم تناديكم؟.

فتوبوا إلى رب الأرباب. وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب، ومن أراد منكم التقرب بصدقة، أو وفق لمعروف إطعام أو نفقة، فعلى من ذكر الله فى كتابه، ووعد فيهم بجزيل ثوابه، كذوى الضرورة الغير الخفية، والمرضى الذين لستم أولى منهم بالعافية، ففى مثل هذا تسد الذرائع، وفيه تمثل أوامر الشرائع، ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠)**﴾ [التوبة: الآية ٦٠].

ولا يتقرب إلى ملك النواصى، بالبدع والمعاصى، بل بما يتقرب به الأولياء والصالحون والأتقياء المفلحون، أكل الحلال، وقيام الليال، ومجاهدة النفس فى حفظ الأحوال، وبالأقوال والأفعال، البطن وما حوى، والرأس وما وعى، وآيات تتلى، وسلوك الطريقة المثلى، وحج وجهاد، ورعاية السنة فى المواسم والأعياد، ونصيحة تهدى، وأمانة تؤدى، وخلق على خلق القرآن يحدى، وصلاة وصيام، واجتناب مواقع الآثام، وبيع النفس والمال عن الله، ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**

أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة: الآية ١١١].

﴿ ... وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ... ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة: الآية ١٧٧]، ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٣] صراط مستقيم كتاب الله وسنة رسول الله.

وليس الصراط كثرة الرايات، والاجتماع للبيات، وحضور النساء والأحداث، والتصفيق والرقص، وغير ذلك من أوصاف الرذائل والنقص، أفمن زُيِّن له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء.

عن المقدام بن معد يكرب سمعت رسول الله ﷺ يقول: يجاء بالرجل يوم القيامة وبيده راية يحملها وأناس يتبعونه فيسأل عنهم ويسألون عنه، إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب.

فيجب على من ولاه الله من أمر المسلمين شيئا من السلطان والخلائف، أن يمنعوا هؤلاء الطوائف، من الحضور فى المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم أو يعينهم على باطلهم، فإياكم ثم إياكم والبدع، فإنها تترك مراسم الدين خاوية، والسكوت عن المناكر يحيل رياض الشرائع ذابلة ذاوية، فمن المنقول عن الملل، والمشهور فى الأواخر والأول، أن البدع والمناكر إذا فشت فى قوم أحاط بهم سوء كسبهم، وأظلم ما بينهم وبين ربهم، وانقطعت عنهم الرحمات، ووقعت فيهم المثلات، وشحت السماء، وسحت النقماء، وغيض الماء واستولت الأعداء، وانتشر الداء وجفت الضروع،

وانقطعت بركة الزروع، لأن سوء الأدب مع الله يفتح أبواب الشدائد، ويسد طريق الفوائد، والأدب مع الله ثلاثة: حفظ الحرمة بالاستسلام والاتباع، ورعاية السنة من غير إخلال ولا ابتداع، ومراعاتها فى الضيق والاتساع، لا ما يفعله اليوم هؤلاء الفقراء، فكل ذلك كذب على الله وافتراء، قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم.

عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فما تعهد إلينا؟ وقال: أوصنا. قال أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة لمن وليكم وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يعش بعدى فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

وها نحن عباد الله أرشدناكم، وحذرناكم وأنذرناكم، فمن ذهب بعد لهذه المواسم أو أحدث بدعة فى شريعة نبيه أبى القاسم، فقد سعى فى هلاك نفسه، وجر الوبال عليه وعلى أبناء جنسه، وتله الشيطان للجبين، وخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» هـ.

قال الزيانى فى رحلته بعد نقلها: فتأملوا ما أملاه أمير المؤمنين فى هذه الخطبة التى لم يسمع مثلها فيما مضى من العصور، ولا ذكرها ملك ولا عالم مشهور، فهى سادسة خطب الخلفاء الأربعة وعمر بن عبد العزيز فمن تأملها علم علم يقين، أنها برزت من قلب خالص عارف بما أعد الله للمتقين هـ.

وقد نص العلماء على أن العاصى أحسن حالا من المبتدع، لأن العاصى

يعلم أنه عاص، ويقول أتوب وأرجع إلى الله، والمبتدع يزعم أنه على الحق حتى يموت على بدعته، ومن مات مبتدعا وجد فى قبره حفرة من حفر النار.

أخرج الطحاوى أن النبى ﷺ قال: ستة ألعنهم لعنهم الله وكل نبى مجاب: الزائد فى دين الله، والمكذب بقدر الله، والمتسلط بالجبروت يذل به من أعزه الله ويعز به من أذله الله، والتارك لسنتى، والمستحل لحرم الله، والمستحل من عترتى ما حرم الله.

وفى رواية أبى بكر بن ثابت الخطيب: ستة لعنهم الله ولعنتهم، وفيه الراغب عن سنتى إلى بدعة هـ. واللعن الإبعاد من رحمه الله تعالى، أى هلاك أعظم من ذلك عياذا بالله.

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى بعض خطبه: أيها الناس قد سنت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتم على الواضحة ألا لا تضلوا بالناس يمينا وشمالا، وصفق بإحدى يديه على الأخرى، ثم قال: إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم، إن يقل قائل لا نجد حدين فى كتاب الله، فقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا، الحديث.

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال: اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، وقال ابن الماجشون: سمعت مالكا رضى الله عنه يقول: من أحدث شيئًا لم يكن عليه سلفنا فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان فى الرسالة، لأن الله تعالى يقول: ﴿ ... **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ... ﴿٣﴾ ﴾ [سورة المائدة آية: ٣] وسئل إمامنا مالك رضى الله عنه عن قوم يأكلون كثيرا ويرقصون كثيرا، فقال على وجه الإنكار لهم: أمجنونون هم أم صبيان؟ وقال: هذا لا يفعله أهل العقل والمروءة.

وقال الإمام الطرطوشى حين وصف له حالهم: فمذهب هؤلاء جهالة وبطالة، وبدعة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام.

وخرج ابن وهب عن سفيان أنه كان يقول لا يستقيم قول إلا بعمل، ولا قول وعمل إلا بنية، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا موافقا للسنة، ولما بايع الناس عمر بن عبد العزيز صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنه ليس بعد نبيكم نبى، ولا بعد كتابكم كتاب، ولا بعد سنتكم سنة، ولا بعد أمتكم أمة ألا وإن الحلال ما أحل الله فى كتابه على لسان نبيه حلال إلى يوم القيامة، ألا وإن الحرام ما حرم الله فى كتابه على لسان نبيه حرام إلى يوم القيامة، ألا وإنى لست بمبتدع، ولكنى متبع، ألا وإنى لست بقاض، ولكنى منفذ، ألا وإنى لست بخازن ولكنى أضع حيث أمرت، ألا وإنى لست بخيركم ولكنى أثقلكم حملا، ألا ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ثم نزل.

فإن قيل: هؤلاء يحبون شيخهم ونبيهم ويصلون عليه ويرجون شفاعته، ولهم نية خالصة فى عبادتهم وأفعالهم فى الله قلنا: كما قال الحسن: لا يغرنك قول من يقول: المرء مع من أحب، فإنك لن تلحق الأبرار إلا بعملهم وسنتهم، فإن اليهود أحبوا موسى وليسوا معه، إذ لم يتبعوه بل كذبوه ولقد أحسن من قال:

ومن يدعى حب النبى ولم يكن ... بسنته مستمسكا فهو كاذب

علامة صدق المرء فى الحب أن يرى ... على منهج كانت عليه الحبائب

والنية لا تنفع إلا مع اتباع السنة فقد كان للكفار نية خالصة فى أصنامهم ولا ينفعهم ذلك، وما ازداد صاحب بدعة اجتهادا إلا ازداد من الله ابتعاداً.

تنبيهان: الأول أسلفنا فيما نقلناه من قضية السلطان رافع التحذير من أفعال من ينتسب إلى الصوفية، وليس القصد الإرسال فى ذلك فيجد من فى قلبه مرض لإيقاد نار الفتنة السبيل إلى الانتقاد على أماثل أهل الدين، الذين بذلوا أرواحهم فى خالص الطاعة كل حين، كالحسن البصرى والشاذلى والجنيد والسرى السقطى وابن أدهم ومن ضاهاهم من سلف الأمة وخلفها المهتدين المتقين، المنوه بهم فى

نص الكتاب، فإن الصوفية الحقيقيّين قوم خلص الله بواطنهم وظواهرهم، ونور بمعرفته سرائرهم، وأقامهم على درجة الاختصاص والقرب، فهم القوم لا يشقى جليسهم، ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة.

قال ابن عبد السلام: والله لقد قعد الصوفية على قواعد الشرع التى لا تتهدم، ومبغضهم فى دركات حرابة الله، ففى الصحيح عنه ﷺ: من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب، فالمعترض لهم بالقول السيئ لا إخاله إلا استبطأ غضب الله ونقمته، ورام أن ينقض من عهد الله حرمته، والله حسيب أقوام نسبوا إليهم ما هم منه أخلياء، ورموا الحط من مقاماتهم وتلطيخهم بما هم منه أبرياء، ولا تزر وازرة وزرة أخرى، وإنما المراد المتصوفة المخلطون المدعون المتهورون.

الثانى: قد عمم صاحب القطعة الشعرية فى تحريم الشبابة وما شاكلها، وليس ذلك على إطلاقه، ومحمل ذلك على من يمزج الذكر بالشطح والرقص وضرب الصدور ونتف الشعور والتشبه بالحيوانات العادية وأكل الميتة والتلطيخ بالدم المسفوح المحرم بنص الكتاب ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ ... ﴿٣﴾﴾ [سورة المائدة: آية: ٣] ﴿... إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ... ﴿١٤٥﴾﴾ [سورة الأنعام آية: ١٤٥] الآيتين، إلى غير هذا من أنواع المجون كالمزمار والطبل والتلحين، إذ ذكر الله ينبغى تعظيمه، وإجلاله وإقبال المتلبس به بسره وعلانيته على الله بخشوع وفراغ القلب من غير المذكور ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون، وتدبر قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ... ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الحج آية: ٣٥] وضرورة أن الوجل مباين لحضور آلة اللهو ويباينها تمام المباينة، ومعلوم أن الموضوع مخصوص فكيف إذا انضم لآلة اللهو ما ذكر والتفصيل فى ذلك قد علم فى مسائل الفقه، وألم به العلماء فى أبواب خصوصا مبحث الولائم فليراجع فى

مظانه، فليس المحل لبيانه، وقد بسطنا القول فيه فى غير هذا التقييد شرح الله صدورنا لمتابعة الكتاب والسنة فى الأقوال والأفعال، وجعلنا بمنه من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه آمين.

ولم يقع ولله الحمد فى عصرنا اليوسفى إهمال وإغضاء عن تلك البدع، بل النهضة اليوسفية ساهرة على اجتثاثها من أصلها تدريجا، وذلك أوقع فى النفوس، فقد دمرت بعض أولئك الطوائف بثغر الدار البيضاء جملة، وأخذ فى تطهير فاس ومراكش من دنسها، ونرجو من الله التوفيق والإعانة لمولانا الأمير وأنصاره، وولاة أمره على حسم مادتها تماما، من سائر إيالته الشريفة بيده سبحانه التوفيق والهداية(١).

مشيخته: أخذ عن السيد محمد المدعو الحفيان، وهو عن والده الشيخ محمد فتحا المدعو أبا عبيد الشرقى، عن والده أبى القاسم الزعرى الجابرى الرتحى، عن التباع، وأخذ أيضا أبو عبيد الشرقى أخذ إرادة وانتساب عن الشيخ عبد الله بن ساسى الغزوانى عن التباع، برد الله ثرى الجميع.

الآخذون عنه: أخذ عنه السيد محمد بن يوسف المدعو الحمدوشى نسبة لشيخه المترجم المتوفى بفاس عام أربعة وخمسين ومائة وألف، وأبو عبد الله

(١) فى هامش المطبوع: أما فى عصر مولانا الإمام، المعتنى بشريعة جده عليه السلام، سيدى محمد أبد الله ملكه، وأجرى بالتوفيق فلكه، فقد أظهر اهتماما عظيما بمنكرات تلك الطوائف وكف أيديهم كما كانوا يفعلون وأصدر أدام الله حفظه أوامره المطاعة بمنع الذين يدعون الانتساب للشيخ ابن عيسى مما كانوا يفعلونه بمقابر مكناسة حسبما سيأتى الكلام على ذلك عند ذكر عوائد مكناس فى المولد النبوى الأنور لا زال مولانا ساهرا على رعاية السنة قامعا للبدعة حتى نرى أوامره الشريفة مطوقة جميع بدع الضلال، وأرباب المنكرات والخبال.

محمـد المدعو الحمدوشى الشريف الكنانـى المتوفى عام أربعة عشـر ومائتين وألف بمحروسة فـاس، وأبو العباس الدغوغي دفين جـبل زرهون، وأبو على الحسن بن مبارك دفين حومـة بوعوادة من الحضرة المكناسية، والسيد قـاسم أوقار ببنى مسارة من الجبل ولا زال أعقابه يفدون لضريح المتـرجم بقصد الزيارة والتبرك كل عام فى جماعة من أهل الخير والصلاح، جلهم مجاذيب أو مشوبون بجذب، ووِرده الذى كان يلقنه لأتباعه ثمـانية عشر ألفا من الهيللة حسـبما وقفت على ذلك فى بعض تقاييد لأبى العبـاس الأغزاوى المعروف بالجبلى المترجم فيمـا سلف. قال: أخبرنى تلميذه ـ يعنى ابن قدور سابق الترجمة ـ صاحبنا النجيب الصالح المهدى الورياجلى أن ابن قدور أجـازه فى ورد ابن حمدوش، وذكر أنه ثمـانية عشر ألفـا من الهيللة هـ.

وفاته: توفى بجـبل زرهون حيث مشهده وزاويتـه الآن سنة خمس وثلاثين ومائة وألف، كذا فى نشر المثـانى والتقاط الدرر، والذى فى سلوك الطريق الوارية أنه توفى سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف.

٥١٤- على بن سعيد العميرى.

حاله: عـلامة مشارك، مـدرس نفاع، محـرر نحرير، متقن، أحـد صدور علماء الدولة الإسماعيلية المتصدرين للإرشاد والإفادة، حلاه عصريه العلامة الأقعد أبو الحسن على بن محـمد بن على العكارى حسبما وقفت عليـه فى بعض تقاييده بخطه بما نصـه: ذو اللسان الفصـيح الفقيـه الأديب، الحاذق اللبـيب، أبو الحسن السيد على أخو السيـد أبى القاسم العميرى، سمعته يقرئ الشـفا للقاضى عياض بعد صلاة المغـرب وبعد الصبح وهو ذو لسان، وذو عـبارة مرونقة بالبيـان، مولعا بالأدب والتاريخ والسير، ذو تثـبت على ما يطالعه فيذكره كمـا قاله قائله، ورأيته يأتى بأبحاث فى مجلسه بلفظ فإن قلت: كذا، قلنا: الجواب كذا، ومن طبعه كما حدثت عنه إباية المناقشة له فى مجلسـه، وقد شهدت له ما يدل على ذلك، قال:

وهو من جملة من لقيت من أعلام مكناسة الزيتون لما قدمت إليها فى أوائل جمادى الثانية عام سبعة وأربعين ومائة وألف.

وهو من أعيان الأعلام الذين شهدوا على جلالة سيدنا الجد الأعظم مولانا إسماعيل المذكور وهو على كرسى مملكته بعاصمته المكناسية فى عقد المؤاخاة بين نجليه الأجلين مولانا أحمد الذهبى وجدنا مولانا زيدان، حسبما سبقت الإشارة إليه فى ترجمة أخى المترجم فى الأحمدين.

وقد كان متوليا له وزارة الأوقاف الحبسية بسائر الإيالة السلطانية يحاسب النظار ويسجل عليه، وقفت على محاسبتين له أصدرهما مع الناظر الفقيه العلامة السيد أبي القاسم بن الفقيه الحاج عبد الواحد المسطاسى، أولاهما بتاريخ أوائل جمادى الأولى عام خمسين ومائة وألف، وثانيتهما بتاريخ أوائل محرم عام واحد وخمسين، محلى فيهما بالفقيه الأجل، العالم العلامة الأفضل، من له النظر والتصرف التام فى سائر أحباس هذه الإيالة الشريفة، وقد كان استوزره المولى المستضىء بن مولانا إسماعيل فى دولته فسار سيرة حسنة، حمده عليها الأصدقاء والأعادى حسبما أومأ إلى ذلك صاحب الدر المنتخب المستحسن.

مشيخته: أخذ عن والده، وأبى على الحسن بن رحال المعدانى وغيرهما.

الآخذون عنه: أخذ عنه السيد محمد بن محمد بن عبد الرحمن بصرى، سابق الترجمة وغيره.

وفاته: قال ابن عاشر الحافى فى كناشتة: توفى صاحبنا الفقيه السيد على ابن سعيد العميرى فى تاسع رمضان عام خمسين ومائة وألف.

٥١٥- على بن عبد الرحمن بن عبود المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: إمام همام، فاضل علامة، نقاد مشارك، مطلع نحرير، متبحر ذو

ذهن وقاد، مدرس نفاع، غزيز الاطلاع، محصل مفصل مديد الباع. قال فى حقه أبو الحسن على العكارى ما نصه: الفقيه الأديب، الخاضع المنيب، أبو الحسن السيد الحاج على بن عبود وهو من أهل الخير والدين، ومن السادات المعتبرين، عليه مخايل الكمال، تميز بها عن هؤلاء الرجال، مجتهد فى الدروس، مورد فى تقريره ما تطيب به النفوس، سمعته يقرئ مختصر خليل بالمسجد الأعظم فى وقتين، وأنصت له فرحت قرير العين، ولما عرفنى وقد كنت كتبت له قبل ملاقاته أدخلنى داره، محبة للعلم لا مداره، وأجلسنى على الفراش، وجاء بما تيسر من المعاش، وكان يومئذ صائما، ولم يزل طبق المحبة قائما، التقى بالوالد واستنجده لعهود، أعظمها أنه أن كان فى الجنة ينادى أين ابن عبود.

ولما صدر منه ما صدر، أخذ عنه الوالد أن يعترف هو أيضا بمثل هذا الخبر، ليصير كلاهما عن الآخر سائلا، فكان كل منهما لذلك قابلا، وحين أراد الانصراف، خاطبنا مخاطبة إسعاف، أنه يأتى لنا كل يوم بما تيسر من الطعام، ليس إلا الحل دون شبهة حرام، من غير مشقة تلزمه فى ذلك، فكان يسلك أحسن المسالك.

ولم يزل يتردد إلينا مدة الإقامة، ولم يتطرق لنا منه ولا له منا سآمة، إلى أن عزمنا على الرحيل، فتوادعنا معه موادعة الخليل. هـ من خطه.

وقد رحل المترجم لأداء فريضة الحج وزيارة النبى المختار، ولقى فحول جلة العلماء الأخيار، وأفاد واستفاد، وازدهت بوجوده البلاد، وكان متصدرا لتحمل الشهادة من أجل عدول مكناسة المبرزين، وأئمتها القادة المعتبرين، دين خير، فاضل زكى، ذكى، نبيل، أريحى لوذعى كامل.

مشيخته: أخذ عن أبى عبد الله محمد بن سالم بن أحمد الحفنى سنن أبى داود وجامع الترمذى وسنن ابن ماجه وسنن النسائى الصغرى ومسند الشافعى

والشفا وتفسير البيضاوى وتفسير الجلالين والمحلى ومؤلفات ابن هشام والقاموس، وعن أبى إسحاق إبراهيم بن عبد الله. . . النوادر، وهو عن الخرشى، عن الأجهورى، وأخذ عن أبى على الحسن بن رحال المعدانى، وسعيد العميرى، وغير هؤلاء من الأعلام.

الآخذون عنه: أخذ عنه العلامة السيد الغازى ابن عبود، والسيد محمد بن سميه بن عبد الرحمن بصرى.

وفاته: توفى يوم الثلاثاء الثانى من ربيع الثانى عام أربعة وسبعين ومائة وألف.

٥١٦- على بن صانبة البخارى المكناسى.

حاله: علامة أديب، أستاذ محقق، فاضل نبيل، جهبذ، نقاد، ألمعى أريب أصله من عبيد البخارى مماليك سيدنا الأعظم مولانا إسماعيل قدس ثراه، وكان من عدول سماط عاصمتنا المكناسية المبرزين المتصدرين للشهادة، وقفت على عقد بشهادته تاريخه خامس رجب عام عشرين ومائتين وألف.

مشيخته: أخذ عن أبى عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسى وغيره.

الآخذون عنه: أخذ عنه السلطان أبو الربيع سليمان كما قال ذلك هو عن نفسه وحلاه فى كتابه عناية أولى المجد: بشيخنا العلامة الأديب الأستاذ المحقق، ولم أقف على تاريخ وفاته.

٥١٧- على جد والدنا دنية ابن محمد بن عبد المالك بن زيدان بن فخر الملوك مولانا إسماعيل.

حاله: فقيه علامة جليل، قدوة ماهر، دراكة نبيل، مبجل وقور هيوب

---

٥١٧ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٥٦٨.

مبرور، ذو جد واجتهاد، وجلالة ومكانة ونزاهة، وجاه ووجاهة، لدى الصغير والكبير فى كل ناد، ورد من الصحراء أواخر دولة أمير المؤمنين سيدى محمد بن عبد الله فقوبل من لدنه بكل حفاوة وإكبار، وإعظام واعتبار، وأدناه وأجله، وعلى منصة التكريم والتبجيل أحله، وقلده خطة نقابة الأشراف، لما علمه وتحققه من كمال فضله ومتانة دينه وتحليه بأشرف الأوصاف، وتخليه عن كل ما يشين وتجنبه أهل الاعتساف، فقام بأعبائها أتم قيام، ولم يأل جهداً فى الدفاع عن حمى النسبة لخير الأنام فى حل وإبرام، وفوق ما منه يرام، إلى أن لبى داعى مولاه، وانتقل لما اختير له رحمه الله، وولاه السلطان المولى سليمان الإمامة بمسجد القصبة السعيدة المولوية.

وقد وقفت على ظهير سليمانى يوجب له إعانة شهرية من الأحباس، نصه بعد الحمدلة والطابع الصغير بداخله (سليمان بن محمد غفر الله له):

«نأمر السيد سعيد بن القاضى ناظر أوقاف مكناسة الزيتون، أن يكون يدفع من الأحباس لمولاى على بن زيدان عشرين أوقية فى كل شهر إعانة على قراءة العلم الشريف والسلام وفى منتصف رمضان المعظم عام ١٢٢٦».

وبعد بخط بعض القضاة:

«رفع على الخاتم الشريف صدر التنفيذ المولوى عدل فقبل».

كما عثرت على ظهير رحمانى بمعناه نصه بعد الحمدلة والطابع الصغير بداخله (عبد الرحمن بن هشام الله وليه):

«نأمر الفقيه الناظر السيد الطاهر بن عثمان أن يرد على الشريف مولاى على ابن زيدان المثقال الذى أسقط له من الثلاثة مثاقيل المنفذة له من الأحباس، بأن يقبض العدة الموصوفة كاملة عند افتتاح كل شهر، ولا ينقص له منها شىء، فإن مثله يزاد ولا ينقص، والسلام فى ٢٨ من شعبان المبارك عام ١٢٤٩».

ولما مات المترجم أستمر التنفيذ جاريا على أولاده من بعده حسبما يدل على ذلك ظهير محمدى شريف، نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله (محمد بن أمير المؤمنين وفقه الله):

«أقررنا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، أولاد ابن عمنا مولاى على ابن زيدان رحمه الله، على قبض الثلاثين أوقية التى كان نفذ والدنا المقدس بالله لوالدهم المذكور من أوقاف مكناسة الزيتون، إعانة على طلب العلم الشريف، مرتبا فى كل شهر، فنأمر الناظر على الأوقاف المذكورة أن يبقى على دفعها لهم فى كل شهر، صدر به أمرنا المعتز بالله فى تاسع عشرى ربيع الأول عام ١٢٧٦».

ولما تولى السلطان المولى الحسن أقرهم على ذلك بظهير نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله (الحسن بن محمد الله وليه ومولاه):

«يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره أننا بعون الله وإفضاله، أقررنا ماسكيه أبناء عمنا مولاى على بن زيدان رحمه الله على الثلاثين أوقية التى أقرهم سيدنا الوالد على قبضها كل شهر من أوقاف لهم على طلب العلم الشريف والسلام فى ٢٦ من جمادى الأولى عام ١٢٩٣».

وفاته: توفى فى ربيع النبوى الأنور عام ستين ومائتين وألف، ودفن بروضة أبى زيد عبد الرحمن المجذوب عند أصل الجدار الشرقى من قبة ضريحه خارج القبة، رحم الله الجميع بمحض الفضل.

ولما مات أنعم السلطان على أولاده بخمسين مثقالا، وقد خلف من الأولاد المولى أحمد، والمولى عبد الرحمن النقيبين من بعده، وتقدمت ترجمة ثانيهما، والمولى عبد السلام صبيا مراهقا، وأربع بنات حسبما بزمام تركته المؤرخ بأواخر ربيع الأول المذكور.

٥١٨- على بن[1] صالح.

حاله: فقيه أستاذ عشرى هين لين، قانت ذاكرا، تال فاضل، كان رحمه الله مقرئا مجودا حسن الصوت حلو التلاوة، بارع الخط، يحفظ السبع والعشرين حفظا[2] متقنا، إذا تلا أبكى وود المستمع عدم سكوته، حسن السمت، نادرة زمانه فى اللطف والظرف والتؤدة ومكارم الأخلاق، آية فى حسن التعليم، يؤدب الصبيان ويقرئ الأساتيذ، نفع الله به أقواماً من حملة القرآن وقراء السبع بالحضرة المكناسية، وكان لا يخرج من داره إلا لمكتب تعليمه، أو لأداء الخمس جماعة بالأعظم، وكان الإمام الراتب بالأعظم فى التراويح التى بعد العشاء، والراتب لأخذ قراء السبع عليه به عين وقتا لإفادتهم يفدون عليه بألواحهم يرمزها ويصحح الرموز منها، ولم يزل دءوبا على ذلك حتى نقله الله إليه، وقد رحل لأداء فريضة الحج وتلاقى بمن أفادهم واستفاد منهم من أهل الحرمين الشريفين وغيرهم.

مشيخته: أخذ عن سيدى محمد بن إدريس البوعنانى، والسيد الصديق الأجراوى المترجم فيما مر، والسيد اليزيد العلمى آتى الترجمة، والسيد صالح بن يوسف أخذ عنه العشرين وتقدمت ترجمته.

الآخذون عنه: أخذ عنه الأستاذ السيد عبد السلام الفشار، والأستاذ عبد القادر المدعو الصبيع، والشريف الفقيه السيد الحسن بن اليزيد العلوى، والأستاذ أحمد المجذوبى، وأبو عبد الله محمد بن سميه ابن عبود فى خلق لا يكاد يعد كثرة من الأساتيذ وحملة القرآن الموجودين.

وفاته: توفى فى رمضان عام أربعة وتسعين ومائتين وألف، ودفن بمسجد سيدى عمرو بوعوادة عن يسار الداخل له بمرجع دفته.

---

٥١٨ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٦٥٧.

(١) فى إتحاف المطالع: «على صالح».

(٢) فى إتحاف المطالع: «حفظ السبع ودفن ببلده».

٥١٩- على بن محمد المسفيوى.

حاله: علامة مفت، ثبت محقق مدقق، شعلة ذكاء ونباهة، سريع الإدراك، جيد الفهم، متوقد القريحة، له المشاركة الكاملة فى فنون العلوم عقليها ونقليها كالمنطق والبيان والمعانى، مع غزارة المادة فى الفروع، والتفوق على معاصريه فى علوم العربية والسير والأخبار ونوادر الزمان، لوذعى أريحى، مهذب حسن الأخلاق جميل المعاشرة، ذو مروءة وفضل ونبل وورع، وطهارة ذيل، وكرم نفس، وصدق لهجة، مقبل على شأنه مهتبل بأمور المنحاشين إليه.

حدثنى من وثقت بحديثه أن الحاج عبد السلام النساخ حدثه وهو ثقة ثبت أنه حج عام ١٢٨٠ فى رفقة جماعة من الأعلام منهم والد المترجم السيد محمد المسفيوى، فكان من قدر الله أن مات الوالد المذكور، ولما حضرته الوفاة أوصى العلامة السيد محمد بن الفضيل المراكشى المتوفى عام ١٣٠٦ بأن يتولى أمر متروكه حتى يسلمه لأهله، فتولاه وفق ما طلبه منه، فاستسلف من برفقتهم ما خلف من المال، ولما رجعوا لمراكش وسلموا المتخلف لصاحب الترجمة ولد الهالك امتنع من قبض ذلك وسامحهم فيه، معتذرا بأن والده كان متوليا خطة القضاء ببلده مسفيوة، فربما تكون به شبهة، كذا أخبرنى الفقيه العلامة الثبت الحاج محمد بن كبور قائلا حدثه بذلك الحاج عبد السلام المذكور رفيقا وهو من جملة من استسلف.

رحل من بلده مراكش فى طلب العلم لفاس عام أربعة وستين ومائتين وألف، ولازم الأخذ عن جهابذة أعلامها بمزيد اعتناء وجد واجتهاد إلى أن برع، ومن قاموس المعارف التيار كرع، ولم يزل فى رقى وإجلال، معمرا أوقاته بما يرضى ذا الجلال.

---

٥١٩ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨١٥.

وانتخبه السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام لإقراء أولاده، ثم اصطفاه السلطان سيدى محمد وزيرا لولده المولى الحسن زمن خلافته، ثم بعد مدة طلبه السلطان سيدى محمد للظعن معه، وجعله بمثابة كاتب مع وزيره الصدر الفقيه أبى عبد الله الصفار، وذلك أن بعض الولاة بمراكش كان فى قلبه عليه مرض ولم يستطع حيلة للتوصل إليه والسعى فى إذايته وتنحيته عن منصبه، حتى ورد السلطان سيدى محمد لمراكش وصار يبحث الولاة وذوى الحيثيات عن سيرة ولده الخليفة عنه ثمة، فأثنوا عليه ثناء عاطراً ووصفوه بأوصاف عالية فى الدهاء والسياسة، والنبل والكياسة، ثم قال شانيه إلا أن عامة الناس تنسب ذلك لوزيره فإن رأى مولانا أن يعمل له وزيراً دون هذا فى العلم والمعرفة والرياسة لتنسب الأعمال لمولانا الخليفة، ويتضح الأمر جليا للعامة والخاصة، فاستحسن السلطان منه ذلك واستصوبه، وبلغ صاحب الدسيسة مبتغاه.

ثم رشح المترجم لعمالة طنجة أياما، ثم أُعفى، واستكتب بالصدارة، ثم بعد جلوس السلطان مولاى الحسن على أريكة الملك قربه واستوزره، فكان فى دولته وزير سماع المظالم وإبلاغها للحضرة الملوكية بعد وفاة الفقيه الصفار الذى كان مكلفا بذلك، فسار فى مأموريته وفق ما منه يطلب، استوطن مكناسة مدة، وكان سكناه بها زمان وزارته بمقربة من جامع النجارين بالدرب المعروف اليوم بدرب الدلائيين بياءين.

مشيخته: أخذ عن العلامة سيدى الوليد العراقى، وعن والده سيدى محمد المدعو حم المتوفى عام ثمانين ومائتين وألف، وعن أبى العباس المرنيسى، وأبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحجرتى الفيلالى وهو عمدته، ولقى الشيخ بدر الدين الحمومى وأجازه عامة كسابقيه وغير هؤلاء ممن هو فى طبقتهم.

الآخذون عنه: أخذ عنه السلطان مولانا الحسن ولازمه زمن خلافته وقبله

ظعنا وإقامة، وعمه مولانا العباس بن عبد الرحمن بن هشام المترجم قبل، وإخوانه المولى بوعزة، والمولى الرشيد، والمولى على، والسيد صالح السرغينى، والسيد الحبيب بن كيران، والسيد محمد بن المعطى السرغينى المراكشى المتوفى ثانى عشر محرم الحرام عام ستة وتسعين ومائتين وألف. قال فى حديقة الأزهار: سمعت منه ألفية جمال الدين ابن مالك مع توضيح الإمام ابن هشام مع مباحثة فى حواشى إرشاد السالك، ومختصر الشيخ خليل إلى البيوع، ولامية الزقاق وبعض تحفة ابن عاصم، وصغرى السنوسى والسلم.

وفاته: توفى ليلة الجمعة عاشر رجب عام ستة عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح المولى أبى إسحاق الذى جدد بناءه فى حياته بمدينة مراكش.

٥٢٠- على بن الشاد بن محمد بن العربى بن الطالب الأمرانى.

حاله: شاب نشأ فى عبادة الله، فقيه صالح فالح، نزيه عدل، رضى نبيه، خير دين، فاضل نبيل، صوام قوام، قنوع عالى الهمة شريف النفس، محافظ على الصلاة فى الجماعة، كثير المطالعة، مشتغل بما يعنيه، تولى خطة العدالة بالحاضرة المكناسية، يحفظ المختصر الخليلى والتحفة وغيرهما من مهمات المتون، نشأ بتافيلالت ثم نقله السلطان المولى الحسن بعد وفاة والده إذ كان ابن عمته، وأنزله مع أصنائه بأعتابه الشريفة، وأُجريت عليه من الجرايات الملوكية ما يجرى لأمثاله، واشتغل بالتعلم مواصلا ليله بنهاره حتى حصل ما قسم له من المعلومات ففاق جل أقرانه.

مشيخته: أخذ عن السيد التهامى بن عبد القادر المدعو الحداد سابق الترجمة وهو عمدته، والسيد المفضل السوسى، والسيد محمد حمود يدعى مريود، والسيد محمد القصرى، والسيد محمد السوسى، والسيد الغالى السنتيسى، وقاضى

٥٢٠ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٨/ ٢٩١٥.

مكناسة السيد محمد بن عبد السلام الطاهرى، والحاج المختار بن عبد الله والسيد المعطى بن عبود، وتراجم جل هؤلاء تقدمت.

وفاته: توفى ليلة الثامن والعشرين من حجة الحرام عام ثمانية وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بصحن الضريح الإسماعيلى برد الله ثراه.

٥٢١ - عمر بن عثمان الونشريسى المكناسى.

حاله: فقيه مدرس مدرك، أستاذ فى العربية، قال ابن الخطيب فى نفاضة الجراب: حضرت مذاكراته فى مسألة أعوزت عليه وطال سؤاله عنها وهى قول الشاعر:

الناس أكيس من أن يمدحوا رجلا ما لم يروا عنده آثار[١] إحسان

وصورة السؤال: كيف يصح وقوع أفعل بين شيئين لا اشتراك بينهما فى الوصف، إذ أوقع الشاعر أكيس بين الناس وبين أن يمدحوا وهو مؤول بالمصدر وهو المدح ولا يوصف بذلك هـ بنقل صاحب الروض.

قال فى نفخ الطيب: عقب نقله لهذا الايراد: قلت الإشكال والجواب عنه بضرب من المجاز ظاهر، وقد أشار إليه أبو حيان فى الارتشاف، وجماعة آخرون فى قول بعض المؤلفين كصاحب التلخيص: (أكثر من تحصى) ولولا السآمة لذكرت ما قيل فى ذلك، وخلاصة ما قالوه أن فى الكلام تقديراً والله أعلم.

وفاته: توفى عام عشرة وثمانمائة، وإلى وفاته رمز صاحب الإعلام بوفيات الأعلام بلفظ قذى من قوله:

والونشريسى نجل عثمان عمر نحوينا عام (قذى) الدمع انهمر

---

٥٢١ -.من مصادر ترجمته: الروض الهتون - ص ١٠٤، نفح الطيب ٣٥١/٥، نيل الابتهاج ٣٣٩/١.

(١) فى الروض الهتون: «إيثار» وفى النفح: «آثار» كما هنا.

٥٢٢- عمر الحراق أبو حفص، وزير الحضرة الإسماعيلية الشريف الحسنى.

حاله: عين أعيان الأعـلام، وواسطة عقد حملة الأقلام، بذلك الأوان، إذا نظم سحر الألبـاب، وإذا نثر أدهش فرسان البلاغة بما أويته مـن حسن الانسجام، وعجـيب الإبداع، نشأ ببلده شفـشاون نشأة حسنة فـى العفاف والصيـانة، وغذى بألبـان المعارف والعـلوم والآدب، إلى أن بلغ الأشد، ونبـع وبرع فى الفنون على اختلاف أنواعها. قال فى حقه معاصره الأديب الماهر المقتدر أبو عبد الله محمد بن الطيب الشـريف العلمى فى أنيســه ما لفظه: قـوى العارضة، لا يطمـح الفتح أن يعارضه، تقلد الوزارة، وشــد بها إزاره، فألقت إليه الرياسـة عصا الطوع، وأمنت بسيوف أقلامه وسهام إصابته من الروع، وجاءها من البيان بكل صنف ومن البديع بكل نوع، من رجل يهاب سطوته الحجاج، ويستفتيه فى العربية الزجاج.

رحل إلى المشرق فحج واعتـمر، وطلع بأدبه على ذلك الأفق طلوع القمر، فاستفاد وأفاد، وخلد هنالك علما تدخره الأبناء للأحفاد، وله ديوان شعر يشهد له بالدراية، وينشر عـلى رأسه فى دولة الإحســان أى راية، ولقد أثبت له ما تبـصره شعرا، وتجـده عند الاختبار سحرا، وعند الاسـتنشاق شحرا، إلى أن قال: لقـيته بداره من محروســة مكناسة فأطرفنى بما شاء من الطرف، وأعـطانى فى أخباره من كل فن طرف، ثم دعا بولد له بـعد ست سنين، فلما حـضر أدى حق الآباء على البنين، ثم قال له: قل يا بنى لا فض الـله فاك، ولا سلم من جفاك، فـأنشد وما وجم، حتى أتى على آخر لاميـة العجم، من غير أن يحدث فى عروضـها كسرا، أو يغفل فى إعرابها ضما ولا كسرا.

ثم أتى من القـصائد ما يتـخذ ذخرا، وانتـقل فى المعانى فكان تمـيميـا مرة وقيسيا أُخرى، فما رأيت والله من يفصح مثل لفظه، ولا من ظفر بمثل حفظه، ثم

قال يا بنى أطرفنا بشىء من الأخبار. مما عقلت من الأحبار. ونبذة من عجائب الأسفار. فحدثنا بقصص رائقة، سلك فيها منهج الإتقان ورائقه.

أخبرنا قال حدث الخالد عن أبى بكر الصنوبرى، قال: كان بالرُّها وراق له سعد، وكان يجلس له أهل الفضل والأدب من أهل عصره وكان حسن الأدب غزير العلم، كثير الفهم، ينظم الأشعار الفائقة الرائقة، وكان جملة من الأدباء لا يفارقون دكانه، منهم أبو بكر المعوج الشامى الشاعر، وأبو بكر الصنوبرى وغيرهم من علماء الشام وديار مصر.

وكان لتاجر نصرانى هنالك ولد اسمه عيسى من أحسن الناس وجها وأعلاهم قدرا، وأظرفهم منطقا، وكان يجلس إلينا ويكتب من أشعارنا وجميعنا يحبه ويميل إليه، وهو حينئذ فى المكتب، فعشقه سعد الوراق عشقا مبرحا، وكان يعمل فيه الأشعار فمن ذلك قوله فيه وقد جلس عنده يكتب شعرا:

اجعل فؤادى دواة والمداد دمى وهاك فاجر عظامى موضع القلم

يرى المنعم لا يدرى بمن كلفى وأنت أشهر فى الصبيان من علم

ثم شاع بعشق الغلام، فلما كبر وبلغ الاحتلام، أحب الرهبانية وخاطب أباه وأمه فى ذلك، وألح عليهما فأجاباه، وخرجا به إلى دير زكرى بنواحى الرقة وهو فى نهاية الحسن، فابتاعا له قلاية فأقاماه فيها، وضاقت الدنيا على سعد الوراق فأغلق دكانه، وهجر إخوانه، ولزم الدير مع الغلام يعمل فيه الأشعار، ويسير خلفه حيث سار.

فأنكرت الرهبان إلمام سعد بعيسى ونهوه عنه وأنكروا عليه، وأغلظوا له فى القول، وأزمعوا على إخراجه إن دخل القلاية على عيسى، فلما رأى سعد امتناعه منه شق ذلك عليه وخضع للرهبان، وتملق لهم فلم يجيبوه، وقالوا: هذا عار علينا وفيه إثم فلا تمكن موافقتنا عليه، مع ما نخشى من السلطان.

فكان إذا وافى الدير أغلقوا الباب فى وجهه، ولم يدعو الغلام يكلمه، فاشتد وجعه وزاد عشقه وكلفه، حتى صار إلى الجنون، فخرق ثيابه وأضرم النار فى جميعها، ولزم صحراء الدير وهو عريان يهيم، ويعمل الأشعار.

قال الصنوبرى: فعبرت يوما أنا والمعوج الشامى من بستان بتنا فيه فرأيناه عريانا جالسا فى ظل الدير، وقد طال شعره وتغيرت خلقته، فسلمنا عليه وعذلناه وعنفناه، فقال: دعانى من هذا الوسواس، أتريا ذلك الطير الذى على هيكل الدير؟ قلنا: نعم، قال: إنى والله أُناشده منذ الغداة أن يسقط فأحمله رسالة إلى عيسى، ثم التفت إلى وقال: يا صنوبرى أمعك ألواحك؟ قلت: نعم، قال اكتب عنى وأنشد:

بدينك يا حمامة دير زكرى ... وبالإنجيل عندك والصليب
قفى وتحملى منى سلاما ... إلى قمر على غصن رطيب
حماه جماعة الرهبان عنى ... فقلبى لا يقر من الوجيب
وقالوا رابنا إلمام سعد ... ولا والله ما أنا بالمريب
وقولى سعدك المسكين يشكو ... لهيب جوى أحر من اللهيب
فصله بنظرة لك من بعيد ... إذا ما كنت تمنع من قريب
وإن أنامت فاكتب حول قبرى ... محب مات من هجر الحبيب
رقيب واحد تنغيص عيش ... فكيف بمن له مائتا رقيب

قال: ثم تركنا وقام إلى باب الدير وهو مغلق دونه، وانصرفنا عنه، وما زال كذلك زمانا حتى وجد فى بعض الأيام ميتا إلى جانب الدير فانتهى خبره إلى أمير البلد ابن كيغلغ، فعزم على ضرب رقبة الغلام وإحراقه بالنار، وضرب جميع الرهبان بالسياط حتى افتدوا منه بمائة ألف، وانتقل عيسى إلى دير سمعان مطرودا.

رجع: ثم أنبأت صاحب الترجمة بعزمى على هذا الكتاب، وطلبت منه أن يعطينى من ديوانه ما أثبت له فى طبقة الكتاب، فماطلنى فى ذلك، وكأنه رأى نفسه ليس أهلا لما هنالك، تواضعا لمولاه، ومن تواضع لله رفعه الله، ثم لما أن عدت فى ذلك إليه، وأجلبت بخيلى ورجلى للتأكد عليه، اعتذر بتراكم الأكدار، ووعدنى بوصول القصائد إلى الدار؛ فودعته مصدقا لوعده، فما رأيت شيئا من بعده، سوى فقده، هـ لفظه.

شعره: من ذلك قوله يتشوق إلى شفشاون بلده ويحن لها حنين الوالد لولده:

شفشاون يا شفاء النفس من نصب ... ومن عنا وشفاء الروح من وصب
حياك من لم يزل حيا وأحيا ربًى ... ربِّيت فيها رهين اللهو والطراب
مسقط رأسى وأنسى مع جهابذة ... أربوا على كل ذى علم وذى أدب
زدت جمالا على حمراء أندلس ... وفقت بيضاء غرب منتهى الأدب
أرض تجمع فيها كل مفترق ... فى غيرها من أراضى العجم والعرب
ماء معين وأشجار منوعة ... تعجز عن وصفها الأقلام فى الكتب
ما شعب بوان ما مرج دمشق وما ... نيل بمصر وما العاصى لدى حلب
فى جنب شفشاون الغراء إن فخرت ... بتينها وبزيتون مع العنب

إلى أن قال:

أنت التى فى سواد القلب مسكنها ... يا بلدة قربها يروى بلا قرب
تسر من جاءها ظمآن فى تعب ... كما تسر عطاش ليلة الغرب
قومك قومى ورهطى لست أنكرهم ... وكيف أنكر أمى أو أعق أبى

ومنها:

وقـد تبـوأها دارا ومـعـتـصـمـا لولا رمـتـه يد الأقـدار بـالنواب

ومنها:

فأعـجب لقلب غريق فى مـحاسنهم وقـد جفـونى فـيـا للناس للعـجب

وقوله مذيلا قول القائل:

وجـربت الأمـور وجـربتـنى كـأنى كنـت فى الأمم الخـوالى

وذلك باقتراح من مـخدومه مولانا الجـد الأكبر السلطان مولانا إسـماعيل، وكان كثيرا ما يتمثل بالبيت المذكور مذيلا:

ومن عـجب تـروم الروم حـربا بسـهل أو حـزون أو جـبـال

وقـد شـهدوا العـرائش يوم جـاءت بهـا الأجناد تزحـف للقـتـال

(وجـربت الأمـور وجـربتـنى كـأنـى كنت فى الأمم الخـوالى)

٥٢٣- عمر الوقاش.

به شهر، ويعرف بلوقَش بفتح القاف، وأصله: لوكس، اسم لعائلة أندلسية من بقية ملوك بنى أُميـة، سموا باسم حصن من حصونهـا، كذا فى عمدة الرواين لأبى العباس أحمد بن محمد الرهونى التطوانى.

حاله: من أهل الرياسة فى العلم والأدب، كاتب بارع، مـتفنن فصيح القلم واللسـان، بديع الإنشاء، له القـدم الراسخ والمشـاركة الزائدة فى المعلومـات، من أشرف بيـوتات تطوان وأهل الوجاهة بها، أصل سلفـه من الأندلس، نزلوا تطوان ونواحيها فى حدود السبعة عشر بعد الألف أيام خروج المهاجرين منِ الأندلس.

والد المترجم أبو محـمد عبد السلام، كان ذاجاه ووجـاهة، وثروة عظيمة،

استنابه سيدنا الجد الأكبر السلطان مولانا إسماعيل عنه مع الدول الأجنبية، وولاه وظائف أخر، ويقال: إنه هو الذى عرف السلطان المذكور بالباشا على بن عبد الله الريفى الحمامى، كذا فى تاريخ تطوان لأبى محمد عبد السلام بن محمد سكيرج.

وقد استكتب المترجم سيدنا الجد المذكور فى ديوانه الملوكى، ونال لديه حظوة ومكانة عالية، وإذْ ذَاك كان مقامه بعاصمة الملك مكناسة، ثم لما كبر سنه وضعف عن الخدمة السلطانية، ولاه على بلده تطوان وأعمالها، وكانت بينه وبين أبى العباس أحمد بن على الريفى زعيم البلاد الهبطية ووجيهها، منافسة ومشاجرة أحدثها المعاصرة والمجاورة، واستبداد كلمة كل وعصبيته ونفوذ كلمته وعزته فى قومه، ولم تزل الضغائن بينهما تزداد كل آونه، والعداوة تشتد إلى أن انتقل مخدومهما السلطان المذكور لسعة رحمة مولاه، وأسند الأمر إلى غير أهله، وعصفت رياح الفتن وضيع الحزم، وانحلت عرى السطوة الملوكية، وانمحت آثار هيبتها من قلوب الرعية، ونامت البزاة وصرخت الدياك، وأهمل أمر الجند.

انتهز إذ ذاك الفرصة أبو العباس المذكور، وكان مصمما على أريكة الملك، إذ قد كان أخبره بعض من ينظر فى الأجفار بأنه سيدخل مدينة فاس بالطبول ويستولى عليها قهرا، فاغتر بذلك، وأخذ فى جمع السلاح والأموال والأبطال وتقوية أصحابه، وبعث للروم على أن يصنعوا له سرير المملكة فصنعوه له ورصعوه وأتقنوا صنعه، وبالغوا فى تنميقه وزخرفته، وأنفقوا عليه فى ذلك أموالا طائلة، وبعثوا له به وفق طلبه لما كان بينه وبينهم من التوادد.

ثم جعل فاتحة أعماله الزحف على تطوان والفتك بأهلها، فزحف إليها فى عرمرم جرار، ودخلها على حين غفلة من أهلها، فبرز إليه المترجم فى أبطال أهلها، وأوقع به أشنع وقعة ورده على عقبه مكسور الراية، وترك أشلاء قومه طعمة للعقبان والذِيَاب.

ولما أتيح للمترجم على عدوه هذا الانتصار الباهر الذى لم يكن له فى حسبان، طاش عقله واستفزه الشيطان، فسولت له نفسه الجلوس على أريكة

الملك، وأنه الأحق والأولى بذلك مع كبر سنه ووهن عظمه واشتعال الرأس منه شيبا، وأعلن عن نفسه بما أفسد ديباجة علمه وأدبه ونباهته، وصيره غرضا للسهام، وقد صرح بأنه ثالث العمرين ونظم فى ذلك ونثر، ثم بعد ذلك نقل إلى تارودانت واستقضى بها، ولم يزل بها إلى أن نقله الله إليه.

شعره: من ذلك قوله ينعى على أهل الريف فعلتهم، وينتقص دولتهم، ويفتخر على أهل فاس فمن دونهم ويخبر عن نفسه بما يئول إليه أمره كما فى الاستقصاء وغيره:

بلغت من العلياء ما كنت أرتجى ... وأيامنا طابت وغنى بها الطير
ونادى البشير مفصحا ومصرحا ... هلم أبا حفص فأنت لها الصدر
نهضت مجيبا للندا راقصا به ... وما راعنى إذ ذاك زيد ولا عمرو
شرعت بحمد الله للملك طالبا ... وقلت وللمولى المحامد والشكر
أنا عمر المعروف إن كنت جاهلى ... فسل تجد التقديم عندى ولا فخر
أنا عمر الموصوف بالباس والندى ... أنا عمر المذكور بى ورد الجفر
ظهرتُ لأُحْيِى الدين بعد اندراسه ... فطوبى لمن أمسى يساق له الأمر
ولم يبق ملك يستتب بغربنا ... فعندى انتهى العلم المبرح والسر
أنا عمر المشهور فى كل غارة ... أنا البطل المقدام والعالم الحبر
ضبطت بلادى وانتدبت لغيرها ... وعما قليل يعظم الجاه والقدر
وجئت بعدل للإمامين تابعا ... أنا الثالث المذكور بعدهما وتر
فمن ذا يضاهينى ومالى وافر ... ومن ذا يعانينى ولى الحكم والأمر

إلى أن قال:

ففرطوط والرحمون والكوط عصبتي وراغون كنزى والصغير به القهر
أولئك أنصارى وأرباب دولتى وأهلى وأنصارى هم الأنجم الزهر

إلى أن قال:

هلالى بدا لما هلالى أجابنى وغيلان إذ لبى به عظم الوفر
ودولة أهل الريف حتما تمزقت فلم يبق بالتحقيق عندى لها جبر
أذقناهم لما أتوا شر بأسنا فآبوا سراعا والصوارم والسمر
تطير الأكف والسواعد منهم هنيئا فحق للأنام بنا البشر
بخفّى حنين آب عنا كبيرهم وما فاته منا نكال ولا خسر
فما ذا يضاهينى ومالى وافر وذكرى مغمور به البر والبحر

وقد أجابه على ما فاه به وسولته له نفسه الفقيه أبو عبد الله محمد بن بجة الريفى العرائشى بقصيدة رد عليه فيها أقبح رد وأفظعه، وإن كانت ليست بشىء بالنظر للصناعة الشعرية ودونك بعض ذلك:

فى صفحة الدهر قد خطت لنا عبر منها ادعاء الحمار أنه بشر
من مر عنه الصبا وما رأى عجبا خبره بعجيب دهره الكبر
لا تطمعنك الدجاجيل ببرقشة ليس الضلال هدى ولا العمى بصر
ولا الثرى كالثريا فى ترقرقها وإن تكن كاسمها ولا الدُّجَى قمر
ولا الذى لم يزل فى الغى منهمكا وإن دعى عمرا فليس ذا عمر
تنضاف للمجد والهزل البشيع به عرف قدرك إذ أودى به البطر
ما وجه كونك مثل العمرين وقد فر الحديث واهل عنك والسور

ليس التشبه بالعمرين قصدك بل تبغى النبوءة لولا الصارم الذكر
ولو تمامى الورى عنك بأن غفلوا لجاءنا بالتنبى فى غد خبر
وكان أولى بأن يدعى مسيلمة أو المسيح الكذوب لو طرا عور
هل أنت إلا كصار حوله ذهب فقلت عن سفه كلاهما حجر
جعلت علمك إذ تهدى به شركا كيما يحصل من مرغوبك الوطر
وكنت تسعى إلى العليا لتدركها ثم انسلخت ككلب حظه القذر
أنى لبلعام أن يرضى ببيعته وبادر اللوم أن يخلوه الكدر
وأى فخر وفضل ثم أى ندى لراح عمر ترى تقبيلها الحمر
أصبحت مثل الحما المسنون بعد هدى من فوق صفوانه أراقها المطر
لا غرو أن كنت فى تطوان ذا أُفق فى معشر همج من جلهم بقر
أراك مثل دخان الجو يرفعه رأى كذوب وفى الأبصار محتقر
أنحست قومك إذ طلعت ذا زحل فأمرهم مذ بزغت بينهم زبر
هلا لهاك عن الغراء أربعة حوت وكزبرة والثوم والخضر
لكنت نزهت فاسا إن تمضمضها بذكرك السوء يا ممقوت يا غدر
من أنت حتى يراك الناس مشورة هل أنت إلا كقدر حوله زمر
أنستشير ونهدى فى مسالكنا بأحير من كضب رشده خطر
تعيب فاسا وما حوته من بطل وفضلها فى الورى ما ليس ينحصر
لم نفتخر أبدا على الورى شمما وقد يحق لنا نعلو ونفتخر
أقر كل هزبر أننا أسد لسنا لغير إله الكون نفتقر

من خاض بحر الوغى منكم وكافحه ... ورد جيشا أتى كالسيل ينهمر
ورد عنكم خزايا كنتم غرضا ... لسهمها لم تزل ولو مضى العمر
وصد بالبيض والسمر على رغم ... عنا جرادا من الأبطال ينتشر
جالدنا عن حضرة حتى غدت حرما ... لكل حر بها ظل ومستتر
لسنا بأنفسنا ولا بأسيفنا ... لكننا ننصر الله فننتصر
والأولياء الذين حولنا مدد ... كنز لدينا من الرحمن مدخر
فإن يمد العدا لنا حبالهم ... لذنا إلى جانب الله فتنبتر
وأنتم تبعدون عنهم جنبا ... لدى انكساركم ما ليس ينجبر
ما أنصف الناس أهل الريف وابن على ... لما عفوا عنكم حلما وقد قدروا
لولا انثنوا عنكم والحام شيمتهم ... لم يبق فى الفحص عنكم منهم ضرر
فررتم حين تبغون وقد علقت ... بكم براثين أسد فى الوغى صبروا
فلا يقيكم ذمام المشركين ولا ... بنيان فى سبته كلا ولا وزر
أخبث بمن يتخذ أهل الصليب له ... دون الهدى أولياء النصر لا انتصروا
يا قاصدا نحو تطوان على مهل ... لا بد يرمى بها أقدامك السفر
بلغ إلى عمر الوقاش دامغة ... أدهى من السم لا تبقى ولا تذر
تلك الصناديد والأفراس داخلها ... لا ما افتريت من البهتان يا غدر
عليك منى سلام صائب أبدا ... ما لألأت فيها من إشراقها زهر

وهى وإن كانت مملوءة هجوا وشتما وتقريعا، فالبادى أظلم والظالم أحق بالحمل عليه.

وفاته: توفى بتارودانت فى حدود ستة وخمسين ومائة وألف، ودفن قبالة باب جامعها، ويعرف هنالك بالفقيه الغربى، قاله صاحبنا مؤرخ تطوان العلامة أبو العباس أحمد بن محمد الرهونى وزير العدلية حينه بتطوان فى تاريخه عمدة الراوين فى تاريخ تطاوين.

٥٢٤- عمر الخطاب نزيل جبل زرهون ودفينه.

حاله: صدر الشيوخ، وقدوة أهل الرسوخ، ذو الكرامات التى لا تعد، والمفاخر التى لا تحد، قال فى الدوحة: كان من الصلحاء الأتقياء، لقى المشايخ وأخذ عنهم، وتواتر عنه كرامات كثيرة، ونية حسنه، ومعتقد صحيح، له الوجاهة عند الأمراء وغيرهم، وأصحابه يحكون عنه الخوارق، إلا أنه لا بضاعة معه من العلم، والله أعلم بحقيقته، على أن أحوال الديانة هى المعتبرة هـ.

وفى ترجمة فلان الفلانى من ممتع الأسماع وكان صاحب الترجمة هو سيدى عبد الله الخياط ابنى خالة، وكانا فى صغرهما يقرآن على مؤدب واحد فى مكتب واحد، فكان بعض أهل البصائر يأتى المكتب فيقول للمعلم: عندك ها هنا قنديلان يضيئان، فكان لا يعرفهما إلى أن كان من أمرهما ما كان، ولما كبرا وصارا وليين بعث مرة صاحب الترجمة إلى سيدى عبد الله الخياط أن اخطب لى فلانه امرأة فى مدشر سيدى عبد الله الخياط، فأرسل إليه أنها ذات زوج قد عقد عليها وهو ينتظر البناء بها، فبعث إليه ثانية وهو يأمره بخطبتها فعجب منه سيدى عبد الله يقول له: إنها ذات زوج ويرسل إليه فى خطبتها، فلما كانت ليلة الزفاف والمرأة قد تزينت وتهيأت، ومن عادتهم أن لا يسموا الصداق والشروط إلا ليلة الزفاف، فذهبوا يشترطون فوقع بين الزوج ووالد الزوجة نزاع واختلاف وعدم توافق، فحلف الولى لا زوجها للزوج وحلف الزوج لا تزوجها، فحملها أبوها من ليلته بتلك الزينة إلى صاحب الترجمة وذكر له كرامات.

مشيختـه: لقى الشيخ الإمام، علم الأعـلام، سيدى مـحمد بن سليـمان الجزولى صاحب كتاب دلائل الخيـرات، وأخذ عنه وانتفع به، وأخذ عن غيره من المشايخ المقتدى بهديهم.

وفـاته: توفى فى العشـرة الخامـسة مـن المائة العاشـرة على الأصح، ودفن بمدشر القلعة من جبل زرهون، وضريحه هناك مشهور يزار.

٥٢٥- عمر بن عبد العزيز بن عمر الخطاب الزرهونى.

حاله ك فقيه شهير البركة، يسـتظهر مختصر خليل، وله مشاركة فى النحو، ترجمه فى درة الحجال ونشر المثانى.

ولادته: ولد سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة.

وفاته: توفى قتيلا آخر قعدة الحرام عام اثنين وألف.

٥٢٦- عمر بن مبارك الحصينى.

نسبة لحـصين - بالتصغـير - فخذ من قـبيلة بنى حسن الشهـيرة من عرب معقل.

حاله: شيخ فقيه زاهد، كـثير التنسك والانقطاع إلى الله تعالى، وكان ورده فى كل ليلة أن يختم القرآن العظيم ما بين العشاءين فى ركعتين، يفتتح القراءة فى أول ركعة بعـد صلاة المغرب، ويختـمها فى الثانية، فـإذا سلم علم الناس بدخول وقت العشاء الأخيرة فيـسمعون أذان المؤذن فى الحين، وكذلك فى كل ليلة لا يزيد ولا ينقص، مع أن أذان بلدهم فى غاية الإتقان من التوقـيت وآلاته، وكان فصيح الصوت يرتل القرآن ترتيلا من غير هدرمـة ولا عجلة، وتلك خصوصية ربانية بلا ريب، والله على كـل شىء قـدير، وربك يخلق مـا يشـاء ويخـتـار، وليس هذا

٥٢٥ - من مصادر ترجمته: درة الحجال ٣/ ٢٠٦.

بمستحيل فى جانب كرامات الأولياء الثابتة بنص الكتاب والسنة والإجماع، ولا ينكرها إلا زنديق مبتدع، وقد ألممنا بأدلة ذلك ونصوصه فى كتابنا إزالة الوهم والشكوك، فلا حاجة بنا لجلبه هنا، ويحكى أن إنسانا كان يبلغه ذلك عن المترجم فيكذب به فجاءه يوما فسأله عن ذلك فقال له: هات أذنك فقرأ له القرآن كله حرفا حرفا فى أذنه فى أقرب زمان.

وكان رحمه الله ورضى عنه يزور الشيخ أبا يعزى فى كل سنة مرة، يمشى إليه حافيا من مكناسة إلى قبره بتاغيا مسيرة يومين للمجد، وكان يقول: من زار هذا الشيخ وسأل الله تعالى عند قبره حاجة واحدة فى كل زورة، فإنها تقضى له على القطع، ويحكى أنه أشار على بعض الطلبة الآخذين عنه بقراءة دعاء ناوله إياه لتجرية الدم، وأكد عليه فى حفظه فقرأة وحفظه، ثم إن المريد امتحن بالأسر عند النصارى فلم يكن سببا لفكاكه وسراحه من ربقة الأسر غيره، عمله لبنت رئيسهم فعالجوها فأعياهم علاجها، ثم إنهم تنبهوا له فسألوه هل يعرف دواء لدائها فقال لهم: نعم، نداويها، واشترط عليهم شروطا من جملتها تسريحه فداواها بشىء أظهره لهم، وترك الدعاء فبرئت وسرح.

مشيخته: أخذ عن الشيخ سيدى محمد بن سليمان الجزولى، وسيدى عبد العزيز التباع، قال فى ممتع الأسماع: ولم أدر لمن ينتسب منهما.

وفاته: توفى بمكناس عام عشرة وتسعمائة، ودفن بروضة رأس التاج والروضة إليه الآن تنسب، وضريحه من أشهر المزارات المتبرك بها بالعاصمة المكناسية.

٥٢٧- عمر الكوش المكناسي.

حاله: فقيه علامة جليل.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو العباس أحمد بـن عبد العزيز الهلالى، وله فيه مرثيـة ميمية كـما وقفت على النص على ذلك بخط بعض الأثبـات من الأعلام، ولم أقف على المرثية ولا على شىء زائد من ترجمة الرجل.

٥٢٨- عمر بن الفقيه المقدس أبى عبد الله محمد بن عوادة العثمانى.

دفين حومة حمام الحرة من الحضرة المكناسية.

حاله: ولى صالح، معتقد فالح، متبرك به.

مشيخته: أخذ عن أبى عثـمان سعيد بن أبى بكر المَشْنَزَائى، عن أبى عثمان سعـيد الداعى، عن الشـيخ عبـد العزيز التـباع، عن السيـد محـمد بن سليـمان الجزولى، عن سيـدى محمد الشـريف أمغار، عن أبى عثمـان الهرتنانى، عن أبى زيد الرجاجى، عن أبى الفتح الهندى، عن عنوس البدوى، عن القرافى، عن أبى عبد الله المـغربى، عن أبى الحسن الشاذلى، عن شـمس الدين، عن زين العابدين القزوينى، عن أبى إسـحاق البصـرى، عن أبى القاسم المروانى، عن سعـيد، عن سعد، عن فتح السعود، عن سعيـد الغزوانى، عن سيدنا جابر، عن سيدنا الحسن بن على، عن رسـول الله ﷺ وشرف وكـرم وعلى آله وصحـبه، مثـل ذلك كذا وجدت هذه السلسلة منقوشة فى لوح خشب ملصق بالجدار بقبة ضريح المترجم.

وفاته: توفى أوائل المائة الحادية عشرة، وقفـت على عقد حبس معقب على ضريحه بتاريخ ستة وألف.

٥٢٩- عمر بن أمير المؤمنين مولانا الحسن.

ابن أميـر المؤمنين سيدى مـحمد بن أميـر المؤمنين مولانا عبـد الرحمن بن السلطان مولانا هشام بن واسطة عـقد الدولة العلوية ومجدد فخـرها أمير المؤمنين سيدى محمد بن السلطان عـبد الله بن السلطان الأعدل الطائر الصيت فى المشارق والمغارب، سيدنا الجد الأكبر الأعظم أمير المؤمنين مولانا إسماعيل بن الشريف.

---

٥٢٩ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٤٥.

حاله: ولد بالمدرسة المولوية، أحد القصور السلطانية بعاصمة مكناس، ونشأ فى حجر الصيانة، وتغذى بلبان الأدب والعفاف، ثم بعد أن شب وقرأ ما شاء الله من القرآن ومبادئ الفنون، وجهه والده السلطان المظفر لثغر تطوان، ورشح لتعليمه المهرة من الأساتيذ والأعلام، فأكب على التعلم بحزم وعزم، ووالده وراءه أذنا وعينا، إلى أن فتحت له النجابة بابها، وأدخلته العناية حجابها، وحصل على ما قسم له مما منه يراد وبرع فى الكتابة والترسيل وصار يتصرف فى فنون الإنشاء، وفق ما منه يشاء، وتعاطى قرض الشعر ومالى إلى الأدب ميلة واحدة فحفظ من الأشعار، ما كان غالى الأسعار، ومن الرسائل، ما أصبح معين البلاغة منها سائل، ما أوجب توقد قريحته، وزاد فى قوة عارضته وتوسيع حافظته، وكان فى التوقع والنقد والذكاء آية، ثم رجع لمسقط رأسه وأقام به برهة من الزمان.

ثم عقد له والده على جيش عرمرم، ووجهه خليفة عنه لقضاء مأمورية بوجدة، وذلك فى ثانى عشرى قعدة الحرام عام ثمانية وثلاثمائة وألف، فسار فيما رشح له أحسن سيرة، إلى أن تم المراد، على وفق ما كان والده أراد، وكان وزيره إذ ذاك العلامة السيد العربى المنيعى، ورئيس مشوره وكبير محلته هو الطالب محمد بن سلم السلاوى البخارى، وكان رجوعه من هذه الوجهة ووصوله لحضرة والده بفاس فى ثانى عشرى شعبان عام تسعة، ثم رشح للخلافة بفاس فى حجة الحرام عام تسعة، وكان وزيره بفاس هو شيخنا العلامة السيد الحاج المختار بن عبد الله، وهذا مثال مما كان يجرى بينه وبين أبيه يومئذ من الرسائل بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله (الحسن بن محمد الله وليه ومولاه):

«ولدنا البار الأرضى، مولاى عمر، أصلحك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك بأنه ورد على أعتابنا الشريفة الرجل المسمى بسليم بن

عبد الـله البغدادى، ذكر أنه كـان على دين اليهودية، وأتى راغبـا فى الدخول فى الإسلام ورافـضا دين الكفـر، فوجـهتـه لنائب القاضى ثمـة وعرض عليـه أركان الإسلام فـقبلها ونطق بـالشهادتين كـما بالموجب الذى وجهت، وأنـك أنزلته عند خليفة الخديم أبا محـمد حتى تؤمر بما يكون عليه العمل وصار بالبـال، فقد كتبنا فى شأنه لوصيفنا الحاج سعيد بن فرجى والسلام فى ٣ ربيع الأول عام ١٣١١».

ولم يزل المترجم فى سـائر أطواره ملزما من والده بملازمة الدروس العلمـية ولكن الصِّبَا جُنون، وقديما قيل:

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أى مفسدة

كيف وقـد انضم لذلك نفوذ الكلمـة، ومقـابلة الأوامر بالسـمع والطاعة، ومجالسـة قرناء السوء، وفقد الزاجر والرادع، ثم لما بـلغ السلطان المولى الحسن ما هو عليه من الانهمـاك فى التصابى من غير احـتشام ولا مبالاة قـام وقعد، وأبرق وأرعد، وكتب له مكتوبا مسهبـا سب فيه وجدع، ووبخ وهدد وقرع، فاتحته: ولد نفسه عمر، السلام على من اتبع الهدى، وخالف الشيطان والهوى، ومن فصوله: أما مرافقتك مولاى على سروالو فلو كنت ذا عقل وفهم لكفاك اشتقاق لقبه واعظا عز غـيره، فلم نسـمع عليه ممدوحـة منذ شب إلى أن شاب، وأمـا ولد الساورى فشهرته تغنى عن وصفه، وأما خروجك كل يوم للمشينة ولأبى الجنود، فإن أخاك مولاى بلغـيث معنا بالمحلة، لم يـر خارج قبـته، مع أن المحلة لا سـور لها، ولم يحضرنى الآن المهم من فصول ذلك الكتاب المدهش تقريعاته وزواجره.

ثم لبى والده السلطان رحمه الله مولاه، واجتـمعت كلمة أهل الحل والعقد على بيعـة ولى عهده من بعده السلطان السـابق مولاى عبد العزيز، ولـما بلغ خبر ذلك لفاس، وضربت الطبـول على أبواب القصور السلطانية، مـزق المترجم طبول الطبـالين، وطردهم وهم بالإيقـاع بهم فارغـا ذلك فى قـالب الأسف على والده

الفقيد، وفى الحقيقة الداعى له لذلك هو ما لحقه من الغيظ والكمد على عدم جلوسه على أريكة الملك، لأنه كان يرى أنه الأولى بها والأحق.

ولما بلغ خبر فعلته الشنيعة لأحمد بن موسى الوزير المترجم سابقا أسرها فى نفسه، وكانت النتيجة عزل المترجم عن وظيف الخلافة وترحيله لمكناس مسقط رأسه، مثقفا لا يخرج من المحل المعد لنزوله من القصور السلطانية حتى لصلاة الجمعة مدة حياة الوزير المذكور.

ثم لما انتقل لما قدمت يداه وتولى الوزارة بعده ابن عمه شيخنا الحاج المختار الذى كان وزيرا للمترجم مدة خلافته، خففت عنه وطأة الوثاق وسوعد على الخروج للاستحمام فقط، تحت مراقبة عامل البلد، ولم يزل الأمر ينحل شيئا فشيئا إلى أن حل ركاب السلطان بالحضرة الفاسية، ولم يأل المترجم جهدا فى اتخاذ الوسائل للتقرب من السلطان والتودد لجنابه، ولو بالوشاية بغيره، وكان يعرف من أين تؤكل الكتف فوجه السلطان عليه لفاس وأنزله بدار من دور أقارب أحمد بن موسى المذكور، ولم يزل يتودد ويتحبب إلى أن وجه لقضاء مأمورية بأحواز مراكش والخليفة إذ ذاك بها هو صنوه السلطان السابق المولى عبد الحفيظ، ثم لما حل بمراكش آواه المذكور وأحسن إليه، والمترجم ينوى له النوايا السيئة ويتمنى كينونته مكانه، فصار يتربص به الدوائر وينصب إليه أشراك الأذى ويبالغ فى الوشاية به، والحال أن للخليفة المذكور بالبساط السلطانى عيونا تطير له الإعلام بكل شاذة وفاذة، حتى إنه ربما وجهوا له مكاتيب المترجم بالوشاية به للسلطان، فلما تيقن ذلك قام على ساق فى التضييق به وسد دونه سائر الأبواب التى يظن وصول النفع منها إليه، حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت وباع جل أمتعته فيما يقتات به، ورجع لفاس صفر الكفين لا يملك درهما ولا دينارا، ولم يزل من ذلك الوقت فى كمد ونكد إلى أن ختمت أنفاسه.

مشيخته: أخذ عن العلامة السيد محمد بن التهامى الوزانى، والفقيه الغمارى، وسيدى جعفر الكتانى، والحاج المختار بن عبد الله والسيد العربى المنيعى، والشريف مولاى أحمد العلمى، والحاج أحمد السلاوى شيخ الجماعة بتطوان، وأبى عبد الله محمد البقالى، وأبى عبد الله محمد النجار، والأستاذ أبى محمد عبد السلام الدهرى وغيرهم.

رسائله: من ذلك ما كتب به لابن عمه المولى إدريس بن عبد السلام الأمرانى ونصه بعد الحمدلة والصلاة.

«حيا الله بأزكى التحيات وأنماها، وأتحف بوافر البركات وأسماها، مقام ابن عمنا، وخلاصة ودنا، الشريف المنيف، الطود العفيف، الأديب الألمعى الأريب اللوذعى، الذى أعتقد أنه بعين القلب يرانى، مولاى إدريس بن عبد السلام الأمرانى، وسلام عليك أتم سلام، بوجود سيدنا ومولانا الإمام، أدام الله عزه للأنام.

وبعد: وصل كتابك الرائق المعنى، المتناسق اللفظ والمبنى، منبئا عن صدق الوداد، المتجدد على طول البعاد؛ هذا ونحن والحمد لله بخير وعلى خير، فى نعم شاملة متوالية وعلى ما تعهد من الود، ومنذ فارقناكم لم نزل سائلين عن أحوالكم، متشوفين لأخباركم، نسأل الله تعالى أن يجمعنا بكم فى ساعة حسنة، وأيام مستحسنة، فى ظل سعادة مولانا المؤيد، أدام الله سعوده تتجدد.

وسلم منا بأتم سلام وأطيبه على عمتنا طالبا لك منها صالح الأدعية، لأنها بظهر الغيب مستجابة مرعية، والله بمنه يبقيكم محفوظين، وبعين العناية ملحوظين، ويسمعنا عنكم ما يسر البال فى الحال والمآل.

والمؤمل من سيادتك أن توجه لنا كتاب التخليص وعلى المحبة والسلام فى ١٧ رجب الفرد الحرام عام ١٣١٠.

عمر بن أمير المؤمنين وفقه الله».

وفاته: توفى بفاس عام أربعة وعشرين وثلاثمائة وألف إثر عملية جراحية باشرها طبيب بريطانى، ولم يتم عمله حتى انفلتت نفسه رحمه الله، ودفن بمقبرة أسلافه بمولاى عبد الله.

٥٣٠- عمران أبو موسى بصرى الولهاصى الولى الشهير.

حاله: إمام كامل، عارف واصل، متبرك به حيا وميتا، هو قعدد البيت البصرى، وفيه يجتمعون.

قال فى منحة الجبار: اعلم أنه مما شاع عند هذا الحى من البصريين وذاع، وملأ الأفواه منهم والأسماع، ولهج به منهم الصغير، تابعًا فى ذلك أخبار الكبير، أن السيد أبا موسى عمران البصرى كان من كبار الأولياء العظام الشان، موثر للخفاء مكتفيا بعلم الملك الديان، نابذ الشهرة خشية الوقوع فى شىء من آفات الزمان، وأنه لما دفن خارج مكناسة برأس التاج بين باب عيسى وباب القورجة خفى قبره، فأخذوا يطلبونه فأخبروا عن الشيخ أن من فحص عن قبره تصيبه عاهة أظنها العمى، ومن المجرب عندهم أن من صعبت عليه حاجة فليأت محل القبر فى يوم الاثنين ويسأل الله حاجته، فإنها تقضى بإذن الله تعالى، يفعل ذلك ثلاث مرات فى كل يوم اثنين مرة انتهى.

فائدة: ولهاصة التى ينسب إليها هذا الفريق بطون شتى منهم بنو الزَّجَّالى(١) بقرطبة من بلاد الأندلس، قاله ابن حزم فى الجمهرة. وذكر فيها أيضا أن بنى الخَلَيع(٢) الذين كانوا بتاكُرُنَّا من الأندلس منهم أيضا، وذكر فيها أيضا أن الإمام

---

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «بنو الرجال» وصوابه لدى ابن حزم الذى ينقل عنه المصنف.

(٢) تحرف فى المطبوع إلى: «بنى الخيع» وصوابه لدى ابن حزم فى الجمهرة - ص٥٠٠.

الأعظم، الطود الشامخ الأفـخم، محيى الدين القاضى مُنْذر بن سـعيد منهم[1]. فلينظر ذلك فيها.

ومن أراد الإطلاع على مناقب هـذا القاضى فليطـالع ترجمـتـه من المراقبـة العليا، فيمن يستحق القضاء والفتيا[2].

٥٣١- عمران بن موسى الجاناتى المكناسى.

حاله: راوية أبى عمران مـوسى العبدوسى، كان رحمة الله فقـيها حافظا، ضابطا متقنا، علامة مجيدا، مدرسا نافعا، صدرا معتمدا.

مشيختـه: أخذ عن أبى عمران موسى بن محمـد بن معطى العبدوسى وهو عمدته ومعتمده فى المدونة.

الآخذون عنه: أخذ عنه الإمام القورى ومن فى طبقته.

مؤلفاتـه: منها تقييـده على المدونة فى عشر مجلدات، قـال صاحب النيل: وقفت على بعضها.

فائدة: الجـاناتى ويقال بالشـين بدل الجيم، نسـبة إلى جانا بـن يحيى والد زناتة، وصيغته هذه هى أصل زناتة عـلى ما صححه ابن خلدون، لأنهم إذا أرادوا الجنس فى التعميم ألحقوا بالاسم المفرد تاء فقالوا جانات، وإذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نونا فصـار نجانات، قال: ونطقهم بهذا الجيم ليس من مـخرج الجيم عند العرب فينطقون بها بين الجيم والشـين، وأميل إلى الشين ويقرع السمع منها بعض الصفير، فأبدلوها زايا محضة لاتصال مخرجهما، فصار زاناه لفظا مفردا دالا على

(١) الجمهرة - ص ٥٠٠.

(٢) المرقبة العليا - ص ٦٦.

٥٣١ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ٢/ ٤٩٨.

الجنس، ثم ألحقوا به هاء النسب، وحذفوا الألف الأولى التى بعد الزاى تخفيفا لكثرة دورانه، وربما تكلف بعضهم فزاد فى النسب ما ليس فيه فقال: زاناجانا، وبعضهم تكلف له غير ذلك مما ليس معروفا للعرب، وقد قدمنا أن الصحيح فى نسب زناتة هو ما درج عليه ابن خلدون، من أنهم ولد حام بن نوح، وكل قيل خالف هذا فهو باطل.

وفاته: توفى سنة ثلاثين وثمانمائة بمكناسة الزيتون، ودفن خارج باب عيسى إذ ذاك، وهو صاحب الضريح المجاور لضريح أبى زيد عبد الرحمن بن عياد المجذوب من الجهة الشرقية، رحم الله الجميع بمنه آمين، وألحقنا بهم مسلمين.

٥٣٢ - عياد السوسى.

دفين سهب الرمان من الحضرة المكناسية، ابن الولى الصالح سيدى عبد الله، المدعو عبد النور، دفين خارج باب الشريعة بفاس.

حاله: ولى صالح، قطب واضح، قدم من تمصت بسوس واشتهرت بركته وأقبلت عليه الوفود حسبما جاء فى شهادة شرعية لبعض أحفاده، وقفت عليها بخطاب قاضى المغرب سنة ١٢١٢، وفيها رفع نسبه إلى سيدنا عمر بن الخطاب ونسختها بعد الحمدلة والصلاة:

«وبعد: فإن شهداء هذا الرسم يعرفون المرابط الخير البركة سيدى أحمد بن يعقوب، وشقيقة المرابط الخير التهامى بن يعقوب، نجلى سيدى عياد السوسى الضعيفى معرفة تامة، كافية شرعا، ويشهدون مع ذلك بأنهم لا زالوا يسمعون سماعا فاشيا مستفيضا من الآباء والأجداد المتواترة على السنة أهل العدل وغيرهم، وأنهما ابنى سيدى يعقوب بن محمد بن سيدى الحسن بن سيدى على بن سيدى محمد بن سيدى الحسن بن سيدى محمد الملقب بمولاى الأخضر بن الولى الصالح، القطب الواضح، سيدى محمد الصغير المدفون بالحريشة بن سيدى أحمد ابن سيدى يعقوب بن الولى الصالح، القطب الواضح، سيدى عياد السوسى المدفون بمكناسة الزيتون القادم من بلاد تمصت بسوس.

واشتهرت بركـته وانتشرت، وأقبلت عليه الوفـود مما أفاض الله عليه، أعاد الله علينا بركته، وهو ابن الولى الصالح سيدى عبد الله المدعو عبد النور، المدفون خارج باب الشريعة بفـاس، وقبره مزارة هناك، ابن سيدى موسى بن سـيدى عبد الرحمن بن محمد فتحا بن خوف الله بن عقبة بن وقدان بن زيد بن عفان بن عبد الله بن سهل بن الوليد بـن جابر بن عدنان بن عبد الرحـمن بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

زوجه السيدة أم كلثوم بنت مـولانا على ومولاتنا فاطمة الزهراء رضوان الله عليهمـا، وأنهما لا زالا فى عين العناية والاحترام، عند الخـاص والعام، المعظمين المبجلين ينتسبـان لهذا النسب الكريم، ويتسمان بوسمه الصـميم، يكتبان ذلك فى عقود أنـكحتهما وبـياعتهمـا، كما يوجد فى ظواهـرهم الكائنة بأيديهم للأسلاف الكرام، وفى عقود من قـبلهما من أسلافهـما رضوان الله على جميعـهم من غير منازع لهما فـيه ولا مدافع، بل لا زالا على عهد أسـلافهما فى التعظيم والتـوقير والاحترام عند الصادر والوارد أهل قبيلتهم وغيـرهم، وأنهما يتصرفان فيما تأتى به الوفود لجدهما سيدى عيـاد المذكور أدركنا الله رضاه يحققون ذلك ولا يشكون فيه، كل ذلك علموه بالمخالطة والمجاورة وشـدة الاطلاع على الأحوال، وبمضمنه قيدت شهادتهم مسـئولة منهم فى ثالث عشر رجب الفرد عام اثنى عـشر ومائتين وألف» بلفظه وعليـه إشكال ثلاثة عـشر عـدلا، وخطاب القـاضى الحاج أبو سلهـام بن التهامى الزيزونى المالكى بقبيلته من الغـرب، والتعرف به بعده مؤدى لدى القاضى سيدى محمد بن أحمد القرشى الحسنى بالغرب.

وقد ذكره الوزير ابن ادريس فى أرجوزته الآتية أواخر الكتاب بقوله:

وسيدى عياد السوسى الرضا　　　وأحمد المليانى سـيف منتضى

وضريحه بسـهب الرمان قرب جامع الأزهر المعـروف بجامع الأروى، عليه قبة، ولا أعلم له ترجمة سوى ما ذكرناه أخذا مما أوردناه.

٥٣٣- عائشة العَدَوِيَّة دفينة مكناسة الزيتون.

حالهـا: صالحة بهلولة ملاميتيـة، ذات أحوال ومكاشفات وَوَلَه، وهيـمان واستـغراق فى ذات الله، وانهـماك وغيـبة فى محـبة رسول اللـه، شاعت بذلك أخبـارها فى الحواضر والبوادى، وأوثرت عنـها رضى الله عنها كرامـات وخوارق عادت ونفع الله بها أقواما.

مشيختها: أخذت عن أبى العباس أحمد بن خضراء.

وفاتها: توفيت ليلة الجمعة تاسع ربيع الثانى على ما فى الصفوة، والذى فى النشر أنها توفيت فى شهر ربيع الأول عام ثمانين وألف، وقبرها من أشهر المزارات المقصودة للتبرك بها بالعاصمة المكناسية.

٥٣٤- عيسى بن دافال أبو موسى المكناسى.

حاله: راسخ القدم فى العلوم، قائم على الأصـول والفروع، أديب شاعر، خطيب مفوه، من رجـال الكمال، ولى قضاء مراكش فحمـد، صحب أبا القاسم ابن ورد، واختـص به، وكـان يقـول: لم يكن بالأندلس مـثل أبى القـاسم، ولا أخشى من القوم من أحد.

مـشيـختـه: أخـذ عن أبى القـاسم ابن ورد، ولقى بأغـمـات سنة ثلاثين وخمسمائة أبا محمد اللخمى، فسمع منه وأخذ عن غيرهما.

ولادته: ولد سنة اثنتى عشرة وخمسمائة.

وفاته: توفى فى شعبان سنة ثمان وتسعين بتقديم المثناة وخمسمائة.

---

٥٣٣ - من مصادر ترجمتها: نشر المثانى فى موسوعة أعلام المغرب ٤/ ١٥٦٠.

حرف الغين المعجمة

* * *

٥٣٥- غازى بن الإمام شيخ الجماعة بمكناس وفاس محمد بن أحمد ابن غازى المكناسى الأصل الفاسى الإقبار.

حاله: شيخ فقيه، علامة مشارك مشاور، نقاد بارع، نحوى أستاذ ضابط متقن، فاضل دين ماجد، ولى إمامة القرويين أزيد من عشرين سنة ولم يحصل له فيها سهو قط.

مشيخته: أخذ عن والده وغيره من شيوخ عصره.

الآخذون عنه: منهم أبو عبد الله الدقون.

وفاته: توفى سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة.

٥٣٦- الغازى بن العربى بن عبود المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: علامة نظار، مرجوع إليه فى الأصول والفروع، تصدر للتدريس ببلده، ونفع الله به خلقا كثيرا، وله رواية واسعة واضطلاع كبير مشهور بالخير والصلاح، محبوب عند الخاصة والعامة.

مشيخته: منهم بلديه أبو الحسن على بن عبد الرحمن بن عبود المتوفى يوم الثلاثاء ثانى ربيع الثانى عام أربعة وسبعين ومائة وألف ببلده مكناسة المتقدم الترجمة، وهو يروى عن أبى عبد الله محمد بن سالم بن أحمد الحفنى، عن الملا إبراهيم.

---

٥٣٥ - من مصادر ترجمته: لقط الفرائد فى الموسوعة ٢/ ٨٦٣.

الآخذون عنه: منهم أبو عبد الله محمد فتحا بن محمد بن سميه بن عبد الرحمن بصرى صاحب الثبت الموسوم بإتحاف أهل الهداية والتوفيق، وناهيك به.

وفاته: توفى أواخر صفر سنة سبع وثمانين ومائة وألف ببلده مكناس.

٥٣٧- الغزوانى بن الشيخ الإمام عبد الله محمد بن أبى بكر الدلائى.

حاله: نشأ فى حجر والده بالزاوية الدلائية نشأة حسنة، وكان من الأعلام العالمين، المهرة الكاملين، له اليد الطولى فى التفسير والحديث، والقدم الراسخ فى مقام الإحسان، وليا صالحا، زاهدا ورعا ناصحا، ناسكا فالحا؛ ذا مروءة ودين متين، محبا فى الصالحين، مكرما لهم، عاملا بعلمه، ملازما للفقراء والمريدين، قائما بمداولة أورادهم صاحبا ومساء، دءوبا على الوقوف على إطعام الطعام لهم ولغيرهم من الواردين على زاويتهم البكرية، أذنه فى القيام على ذلك والده، وبقى ذلك بيده قائما به أحسن قيام بعد أن نقل الله والده إليه لم يتقدم عليه فيه غيره من إخوته، ولما رحل من الزاوية البكرية عند الحادثة العظمى ازداد زهدا فى الدنيا الفانية، وفرارا من أهلها، واشتغل بإصلاح نفسه أكثر مما كان، واستقر بمكناسة الزيتون إلى أن توفى مطعونا ونقل لفاس وبها دفن فى مقبرة أسلافه بها، وقد أوثرت عنه كرامات وخوارق عادات.

مشيخته: أخذ عن والده ولازمه واستفاد منه علوما شتى ترجمه فى النشر وفى التقاط الدرر وفى البدور الضاوية، وأشار إليه صاحب حدائق الأزهار الندية عند تعرضه لأولاد سيدى محمد بن أبى بكر الدلائى فقال:

والسابع الموفق الربانى ... شيخ الطريق العارف الغزوانى

كان إماما عالما وعاملا ... يعد فى أهل الطريق كاملا

قد وطن النفس على المجاهدة ... فآل حاله إلى المشاهدة

---

٥٣٧ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص ٢٢٠، نشر المثانى فى الموسوعة ٤/ ١٦٥٢.

وفاته: توفى رحمه الله بمكناس شهيدا بالطاعون يوم الاثنين الحادى عشر من جمادى الآخر عام واحد وتسعين وألف، ونقل إلى فاس، فدفن بها ظهر يوم الثلاثاء بعد يوم موته، وإلى تاريخ وفاته المشار أشار صاحب حدائق الأزهار بقوله:

في الألف والواحد والتسعينا   صار لجنة العلا يقينا

٥٣٨- الغالى ابن المكى السنتيسى المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: فقيه أديب، كاتب شاعر معقولى مدرس، كان أحد أعيان الكتاب الذين يكتبون كما يشاء منهم، استكتبه فى أول أمره مجتسب مكناسة الحاج محمد أجانا، ثم رشح للكتابة بالدولة الحسنية وأقر عليها فى الدولة العزيزية، فكان يظعن بظعن الجلالة السلطانية ويقيم بإقامتها إلى أن رشح للنظارة على الأحباس الصغرى ببلده مكناس فى الدولة الحفيظية، فألقى عصاه واستقر به النوى إلى أن لبى داعى مولاه، وكان من العدول المبرزين بسماط مكناس.

مشيخته: أخذ عن المفضلين السوسى، وابن عزوز، وأبى العباس ابن سودة، ثم رحل لفاس وأخذ عن نقاد أعلامها كالشيخ السيد الحاج محمد جنون اختصار الرهونى، وابن التهامى الوزانى ونظرائهم.

الآخذون عنه: منهم مولاى الطيب بن عبد الله المترجم فيما مر، وابن أخيه النجيب عبد الله بن محمد بن عبد الله، وابن عمه العدل المولى العربى ابن برهيم ابن عبد الله، والفقيه العدل السيد المختار السوسى، والشريف الفقيه العدل مولاى عبد الرحمن بن الفضيل العلوى وغيرهم من نجباء الطلبة.

مؤلفاته: منها حاشية على الرسموكى شارح الجمل، وتوليف فى إعراب أما

---

٥٣٨ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٨/ ٢٩١٢.

بعد، وهدية المناهج، فى شرح قصيدتى الهمزية المعنونة بكفاية المحتاج فى مدح صاحب اللواء والتاج، فى جزأين، وشرح على همزية الإمام النبهانى لم يكمل، وديوان شعر فى الأمداح النبوية رتبه على الحروف الهجائية، جعل فى كل حرف قصيدة تحتوى على عشرين بيتا، ضمنت جله فى تأليفى إزالة الوهم والشكوى، وتحفة الأشياخ والأطفال، بما بقصة الزباء من الأمثال، عنَّ لى أن أثبتها هنا تتميما للفائدة ودونك لفظها:

حمدا لمن زان بحلية الأدب ... جيد الفنون وبه نيل الأرب

ثم الصلاة والسلام أبدا ... على النبى الهاشمى أحمدا

وآله وصحبه ومن تلا ... سبيلهم ممن سياتى وخلا

(وبعد) ذى أرجوزة نميتها ... لأدباء عصرنا سميتها

بتحفة الأشياخ والأطفال ... من قصة الزباء بالأمثال

رسمتها بحمرة مميزه ... بسبب القول لها معززه

إن كان فى النظم له اتساع ... أولا فان سردها مشاع

فقلت والمثل عند النبلا ... تشبيه مضرب بمورد خلا

قال قصير لجذيم الخسائر ... (رأيك فاتر وغدر حاضر)

قال له (رأيك فى الكن) و(لا ... فى الضح)سار ذا المقال مثلا

وقال (لايطاع) بعد (لقصير ... أمر) فجد للهلاك فى المسير

قال جذيمة أشر عليا ... قال (ببقة تركت الرايا)

و(القول) يا جذيمة لك (رداف ... والحزم) منه فى ثراته (تخاف)

وقال يا قصير كيفما ترى ... (خطب يسير فى كبير) قل جرى

قال قصير له (فاركب العصا ... غبارها)فـ (لا يشق) من قصا

(حزما) أرى منه (على متن العصا)   فر قصير راجعا وما عصى
(ماذل من جرت به) بعد (العصا)   إلى غروب الشمس ترمى بالحصا
(قد بلغ المدى و) قد (جف الثرى   وامر غدر)واقع لى قد (أرى)
إذ قالت الزباء فحشا (أترى   داب عروس) فى الذى لك جرى
قال جذيمة لهم (دعوا دما   ضيعه) منى (أهله) كما
وقال عمرو لقصير عجبا   (امنع من عقاب جو) هربا
قال قصير (خل عنى) واجدعن   أنفى (خلاك الذم) منى فى ظعن
(لأمر ما جدع أنفه قصير)   من مثل العرب أحفظنه يا بصير
قالت (عسى الغوير) منى (ابؤسا)   عسى قصير أن يحز أرؤسا
(جئت بما صاى) فقال لقصير   حين رأت بالعين شدة الزئير
قالت وعمرو واقف بالنفق   (بيدى لا بيد عمرو) خنق
هذا تمام القصة العجيبة   أمثالها أتت بغير ريبة
ثمان عشرة أتت محررة   بلفظها كتبتها محمرة
إلا بتنكير وتعريف فلا   بأس به عند السراة النبلا
خذها عروسا نمقت طررها   وعنبرت بعنبر غررها
ووشيت كنمرق أرساغها   وثقلت بجوهر أصداغها
ولتفها بمهرها حسن القبول   ونيل وصل منك لارين المقول
تغنى عن التخميس والتشطير   والشرح لا النسخ مع التسطير
وعن عيوبها فغض من بصر   وانظر لحسنها بأحسن نظر
قرت بك العيون منا والجبر   كل انصداع وانجلى ران الغبر

هـ.

شعره: من ذلك قوله مقرظا كتابى تغيير الأسعار على من عاب الأشعار، وملمحا لبعض فصوله:

زهر الرياض تناسقت أفنانه ... ولدى العيان تتابعت ألوانه
أضحى يصادفه النسيم بكفه ... إذ زانه من عرفه أمزانه
يهتز من فرط السرور تواجدا ... يدنو إليه وإن نأت أوطانه
يروى بإسناد حديث صبابة ... عن ماء عين قد رقا إنسانه
عن صوب أنواء بأكمام لها ... عن ورده القانى سما عقيانه
عن آسه الآسى للوعة الجوى ... عن أقحوان قد وفت إيمانه
عن نرجس من حسنه قد هذبت ... أهدابه وتزعفرت أجفانه
عن ياسمين أبيض أو أصفر ... قد شك فى وصف له أخدانه
كل على قضب الزبرجد مائل ... كالراح حين أمالها أغصانه
ثبت الرواية وهو منها معربد ... لا يرعوى بتناقض سلطانه
من خمرة من ريق ظبى أهيف ... عن در ثغر نظمت أسنانه
إن اليواقيت النضيدة قسمت ... لنثيرها ولما بدت أوزانه
فالنثر يحسن فى العيان يفوقه الـ ... منظوم إذ قد كسرت أوثانه
فالغزل ليس بساتر ما لم تكن ... بالنسخ تجمعه لنا خلانه
أنقاض بيت ما بقت لم تبتنى ... لا بيت أو تبنى لنا أركانه
كالبيت من شعر ومن شعر له ... بالنظم فضل يقتنى عرفانه
كيف انتقاص الشعر يسمع فى الورى ... من عائب قد عابه أقرانه

لله در إمام شعر فائز بالرد عن شعر نما إيمانه

قد قام عن شعراء إسلام بما سماه تغييرا زكت أحيانه

فاهنأ أبا زيد ويا عابدا لمن ثاني إضافته له رحمانه

فالشعر والشعراء تعلن بالثنا كالزهر يثني على الندى إحسانه

رتب تآليف الكتاب كروضة يحكي الكتاب بحسنه بستانه

هذي مقدمة بفصليها وفت تبدي عوار مهدم حيطانه

في مقتل النضر الرثاء مرفع للشعر لا يبدو به عدوانه

في سؤل طه عن قريض قاله ابن الرواحة زانه إتيانه

في كونه متمثلا بالشعر في جمع الصحابة ما جرى نسيانه

في نقض تحصيل الخلائف هل أتوا بالشعر كالشمس انجلى برهانه

في شعر أتباع وأتباع لهم ما طال في شعر حلا أزمانه

في نبغ شاعر فرقة تحمي به أنسابهم لما صفا ميزانه

فيمن غدا بالشعر يرفع قدره أو ضده كمنقص آوانه

في حكم شعر بالجواز وغيره فقها صحيحا فتشت أركانه

في حكم عود واستماع غنائه قد شنفت برقيقه آذانه

لا فض فوك نقيبنا ما رددت زهر الرياض تناسقت أفنانه

وقوله مادحا جناب خير العالمين صلى الله عليه وسلم وآله:

ريح الصبابة بالمتيم عابث والصب تبريح الجوى به لابث

يا رب وجد قد تمكن وقعه فهو الذي في روحي نافث

قد ماج فى أوصال صب مولع وهو الذى عن كل فن باحث

إلى أن قال:

آنست من بشرى الحبيب لوائحا هذا الحبيب إلى المتيم باهث

حب الفؤاد ونوره وسروره ختم الرسالة للعريكة دامث

فاز الذى بعهود شرعك واثق إنى لعهدك باليمين لضابث

أوضحت سبلا للهدى لما بدا منك الرشاد وأنت خيرا باثث

إلى أن قال:

أغضيت فى غى بدا من جلنا والبعض منا فى الضلالة رافث

صدق الحديث يزيد أقواما ومن فى ضده فهو المخالف ضاغث

فامنح رسول الله عبدك بلغة أقوى بها إنى لرفد غارث

إلى أن قول:

صلى عليك الله ما فاح الكبا من نحو نجد فى العواطن ماكث

والآل والأصحاب ما قد أنشدت ريح الصبابة بالمتيم عابث

وقوله مخاطبا لى ومضمنا أنواعا من البديع:

خيلا به رشدى وفيه وفى عهدى

وأولى الورى عندى لأورى به زندى

حريص على رفدى أمين على وفدى

مريد لما يسدى صفوح على جندى

مشوق على فقدى زلال على وقدى

سموح بما يجدى ... معظم ما عندى
كئيب على وجدى ... حريص على حمدى
أصم عن المبدى ... هجا زيد أو هندى
معادى فى سبقى ... ملاذى فى رفقى
وفائى فى رزقى ... علائى فى حقى
ومستعذب نطقى ... محق سنا صدقى
وساع إلى وفقى ... وخافض من فوقى
أبو زيد المرقى ... جنابى من عرقى
فلا وزر يبقى ... ولا من يرى حمقى
نقيب له شوقى ... أديب به روقى
عهوده فى طوقى ... ولطفه فى ذوقى
رفيع به ذكرى ... كثير به شكرى
قليل به نكرى ... حديد به فكرى
حلاه على ذكرى ... فليس يرى مكرى
وريقته سكرى ... بلا عمرو أو بكر
غرامى به أجرى ... ثناه بلا هجرى
عكوفا على حجرى ... من الفجر فى فجرى
مودته ذخرى ... مناقبه فخرى
فواشيه من صخرى ... ينوح على صخر

مصيب له سهمى ينابذه وهمى
بخيل به فهمى فإنى له شهمى
مقاتله أرمى إذا ما ترى جرمى
وكيف ربى صرمى عنائى على قرمى
فحلمك من حلمى ككلى ومن علمى
ضياء فهل كلمى سوى أنها ظلمى
فدونك ما اسمى وحسبك من رسمى
مناقبكم فى اسمى ليشفى به جسمى

فى ٢٤ رجب عام ١٣٣٠، ولى معه مراسلات ومساجلات أرق من النسيم، وأعذب من التسنيم، تركتها اختصارا وليلا يقال مادح نفسه يقرئك السلام.

نثره: من ذلك قوله فى فاتحة كتاب: من خاطبته البلاغة فأجابها، وخطبته فأدخلته حجابها، وملكته البراعة رسنها، وأولته اليراعة أحسنها، وأودعته السيادة ذخائرها، وأكرمته اللطافة ضمائرها، فكان أحق بالفضائل فرضا، والأخذ بحجزتها طولا وعرضا، من ظللته ظلال الثناء وأرخت عليه ستور الهناء، وخص بأخص التحايا، وامتاز بأشرف المزايا؛ وجبلت القلوب على وداده. واقتبست الآمال من مشكاة إسعاده، وكيف لا وهو لحقائق الإنسانية إنسان عين. ومعين ظرفه لسقى الأرواح أروق عين. ولو حاول المثنى عليه أقصى ما يحاول. فدون محاسنه تكل العبارات والأقوال، فهيهات مسير النملة من الأسد، ونورانية الروح من ترابية الجسد.

وفاته: توفى ليلة سابع عشر شعبان الأبرك عام ثمانية وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بالزاوية الكتنية من حومة صدراته من الحضرة المكناسية.

وقد رثاه شيخنا العلامة القاضى ابن عبد السلام الطاهرى المترجم له سابقا بقوله:

دموع جرت كالسيل من فقد عالم عليه أمارات المزايا تلوح
من العلم والآداب والفضل والتقى له رغبة فى الفضل وهو سموح
أخو العلم والتحقيق غال بعلمه نجوم الهدى تغدو له وتروح
ألا فابكه يا عين والقلب آسف فأرجاء مكناس عليه تنوح
وعامله ربى بالنعيم وجنة وغفران آثام فأنت صفوح

* * *

حرف الفاء

***

٥٣٩- فتحون البزازية.

أوردها صاحب منحة الجبار فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن بصرى إمام المسجد الأعظم سابق الترجمة، لدى تعرضه لقول ابن عسكر فى حق أبى عبد الله المذكور، غير أنه يزعم أنه أخذ طريق التصوف عن امرأة هنالك ويدعى لها أسراراً ومناقب إلخ.

قال: وأخبرنى بعض الأندلسيين من أهل القورجة أنها السيدة فتحون البزازية، قال: وللسيدة فتحون روضة برأس التاج مشهورة هـ.

قلت: ورأس التاج المشار له لم أقف له على ترجمة بعد البحث والتنقير وآل الشيخ عمران بصرى الذين منهم صاحب المنحة المنقول عنها يتوهمون بل يعتقدون أعنى الموجودين اليوم، أنه رأى رأس التاج جدهم الأعلى، وذلك لا يصح لتصريح صاحب المنحة وغيره أن الشيخ عمران بصرى الولهاصى دفن خارج مكناسة برأس التاج بين بابى عيسى والقورجة، وأن قبره لا يعرف على التعيين، وبتربة رأس التاج مدفن الشيخ عمر الحصينى، وإليه صارت التربة تنسب اليوم وهى من أشهر الروضات وأقدمها بمكناس.

٥٤٠- فاطمة بنت الشيخ الصالح أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن بصرى مار الترجمة.

حالها: قال فى منحة الجبار فى حقها ما لفظه: كانت من أهل العرفان،

وإغاثة اللهفان، روى أنها جاءت يوما وفى ذراعها جرح بندقة الرصاص، حدثتنى أُمى رحمها الله تعالى أن ابنة لصاحبة الترجمة كشفت عن ذراع أُمها فى مجمع من النساء وقالت لهن انظرن ما فى ذراع والدتى، فأنكرت عليها والدتها وسبت وجذعت.

وقد قدمنا أنه قيل: إن تسميتها فاطمة بإشارة من رسول الله ﷺ على والدها رضى الله عنه، ولما توفيت دفنت فى بيت دارها قبلة المسجد الأعظم، وأخبرت ابنتها أنها كانت ترى أصنافا من الوحوش والطيور فى البيت صح منه بلفظه.

قلت: والدار المشار لها التى بها مدفن صاحبة الترجمة، هى التى حذو باب جامع الأموات أحد أبواب الجامع الأعظم بعاصمتنا المكناسية المعروفة اليوم بدار اللب، وقد كانت قبل عام واحد وأربعين وثلاثمائة وألف محكمة شرعية بالكراء من المحبس عليهم، ثم نقلت المحكمة منها وسلمت لملاك منفعتها فسكنوها ولم يزالوا بها إلى اليوم.

٥٤١- فرج الأندلسى أبو الفضل المكناسى الدار.

حاله: من المشايخ الملامتية، كان معاصرا للشيخ أبى عثمان سعيد بن أبى بكر المَشْنْزَائى، وكان شيخا كبيرا ملازما لفراشه كثير المكاشفة، لا يكاد يستر على أحد ما جناه، لسانه تغلب عليه الإمالة شأن كلام الأندلس فى ألسنتهم، وتعتريه أحوال فى بعض الأحيان، فيقول أطعمونى فيأتونه بكل موجود فيزدرد ذلك من غير مضغ ويبتلعه، وربما يبلغ ما يأكله المثون من الناس، ولا يعلم أحد أين صار ذلك، ولا يظهر له أثر فى بطنه، وإذا رجع إليه حسه لا يأكل عشر المعشار من ذلك، وكانوا يرون أنه يصرف ذلك الطعام لأهل الفاقة فى بلد آخر، وكان يخبر أصحابه بالوقائع قبل نزولها، وربما يحضر مع الغزاة فى غزواتهم ثم يخبر أصحابه

بما كان قبل وصول الخبر بأيام، ولما قربت وفاته أسر لبعض أصحابه أنه يموت شهيدا، ثم كشف له عن جسمه فعاين فيه جراحات طرية يهطل دمها أصيب بها فى وقعة كانت بين المسلمين والنصارى فى بعض الأقطار البعيدة، فقبض منها لحينه وعاين الناس كلهم تلك الجراحات.

وفاته: توفى آخر العشرة الرابعة من القرن العاشر، ودفن فى موضع سكناه على مقربة من زاوية أبى عثمان المذكور معاصرا له، رحم الله الجميع بمنه. ترجمه فى الدوحة.

٥٤٢- الفاطمى بن محمد بن سميه بن عبد القادر بن محمد بن عبد القادر النقيب الإدريسى الشبيهى.

حاله: عالم مدرس خطيب، أديب فاضل ناسك، ذو جاه ووجاهة ومكانة قعساء ونباهة، كان متوليا الخطبة والإمامة وخطة القضاء بالزاوية الإدريسية عام خمسة عشر ومائتين وألف، ثم أعفى من القضاء وأقر على الإمامة والخطابة بالمسجد الأعظم من زاوية جده بزرهون، ولم يزل عليهما إلى أن لبى الداعى، وانتقل لوطن الرحمة محمود المساعى.

مشيخته: أخذ عن السيد حمدون بن الحاج السلمى الفاسى ومن فى طبقته.

مؤلفاته: منها أرجوزة جمع فيها فروع شرفائهم الشبيهيين، ألحق فيها أصاغرهم بأكابرهم وأثنى على أحسابهم وأنسابهم.

وفاته: توفى سنة ست وخمسين ومائتين وألف، ودفن مع والده بخزانة الكتب الكائنة يسار المسجد الأعظم بزرهون، ترجمه فى الإشراف.

---

٥٤٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٥٦٠.

٥٤٣- الفضيل بن الفاطمى المترجم قبله يليه بن محمد بن سميه بن عبد القادر بن محمد بن عبد القادر النقيب.

حاله: إمام المعقول والمنقول، وفارس ميدان الفروع والأصول، ثبت نحرير، محرر نقاد، بحاث مطلع، صدر محقق، ماهر دراكة، كامل محدث حافظ لافظ، متقن مفت، نوازلى، ذو ملكة كاملة واتساع عارضة ومهارة زائدة ودين متين، وجاه ووجاهة وشرف نفس، وتؤدة وحسن سمت، وهيبة ووقار، وأبهة وجلال، وفخار ورياسة وكياسة وسياسة، وشيبة منورة، خطيب بليغ مصقع متفنن، إمام وخطيب مسجد جده الجامع بالزاوية الإدريسية، كان فى لسانه لكنة، وإذا ارتقى منصة الخطابة كان أطلق الخطباء لسانا، وأفصحهم بيانا، وذلك ببركة دعاء بعض أهل الخصوصية الكاملة له، وقد شكا إليه المترجم حبس لسانه وتلجلجه فى الخطبة وضرر ذلك، فدعا له فزالت لكنته حالا بفضل الله، وكان رحمه الله رقيق القلب سريع الدمعة، مكثرا من التلاوة لا يفتر عنها غالبا، مع بسط ممزوج بآداب ووقار واحتشام، وكان يسرد الصحيح الجامع فى الأشهر الحرم الثلاثة، ويقرر غوامضه، ويوضح مشكلة ويطبق أصوله على الفروع المالكية.

مشيخته: أخذ المختصر عن الحاج الداودى التلمسانى وهو عمدته، وعن السيد محمد بن عبد الرحمن الحجرتى، وأبى العباس أحمد المرنيسى، وأبى عبد الله محمد بن حمدون بن الحاج، والسيد المهدى ابن سودة، وأخيه السيد عمر، وأبى العباس أحمد بن سميه بنانى، وجمع الجوامع على سيدى عبد السلام بوغالب، وزبى العباس المرنيسى، وأبى العباس بنانى المدعو كلا، والسيد المهدى ابن سودة، وتلخيص المفتاح على أبى العباس كلا، وكذلك مختصر السنوسى فى المنطق والسلم.

---

٥٤٣ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٢٤.

وأخذ النحو عن أبى العباس المرنيسى، والحاج محمد المقرى المدعو الزمخشرى، وسيدى قاسم القادرى، والشريف المسن مولاى حفيد العلوى المتوفى عام ثلاثة وسبعين ومائتين وألف.

وأخذ مقدمة السنوسى فى علم الكلام على أبى العباس المرنيسى، والسيد المهدى ابن سودة.

والشمائل، والشفا، والبخارى، على بنانى كلا، والمرنيسى، ومحمد بن الحاج، وأخيه السيد الطالب.

ومسلم على السيد المهدى ابن سودة والتفسير على المرنيسى، وكلا، وأخذ عن بلديه السيد محمد بن سميه دعى الخياط.

الآخذون عنه: أخذ عنه ابن عمنا العلامة مولاى عبد السلام بن عمر العلوى المدغرى، وأخوه أبو عبد الله المترجم فيما مر، وابن عمنا العلامة الأقعد سيدى محمد بن أحمد العلوى الإسماعيلى، وولد المترجم العلامة المفتى المترجم بعد سيدى الفاطمى وغيرهم من الأعلام، وأجاز لغير واحد من أعيان الوقت.

مؤلفاته: منها تعليقه على الصحيح الجامع، المعنون عنه بالفجر الساطع، فى أربع مجلدات ضخام جمع فيه فأوعى وطبق الفروع على الأصول، وأتى فيه بالزبدة والمحصول؛ ونسخ بخطه صحيحى البخارى ومسلم نسختين، بذل المجهود فى تصحيحهما ومقابلتهما على الأصول المعول عليها بالمغرب، فكانتا عديمتى النظير، ولاسيما نسخة البخارى، فإنها لا تعزز بثانى، وكذا كتب بخطه ما عدا الترميذى من بقية الكتب الست، وكذا كتب غير ذلك.

وفاته: توفى بزاوية جده مولاى إدريس الأكبر من زرهون، ليله الجمعة عاشر شعبان عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بالظهير خارج الزاوية المذكورة.

٥٤٤- الفاطمى بن الفضيل المترجم قبله يليه.

حاله: فقيه علامة، محقق مشارك، مفت نوازلى، مطلع خطيب بليغ مصقع، ذو تؤدة، وزى حسن وسمت مستحسن، رحل فى طلب العلم لفاس بعد أن أخذ عن شيوخ بلده، ولما حصل ما قسم له من المعلومات، رجع لمسقط رأسه وتولى بعد وفاة والده إمامة وخطبة ضريح جده، وتصدى للإفتاء والإفادة إلى أن ختمت أنفاسه.

مشيخته: أخذ عن والده وعن الشريف مولاى الحسن بن الشريف العلوى، وسيدى محمد بن عبد الواحد الشبيهى، وأبى عبد الله محمد بن التهامى الوزانى، وشيخنا أبى عبد الله محمد فتحا الشريف القادرى، وشيخنا المحقق أبى العباس أحمد بن محمد بن الخياط الزكارى المتوفى فجأة بعد زوال يوم الاثنين ثانى عشر رمضان عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف، وعن غيرهم.

مؤلفاته: منها تقييد فى أن السفر المسقط لصلاة الجمعة لا يشترط أن يكون سفر قصر.

نثره: من ذلك قوله مقرظا تقييدى الموسوم بتغيير الأسعار، على من عاب الأشعار: حمدا لمن طهر قلوب أصفيائه من كدرات الأغيار، وألهمهم التعلق بأذيال أشرف خلقه سيدنا محمد سر الأسرار، ومنبع الأنوار، وأهلهم للانخراط فى سلك من اجتباهم لخدمة جنابه الشريف، ونثر درر شمائل منصبه الشامخ المنيف، بنفيس الخرائد وبديع الأشعار، وأرشدهم لإزالة الشك وإيضاح سنن الرشاد، لمن استهوته أوهامه فى مهاوى الضلال والعناد، وما خشى تفويق السهام إليه وتوجيه الدرك عليه والعار، وصلاة وسلاما على سيدنا ومولانا محمد قطب دائرة العلوم والفهوم، ومنبع أسرارها، وعلى آله وأصحابه وعلماء أُمته الهادين

٥٤٤ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٩١.

المهتدين المستخرجين لجواهر نفائس الدقائق من قاموس الآثار النبوية وأخبارها، صلاة وسلاما دائمين ما نبهت ورق الربى بالأسحار، ونقم على عائب الشعر وأُبطلت دعواه وغيرت عليه الأسعار.

أما بعد: فقد وقفت على هذا التأليف الفريد، الفائق المحصل المفيد، المسمى تغيير الأسعار، على من عاب الأشعار، وأجلت فكرى فى أسرار لطائفه، وسرحت نظرى فى أنوار معارفه، فإذا هو روض هتون، بأرجاء مكناسة الزيتون، قد أشرقت أقماره وشموسه، وأزهرت أغصانه وغروسه، ودارت على أهل الأدب كئوسه، بل سماء علم أضاءت نجومها، وأمطرت بالمعارف والعوارف غيومها، حاز من البلاغة أعلاها، واقتبس من نفائس الدرر أغلاها، وفتح من الفصاحة بابا مقفلا، ومتح من الإحسان الحسانى منهلا؛ وسحب على سحبان ذيل البراعة، وحاز قصبات السبق بتلك اليراعة، موفيا بالمراد، مزيلا عن القصد جلباب الاقتصاد، حاسما شبه المعاند، مبرزا الحجج الدامغة له فى صورة الشاهد، لم لا ومرصع تراجمه الفائقة، ومكلل فصوله الرائقة. . . إلخ.

إلى أن قال: نور الله قلب جامعه بأنوار العلوم، وأفاض عليه سجال الإدراكات والفهوم، وجعل سعيه سعيا صالحا، ومتجره رابحا، وأبقاه لركاب العلم الشريف خادما، ولتهذيبه وتحريره ملازما، وزاده سبحانه علوا وارتقاء، واجتباء وتقريبا واصطفاء، وأضاء بأنوار علومه الوجود، وجعله على قدم جده الذى شرف به كل موجود، وأتاح لى وله من مدده فوق ما ناله السائلون، وغاية ما يستمطره السائلون، آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين.

وفاته: توفى إثر زوال يوم الأربعاء فاتح قعدة الحرام عام أربعة وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بعد عصر يومه بتربة أبيه بالظهير خارج الزاوية الإدريسية.

حرف القاف

***

٥٤٥- القاسم بن عبد الله بن محمد بن حماد بن محمد بن زغبوش.

من أهل تاورى إحدى حوائر مكناس، ذكره الإمام ابن غازى فى روضه.

حاله: علامة نزيه مشارك، قال فى الروض الهتون: ولى القضاء بجهات المغرب وبجهات غرناطة، ثم انقبض عن ذلك واقتصر على الفلاحة ببلدة تاورى، انتقل إليها سنة سبع وتسعين وخمسمائة، فخرج للقائه أهل تاورا أوفر ما كانوا عددا وثروة ومعهم السودان المسمون هنالك عبيد الحرمه، ورجال السودان يلعبون الثقاف بالحديد ويرقصون ونساؤهم يضربن آله اللعب ويغنين والمزامر يزمر عليهم بأبى قرون، وكانت هذه المناكر من عوائدهم فى أفراحهم بتاورى، حتى مات رحمه الله(١). هـ من خطه.

٥٤٦- قاسم أبو الخير بن محمد بن محمد بن قاسم بن أبى العافية الشهير بابن القاضى.

من بنى العافية المكناسيين.

حاله: حامل لواء العربية فى زمانه، مرجوع إليه فيها، مفاوض فى غوامضها، حافظ لأقوال أئمتها، لايجارى فى ذلك ولا يبارى، مع مشاركة فى الحساب والفرائض، ومعرفة بعلوم القراءات، وكان له اتصال بمجلس أبى المحاسن الفاسى، وله فيه محبة صادقة، واعتقاد كبير، ظهر عليه أثر ذلك عيانا.

---

٥٤٥ - من مصادر ترجمته: الروض الهتون - ص ٨١.

(١) الروض الهتون - ص ٨١ - ٨٢.

٥٤٦ - من مصادر ترجمته: نشر المثانى فى الموسوعة ٣/ ١٢٠٣.

من ذلك أنه جاء إلى أبى المحاسن يوما أسير يستعينه فى الفداء، وكان كثيرا ما يفعل ذلك، فأرسل إلى صاحب له ممن كان يلازمه أن يبعث إليه دينارا، فذهب إليه الرسول فكأنه ثقل عليه فلم يعطه شيئا، فمر الرجل فى رجوعه للشيخ على المترجم وهو قريب المرسل إليه الممتنع من الإعطاء، فقال للرسول: أين كنت يا فلان؟ فقص له الأمر، فقال المترجم: أنا أعطى ذلك، فأخرج له دينارا، فذهب الرسول إلى الشيخ وأخبره بما وقع من الرجلين، فقال الشيخ: ونحن نمسك سيدى أبا القاسم ونترك الآخر، فكان الأمر كذلك، لازمه هذا، وانقطع الآخر عنه، ونفع الله بصحبة الشيخ صاحب الترجمة نفعا بينا، ومن جد وجد، وسر الله فى صدق الطلب.

وكان للمترجم شهرة فى تدريس النحو، وكان الكاتب البارع أبو فارس عبد العزيز الفشتالى تصدر لإقراء مقصورة المكودى بقصد شرحها، فكان إذا أشكل عليه شيء من جهة الإعراب لا يفاوض فيه إلا صاحب الترجمة لما تفرد به من مزيد الضبط والتحقيق، ومن فوائده ما ذكره فى فهرسته مما سمعه من شيخه يعقوب اليدرى هذا اللغز المنسوب لابن غازى فى القلم:

وميت قبر طعمه عند رأسه ... إذا ذاق من ذاك الطعام تكلما
يقوم فيمشى صامتا متكلما ... ويأوى إلى الرسن الذى منه قوما
فلا هو حى يستحق زيارة ... ولا هو ميت فيرجو ترحما

قال ومما سمعته من أبى العباس المنجور فى بعض رجال الحديث يعظ نفسه:

أخذت بأعضادهم إذ نأوا ... وخلفك القوم إذ ودعوا
فأصبحت تنهى ولا تنتهى ... وتسمع قولا ولا تسمع
أيا حجر الشحذ حتى متى ... تسن الحديد ولا تقطع

قال: وسمعت منه أن سيدنا شعبة بن الحجاج رئى فى المنام فأنشأ يقول:

حبانى الإله فى الجنان بقبة ... لها ألف باب من لجين وجوهرا

وقال لى الجبار يا شعبة الذى ... تبحر فى جمع العلوم وأكثرا

تمتع بقربى إننى عنك ذو رضا ... وعن عبدى القوام فى الليل مسعرا

كفى مسعرا عزا بأن سيزورنى ... وأكشف عن وجهى ليدنو فينظرا

وهذى فعالى بالذين تنسكوا ... ولم يألفوا فى سالف الدهر منكرا

وقوله فى الأبيات الأولى أيا حجر الشحذ، فى القاموس: والشحذ بمعجمتين بينهما مهملة من شحذ السكين كمنع أى أحدها، وقوله فى الأبيات الأخر جوهرا بالنصب على أنه مفعول معه، ومسعر فى البيت الثالث بالنصب على أنه مفعول بفعل محذوف على المدح، فهو بدل مقطوع ونص ابن هشام فى باب العلم فى توضيحه على أن البدل يقطع وبقية الأبيات ظاهرة.

وقال: وسمعت منه: هل الأفضل الحمد لله؟ وهو قول ميمون الهروى أو الأفضل لا إله إلا الله؟ وهو قول ابن رشد فقال ميمون:

أعد نظرا فيما كتبت ولا تكن ... بغير سهام للنضال مسارعا

وحظك تسليم العلوم لأهلها ... وحسبك منها أن تكون متابعا

فأجابه ابن رشد:

رويدك ما نبهت منى نائما ... فدونك فاسمعها إذا كنت سامعا

أخلت ابن رشد كالذين عهدتهم ... ومن دونهم تلقى الهزبر المدافعا

ولو كنت سلمت العلوم لأهلها ... لما كنت فيما تدعيه منازعا

وإن ضمنا عند التناظر مجلس ... سقيناك فيه السم لا شك ناقعا

وذكر فى فهرسته ما سمعه من شيخه يعقوب اليدرى ما خاطب به الجان ابن عبد المنان بطريق مكناسة وهو:

أكلتم السابح فى لجة ... ولم تفلتوا ذوات الجناح
هذا وقد عرضتم للفنا ... فكيف لو خلدتم يا قباح

ودخل ابن عبد المنان هذا على أمير وقته فصبح بعد المساء فقال تزدرى بى فأنشأ يقول:

صبحته عند المساء فقال لى ... ماذا الكلام وظن ذاك مزاحا
فأجبته ضياء وجهك غرنى ... حتى توهمت المساء صباحا

وأما شعبة المذكور فى القضية التى سمعها من شيخه المنجور، فهو شعبة بن الحجاج أبو بسطام العتكى الأزدى مولاهم الحافظ أحد أئمة الإسلام الملقب أمير المؤمنين فى الحديث، ولد بواسط ونشأ بالبصرة وسكنها.

ورأى الحسن، وابن سيرين، وروى عن جماعة كثيرة من أكابر التابعين، وروى عنه أيوب السختيانى، وسعد بن إبراهيم، وابن إسحاق وهم من شيوخه، وسفيان الثورى، وجماعة من التابعين أيضا.

ولم يوجد فى زمنه مثله. قال ابن مهدى: سفيان الثورى يقول شعبة أمير المؤمنين فى الحديث.

وقال الشافعى: لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق.

وقال النضر بن شميل ما رأيت أرحم بمسكين من شعبة، ولما مات شعبة قال سفيان الثورى مات الحديث.

قال يحيى القطان: وشعبة أكبر من سفيان بعشر سنين، ومن ابن عيينة بعشرين سنة.

وأول من تكلم فى الرجال شعبة، ثم تبعه يحيى القطان، ثم تبعه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وقال الحاكم: أبو عبد الله شعبة إمام الأئمة فى معرفة الحديث بالبصرة، رأى أنس بن مالك، وعمر بن أبى سلمة، وسمع من أربعمائة من التابعين.

وقال أبو زيد الهروى: ولد شعبة سنة اثنين وثمانين من الهجرة.

وقال يحيى القطان: سمعت شعبة يقول: كل من كتبت منه حديثا فأنا له عبد، وعنه كان قتادة يسألنى عن الشعر، فأقول: أنشدك بيتا وتحدثنى حديثا.

وقال الأصمعى: لم نر أحدا قط أعلم بالشعر من شعبة.

وقال عبد الرحمن بن مهدى: سمعت شعبة يقول: إن هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة وعن صلة الرحم فهل أنتم منتهون.

وقال أبو قطن: سمعت شعبة يقول: ما شيء أخوف عندى أن يدخلنى النار من الحديث.

مات شعبة فى أول سنة ستين ومائة هـ مختصرا من التهذيب للحافظ الذهبى، هذب به تهذيب الكمال للمزى وسماه تذهيب التهذيب والكمال فى أسماء الرجال، للحافظ المقدسى، وما ذكر عنه من أنه رأى أنسا ظاهر، لأن أنسا مات عام اثنين أو ثلاث وتسعين من الهجرة، وكانت ولادة شعبة عام اثنين وثمانين، فكان فى زمن وفاة أنس يناهز عشر سنين.

وأما مسعر المذكور فى الشعر المتقدم مع شعبة، فهو مسعر بن كِدَام أبو سلمة الهلالى الكوفى، أحد الأعلام.

أخذ عن عطاء، وسعيد بن أبى بردة، وقيس بن مسلم[1].

---

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «قيس بن أبى مسلم» وصوابه من التقريب - ص ٣٩٣، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٤٦٣، والكاشف ٣/ ١٣٧.

وعنه القطان، ويحيى بن آدم.

قال القطان: ما رأيت مثله.

وقال شعبة: كنا نسميه المصحف من إتقانه، وكان من العباد القانتين.

توفى عام خمسة ومائة هـ من الكاشف[1] للذهبى.

وانجر الكلام إلى هذا من فوائد صاحب الترجمة.

ولما تخيل صاحب الترجمة من سلطان وقته زيدان بن السلطان أحمد المنصور الشريف مضرة، وخاف سطوته من خروج إخوته عليه إذ كان بويع بفور وفاة أبيه، جلس صاحب الترجمة بفاس، ولم يقدم عليه، ومقره حينئذ حضرة مراكش، حتى اتفق لزيدان القدوم لفاس فخافه صاحب الترجمة على نفسه من أجل تأخره عنه، فكان من صنع الله أن لم يلق منه بأسا، فألف صاحب الترجمة فهرسته المذكورة بقصد أن يطلعه عليها كما يفهم من تسميتها، إذ سماها تنوير الزمان، بقدوم مولانا زيدان، ولم يطره بالمدح والثناء كثيرا سوى ما أنشده من نحو ستة أبيات مفردة من كلام الأقدمين متمثلا بها رحم الله الجميع بمنه.

مشيخته: أخذ عن الشيخ أبى المحاسن الفاسى علمى الظاهر والباطن، ولازمه كثيرا، وحضر مجالسه، ودام على التردد إليه إلى أن نقله الله تعالى إليه.

وأخذ عن غيره كابن يحيى، والقدومى، وجماعة من جلة صدور أعلام عصره.

مؤلفاته: منها فهرسته المذكور اسمها، وتعليق على المرادى، وشرح على الألفية فى مجلد، وحاشية على شرح الشريف على الآجرومية، وغير ذلك كما بالصفوة.

---

(١) الكاشف ٣/ ١٣٧.

ولادته: ولد سنة ستين من العاشرة كما فى ابتهاج القلوب.

وفاته: توفى سنة اثنين وعشرين وألف.

٥٤٧- قاسم بن رَحْمُون الزرهونى الأصل، الفاسى النشأة والوفاة.

حاله: ولى صالح زاهد ورع، عالى الهمة، ذاكر معمور الأوقات فيما يقرب إلى الله زلفى، لا تستفزه الدنيا وزخارفها، حسن الخلق متواضع محب فى الأولياء والصالحين، متفان فى محبة مولانا إدريس بانى فاس، شديد التعظيم له والإجلال.

حكى عنه صاحب تحفة الإخوان أنه سمعه يقول: والله ما مررت قط على مزارته إلا وأجد الشق الذى يلى قبره كأنه ميت من هيبته وجلاله هـ هكذا يكون التعظيم لآل بيت نبينا ﷺ وإلا فلا لا، وكان رحمه الله من الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا، مشتغل بما يعنيه، تارك ما لا يعنيه، ينهى عن الفضول وكثرة الكلام فيما لا يليق، شديد التحذير من ذلك، يحكى فى التنفير منه حكايات عديدة، يحض على الاتباع، وينهى عن الابتداع. شديد الخشية والمراقبة لله تعالى فى سره وجهره، داع إلى الله بحاله ومقاله، لا يفتر لسانه من ذكر الله، كثير التواجد عند الذكر، وإذا تواجد لاح وظهر ما فى السرائر على الظواهر، وكان له أتباع يحضهم على امتثال الأوامر وينهاهم عن المخالفة والعصيان، يجتمعون على الاشتغال بلا إله إلا الله، ويفترقون عليها فى المقيل والمبيت، وقد أظهر الله على يديه كرامات وخوارق عادات وتحدث الناس عنه بذلك.

وكان فى أول أمره طرازا يتعاطى حرفة الحياكة تارة يباشر العمل بفسه وتارة بواسطة صناع، يستخدمهم وهو يدور لهم الجعاب، ولسانه فى كلتا الحالتين رطب

---

٥٤٧ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص ٣٧١، نشر المثانى فى موسوعة أعلام المغرب ٥/ ٢٠٧٠.

بذكـر الله، ولم يزل ذلك دأبه حـتى اجـتبـاه مـولاه وهداه، وأحبـه واصطفـاه، وبالأسرار والمعارف اللدنية حباه.

وكـان الذى قـدم من زرهون لفاس هـو والده، وهم من الرحـامنة النازلين بوادى السدر قرب مصمودة من عمالة زاوية وزان.

قال فى الروضة المقصـودة: وهـم ينتسبون للشرف الحسينى - بالمثناة التـحتية بعد السـين على وزن التصـغير - من بنى الحـسين السبط بن مـولانا على بن أبى طالب كرم الله وجـهه، ويزعـمون أن قدومـهم على تلك البلاد كـان من جزيرة صقلية عند استيلاء الروم عليها أوائل المائة الخامسة هـ.

قال شـيخنا أبو عبد الله مـحمد بن جعـفر الكتانى فى السلوة بعـد نقله ما ذكر: ورأيت فى بعض الرسوم تحليـته بالشريف الحسنى بالتكبيـر ونحوه فى النشر على ما فى بعض نسخه وزاد بعده مـا نصه: من أولاد ابن رحمون النازلين ببعض مداشر جـبل زرهون وبواديه، وهم ينتسبون إلى الشـرف، ولا أعلم من أى فريق من الحسنـيين هم، وليسـوا من أولاد ابن رحمـون العلميـين الذين هم من أولاد الإمام محمـد بن إدريس بن إدريس. قال: وصاحب الترجمة يعنى سيـدى قاسما المذكور لم يستمر له عقب لا من ذكر ولا من أنثى، ولا له قرابة كذلك، وبعضهم ينتسب إلى القرب منه والله أعلم بحقيقة ذلك هـ.

ونحو قوله وليـسوا من أولاد ابن رحمون العلميين قـوله فى التقاط الدرر: وليس هو من أولاد ابن رحمون العلميين معترف هو وقرابته بذلك هـ.

والمشهور الآن عند كـثير من الناس أنه منهم، ويوافقـه ما فى سلوك الطريق الوارية من أنه علمـى حسنـى، والله أعلم بما فى نفس الأمـر من ذلك هـ كـلام شيخنا الكتانى.

قلت: وحيث صح اعترافه أى المترجم مع قـرابته بأنهم ليسوا من العلميين،

فلم يبق وجه للشك فى ذلك، لأن رب البيت أدرى بما فيـه، والناس مصدقون فى أنسابهم، وما نسـبه لبعض نسخ النشر فـهو فى غير النسخـة المطبوعة، والذى فى النسخة المطبوعة التى بأيدى الناس هو ما لفظه: وكان ينتسب للشرف ولا نسبة بينه وبين أولاد ابن رحمـون الشرفاء العلمـيين، وقرابته الموجـود دون اليوم معتـرفون بذلك هـ.

مشيخته: أخذ فى أول بدايته عن سيدى الحاج الخياط الرقمى دفين الشرشور وصحبه نحوا من ستة عشر عاما، وعن سيدى محمد بن مولاى عبد الله الشريف المتوفى بوزان ليلة الخـميس ثانى عشـرى محرم عـام عشرين ومـائة وألف، وكان وصول المترجم إلـيه على يد شيخه فى بـدايته الرقمى المذكور، ثم أخـذ بعد وفاة سيدى مـحمد عن ولده مولاى التهـامى المتوفى بوزان كذلك صبـيحة يوم الاثنين مهل المحـرم الحرام فاتح عام سـبعة وعشـرين ومائة وألف، ثم عن أخيـه مولاى الطيب ولزمه إلى أن توفى فى حياته، وكـانت وفاة مولاى الطيب يوم الأحد ثامن عشر ربيع الثانى سنة إحدى وثمانين ومائة وألف بوزان.

وفاته: تـوفى يوم الاثنين سابع ذى الحـجة مـتم عام تسـعة وأربعيـن ومائة وألف، كما بمشهده الذى عند رأس ضريحه، وبالنشر وتحفة الإخوان والتقاط الدرر وسلوك الطريق الوارية والروضة المقصـودة وغير ذلك، حسبما نبـه عليه شيخنا أبو عبد الله الكتانى فى السلوة، والذى فى فـهرسة الشيخ التودى لدى إيراده من لقى من صلحـاء المغرب، أنه تـوفى زمن الوباء سنة خمس وخـمـسين ومـائة وألف، وذلك إما سبق قلم منه رحمه الله أو تحريف من الناسخ بلا ريب، وكان مدفنه من غـد يوم وفاته رحـمه الله بـداره الكائنة بأقصى درب مـينة من حـومة النجـارين وضريحه من أشهر الأضرحة وأفخمها وأضخـمها بهجة وزخرفا بالحضرة الفاسية، يتغالى الأغنياء والوجهاء فى شراء القـبور به، والأعمال بالنيات، ولم يأل أصحابه جهدا فى الزيادة فى توسعـتها والتحبيس عليها لإقـامة الأوقات، وقراءة الأحزاب القـرآنية، وتدريس العلم بهـا زمن الشتـاء بين العـشاءين، والوعظ بهـا كل بكرة

وعشى، وبها كتب محبسة، وإلى الآن يعمرها فقراء أشياخه السادات الأشراف أهل وازان رضى الله عن الجميع.

٥٤٨- قاسم البندورى أبو اليسر.

صاحب الضريح الشهير بعاصمتنا المكناسية.

حاله: عالم كبير، عارف جليل، مشهور البركة، يقصد ضريحة ذوو العاهات والمصابون إلى الحين الحالى، فينفعهم المولى ويعاملهم بصالح نياتهم، حدثنى الأخ المولى عبد الحى الكتانى أنه حدثه ابن عمنا المسن البركة مولاى عمر ابن الطاهر بن عمر بن الشريف بن زين العابدين بن فخر الملوك مولاى إسماعيل، عن الشريف مولاى الحسن بن السلطان العادل مولاى سليمان بن محمد بن عبد الله بأنه عالم صالح لقى القاضى شمهروس الجنى، وأخذ عنه، وأنه أنشده للمترجم ملحونا لفظه: ركعتين قبل الفجر تغنى؛ كلها للشاب وللى شاب راسوا، كيف يحرث على مد بفرد؛ ورفد أميا فدراسوا.

ولم أقف على شىء زائد على هذا فى ترجمته ولا على وفاته.

٥٤٩- قاسم. دُعِيَ الدامى بن محمد فتحا المنصورى أصلا المكناسى نشأة ودارا وإقبارا.

أخبرنى أحد أولاده الشاب النابغة الفقيه الأديب الأنبه أبو العباس أحمد نائب قاضى وادى زم حينه، أنه كان يحدثهم بأنهم من أولاد الشيخ محمد بن منصور، دفين البسابس من الغرب.

حاله: فقيه نبيه، حافظ لكتاب الله مجود له، شجاع مقدام حسن السمت، كثير الصمت. له مهارة تامة فى الحساب والتوقيت والتعديل والهندسة والهيئة،

---

٥٤٩ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٨/ ٢٨٩٧.

ناهيك أنه رفيق السلطان أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن هشام، إمام أئمة هذه الفنون، استخدمه السلطان المذكور فى عداد الميقاتيين بشريف حضرته، ثم اصطفاه السلطان أبو على الحسن ووثق بكفاءته ومقدرته وإخلاصه، وكان يحبه ويجله، ويقدمه للمهمات، رأَّسه على محلة وجهت لمأمورية بسوس الأقصى، وأخرى بالريف، وأخرى بزيان بعد التسعين ومائتين وألف، وذلك لما جاء البطل الأشهر محمد بن حمو الزيانى يستنجد بالجلالة الحسنية على البغاة المتمردين آيت شخمان، وبنى مجيلد واشقيرن الذين أغراهم على شق عصا الطاعة والتجاهر بالعصيان بوبكر مهاوش وشن الغارات على الزيانى المذكور وقبيله، فأجابوه لذلك لما لهم فيه من الاعتقاد ولما بينهم وبين المذكور من العداوة الموروثة عن آبائهم منذ فعلوا فعلتهم الشنيعة بالسلطان الأعدل أبى الربيع سليمان آتى الترجمة.

وكان إذ ذاك حمو والد محمد الزيانى المذكور من أنصار السلطان الذين بالغوا فى الدفاع عنه حتى مات عدد عديد من قبيله فى سبيل نصرة السلطان وتخليصه، فصادف من الجلالة الحسنية قبولا لرغبته، وأعد له جيشا عظيما وعسكرا جرارا، وزوده من الذخائر الحربية ومن العدة والعدد ما فيه مقنع، وإرغام لأنوف أهل الزيغ الذين كانوا يقولون نحن أولو قوة وأولو بأس شديد، فمن أشد منا قوة. وانتدب المترجم رئيسا على تلك الجنود بصفته مهندسا، وإلى نظره سائر أعمال من بها من الطبجية والمدافع والمهاريس التى وجهت مع تلك المحال، فعسكرت المحال بخنيفرة، وكانت قرية صغيرة إذ ذاك بزيان، ففر ملاكها عنها لما رأوا ما لا قبل لهم به من الجنود المجندة، وكان ذلك أول فتح ثم تسعرت نيران الحروب على قنن تلك الجبال، وما زالت القوة السلطانية بتلك القوة البربرية حتى أرضختها وللطاعة أدخلتها وعم النفوذ فى سهلها وصياصى الجبال.

وقد عثـرت على كناشة بها حســاب صوائر ذلك الجيش الموجه لزيان وفـيها مؤنــة كل فرقــة من فرق (الجـيش) (والعسكر) على حــدة، وذلك على اخــتلاف المراتب والقواد مع تحويل قيمة الدرهم إلى الريال بحسب القيمة ارتفاعا وانحطاطا، وأول حساب بهــذه الكناشة التى قد انتزعت منهــا بعض صفحاتهــا مؤرخ بحادى عشر ذى القعدة عام ١٢٩٨، وفـيها بيان حساب ما قبضه أغـوات العسكر السعيد بزيان بعد التسراد، على يد القائد محمد بن حم الزيانى المذكور تاريخه شعبان عام ١٣٠٢، وفيها بيــان القائمة التى وجهت لمولاى عبد الحفـيظ فى ٧ ذى الحجة عام ١٣٢٥، قد كتبت بقلم الرصاص، وهذا مثال[1] من تلك الكناشة يدلك على دقة النظام المالى والعسكرى الذى كان يومئذ:

(١) فى هامش المطبوع: قد ألمنا بأمـثلة ذات أهمية كبرى من هذا النوع الحســابى وما ضاهاه فى تأليفنا (نظام الدولة العلوية العليــة داخل القصر وخارجه) وهو مجلد ضــخم سيمثل للطبع قريبــا بحول الله. ولو تتبــعنا ما احتــوت عليه المكتبة الـزيدانية من الوثائق والمواد الراجعة لذلك لجاء فى مجلدات وإن ساعدت الظروف تتبعت واستقصيت.

«مؤنة الحلة السعيدة بزيان عن شهر صفر الخير عام ١٢٩٩

القائد مبارك										
الدوبلالي	010	0005	004	001	001	001	005	00107	0000	000
جيش المنافرة	043	0000	002	001	000	000	000	00264		
المنابية	013	0000	002	001	000	000	000	00084		
حربيل	009	0000	002	001	000	000	000	،0060		
تكنة	010	0000	002	001	000	000	000	00066		
دليم	010	0000	002	001	000	000	000	00066		
دوبلال	003	0000	001	000	000	000	000	00019 :/		
صالح اليموري	010	0000	001	000	000	600	000	00061 :		
احمد اليموري	014	0000	001	000	000	000	000	00085 :/		
ابن التار العبدي	022	0000	002	001	000	000	000	00138		
ابن عمر العبدي	043	0000	002	001	000	000	000	00264		
الحمري	022	0000	002	001	000	000	000	00138		
المجاطي	016	0000	002	001	000	000	000	00102		
	225	0005	025	010	001	001	005	01455 :/		
/:1455 عن مدة شهر تاريخ اعلاه 43665 يجب ريال بحسب 80									0545	065
العسكر :										
ج احمد المومني	020	0110	024	006	002	001	012	00776		
ج محمد الزرواني	025	0160	024	006	002	001	013	00970		
ابن القايدة	025	0110	020	006	002	001	012	00787		
الطبجية	005	0045	002	001	001	000	005	00227		
	075	0425	070	019	007	003	044	2760		
2760 عن مدة شهر تاريخ اعلاه يجب 82800 ريال بحسب 80									1035	000
الجميع دراهم هذا 126465 يجب ريال هذا									1580	065»

والريال قد يكون بحسب ٨٠ كما هنا، وقد يكون ٩٠ ومجموع الريال قد ينحط فى الشهر كله إلى ١٣٧٧، وقد يصل إلى ١٥٨٤، فإذا تمت ستة أشهر جمع ما تحصل فيه على حدة، وقد اجتمع من الريال فى الشهور الست التى أولها ١١ جمادى الأولى عام ١٢٩٩، وآخرها ١٠ ذى القعدة منه ٨٤٦٧، وفى الست التى تليها أولها أولها ١١ ذى القعدة وآخرها ١٠ جمادى الأولى عام ١٣٠٠ : ٩٥٠٨ منه.

هذا وقد كان السلطان المولى حسن آخى بينه وبين محمد وحم المذكور، وأخذ عليهما عهودا ومواثيق خصوصا، وعلى قواد الجيش وأغوات العسكر، وإخوان محمد المذكور عموما، على أن يكونوا فى الرعاية للصالح العام أعوانا، وذلك فى وجهته لتافيلالت إذ كان مروره قدس الله روحه على المترجم بزيان أعواما نحو الأربعين، ولد فيها الأولاد وشبوا بل شابوا حتى صار يعرف هو وأهله هناك بالشناقطة، وولده اليوم يدعى بالزياني وبه يعرف.

مؤلفاته: أخبرنى ولده المذكور أنه كتب حاشية على حط النقاب على وجوه أعمال الحساب لابن البنا، وشرحا على المقنع، وأنه أقرأه إياه بذلك الشرح، وتوليفا فى القوانين المبسوطة، وأبحاثا فى إقليدس، وفى الغريثمو، واستخرج حصة لعرض خنيفرة وزيان، وأنه كان محتفظا على مخاطبات ومكاتيب وظهائر سلطانية من حوادث ذلك الجبل البربرى ووقائع زيان وحروبها مع اشقرن وآيت شخمان وغير ذلك، كان يعدها لتحرير تاريخ ولكن لما اشتد الأمر وضاق المتسع باحتلال خنيفرة وذلك سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف ١٣٣٢ ألقى ذلك فى اليم بكل أسى وأسف، ورجع لمسقط رأسه ومعهد أنسه مكناسة الزيتون.

مشيخته: أخذ عن القائد الجيلانى بن حم البخارى، والأستاذ إدريس بن اليزيد، والمعطى بن العناية السفيانى، والطيب بن اليمنى بو عشرين وغيرهم. كذا أخبرنى ولده المذكور فيما كتب به إلى ذلك أنه تلقاه من والده المترجم.

ولادته: ولد بمكناسة الزيتون فى حدود الخمسين ومائتين وألف ١٢٥٠.

وفاته: توفى ببلده مكناس فى جمادى الثانية عام خمسة وثلاثين وثلاثمائة وألف، وأقبر بالروضة المجاورة لضريح الشيخ محمد بن عيسى، هذا ما يتعلق بترجمته مما تلقيته عن ولده المذكور وغيره ممن خالطه وعرفه حق المعرفة أو رافقه فى الأسفار.

٥٥٠- قاسم بن الفقيه الأستاذ عبد القادر الحسنوى.

نسبة إلى قبيلة بنى حسن الشهيرة، النشوانى.

حاله: فقيه معدل، حيسوبى ميقاتى منجم، خير دين فاضل، زكى ذكى ألمعى مهذب، لا يعرف لهوا ولا لعبا، ولم يحفظ عنه ما يخدش فى مروءته من نعومة أظفاره إلى كهولته، أخبرنى من وثقت بخبره من أهل العدل من شيوخه الذين لهم به تمام الاتصال ولهم على أحواله تمام الاطلاع، أنه عاشره من صباه إلى أن بلغ أشده ولم يرقط منه ما يعاب عليه ولا ما يشان به، شاب نشأ فى عبادة الله، وقد كان رحمه الله مدررا يعلم الصبيان، وتخرج على يده عدة من حملة القرآن، وكان ذا سمت حسن وأدب كامل وحياء، مفرد زمانه فى العلوم الفلكية وما له بها تعلق، خالعا لباس الدعوى خامل إلى العزلة أميل.

مشيخته: أخذ عن والدته وكانت من الصالحات القانتات تحفظ رواية البصرى حفظا متقنا، وعن سيدى إدريس بن عبد الهادى وعليه جمع القرآن، وعن السيد الجيلانى الرحالى، والسيد أحمد العرايشى المترجمين فيما سبق، وعن صاحبنا العدل الميقاتى السيد العلمى بن أحمد بن رحال البخارى.

الآخذون عنه: منهم ابن عمنا مولاى أحمد بن محمد بن المأمون المترجم آنفا.

وفاته: توفى صبيحة يوم السبت سادس عشرى جمادى الثانية عام اثنين وأربعين وثلاثمائة وألف بمكناس، وبموته رحمه الله ماتت المهارة والإتقان فى العلوم المذكورة بالعاصمة المكناسية.

---

٥٥٠ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٩٣٧.

٥٥١- أبو القاسم ابن الأبرش.

ذكره ابن الأبار فى التكملة، فى ترجمة إبراهيم بن يوسف بن آدهم بن عبد الله بن باديس بن القائد القائدى الوهرانى فى صحيـفة مائة وست وثمانين، وكان إبراهيم هذا أخذ عن المتـرجم بمكناسة، وكانت وفاة إبراهيم المذكـور فى صفر سنة خمس وخمسمائة، ولم أقف على زائد على هذا فى ترجمته.

٥٥٢- أبو القاسم بن حبيب الحريشى المكناسى.

حاله: فقيه علامة، مشارك نفاع، مفت حجة، مرجوع إليه.

ذكره ابن غازى فى الروض الهتون وقال: أدركته بالسن فقط، وكان عبد الله العبدوسى يثنى عليه فى مجلسه، تبعـه صاحب تكميل الديباج، وذكر السجلمانى فى شرح العمل فى الصفقة كلاما نقله عن ابن غازى عن شيخ شيوخه أبى القاسم المترجم، ولم أقف له على وفاة.

٥٥٣- أبو القاسم بن درى الشاوى الأصل المكناسى الدار.

مولى السلطان أبى الملوك الجد الأعظم مولانا إسماعيل.

حاله: آخر القــراء والأساتذة المحققين بالعـاصمة المكناسيـة، علامة جليل، أستاذ مقرئ، عارف كبير، نقاد حافظ لافظ مجيد، له مهارة كاملة، وقدم راسخ، ومعرفة زائدة بعلوم القراءات السبع وغيرها، شهد له بذلك القادة الأعيان من أئمة ذلك الفن المشار إليهم بالعلم والعمل ومتانة الدين.

حلاه شـيخه البركـة المحصل الماهر المتسع المشـاركة السيـد محمد بن عـبد الرحمن بن أحمد بصرى شيخ الإقراء فى زمانه بما لفظه: الطالب النجيب، الحافظ المتقن المجود الأريب، الضارب فى فن القراءة بسهم نافذ مصيب. هـ.

---

٥٥٢ - من مصادر ترجمته: الروض الهتون - ص١٢١.

جد فى الطلب، واجـتهد وهجـر البطالة والرقاد، حتى صـار المشار له فى زمانه بالبنان، واتسع فى المعلومات مجاله مع ضبط وإتقان، وإخلاص نية فى السر والإعلان، لا يعـرف لهوا ولا لعبـا، ولا يدرى للكسل مذاقـا، معمـور الأوقات بالفحص والتنـقير عن غـوامض العلوم، حتى فتـحت له النجابة بابهـا، وأدخلته العناية الربانية حـجابها، وقـالت له المعالى هيت لك، وكانت له رحـمه الله لدى سيده السلطان المذكور مكنة مكينة، واعتبار ورفـعة شأن، شأنه مع أمثاله الأفاضل السراة مـن أهل العلم والدين، انتصب على عـهده رحـمه الله للإقـراء والإفادة، فكان حامل لواء القراء فى زمانه.

مشيخته: أخذ عن أبى عبد الله بصرى المذكور وختم عليه سبع ختمات من القرآن العظيم، جمع فى الأولـى بين روايتى نافع وابن كثير، وفى الثانيـة والثالثة رواية أبى عمرو بن العلاء، وجمع فى الباقى بين الأئمة السبعة، وقف فى الآخرة من الختمات السبع بأوائل الروم، كل ذلك بطريق التيسير للدانى وملخصه[1] حرز الأمانى.

وأجازه مرتين بما لفظه فى الأولى بعد الحمد والصلاة:

وبعد: فيـقول عبد ربه، وأسـير ذنبه، المشفق عـلى نفسه من سوء كـسبه، خويدم كتاب الله العظيم، وعبيد آل المصطـفى الكريم، محمد بن عبد الرحمن بن أحمد البصرى المكناسى، وقاه الله شح نفسه، وجعل خير أيامه يوم حلول رمسه، إن الأستاذ الحافظ، المجيد اللافظ، أبا الـقاسم بن درا، مولى مولانا الإمام، ملاذ الأنام وناصر الإسـلام، ذى الحسب المنيف، والنسب الغنى عن التعـريف، مولانا إسماعيل بن الشـريف، أدام الله وجوده، وظفر جيوشه وجنوده، قـرأ على جميع القرآن، المنزل على المختار من ولد عدنان، سبع ختمات جمع فى الأولى بين إمام

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «ومخلصه».

المدينة نافع وعبد الله بن كثير، وأضاف إلى الإمامين فى اثنتين بعدها أبا عمرو بن العلاء، وجمع فى الباقى بين الأئمة السبعة المشهورين، غير أن الآخر وقف بأوائل الروم، وكل ذلك بطريق التيسير للدانى، وملخصه حرز الأمانى، ولما طلب منى أن أجيزه وجهته نحو شيخنا شيخ الطريقة، والحائز لها على الحقيقة، فأجازه بما هو مسطر أعلاه، وأمرنى بأن أجيزه بما قرأه على وحلاه، فكتبت هذه الأسطر امتثال أمره، ورجاء مغفرة خالقى وستره، بدخولى فى زمرة خدمة كتابه، الساعين رحمته عند فسيح بابه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله هـ.

ولفظ الثانية: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان على سيدنا محمد خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وعلى آله الطيبين وصحابته الأكرمين.

وبعد: فيقول عبد ربه، وأسير ذنبه، المشفق على نفسه من سوء كسبه، خويدم كتاب الله العزيز وأهله، المعتمد على كرمه وجوده وفضله، محمد بن عبد الرحمن بن أحمد البصرى المكناسى، وقاه الله شح نفسه، وجعل خير أيامه يوم حلوله برمسه، إن الطالب النجيب، الحافظ المتقن المجود الأريب، الضارب فى فن القراءة بسهم نافذ مصيب، أبا القاسم الشاوى شهر بابن درا، رفع الله بالعلم النافع قدره، وأجرى على منهج التوفيق والتسديد أمره، كنت أجزته فيما سلف بنحو الثمان سنين فى القراءة السبعة، ولم يكن إذ ذاك منتصبا للإقراء، ولا مكلفا بحمل أعباء القراء، ولم يزل من ذلك الوقت إلى الآن مجدا فى الاجتهاد، هاجرا للبطالة والرقاد، حتى صار بحمد الله من الفن المذكور مملو الوطاب، وعاد بلح طلبه إلى الإرطاب، واتسع فى الأحكام مجاله، وصدق فى ذلك فعله ومقاله، وانتصب للتعليم، حسبما به اليوم كفيل زعيم.

والآن طلب منى أن أشهد له بذلك فى كتاب، ليرتفع عنه فيما ذكر تخالج الظنون وخطرات الارتياب، وليكون بيده حجة ساطعة إلى يوم الحساب، فأجبته إلى ما سأل، وأسعفته فيما رغب وأمل، وكتبت أحرفى هذه شاهدا له بالضبط والإتقان، والمهارة فى الحرز ومورد الظمآن، والمعرفة بالأحكام خصوصا تخفيف الهمز لحمزة وهشام، وأنه من المنتصبين لتبليغ الرواية، المشتغلين بالحفظ والدراية، البالغين فى تحمل هذا العبء أقصى الغاية، وقد انتفع به من أهل السبع جمع كثير، وجم غفير. جعل الله ذلك منا ومنه خالصا لوجهه الكريم، وسببا للفوز بالنعيم المقيم، إنه ولى كل خير، وهو على كل شىء قدير، وفى سادس جمادى الأولى من التاسعة عشرة للمائة والألف هـ.

ومن مشايخ المترجم أيضا: أبو عبد الله محمد الهوارى، وأبو العلاء إدريس المنجرة، وأبو عبد الله محمد الخبزى التادلى، والشيخ مبارك الشرادى الزرارى، وأبو عبد الله محمد الصواف الفيلالى، والسيد الراضى السوسى، وأبو على الحسن أزكار السوسى، وسيدى سعيد بن ميمون الدغمى، وأبو الحسن على بن مبارك المصباحى العجلى، والحافظ سيدى أحمد بن مبارك الفيلالى، وسيدى أحمد ابن المتقى الفيلالى اللمطى، ولقى العارف بالله سيدى أحمد الحبيب الفيلالى وعرض عليه مسائل فى هذا العلم سؤالا ومذاكرة.

مؤلفاته: منها حرز الأمانى شرح الجعبرى شرحا عجيبا متقنا فى مجلدات، بأمر من سيدى أحمد بن مبارك لما ورد عليه لمكناس، عام خمسة وثلاثين ومائة وألف، وأقام ضيفا لديه بداره أياما، وقفت على الأول والثانى من هذا الشرح بخزانة البحاث الرحالة المولى عبد الحى الكتانى، فإذا هو شرح ممتع جمع فأوعى، وبرهن على اقتدار المؤلف وطول باعه فى الفنون، تاريخ انتهاء كتابة الجزء الأول سادس عشر شعبان عام ثمانية وعشرين ومائة وألف؛ ومن تآليفه العديمة المثال فى بابها شرح الهمز والكنز والحرز وتقييد على ابن برى وغير ذلك.

شعره: من ذلك ما أنشده لنفسه أول شرحه المذكور:

طلائع نشر الحرز قامت بمغرب   فصالت وجالت تجمع الحمد للشكر
تعامل كل الناس بالبذل والعطا   فلم يبق وفد زارها عرض الفقر
فقرت عيون الطالبين لنيلها   وسرت قلوب الواصلين بلا هجر
رموز لها كالورد أصبح راويا   وأسماؤها فجر أضاء بلا ستر
وأنهلها كنز المعاني بوبله   فأصبحت الوراد تغرف من بحر
فلم يبق ظمآن على وجه أرضنا   ولا فيها محتاج يعاين للغير
فرحماك يا ربى على علمائنا   ومن بها فضلا على كل من يقرى

نثره: من ذلك قوله فى الشرح المذكور عند تعرضه لذكر لقائه سيدى أحمد ابن مبارك السجلماسى ولفظه: فعرضت عليه تقييد ابن برى الذى وضعناه، ومثله من شرح الهمز والكنز والحرز على ما وصفناه، وقرأت عليه تقايید أخر كانت عندنا، ذكرنا فيها من مسائل الفن جهدنا فاستحسن أعزه الله ما سردناه، وأعجبه أكرمه الله ما كتبناه وقيدناه، فدعا لنا بخير ما أردناه، والحمد لله، ثم أمرنى أيده الله بشرح كنز المعانى وحل كلمه الصعبة المبانى، فاعتذرت له بما أنا أهله من التقصير، وسطوات الجهل والعجز والتحصير، وخاطبه لسان حالى بقول القائل:

ما أنت أول سار غره قمر   ورائد خدعته خضرة الدمن

فرأيت هنالك مهامه تحار فيها القطا، وشوامخ تكل عند اقتحامها الخطا، ثم وقفت أتأمل الخوف عند فجئتها، لكن قدمت الرجاء عند رؤيتها، فقال لى اشرع فيه بلا توان، وتوكل على الله المستعان، ثم مسح يده المباركة على صدرى، ودعا لى بصلاح أمرى فعند (كذا) ذلك على الاحتفال بمودته، وعلمت أن العلم يزداد

بنفقته، وأنه بمصافاة الأبرار، تظهر طوالع الأسرار، ثم أفحمنى عن ذلك كثرة العوارض والأهوال، وكثر المماطلة وتبدل الأحوال، ومقاساة الشدائد والفتن، وكثرة الهواجس والمحن، وليس فضل الله بممتنع، وخيره سبحانه ليس بمنقطع هـ.

وفاته: توفى عام خمسين ومائة وألف رحمه الله.

٥٥٤- أبو القاسم قاضى الحضرة المكناسية وابن قاضيها سعيد بن أبى القاسم العميرى - بفتح العين نسبة لبنى عمير، فرقة من تادلا الجابرى التادلى.

حاله: آخر أدباء وقضاة العدل بمكناس، ذو سمت حسن، وسكينة وتؤدة ووقار، علامة علم الأعلام، حجة الله على الأنام، ركن التحقيق المستلم، الجامع بين اللسان والقلم، صدر صدور المشايخ، ومن له فى الفنون العقلية والنقلية القدم الراسخ، الناظم الناثر، واضح المفاخر، كثير المآثر، قاضى قضاة العصر، الطائر الصيت فى كل مصر، محبوب الأنام نافذ الأحكام، ذو الفهم الثاقب، والإدراك الصائب، حسن الأخلاق، طيب الأعراق، جامع أشتات الفضائل والفواضل، ونخبة سراة الأعلام الأماثل.

ولد بفاس القرويين، ثم انتقل به والده لمكناسة الزيتون، على الطائر الميمون، فنشأ بها كما قال عن نفسه فى فهرسته: فى عزة أهل ورفاهية احترام، ودعة جلالة وظل إعظام وإكرام، فلم يكن من فضل الله عليه باللاهى، وإن ألهاه سن الحداثة ببعض الملاهى، إذ لم يكن له راحة إلا فى المكتب، وما مسىء من أعتب، وما زالت الأبوة الكريمة تلحظه بعين الاستصلاح، وتقابله برعايتها العميمة رغبة فى الإجابة لداعى الفلاح، حتى تيسرت له الأسباب، وانفتحت الأبواب فى وجهه لطلب العلوم الشرعية بابا بعد باب، ومهر واتسعت فى الفنون عارضته، وعلت كعبه وعظمت مكانته، فولاه السلطان المولى عبد الله بن الإمام الأعظم مولانا إسماعيل خطة القضاء بمكناس.

ثم رحل لأداء فريضة الحج وزيارة خير الأنام عام ثلاثة وأربعين ومائة وألف في رفقة والدة موليه السلطان المذكور السيدة خناثة بنت بكار المعافرية السابقة الترجمة، وحفيدها سيدى محمد بن السلطان المولى عبد الله، والعلامة السيد الشرقى الإسحاقى وغيرهم من الأعلام ووجهاء الأعيان، وقد أخذ فى هذه الرحلة عن علماء تلك الديار المشرفة، قال الوزير السيد الشرقى المذكور فى رحلته المؤلفة فى وجهته هاته ما نصه: غريبة، فى يومى إقامتنا ببسكرة تحاكم لدى صاحبنا الفقيه القاضى النبيه، الأديب الوجيه، السيد بلقاسم ابن الفقيه العلامة سيدى سعيد بن بلقاسم العميرى، رجلان من أعراب هذه الناحية من أولاد قسوم، فى فرس أراد المشترى منهما الرجوع على بائعها بالثمن إذ هلكت بعيب قديم أقدم من أمد التبايع، وأحضر بينة، فأمره الفقيه القاضى المذكور بتزكية بعض شهود البينة، فجاء بهذا الشيخ بو الضياف مزكيا لبعض شهود البينة، فقال له القاضى أتعرف هذا الرجل الشاهد؟ وسماه له فقال: نعم نعرفه رجلا جيدا من خيار قومه ما عندنا ما نقول فيه أغار معنا على العرب كم وكم مرة ما رأينا فيه عيبا، فانظر هذه الجهالة زكاه من حيث جرحه، وهكذا حالة هؤلاء الأعراب فى العراقة فى الجهل هـ.

ثم عزل المترجم بعد، ثم ولاه بمكناس أيضا المولى على بن السلطان الأعظم مولانا إسماعيل لما خلع العبيد مولاى عبد الله وبايعوه، وكانت توليته إياه يوم الجمعة مهل جمادى الثانية عام سبعة - بتقديم السين على الموحدة وأربعين ومائة وألف، بعد عزله للقاضى السيد البوعنانى المترجم فيما مر، بسبب تأخيره ذكر الصحابة عن ذكر السلطان فى خطبته عسى أن ينال بذلك منزلة من السلطان وتقربا، فعامله بنقيض مقصوده، وجعل جائزته الحرمان، وتعجيل العزل له من خطة القضاء.

ثم لما خلع مولاى على وأعيدت البيعة لمولاى عبد الله عزل المترجم عن

القضاء، وولى مكانه البوعنانى المذكور، وذلك فى صفر عام تسعة وأربعين ومائة وألف، ثم فى أواخر جمادى الثانية من السنة المذكورة ولاه قضاء مكناسة سيدى محمد المدعو ولد عريبة وعزل البوعنانى، ثم عزل المترجم وولى مكانه سيدى محمد البيجرى، ثم عزل البيجرى، وولى مكانه السيد عبد الوهاب بن الشيخ.

قال المترجم فى فهرسته:

ومن الخطأ الصراح، ما كان باح واستراح، من الأشنوعة التى كان استحدثها أولاد بو عنان، وتهافتوا فيها تهافت الذبان، واستهجنها عليهم الملائكة والإنس والجان، وذلك أنه لما عزلت عن خطة القضاء عام تسعة وأربعين بادروا إلى حشر من غلبوا عليه من سقط العدول وحمولهم على وضع إشكالهم على وثيقة سطروها، على قدر شهواتهم وحبهم الرياسة، وتظاهروا على تلك الضلالة، بمن كنت عزلته لكونه ظاهر الجرحة ساقط العدالة:

تمنى بأوباش فتوح مدائن ... وذاك لعمرى ضلة وجنون

كضلة عمرو إذ تمنى مراده ... بجيش مراد والجنون فنون

ثم لم يكتفوا بذلك حتى أفتوا بقتلى، وقتل من كان عونا لى على القيام بأحكام الشريعة من حملة العلم، ولما شاع ذلك الخبر وأجمعوا على رفع ذلك لمن كانت بيده إذ ذاك الأحكام السلطانية، وأخذوا فيه بالجد سرا وعلانية، حضر لدى من حضّنى على أن أعد لهم ما استطعت من قوة، ثم ذكر ما كتبه فى بطلان تلك النازلة التى تولى كبرها من ولى الأحكام الشرعية بمكناسة وفاس، وبين حرمة المؤمن وعرضه، وكفر من استحل ما حرم الله بعد علمه بتحريمه، وإلغاء شهادة الشاهد وحكم القاضى على عدوهما، ثم ذكر أن الله كفاه شرهم، ورد فى نحورهم كيدهم ومكرهم.

وفى يوم الخميس حادى عشر رجب عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف قبض السلطان مولاى عبد الله على المترجم بدعوى أنه مع غيره من العلماء كسيدى أحمد الشداوى، وأبى العباس أحمد بن الحسن بن رحال المعدانى، وأبى العباس أحمد بن عبد الله المليتى وفضحهم على رءوس الأشهاد، وقال لهم: كيف تزوجون أخى المستضىء بنسائى وهن لم يخرجن من عصمتى بوجه من الوجوه الشرعية؟ ثم عفا عنهم، وقد كان المترجم احترم بحرم سيدى سعيد المَشَنْزَائى قبل مجىء السلطان، فأخرجه العبيد فى الأمان، وتكلفوا له بأنه لا يرى من السلطان إلا الإحسان.

مشيخته: أخذ عن والده جملة وافرة من التفسير، وصحيح الإمام البخارى، وشفاء عياض، والشمائل، والربع من صحيح مسلم، وجملة من كبرى الشيخ السنوسى، ومن مختصره، ومن شامل بهرام، ومختصر ابن عرفة، ومن مختصر خليل، والألفية لابن مالك، وشرح الكعبية لابن هشام، ومن شرح المقصور والممدود لابن مالك، وجملة من لامية الأفعال، وسلم الأخضرى، ولامية الزقاق، وشرحها لميارة وغير ذلك.

وأخذ عن العلامة المحقق النحوى البركة السيد البهلول البوعصامى المتقدم الترجمة فى المحمدين قرأ عليه الألفية لابن مالك، وصدرا من شرح المرادى عليها، والسلم المرونق وانتفع به نفعا كبيرا.

والعلامة أبى العباس أحمد بن أحمد الشدادى قرأ عليه المختصر الخليلى من أوله إلى آخرة وأعاده عليه ثانية إلا أنه لم يتيسر له ختمه.

وأبى العباس الولالى قرأ عليه منظومته فى علم الكلام.

وعن أبى على بن رحال قرأ عليه المختصر الخليلى وقيد عليه تقاييد جليلة، لا يكاد يعثر عليها إلا بمطالعة المطولات الحفيلة.

وسيدى محمد بن أحمد المسناوى، حضر عليه مجلسا واحدًا من صحيح البخارى بجامع الشرفاء من فاس.

وأبى الحسن على التدغى صاحب اختصار الحلية قرأ عليه جملة من السلم.

وأبى محمد عبد القادر ابن شقرون، قرأ عليه الألفية والآجرومية وعليه كانت بداية قراءته.

وأخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ سيدى المعطى بن الصالح صاحب الذخيرة، وذلك عام أربعة ومائة وألف، واستجاز آخر أمره العلامة سيدى عبد الكبير السرغينى من فاس فأجازه كتابة بالصحيح والمرشد المعين، وقال له: لا رواية لى بغير ما ذكر.

كما استجاز الإمام المحدث المسند أبا العباس أحمد بن عبد الله الغربى الرباطى فأجازه آخر ستة وستين ومائة وألف فى مروياته عامة عن شيوخه بالحجاز ومصر وغيرهم، وقد أورد نصها فى فهرسته، وعن غير هؤلاء ممن هو مذكور فى فهرسته من أهل المشرق والمغرب.

وقد ذكر أنه كان أول أمره لا يكثرت بالرواية قال: حتى فاتنى كثير من الأشياخ بالمغرب ومن لقيته بالمشرق، فلم يجزنى أحد منهم، ولقد ندمت على ذلك، ومع ذلك فلم أحرم فى الجملة من الاتصال هـ.

الآخذون عنه: أخذ عنه من لايعد كثرة من نقاد الأعلام بمكناس وفاس وغيرهما، فمن الآخذين عنه: العلامة السيد الطيب ابن يوسف، والفقيه سيدى على بن. . . . وأجازهما عامة حسبما ذلك بفهرسته، وأجاز بفهرسته المذكورة العلامة أبا محمد المكى الناصرى بعد استدعائه الإجازة بها منه وستأتى نصوص إجازته لهما فى نثره.

مؤلفاته: منها شرحه على نظم العمل الفاسى، وفهرسته فى جزء وسط، ومؤلف سماه التنبيه والإعلام، بفضل العلم والأعلام، والورد الندى فى ترتيب ما

تضمنه شرح التسميط المحمدى، اختصر فيه مصنف الحافظ محمد بن على بن محمد بن على المصرى بن محمد بن محمد بن شباط التوزرى فى السيرة الذى شرح به قصيدة الشيخ البركة عبد الله بن يحيى الشقراطسى التوزرى، قال طالعته: وكنت وقفت عليه حين قفلت من الحجاز، وكان لى على طرابلس الغرب المجاز، ولم أكن رأيته قبل ذلك، ولا طرق سمعى خبره فى تلك المسالك، فاغتبطت به وضممته ضم البخيل، وقلت ليت شعرى هل إلى تحصيله من سبيل؟ وإذا هو بيد من لم يسمح ولو بعاريته لاستنساخه بعد الوصول إلى الأوطان، إذ لم يمكنى نسخه على الكمال مدة الإقامة ببلده والاستيطان، وحين أَعْيَا داؤه، ونضب عنى ماؤه، شمرت عن ساعد الجد، لمدى العزم الشباة والحد، وأخذت فى اختصار من شرح أبيات القصيدة، وقلت ما فات الرامى شىء إذا رمى فأصاب مصيده، إذ السيرة من جل المقصود، وأجل هاتيك القصود، وجعلت منه مقدمة وخاتمة هما بعون الله لبنة التمام، وواسطة ذلك النظام.

أما المقدمة فتعرف بها كمالات سيدنا ومولانا محمد ﷺ فى كل الفضائل وتقديمه، وأن الله تعالى حين سواه، وأيده بالنور المبين وقواه، خصه بمزايا لم يخص بها سواه.

وأما الخاتمة فقد تضمنت أحاديث الشفاعة والحوض، وما خصه الله به ﷺ من ذلك يوم العرض، وقدمه به على أهل السماء والأرض لعل الله تعالى أن يجعلنى ممن يحظى بشفاعته يوم القيامة، ولا يذم ببطالته لياليه وأيامه، وأتيت فى هذا الموضوع بكلام الأصل على حاله إلا ما غيرت فيه من ترتيب المنتشر، ونظم ذلك السلك المنتثر، وسميته بـ (الورد الندى، فى ترتيب ما تضمنه شرح التسميط المحمدى).

ثم جعلت له تراجم هى لأصنافه عنوان، وعلى تحسين أوصافه أعوان، فقد

كان مؤخرا فيه ما حقه التقديم، مقدما ما تأخيره ربما لبس على الناظر الحادث بالقديم، لأنه كان مقيدا بتتبع أبيات النظم بذلك القصص، مقتطفا من أجل ذلك ما تأتى له من الحصص، ولست فى عهدة من تصحيف فيه، فإنى لست بمعطيه حقه من المقابلة ولا موفيه، لضيق نطاق السفر عن مثل هذا، فلا تقل كان ماذا، ولا لماذا، وبما توخيناه من الترتيب ونخلنا من مهيل ذلك الكثيب، تنتظم إن شاء الله فرائد الفوائد، وتتقيد أوابد الشوارد. هـ.

ومع اعتذاره بالسفر فقد رتب أبوابه، وفصل فصوله واختصره، فجاء فى مجلد ضخم من القالب الكبير، وقد جمع إلى السيرة شرح ألفاظها وضبط غريب اللغة وأسماء الأماكن وتعريفها، وأخبار الفتوحات الإسلامية، وفتح المغرب والأندلس، وكان فراغه منه أواخر شعبان من عام أربعة وأربعين ومائة وألف، وهو موجود لدينا وله غير ذلك.

شعره: من ذلك قوله مخاطبا لوالده عام تسعة وعشرين ومائة وألف وقد مرض مرضا أشفى منه على الموت:

حياتك منتهى الآمال عندى ... فليت الموت يقتلنى فداء
أيجمل أن أراك رهين حال ... وآمل لا عدمتكم بقاء
ولم أصبر وأنت اليوم حى ... فكيف إذا اتخذت ثوى ثراء
صغرت عن التحمل إن مثلى ... وحقك لا يطيق له عناء
وكيف ولى أخيات وقلبى ... تقسم فيك بينهم سواء
ملأت صدورهم بشا غداة ... فعادت فى مآقيهم مساء
وكم أرغمت فى أنوف قوم ... يرونى فى عيونهم قذاء

وما قصرت فى التأديب حتى رفعت لديك للعليا لواء
وإنى وإن بكيتك ملء عينى فهل كان البكاء لنا غناء
ولكن أعين ناحت عليكم بدمع أحسن الإغضا قضاء
فخفض إن لى ربا رءوفا عطوفا سوف يمنحكم شفاء
وتفدى بالعدا من كل باس يسيء وإن هم قصروا كفاء

وقوله وقد ألم به مرض:

أمولاى هذا الداء عز دواؤه على وقد أودى بعبدك ماؤه
إليك رفعت الأمر فيه براءة من الحول لما أن تعدى عداؤه
فلا تقطعن عوائدك التى تعودت من إحسانها ما أشاؤه
بأسمائك الحسنى تشفعت فى الذى تطاول من داء لديك شفاؤه
وإن كنت قد قصرت فيما أمرتنى فحاشاك ربى أن يطول رجاؤه
فلا تأخذنى بالذى أنا أهله وإن ساء منى عمده وخطاؤه
وعامل ولكن بالذى أنت أهله فعبدك هذا حاله ولجاؤه
وأنت الذى يرجو نداك بفاقة إليك عسى ينجو بذاك نداؤه
وكن لى من بعد الوفاة وقبلها فما خاب داع يهتديه دعاؤه

وقوله ما دحا للشريف العلامة مولاى محمد بن حين المقدسى لما قدم من المشرق، على مولانا الجد الأعظم السلطان مولانا إسماعيل يستمطر نداه، وذاك عام ثلاثين ومائة وألف:

تاقت لمرآك منذ اليوم أشواق يا طلعة ولها بالغرب إشراق

كانت مقاصرا ملاك لها فلكا لكنما الأفق أحشاء وآماق
حيا محياك عناء آمل ضمنت لها النجاح عداك الذم أوراق
طيف من الشعر قد زار العلا شغفا يقضيك حقا له وخد وأعناق
هى السيادة إلا أنها كرمت أخلاقها ووسمت من قبل أعراق
وهى المجادة إلا أنها بلغت بالخافقين له بالفضل إخفاق
لو نال بدر الدجى ما نال من شرف ما أدراك البدر بعد التم إمحاق
من حبه فى ضمير القلب سكنه وقربه لا تزال النفس تشتاق
ياليت شعرى لو يدرى مودة من أتى به الحب لا عسر وإملاق
وهر الوفى إذا جربت خلته له على سنة عهد وميثاق

وقوله رادا على ابن غرسية الرسالة التى فضل فيها العجم على العرب:

أغرتك نفس يا ابن غرسية الذى به النعل زلت فى الضلالة والخف
تفضل عجما كنت لا كنت منهم على العرب السادات ويحك لا تهف
تقول بجهل ما تحاول فيهم وتنكر نقصا للأنام به عرف
رئيسهم الأسقف لا در دره مناطقهم لكن قلوبهم غلف
نصاراهم لا يعرفون بغيرة يهوديهم لا تشتهى صفعه الكف
مجوسهم يرضى تزوج بنته جهارا وفحل السوء ليس له وقف
فهل فوق هذا العار عار لمبتكى يكل عن التعبير عن حاله الوصف
وكم إمرة كانت عليهم لمرأة لها فيهم (كذا) بين المنع والصرف
متى رفعت أقدامهم لخطابة منابر لا تنفك يصحبها الزحف

متى عرفوا للخيل حال ولادة يميز أعوجيها منهم الطرف
متى بسطوا فيهم بساط كرامة فأصبح يثنى عن مكارمهم ضيف
وتلك فعال ليس ينكرها لمن زرته ببغى قومك العجم السخف
ومالك عن قوم إذا ما ذكرتهم ذكرت نعيما ناله ذلك الصنف
ترى الفخر فى تلك المطارف والعلا بتلك الحشا يا زادها زينة سقف
وذاك لعمرى فى الحقيقة حال من يروقك منهن التمايل والردف
من العرب الألى عليهم تقصفت حروب تحاكيها الزلازل والخسف
تشن عليهم غارة بعد غارة فنال مناه فيهم الرمح والسيف
وقادت سبايا حاسرات تقدمت إليهم بخيل فى أعنتها الحتف
وما برحوا حتى أمالوا عروشها ودق بقاياها الهزائم والزحف
وصارت ثلاثا مسلما ومجدلا قتيلا ومعطى جزية وبه خوف
عساكر تحمى جارها ونجارها مآثرهم لا تستقل بها الصحف
فحسبك منها فى الفخار نبينا له نسب فيهم يصوغ له عرف
وحسبى من نصرى لهم ما أطيقه من القول إن كان ابن غرسية يجف

وقوله مجيبا لواسطة عقد الأئمة الأعلام أبى العباس أحمد بن عبد القادر التستاوتى، عن معاتبة له على تأخيره الجواب عن مسائل علمية كان سأله عنها ورام معرفة الحكم الشرعى فيها:

هذا وحقك يا ابن عبد القادر لجواب شعرك ما أنا بالقادر
فى القلب أشياء تحول وربما هاجت إذا ناولت ما بالخاطر

إيه لقـــد حــركـت منى لوعـــة بنتــيـفـة مـا مــثلهـا للحــاجـر
وعـتـبـــتنى والعـتب يحلـو عندمـا يصـفـو الوداد وودك اليوم غـامـرى
هب أننـى قـصــرت فى حـق على عــذر وإن لم يبـد فـالمجـد عـاذرى
إذ لم أجـد نصـــا يعـين حكمـــهـا حـــالا ومـــا أمـــهلتنـى لدفـــاترى
إنى لأرجـو أن تكون مــســامـحى لما اســـتـــوى لـك باطن بظـواهر
وأزل جـعلـت فـداك عـتـبك إننى لرضـــاك منعطف بوجـــه ســافـــر
إن كـان لا يرضـيك إلا كـــتـبـهـا بســواد عينى فى طروس مـحاجـرى
ولذاك أيســـر من عـــتـاب كـامن بـقـــــريـضـكم بـأسنـة وبواتــر
إن لاح مـنـى فـى هـواك تـوقـف عطلـت من حلى المداد مــحـــابرى
وثنيت عـطفى عن طلاب فـضـيلة تركت لـنا من كـــابر عن كـــابر
وتحـــيـــتى تنهى لكـم مـا خـلفت تلـك المعـــــالى أوائل لأواخــــر

وكتب إليه الفقيه الكاتب السيد عمر الحراق فى أمر وذكر فى الكتاب الحنظل وكتبه بضاد غير مشالة فكتب إليه:

الحنظـل النبت شـكا مـــعـــشـــرا فى ضـــبطه مـا اســتندوا لكـتـاب
يقـــول مـا الــذنب الذى جـئـتـــه لا يكتـــفى فـيـه بـدون (الرقـاب)

احترز بالنبت من الحنضل بمعنى الظل لأنه غير مشال.

وقوله متـشوقا للأهل والوطن، ومعتذرا عن مـفارقة ذلك المسكن وذلك لما خرج لنواحى الريف، وخيم منها بمعقل عـاصم وماء بارد وظل وريف، واستقرت به الدار، وبداله فى الاعتـذار، فرارا مما تأجج من نيـران الفتن واضطراب الأحوال وضاق بسبب ذلك المتسع بعد وفاة مولانا الجد الأعظم السلطان المولى إسماعيل:

دعيني فوصل الغيد ليس من العدل ولا تعذلى فالإذن صما عن العذل
وكيف بمن ولى عن الوطن الذى توالت به الآمال فى الزمن المحل
وظنى به أنه عف خير وإن يكن جفاك فإن المرء عنك لفى شغل
بمكناسة الزيتون خلف أهله وحل بقرب الريف فردا بلا أهل
حمى جانبا منها عداه وجانبا مخافة قول أن يصير إلى فعل
فخليتها كى لا تسام حقادتى بسوء وأنف الحر يأنف من جهل
وقلت ولم أملك سوابق رحلتى كذا فارقت أوطانها الناس من قبل
وإن عز بى هجرانها فلربما توصل بالهجر إن صب إلى الوصل
وتصدية السيف المهند لم تزل وحقك ترجو أن تعاهد بالصقل
والإفلو خيرت ما اخترت غيرها قرارا وقد قرت بها العين للأجل
كأنى لم أرشف لما لها ولم أكن جنيت جناها من لدن طلعت نخلى
أمكناسة الزيتون يا خير بلدة حدائقها تجلو على الحدق النجل
وما القول فيمن حال حال وصاله فلا جعل الله الموانع فى حل
إذا لاح نحو الغرب برق هوت به دواعى الجوى بعد العلو إلى السفل
وإن هبت الأرواح رق وراق من يسهل من أمريه ما ليس بالسهل
وإن غنت الورقاء بالأيك روعت فؤادا دعاه الشوق بالجد والهزل
هل الحزن إلا يوم فارقت صبية فلله ما قد حل بالفرع والأصل
ولله أشكو اليوم ما حل بيننا ولله أرجو ما تعودت من فضل
فيارب فرج كربتى واكفنى أذى عبيدك واجمع ما تشتت من شمل

ومن على عـبـد بعـزك إن من | يعـز بغـيـر الله صـار إلى الذل
وحـاشـاك ربى أن تخـيب راجـيـا | إليك التـجـا بالجـزء منـه وبالكل
أيا ملجـأ المضطر يا غـوث من دعـا | ويا ناصـرا من لا لـه ناصـرا مـثلى
أغـثنى أغـثنى يا مـغـيـث فـإننى | وأهلى وحال الكل يـغنى عن السؤل
وأنت إلى المسـتـضـعـفين دريئـة | فـأحـسن خـلاصى بالنـبى وبالرسل

وقوله من قطعة مـجيبا قاضى غـمارة، وواحد تلك العمارة. الفـقيه الذكى الألمعى النزيه السيـد أحمد المدعو أبو سلام الحـميدى، عن أبيات كـان ودعه بها، وكان من أعيان من لقيه بتلك الوجهة:

أبا العـبـاس لـو يجـدى فـؤادى | حـنيـن طال بـعـدكم حـنيـن
ولو أن الأنيـن يعـيـد شـيـئـا | لما فى الـقلب مـا فـتـر الأنين
ولكـن للـنوى أمـر إلـيـه | تـناهـى أمـره وبه يـهـون
سـأرعى ودكم مـا دمت حـيـا | وحـقك لا أخـون ولا أمـين
وعـهـدكم مـتـى ضـاعت عـهـود | علـيـه من الوفـاء بـه أمـين
تعـين عـلى الـنوائـب إن ألمت | وتحـمل كـلهـا أيا تـكون
وتلقى الضـيـف بالبـشـرى وتقـرى | غـواشـيـه وقـد لـزمت مـئـون
ومـهـمـا اعـتـاص فى علم سؤال | فـاحـمـد بالجـواب به فـطين
نقـى عـرضـه مـن كل سـوء | يسـاء به ومـن شـين يشـين
وتلـك مكـارم لاقـعـب مـاء | ببـيت شـابـه لبن حـقـين
فـآمل أن تعـود لنا قـريبـا | على خـيـر وحـاسـدكم حـزين

وتؤتى خـيـر مـا ترجـو وتحظى   بما تـرضى وأنـت به قـمـين
ودونـك من صـنيع الـفـكـر نظم   تقـر لحـسن مـوقـعـع عـيـون

فلما وصلت أبيات الجواب. للحميدى المجاب. كتب له قصيدة أخرى يقول فيها:

وإن غـاب عنا العلم من صـدور الد   فـقـد حـازه مـن بعـده ولد صـدر
ولا عـجب إن قـيل أنت تفـوقـه   فـإن ضيـاء الشمس يسـبقـه الفجـر
تسل عـن الهم المبـرج بالحـشـا   فـرب عـسـيـر كـان فى طيـه يسـر
وإن جـاء عـبـاس من الخطب هائل   فـفى أثره الضـحـاك يعـقـبـه بشـر
وإن لفـكـم جـور من الدهر بـرهة   فلا بد بعـد اللف أن يحصل الـنشر

فأجابه أبو القاسم بقصيدة يقول فيها:

نزعـت إلى حـسن بنـظم تظـاهرا   به سـاحـران للنهى الـطرس والسطر
قـواف تجـلت للـخـيـل ووزنه   وحـسن من حـسانهـا النظم والنثـر
وجـريهـا ذيل الكـمـال جـريرها   فـغاظ سـجـول الموصلى ذلك الجـر
تبـاهى زهـيـرا فى مـزينة وإلـيـهـا   بمصـر وليليـاته مـا بدا فـجـر
فلو نافـست بـدع البـديع ولامـست   حرير الحـريرى ما جـرى لهمـا ذكر
ولو نالهـا والى الكتـيـبـة مـا بدا   بهـا للوا الإنشـاء طى ولا نشـر
ولو وصـلت يومـا لمنطـق واصل   تكلف نطـق الراء من فـمـه الثـغـر

إلى أن قال:

وإن قـصرت بى عن جـوابك همـة   فـمنك وقـيت الهم يلتـمس العـذر

فكيف ولى قلب تقسم فانثنى لمكناسة شطر وعندكم شطر

وقوله متوسلا بأسماء الله الحسنى، ومحصيا لها نظما سنيا أسنى:

رب بأسمائك أدعوك عسى أكفى مئونة الصباح والمسا
يا خير من نيط به الرجاء وخير من إليه الالتجاء
كن لى لا على يا الله بحق لا إله إلا الله
أعوذ من عداء كل عاد بك ومن شماتة الأعادى
يا أول سواك لا يعول عليه والأيام فينا دول
يا آخر يا باطن يا ظاهر تعاظم الأمر ولا مظاهر
ويا غنى بك صرت ذا غنى فجد بما أملت فيك من منى
يا صمد يا قادر يا وال قنى أذى الولاة والموالى
يا مؤمن يا مالك الخلق الرءوف لا تسلمنى ما بقيت لمخوف
بك استجرت يا معز يا عزيز طوبى لمحتم بحرزك الحريز
ظنى جميل بعلاك يا حليم ويا عفو يا حفيظ يا عليم
من استشاط غضبا بما يخيف فالعبد منه فى حماك يا لطيف
إن جار أنت الجار يا رحمن من كل ما كاد به الزمان
حاشاك ربى بهضيمة يسام من بك عاذ من بنى حام وسام
إن قبل إنى لغريب ضائع بالامتناع قلت ربى المانع
فإنه العدل الجليل النافع القابض الباسط للمنافع
يا حى يا قيوم عجل بالفرج وخلصن عبدك من كل حرج

يا نـور كل شيء يـا صـبـور عظيم يا خـبـيـر يا شـكور

كن لذنوبى يا غـفـور غـافـرا يا واحـد ولـلعـيـوب سـاترا

وكـلـمـا ثـقـلـت الأوزار يا مـالك أنـت لهـا غـفـار

ويـا عـلـى مـنّ يـا وهـاب عـلـى بالـتـوبة يـا تـواب

يا بر وارحـم صـبـيـة صـغـارا سيـمـوا على صـغـرهم صـغـارا

لك رفـعـت أمـرهم وأمـرى آذاهـم بـعـض ولاة الأمـر

أخـرجنى من بينـهم لما احـتكم وأنت فـيـمـا بيننا نعم الحكم

ويا قـوى يا مـتـين يا مـجـيـد يا مـحص أنت لى وكـيل وشـهيد

أشكو إلـيك يا ولى يا مـتـعـال أنت الذى تنصف سـافـلا من عـال

عـز على يا مـذل من عـلا يبـغـى مـسـاءة لنا بيـن الملا

يا مـغن يا كـبـيـر يا مـغـيـث يا مـحـيى يا حـسـيب يـا مميت

يا خـالـق يا بـارئ يا واجـد يا مـتكبـر رحـيم مـاجـد

لك الـعلـى يا خـافض يـا رافع بفـضلـك اجـمع شـملنـا يا جـامع

رد علينـا نعـمـا يا ذا الجـلال حـقـا والإكـرام فـأنت خـيـر وال

يا مـبـدئ ويا مـعـيـد يـا رقـيب يا واسـع أنت الـودود والمجـيـب

قـدرت يا مـقـتـدر بـديع قـدوس يا بصـيـر يا سـمـيع

فـفك أسـرى من يد اغـتـراب وامنن عـلى بـنى بـاقـتـراب

يا مـقـسـط يا حق واحكم بـينى وبيـن من رمـاهم بـبـيـنى

قـهـرت بالعـزة يا قـهـار مـا اعـتـقـباه الـليل والنهـار

لحكمـــة فـــعلـك يا منتـــقم ... مــهــيــمن مــؤخــر مــقــدم

أنت الحــمـيـد الضـار بل والبـاعث ... والبــاقـى بعــد خلـقــه والوارث

وليس فى الإمكـان يا جــبـــار ... يكــون إلا مــــاله تخـــتــــار

رزاق يا فـــتـــــاح يا كـــريم ... رشـــيـــد يـا مـــصـــور حكيم

منك الســلامـــة سألت يا ســلام ... يا هادى واهـدنى إلى دار الســـلام

أحـصـيت أسـمـاءك وهى الحسنى ... إحـــصـــا تـعلق سنى أسنى

أرجــــــو بـه بـلوغ كـل أمـل ... يا رب واخــتـم لى بخـيـر عـمل

ثم الصـــلاة مـسكة الخـتـــام ... علـى النبى لـبنـة التـــمــــام

والآل والصـــحب هـداة قـــادة ... للــدين من ألـقى لهـم مـــقـــاده

وقوله:

تبـاعــدت يا مكناســة فـتـقـربى ... ليـهنا عـيـون فيك لى فـتـقـر بى

فـترعـى بمرعـاك الشـهى مـطيـتى ... وتحــمـــد اسـآدى بهـــا وتأوبى

فـقـد طال مـا بينـى وبين أحـبـتى ... وطال بـعــادى منهم وتـغـــربى

وقوله يرثى أخاه العلامة أبا الحسن على السالف الترجمة:

لا تله غـــيـــرك أربع وعـــقــار ... وتمـتع بمـناكـح وعـــقــــــار

فــالدهـر لا يبــقى عـلى حى ولا ... فــيــمــــا جناه تـدرك الأوتار

ثارت لفـقـدك يا أبا الحـسن الرضـا ... زفـــرات مـصـــدور لهـــا آثار

أســفـــا علـيك لما بدا وتـلهــفــا ... لورود أمـــر مـــا لـه إصـــدار

ألقـيت نفـسك فى مهـا وقـد هوت ... بالعـلم مـذ رخص لـه أســعـــار

ضيعت عمرك فى الفضول ألم تكن ... تزهو ببهجة علمك الأمصار
ما كان خصك حين كنت بمجلس ... ترتاده الأسماع والأبصار
وترى محاسنك التى لم تحتمل ... إحصاءها الأفواه والأسطار
غرتك بالمألوف بارقة المنى ... حتى قضيت وما انقضت أوطار
ولطالما قطعتك عنا غيبة ... فى غير شىء كانت الأسفار
فإذا تراءتك العلوم استرجعت ... وتراجعت من صفوفها الأكدار
لله ما حملته فى شقة ... شقت لها الأطواق والأزرار
راعيت ذمة من خدمت ولم يكن ... يرعى الذى تختار ما يختار
نظرت لك الآمال شزرا منهم ... وعداك منها الجهر والإسرار
قصرت لديهم عنك كل شفاعة ... وتباعد التقريب والإيثار
ولكم شفعت وما انتفعت بشافع ... ما هكذا تتكافأ الأحرار
أولى فأولى أن يقال وللعلى ... تتطاول الأشباه والأنظار
إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن ... عارا عليك ورب قتل عار
إن يقتلوك أخى فتلك شهادة ... شهدت بصادق وعدها الآثار
هب أنهم عدوا لمثلك زلة ... أفلا يقال لمن يحب عثار
ما ضرهم فيما أتوا لو أنهم ... منوا ولو قبلوا بدت أعذار
لكن مقالة حاسديه أوجبت ... ما كان لا البينات والإقرار
بشر مباشره بقول لم يزل ... يسمو بشهرته لذاك منار:
(شلت يمينك إن قتلت لمسلما ... حلت عليك) بمن قتلت النار

غـــابت بـواكى مــيت فــى غــربة | وجـــفـــاه من يغـــشـــاه والزوار
وكـذلك الدنـيـا مـتى مـا أقـبلت | ولت لـهــا الإقــبـــال والإدبار
لو شـــاء ربـى لم يكـن شىء ولا | شـــمـت العـــدا لما بـدا الإضـرار
ولرب مـــســرور بمـصـرعـــه الذى | من قـــبـله حكمـت به الأقـــدار
إن يشـــتـــفـى أنى له بالأمـن من | تـلك المـصـــــارع أم لـه أنظـار
والله يـفـعـل مـا يشــاء فى مـلكه | بالحـق وهو الفـــاعل المخـتـــار
وهو المؤمـل أن يصــيــر أخى إلى | جنات عـــدن تحـتـهـــا الأنهـار
وهو الذى يـرجى لكل عظـيـمــة | ومن اسـتـجـــار به فنعم الجـــار
وهو الذى رفـعت إلـيـه ضـراعـتى | فى غـــفـــر ذنبى إنـه غـفـــار
وهو الذى عـم الورى إحـســانه | مـا غـاضـه الإلحـاح والإكـثـار
وهو الذى مـــا زلت أرجـو فـضله | لا نال مـــا أهـوى ومـــا أخـتـــار
وهو الذى أن جـيـئـتـه ألفـيـتـه | مـــا دون مـــا أملتـــه أســتـــار
وبه ندافـع مـــا نخـــاف من الأذى | لا مـــا تحـــاولـه لنا الأنـصـــار
وبه الـعناية فى المطـالب كلـهـــا | مـــا صـرحت أولا بـه الأشـعـــار

نثره: من ذلك ما كتبه تقريظا لشـرح صاحبه أبى مدين الفاسى على مؤلف ابن فارس فى السيرة النبوية(١) بعد الحمدلة:

«طالعت هذا المصنف، المقـرط المشنف، واسـتقـريت مسـائله إلا ما شـذ، وسبرت وسائله فـإذا هو فى معناه فذ، بيانه سحر، وتبيـانه شذور نضار يتلألأ منه

(١) فى هامش المطبوع: مسـودته من ذخائر المكتبة الزيدانية، عليهـا تقاريظ جلة علماء ذلك العصر بخطوطهم.

نحر وسحر، توشح بصحاح الأنقال، وترشح لحمل أعباء تلك الأنقال، فامتازت رموز مشروحه، وتمايزت كنوز صروحه ومزجه به فازدادا طربا، وذلك لا محالة شاهدا باتساع عارضة الواضع، وعائد عليه بحسن الذكرى فى معارضة تلك المواضع، وقد بين الصبح لذى عين، ما قرت به العين:

ونفرح بالمولود من آل برمك   ولا سيما كان من ولد الفضل

فلا يستغرب أحد استحداثه، فى سن الحداثة، ولا ميراثه، فى هذه الوراثة، فإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، وعلى حد السواء حال من ركب فيه إليه كحال من مشى، والله يرقيه مراقى سلفه الصالح، ويقيه حسد من يرى المفاسد فى المصالح، آمين» هـ صح من خطه مباشرة.

ولما توفى أبوه نشأ بينه وبين أخيه أبى العباس أحمد المترجم فى الأحمدين شحناء نالت من كل منهما فكتب المترجم إليه:

«ألا إن لله تعالى ألطافا موطأة الأكناف، كفيلة بالائتلاف بلا خلاف، تقوض أوتاد الفتن، وتحسم شأفة هاتيك الإحن، وحينئذ فحظ أخيك، منك حظ من عاوده الشباب، بعد أن هرم وشاب، فهل لك فى الحسنى، والسبق إلى ما هو أسنى، تميل إليك الأهواء، وتغتبط بك الآراء، ولو لم يكن فيه، الأسد فيه، وقد أسمع المكروه غير مرة، وتجرع من سخف القول حلوه ومره. لكان كافيا أن تطوى عنه تلك الشقة. وأن يغلق إذا لم تكن مما فات كل ما عليه حقه، إلى ما خص به من بنى جنسه، مما لو فصل لقيل يقرئك السلام مادح نفسه.

على أنى إن صدعت بالحق فلى أسوة حسنة فى النبى الصالح يوسف بن يعقوب بن إبراهيم فى قوله اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم، وما ظنك بمن تراه أعاديه فى نحورها شجى يغص به منهم الظاعن والمقيم، وفى داخل

عيونهـا قذى معوجا لا يكـاد يستقيم، فرأيك فى الرجـوع إلى التناصف موفق إن شاء الله، ومتـعين يصلح به المرء دينه ودنياه، عدولا عن أحدوثة نزع إليـها البين وشيعها. والرحم كما علمت تدعو على من قطعها، ثم إنك وإن خاطبتك الخطط الإمامـية، واختـصت بإيثارك الحظوة الهـمامـيـة، لا جرم أن الله أراد دون عـمرو خارجة، فغير لائق أن تنافس فى داخلة أو خارجة، لكن المباهاة بما يخوله الإنسان بطر. والإعجاب به مـعرضة لانتبـاه القضاء والقدر، وإلا فكيف أحـسده الاستنان بذلك المضمار، وقد علمت أنه معصم لم يكن الله ليدعه بغير سوار.

مع أنى عبد الله ضربت لا محالة فى ذلك بسهم على أنف من يأباه ورغم، ومن الجارى على السنة العـامة، وأمثالهـم السائرة المطردة العامة، قـولهم من أخذ بالإصبع فقـد أخذ بكل اليد، وما خالف قط فى هـذا أحد، هذا ولم يجدنى فى رتبة فأقامنى منها، ولا فى خطة فعزلنى عنها، ففيم الرجم بالغيب، والغضب من لا شىء غاية العيب بلا ريب.

فتلاف قبل التلف أوامرك، ولا تخذل بعد المـصيبة بالسلف ناصرك، فأخوك أخوك لا تغرك الأصحـاب، وابن أبيك لا تجد سواه لمواطن صعبة المسـالك ضيقة الرحاب، فبعد الـنوم الانتباه، وبعد السكر الصحو الرافع للاشتبـاه، فشد عليه يد الضنين، واحرص عليه حرص اللئيم على تحصيل العين:

بـع بيـن الـناس فـــــإنـى ... خـلـف ممـن تـبـــــــيـع
واتخـــذنـى لك درعـــا ... قـلـصـت عـنـه الـدروع
وارم بـى كـل عـــــدو ... إننـى الســهم الســريع

فمـثلك من دعى إلى مكرمـة فأجاب، وكـشف ظلمة هذا الليل المـنجاب، وبقاؤك على هذه الحـال، القائدة لحوادث شديدة المحـال، والاستماع لكثـرة القيل والقال، شـأن ضعـفة العقـول من النساء والرجـال، مما يفسد السـريرة، ويطمس

البصيرة؛ وفيه مع النساء والرجال، مما يفسد السريرة، ويطمس البصيرة، وفيه مع ذلك على كلنا أو جلنا مطعن غير خفى، ومغمز لا يرضاه مؤمن تقى، وبالجملة ما أرى لى ولك مثلا إلا قول شاعر بنى زبيد:

أُريد حياته ويريد قتلى ... عذيرك من خليلك من مراد

وانظر ما أوصى به عبد الملك بنيه، الفائزين بشرف الخلافة دون سائر ذويه:

أنفوا الضغائن بينكم وتواصلوا ... عند الأباعد والحضور المشهد

فصلاح ذات البين طول بقائكم ... ودماركم بتقاطع وتهدد

فلمثل هذا البين ألف بينكم ... بتعاطف وتراحم وتود

حتى تلين جلودكم وقلوبكم ... لمسود منكم وغير مسود

إن القداح إذا جمعن فرامها ... بالكسر ذو حنق وبطش أيد

عزت فلم تكسر وإن هى بددت ... فالوهن والتكسير للمتبدد

ثم كتابى هذا وإن كان جهم المحيا لا يهمك أمره، فقد حسنت طويته وانطلق بعد بشره، وغير جميل أن يرى مضيع الحقوق، مقابلا بره بعقوق، وربنا سبحانه هو المسئول فى جبر هذا الصدع، واستصلاح ما فى هذه الأرجام من الفرع، بقوته وحوله، ومنته وطوله. والسلام».

قال: فاستمر على حاله يتكاشح ويتكاشر، ويعبس فى وجه الرحم الموصولة ولا يتباشر، فلما زال ما بينهما قال:

ثم إن الله تعالى ألف بينى وبينه. وأقر بالألفة عينى وعينه، إلى أن صار إلى رحمة الله تعالى والقلوب سليمة من المخائف، وشتان ما بين الآمن من تلك القطيعة والخائف، وكانت وفاته رحمه الله بعد وفاة أخى سيدى على بنحو الشهر.

وفراق الأحباب من أعظم مصائب الدهر، فعظم بفقدهما المصاب، وتجرع سائر ذويهما من ذلك الحادث العلقم والصاب، إلا أن المصيبة كانت بسيدى على أشد، فإنه رحمه الله بلغ منه الامتحان الأشد، انقطع لبعض الملوك، وانتهج لخدمته سياق المسلوك، وذلك بعد أن كان يعد فى عمار مساجد الله بتدريس العلم، وممن حلاه سبحانه بزينة القبول فيه ورونق الجمع بين بهجة الحفظ وجودة الفهم، ثم جرى عليه قدر أدى إلى قتله، وأفضى إلى حطه عن مراتب مثله، فتنفست الصعداء. وسوت الوحشة منه بين القرباء والبعداء.» ثم ذكر مرثيته الرائية السابقة.

ومن نثره أيضا قوله فى إجازته للسيد الطيب بن يوسف ولفظه:

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبيه وعبده، وعلى آله وأصحابه، وأشياعه وأحزابه، حملة الشريعة من بعده، وبعد فإن أبهى ما اتسم به الإنسان، وتحلى بتعاطيه القلم واللسان، هذا العلم الذى رفع الله به من أوتيه درجات، وجعل مدار الحق عليه فصار إكسير النجاة.

وإن الفقيه النبيه الألمعى الذكى، السيد الطيب بن يوسف ممن كان توخى المثول بين يدى، وأخذ لهذا العهد من جملة من أخذ على، ثم تاقت نفسه الأبية. وهمته السنية. لطلب الإجازة، لينخرط بذلك فى سلك من استجاز شيخه فأجازه، فأسعفته وأنا معترف بالتقصير، عارف بفضل الطويل على القصير، ولم يعذرنى بكونى لست فى هذا الأمر من هذا القبيل، ولا ممن يجرى سلوك قارعة هذا السبيل، ولما لم تنظر عين رضاه منى هذا الخلل، قلت مكره أخاك لا بطل.

فقد أجزته فى جمع مقروآتى ومروياتى ومسموعاتى من الشيوخ، الذين كان لهم تقدم فى علوم الشريعة ورسوخ، إجازة تامة، مطلقة عامة، على الشرط المقرر. والقانون المحرر، وقد عاينت منه قابلية حصلت له شروط الطلب وأسبابه وجودة قريحة، ونباهة نبهت على فضله صحيحة صريحة، فسلك سبيل من سعد

بعلمه، وتصـدى لإصلاح فاسد ثلمه، وتمسك بشـريف تلك الأذيال، وفاز بأزهى وأبهى مما احتـوت عليه أيدى الإقبـال، وأخذ بأثر صالحى الأمـة. وصلة فى تبليغ دين الله القويم عن جملة الأئمة. والله سبحانه يلهمنا وإياه لتلك المراشد، ويمدنا جميعا بالتوفيق الراشد هـ.

وقـوله فى إجازة له أُخـرى لفظهـا: الحمـد لله المنفرد بـالعظمة والكبـرياء والجلالة التى أعشـت أشعة صمديتـها مرآة بصائر الخـواص من الأولياء، والصلاة والسلام على سـيدنا محـمد المقتـعد بعزتـه القعسـاء حقا ذورة الكمـال والعلياء، والمبتعث للفـوز إكسيرا وللسعـادة كيمياء، وعلى الآل والأصـحاب ومن انبسط به بسيط تلك الأفنية والرحاب، خير هذه الأمة، ومصابيح دياجيها المدلهمة، حتى لو لم يختم الله على النبوة لكان كثير منهم أنبياء، والرضا عن كل من هو لهم تابع، وعقد على عروة هذا الدين المحمـدى الوثقى عقد الأصابع، فلهم المنة العظمى بما تناقلوه من أنواره إلى يوم الخـتم والانتهاء، وبـعد فإن هذا الفـقيه الجـليل القدر، الحسن الذكـر، الأجل الأفخم الأوحد الصدر. سـيدى على بن . . .(١) له ذكاء ثاقب واعـتناء أعرب فى مـباديه عن العـواقب، كان ممن توخى قـبل هذه الأزمنة المثول بين يدى، وتصدى فيمن فى سالفها للقراءة بمجلس الدرس لدى.

ولهـذا العهد تـاقت إلى طلب الإجازة له نفس أبيـه، لم تزل على تحصـيل حاصل الأمانى حريصـة بهمة سنية، فكنت فيمن ألح عليه فيـه، وأشار إليه بكلتا يديه وفيه، واستدعى ذلك بما قـدم أعلاه، ورقم من ذلك النسيج المحبر فى أولاه، وجنى على غراسة أزاهر حديقته، ونظم من نثر بدائعه جـواهر حقيقته، فجر على بنى جنسه ذيل الإعجاب، وكشف جلباب الإحسان عن خفى مفاخره فانجاب.

وكـيف وقـد عكف منذ أيام طوال، وواظب على طلب العلـم مدا أزمـان خوال، حتى امتطى للمـعارف غاربها وسنانها. وأيقظ لاقتناء الفضـائل جفونا كان

(١) مكان النقط بياض بالأصل.

الكسل عن نيل المرام أنامها، فانثنى وهو حميد الوصف، كريم المساعى بما تصعد إليه على شفا ذلك الجرف.

فليكن لى بذمامه عرفان، ولزمام مواخاته ومصافاته طرفان، وبحسب ذلك تعين على من عين التوفية بالجواب، والحر لو دعى إلى طعنة لأجاب، وإلا فما أنا وذاك، وما كان أحقه أن يقال له فى حق نفسى لقد أبعدت مرماك، فقد استسمنت غير سمين، واستمسكت بعرى حبل غير متين، وآويت منه إلى ركن غير حصين.

ولما لم يعفنى مما طلب، وكلفنى فوق الطاقة بما غلب. وعاينت حسن ظنه وجميله، وعين الرضا عن كل عيب كليلة، وأنى لى بعبور ذلك المجاز، وأنا لست بأهل لأن أُجاز، على الحقيقة لا المجاز. تمثلت بقول القائل:

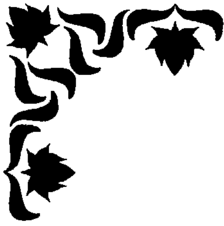
ولست بأهل أن أُجاز وإنما قضى الوقت يرقى الدون مرقى الأكابر

وقلت إسعافا لمراده الذى لا يخالف، قد أجزته ولكن على الشرط المألوف المتعارف، إجازة تامة، مطلقة عامة، فى كل ما سمعه منى وفى غيره من مسموع ومقروء ومروى مما سمعته وقرأته ورويته عن مشايخى، الذين كان وقف عليهم الاختيار، وقضى بتقدمهم وتقديمهم التمحيص والاختبار، والله يجعلنا وإياه ممن سعد بعلمه، ووسعه من الله سبحانه دائرة حلمه، ويختم على الجميع بالحسنى، ويجعل مآبنا ومثابنا المقر الأسنى.

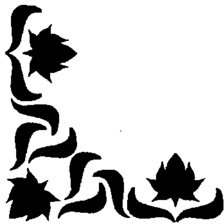
ولادته: كانت ولادته كما قال هو عن نفسه فى فهرسته بفاس القرويين فى يوم الخميس لخمس بقين من شهر شعبان سنة ثلاث ومائة وألف.

وفاته: توفى بمكناس يوم الجمعة تاسع عشرى جمادى الثانية، عام ثمانية وسبعين ومائة وألف، ودفن بضريح أبى العباس أحمد بن خضر، عن خمس وسبعين سنة رحم الله الجميع بمنه.

تم.




فهرس الموضوعات
والتراجم وما في طيها
من المباحث




رقم الترجمة	الجزء والصفحة
٥٢- أحمد بن سعيد العميرى.	١/ ٣٩٩
٥٣- أحمد بن عبد الرحمن المجاصى.	١/ ٤٠٠
٥٤- أحمد بن عبد الملك البوعصامى.	١/ ٤٠٠
٥٥- أحمد بن على العلوى.	١/ ٤٠١
٥٦- أحمد بن أحمد الحكْمِى.	١/ ٤٠١
٥٧ - أحمد العمرانى.	١/ ٤٠٥
٥٨ - أحمد المكناسى.	١/ ٤٠٥
٥٩ - أحمد بن عبد المالك العلوى.	١/ ٤٠٥
٦٠ - أحمد بن عثمان المكناسى.	١/ ٤٠٩
٦١ - أحمد بن على العلوى.	١/ ٤١٧
٦٢ - أحمد بن عزوز.	١/ ٤١٧
٦٣ - أحمد بن محمد المزيان.	١/ ٤١٧
٦٤ - أحمد بن الطيب بصرى.	١/ ٤١٩
٦٥ - أحمد بن على السوسى.	١/ ٤١٩
٦٦ - أحمد بن عبد الله بن محمد الناصرى.	١/ ٤٢٠
٦٧ - أحمد بن عبد الله الناصرى المقرئ.	١/ ٤٢٠
٦٨ - أحمد بن محمد الجبلى.	١/ ٤٢١
٦٩ - أحمد بن على الحسينى العلوى.	١/ ٤٢٢
٧٠ - أحمد بن مبارك.	١/ ٤٢٤
٧١ - أحمد بن الطاهر بادو.	١/ ٤٢٦
٧٢ - أحمد بن عمر بن العربى.	١/ ٤٢٧
٧٣ - أحمد بن موسى، وفيها من الاستطرادات:	١/ ٤٣٠

رقم الترجمة		الجزء والصفحة
	قواد الحناطى البرانيين	٢/ ٦٠٨
	قواد الحناطى الداخليين	٢/ ٦٠٨
	ركوب السلطان للألعاب الرياضية على الخيل بنفسه	٢/ ٦١١
	اللباس الرسمى	٢/ ٦١٢
	كيفية إجراء الأحكام المخزنية بدار المخزن	٢/ ٦١٣
	كيفية ورود سفراء الدول على السلطان	٢/ ٦١٣
	كيفية دخول ممثلى الدول من السفر	٢/ ٦١٣
	كيفية ملاقاة الأجانب مع السلطان	٢/ ٦١٤
	كيفية تقديم هديته للسلطان	٢/ ٦١٤
	زيارة السلطان للأولياء	٢/ ٦١٥
	حركة السلطان من بلد إلى أخرى	٢/ ٦١٥
	كيفية نصب الافراك ومراكز المستخدمين والجيوش	٢/ ٦١٦
	كيفية خروج السلطان يوم السفر	٢/ ٦١٧
	كيفية نهوض السلطان من المحلة	٢/ ٦١٧
	كيفية مسير السلطان فى السفر	٢/ ٦١٨
	كيفية دخول السلطان للمحلة	٢/ ٦١٨
	خروجه للأحكام فى السفر	٢/ ٦١٨
	كيفية تموين المحلة	٢/ ٦١٩
	كيفية تفريق المؤنة اليومية على المحلة	٢/ ٦٢٠
	كيفية وصول الجناب السلطانى إلى المحل المقصود	٢/ ٦٢٠
	العادة فى الولائم السلطانية	٢/ ٦٢٢
	كيفية العقيقة	٢/ ٦٢٢
	نزهة شعبانة	٢/ ٦٢٣

رقم الترجمة	الجزء والصفحة
١٣٧- خناثة بنت بكار.	٣/ ٢٥
١٣٨- خليل الخالدى.	٣/ ٣٤
(حرف الدال)	
١٣٩- الدبيز: المجذوب.	٣/ ٣٩
(حرف الراء)	
١٤٠- رشيد بن الشريف السلطان.	٣/ ٤١
استيلاؤه على الزاوية الدلائية	٣/ ٥٧
علائقه السياسية	٣/ ٧٤
بناءاته وآثاره	٣/ ٨٠
١٤١ - راشد بن منصة الأوربى.	/ ٨١
١٤٢ - رحمة بنت الجنان.	٣/ ٨٣
١٤٣ - روان أبو الروائن.	٣/ ٨٣
(حرف الزاى)	
١٤٤ - زيدان السلطان السعدى.	٣/ ٨٥
١٤٥ - زين العابدين بن المولى إسماعيل.	٣/ ٨٨
١٤٦ - زكرياء الفران.	٣/ ٩١
١٤٧- زيدان بن المولى إسماعيل.	٣/ ٩٥
(حرف الطاء)	
١٤٨ - الطيب بن الشاذلى الدلائى.	٣/ ٩٩
١٤٩ - الطيب بن عبد الرحمن ابن القاضى.	٣/ ١٠٠
١٥٠ - الطيب بن محمد بصرى القاضى.	٣/ ١٠١
١٥١ - الطيب بصرى المكناسى.	٣/ ١٠١
١٥٢ - الطيب بن على القادرى.	٣/ ١٠٢

رقم الترجمة		الجزء والصفحة

(حرف الميم)

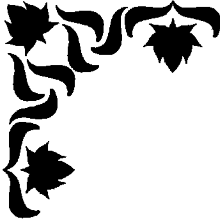
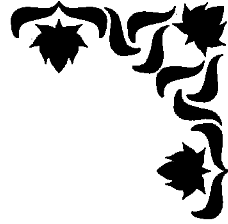
رقم الترجمة	الجزء والصفحة
١٩٦- محمد بن يحيى بن جابر الغسانى.	٣/ ٦٨٠
١٩٧- محمد بن أحمد التلمسانى شهر بالحباك.	٣/ ٦٨٦
١٩٨- محمد بن قاسم بن محمد القورى.	٣/ ٦٨٦
١٩٩- محمد القطرانى.	٣/ ٦٨٨
٢٠٠ - محمد بن أبى البركات الحسنى.	٣/ ٦٨٩
٢٠١ - محمد بن سعيد القيجميسى.	٣/ ٦٨٩
٢٠٢ - محمد بن عيسى بن حرزوز.	٣/ ٦٨٩
٢٠٣ - محمد بن عبد العزيز المعروف بالحاج.	٣/ ٦٨٩
٢٠٤- محمد بن على بن أبى رمانة.	٣/ ٦٩٠
٢٠٥ - محمد بن عبد الله بن محمد اليفرنى.	٣/ ٦٩١
٢٠٦- محمد بن أحمد بن غازى العثمانى.	٤/ ٧
٢٠٧ - محمد فتحا بن عيسى الفَهْدى السفيانى.	٤/ ٢٠
٢٠٨- محمد بن مخلوف الضريسى المكناسى.	٤/ ٣١
٢٠٩- محمد بن قاسم الكتانى الحسنى.	٤/ ٣١
٢١٠- محمد بن أبى القاسم بن أبى العافية.	٤/ ٣٢
٢١١- محمد بن محمد بن غازى الملقب غازى.	٤/ ٣٤
٢١٢- محمد بن حسين العبدلى السهلى شهر بأبى الرَّوَايَن.	٤/ ٣٥
٢١٣ - محمد بن قاسم بن أبى العافية الشهير بابن القاضى.	٤/ ٣٩
٢١٤- محمد بن محمد بن أبى العافية الشهير بابن القاضى.	٤/ ٣٩
٢١٥- محمد بن عبد الرحمن بن بصرى المعروف بسيدى بصرى.	٤/ ٤٠
٢١٦- محمد بن فتحا بن أبى المحاسن.	٤/ ٤٦
٢١٧- محمد فتحا بن محمد المدعو العشير.	٤/ ٤٧
٢١٨ - محمد الوقاد المكناسى.	٤/ ٤٧

رقم الترجمة		الجزء والصفحة
٢٤٢	- محمد بن أبى مدين السوسى.	٤/ ١٠٤
٢٤٣	- محمد بن عبد الرحمن الشاوى المعزاوى.	٤/ ١٠٧
٢٤٤	- محمد بن محمد العكارى.	٤/ ١١٥
٢٤٥	- محمد بن العربى الغمارى.	٤/ ١١٨
٢٤٦	- محمد الحاج ابن عبد القادر التستاوتى.	٤/ ١١٨
٢٤٧	- محمد بن محمد بن عبد الرحمن بصرى.	٤/ ١١٨
٢٤٨	- محمد بن العياشى الوزير.	٤/ ١١٩
٢٤٩	- محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن يوسف الفاسى.	٤/ ١٢٨
٢٥٠	- محمد المكناسى.	٤/ ١٢٩
٢٥١	- محمد بن أحمد اليحمدى الوزير.	٤/ ١٣٠
٢٥٢	- محمد حنوش أبوشكال.	٤/ ١٤٣
٢٥٣	- محمد بن على العَفَّانِى.	٤/ ١٤٣
٢٥٤	- محمد البوعصامى الأديب.	٤/ ١٤٤
٢٥٥	- محمد بن مصالة الفازازى.	٤/ ١٤٦
٢٥٦	- محمد الطيب سكيرج.	٤/ ١٤٦
٢٥٧	- محمد البوعصامى الفقير.	٤/ ١٥٤
٢٥٨	- محمد البهلول البوعصامى.	٤/ ١٥٥
٢٥٩	- محمد بن عبد السلام البيجرى.	٤/ ١٦٠
٢٦٠	- محمد بن الحسن الجنوى.	٤/ ١٦٣
٢٦١	- محمد بن محمد بن عبد السلام البيجرى.	٤/ ١٦٩
٢٦٢	- محمد بن عبد الواحد بن الشيخ الأموى.	٤/ ١٧٣
٢٦٣	- محمد بن الحسن الوكيلى.	٤/ ١٧٤
٢٦٤	- محمد بن محمد بصرى.	٤/ ١٧٦

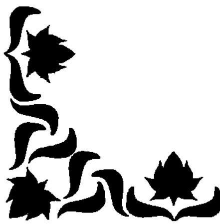
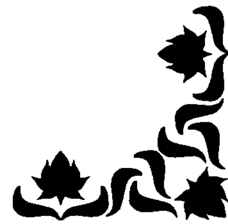
رقم الترجمة	الجزء والصفحة
٢٦٥ - محمد بن الطيب بصرى.	٤/ ١٩١
٢٦٦ - محمد بن عثمان السفير.	٤/ ١٩٢
٢٦٧ - محمد بن قاسم بن حَلاَّم.	٤/ ٢٠١
٢٦٨- محمد بن عبد القادر الزرهونى.	٤/ ٢٠٢
٢٦٩ - محمد بن العربى الزمورى.	٤/ ٢٠٥
٢٧٠ - محمد بن عبد الرحمن بن هنو اليازغى.	٤/ ٢٠٥
٢٧١ - محمد بن أحمد بن الكبير العوفى.	٤/ ٢٠٩
نسب آل ابن سودة	٤/ ٢١٤
٢٧٢ - محمد بن الكبير العوفى.	٤/ ٢١٥
٢٧٣- محمد الرهونى المدعو بركشة.	٤/ ٢١٥
٢٧٤ - محمد بن عبد الوهاب أجانا.	٤/ ٢٢٠
٢٧٥ - محمد بن عمر الصنهاجى.	٤/ ٢٢٠
٢٧٦ - محمد بن حمادى الصنهاجى.	٤/ ٢٢٠
٢٧٧ - محمد السلاوى الوزير.	٤/ ٢٢٠
٢٧٨ - محمد الزرهونى الكاتب.	٤/ ٢٢١
٢٧٩ - محمد بن الطاهر بن محمد البوسلامى الوزير.	٤/ ٢٢١
٢٨٠ - محمد بن منصور الفويسى.	٤/ ٢٢٣
٢٨١ - محمد بن الطيب الشريف الحسنى العلوى.	٤/ ٢٢٣
٢٨٢ - محمد بن إدريس الوزير.	٤/ ٢٢٣
٢٨٣ - محمد بن على بن حرزهم.	٤/ ٢٨١
٢٨٤ - محمد بن عبد الله الأمرانى.	٤/ ٢٨٢
٢٨٥ - محمد بن العربى الصنهاجى.	٤/ ٢٨٤
٢٨٦- محمد بن الهادى غريط.	٤/ ٢٨٥

رقم الترجمة	الجزء والصفحة
٣٥٦ - منانة مزوارة.	٤/ ٣٦١
٣٥٧ - المصطفى بن محمد الكبير العلوى.	٤/ ٣٦٢
٣٥٨ - المعطى بن العناية الغربوى.	٤/ ٣٦٤
٣٥٩ - المعطى الشاوى.	٤/ ٣٦٤
٣٦٠ - المعطى بن محمد بن الهادى بن عبود.	٤/ ٣٦٦
٣٦١ - مغيث زغبوش.	٤/ ٣٦٧
٣٦٢ - المفضل الفلوسى الزرهونى.	٤/ ٣٦٨
٣٦٣ - المفضل بصرى.	٤/ ٣٦٩
٣٦٤ - المفضل بن عزوز.	٤/ ٣٦٩
٣٦٥ - المفضل السوسى.	٤/ ٣٨٠
٣٦٦ - المستضىء السلطان.	٤/ ٣٨٥
٣٦٧ - مَسْلَمَة السلطان.	٤/ ٤٠٠
٣٦٨ - مسعود الطليطى الموقت الأندلسى.	٤/ ٤٠٧
٣٦٩ - مسعود بن جلون.	٤/ ٤٠٨
٣٧٠ - مسعود البريشى.	٤/ ٤٠٩
٣٧١ - المهدى الزريهنى.	٤/ ٤٠٩
٣٧٢ - المهدى بن عبد المالك العلوى.	٤/ ٤٠٩
٣٧٣ - المهدى الكحاك.	٤/ ٤١٠
٣٧٤ - المهدى بن الطيب بصرى.	٤/ ٤١١
٣٧٥ - المهدى بن الطالب بن محمد فتحا.	٤/ ٤١١
٣٧٦ - المهدى بن على الإسماعيلى.	٤/ ٤١٨
٣٧٧ - المهدى بن فضول بصرى.	٤/ ٤٢٠
٣٧٨ - موسى بن محمد بن معطى العبدوسى.	٤/ ٤٢٠

رقم الترجمة	الجزء والصفحة
٤٠٩ - عبد الحق بن سعيد المكناسي.	٤/ ٥٨٣
٤١٠ - عبد الحق الزرهوني.	٤/ ٥٨٤
٤١١ - عبد الحق السحيمي.	٤/ ٥٨٥
٤١٢- عبد الرحمن بن هشام.	٥/ ٧
ولادته وحاله	٥/ ٧
اهتمامه بأمور الدين	٥/ ١٠٩
اعتناؤه بنشر العلم	٥/ ١٣٩
تبرعاته وأوقافه	٥/ ١٤٤
استعداده البحرى	٥/ ١٥٧
علائقه السياسية	٥/ ١٨٠
خلفاؤه ووزرائه	٥/ ٢٧١
كتابه	٥/ ٢٧١
قضاته	٥/ ٢٧٢
قواد مشوره وقواد المسخرين وعماله	٥/ ٢٧٣، ٢٧٤
أمناؤه - محتسبوه - نظاره	٥/ ٢٧٧
بناءاته وآثاره	٥/ ٢٨٢
نساؤه الحرائر والشريفات	٥/ ٢٨٩
ما خلفه من البنين والبنات	٥/ ٢٩٠
بعض ما قيل فيه من المديح	٥/ ٢٩٦
وفاته	٥/ ٣٣١
٤١٣ - عبد الرحمن الكَاوَانى.	٥/ ٣٣٢
٤١٤ - عبد الرحمن بن أحمد القَرْمُونى.	٥/ ٣٣٣
٤١٥ - عبد الرحمن المجذوب.	٥/ ٣٣٤

فهرس مصادر التحقيق

- إتحاف المطالع لابن سودة فى موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامى ١٩٩٦م.
- الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب، طبعة الخانجى، القاهرة ٢٠٠١م.
- الاستبصار فى عجائب الأمصار لمؤلف مجهول، بغداد.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٩٧م.
- الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة ١٩٧٠م.
- الإعلام بمن غبر لعبد الله الفاسى فى موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامى ١٩٩٦م.
- التقاط الدرر للقادرى، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٢م.
- بغية الوعاة للسيوطى، طبعة الخانجى، القاهرة ٢٠٠٤م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير للذهبى، دار الكتاب العربى، بيروت ١٩٨٧م.
- تاريخ ابن خلدون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٧م.
- التبر المسبوك فى ذيل السلوك للسخاوى، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ٢٠٠٢م.
- تذكرة المحسنين لعبد الكبير الفاسى فى موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامى ١٩٩٦م.

- تقريب التهذيب لابن حجر، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٦م.
- التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
- توشيح الديباج وحلية الابتهاج للقرافى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٤م.
- جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس للمكناسى، الرباط ١٩٧٣م.
- جمهرة أنساب العرب لابن حزم، دار المعارف بمصر ١٩٧١م.
- حسن القِرى فى أودية أم القُرى لجار الله ابن فهد، طبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠١م.
- حسن المحاضرة للسيوطى، الخانجى، القاهرة ٢٠٠٧م.
- حياة الحيوان للدميرى، دار إحياء التراث العربى، بيروت.
- خلافة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر للمحبى، دار صادر، بيروت.
- درة الحجال فى أسماء الرجال لابن القاضى المكناسى، طبعة مكتبة دار التراث، القاهرة ١٩٧٢م.
- دوحة الناشر لمحمد بن عسكر فى موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامى ١٩٩٦م.
- الديباج المذهب لابن فرحون، طبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٢م.
- الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة للمراكشى، دار الثقافة، بيروت.
- رحلة العبدى، الرباط، ١٩٦٨م.

- الروض الهتون فى أخبار مكناسة الزيتون لابن غازى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٧م.
- سَلّ النصال لابن سودة فى موسوعة أعلام المغرب.
- شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية لمحمد بن مخلوف، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٧م.
- شرف الطالب فى أسنى المطالب لابن قنفذ فى موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامى ١٩٩٦م.
- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا للقلقشندى، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٦٣م.
- صلة الصلة لابن الزبير، الرباط ١٩٣٧م، ومطبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب ١٩٩٣م.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوى، نشر مكتبة القدسى ١٣٥٣هـ.
- طبقات الأمم لصاعد الأندلسى، دار المعارف بمصر.
- الطبقات الكبرى للسبكى، القاهرة ١٩٦٤م.
- عجائب المخلوقات للقزوينى، مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠٠٦م.
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية للغبرينى، بيروت ١٩٦٩م.
- القاموس المحيط للفيروزابادى، الدار العربية للكتاب ١٩٨٠م.
- الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة للذهبى، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٧٢م.

- كتاب الطبقات الكبير لابن سعد، طبعة الخانجى، القاهرة ٢٠٠١م.
- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس فى الديباج للتنبكتى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٤م.
- لسان الميزان لابن حجر، دار إحياء التراث الإسلامى، بيروت ٢٠٠١م.
- لُقط الفرائد للمكناسى فى موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامى ١٩٩٦م.
- مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، دار الفكر بدمشق ١٩٨٤م.
- المرقبة العليا للنباهى، بيروت.
- المسالك والممالك للبكرى، طبعة دار الكتاب العربى ١٩٩٢م.
- معجم البلدان لياقوت، دار صادر، بيروت ١٩٧٧م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة.
- المقتضب من تحفة القادم لابن الأبار، دار الكتاب المصرى، القاهرة ١٩٨٩م.
- مقدمة ابن خلدون، مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠٠٦م.
- ملء العيبة لابن رشيد، الدار التونسية للنشر ١٩٨٢م.
- نزهة المشتاق للإدريسى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- نشر المثانى لأهل القرن الحادى والثانى للقادرى فى موسوعة أعلام المغرب.
- نظم العقيان فى أعيان الأعيان للسيوطى، المطبعة السورية الأمريكية بنيويورك ١٩٢٧م.

- نفاضة الجراب فى علالـة الاغتراب للسان الدين بن الخطيب، دار الكاتب العربى، القاهرة.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرى، بيروت ١٩٦٨م.

- نيل الابتـهاج بتطريز الديبـاج للتنبكتى، مكتبـة الثقـافة الدينيـة، القاهرة ٢٠٠٣م.

- الوافى بالوفيات للصفـدى، تصدرها جمعية المستـشرقين الألمانية، بيروت ١٩٦٢ فما بعدها.

- وصف إفريقيا لابن الوزان الزياتى، مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠٠٥م.

- وفيات ابن قنفذ، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٣م.

- وفيـات الونشريسى فى مـوسوعة أعـلام المغرب، دار الغـرب الإسلامى ١٩٩٦م.

* * *